



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



اربعین
علیه السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحٌ مُبِينٌ الْبَلَاغَةِ

لِلْوَلَفِ

الْعَالِمِ الْمُحَرَّرِ وَالْمُؤَلِّفِ بِإِذْنِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

الجزء الثالث عشر

من مشورات

الكتاب الإسلامي

في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

آيت الله العظمى سيد ابوالقاسم خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست	۵
منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ۱۳	۱۱
مشخصات كتاب	۱۱
تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره	۱۲
اشاره	۱۲
و من كلام له عليه السلام عند دفن	۱۳
اشاره	۱۳
اللغه	۱۴
الاعراب	۱۵
المعنى	۱۵
اشاره	۱۵
تذنيب	۲۷
خاتمه	۴۲
تكملة	۴۷
بيان	۴۹
الترجمة	۵۲
و من كلام له عليه السلام و هو	۵۳
اشاره	۵۳
اللغه	۵۳
الاعراب	۵۳
المعنى	۵۴
اشاره	۵۴
تكملة	۶۰
الترجمة	۶۰

٦١	و من كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادى به
٦١	اشاره
٦٢	اللغة
٦٣	الاعراب
٦٣	المعنى
٦٣	اشاره
٦٨	تكملة
٦٩	الترجمة
٦٩	و من كلام له عليه السلام و هو المأتان
٦٩	اشاره
٧٠	اللغة
٧١	الاعراب
٧٢	المعنى
٧٢	اشاره
٨١	تكملة و تبصره
٩٣	الترجمة
٩٤	و من كلام له عليه السلام و هو المأتان
٩٤	اشاره
٩٥	اللغة
٩٥	الاعراب
٩٦	المعنى
٩٦	اشاره
١٠٧	تكملة
١٠٨	الترجمة
١٠٨	و من كلام له عليه السلام فى بعض ايام صفيين و هو
١٠٨	اشاره

١٠٨	اللغة
١٠٩	الاعراب
١١٠	المعنى
١١٠	اشاره
١١١	تنبيه
١١١	اشاره
١١٧	و هنا قصه لطيفه
١١٨	تكميل
١٢٩	الترجمه
١٣٠	و من كلام له عليه السلام و هو
١٣٠	اشاره
١٣٠	اللغة
١٣١	الاعراب
١٣١	المعنى
١٣٣	الترجمه
١٣٣	و من كلام له عليه السلام بالبصره و هو
١٣٣	اشاره
١٣٤	اللغة
١٣٥	الاعراب
١٣٦	المعنى
١٣٦	اشاره
١٤٣	تكملة
١٤٥	تنبيه
١٤٥	اشاره
١٤٨	المقام الاول فى وجه تسميتهم بالصوفيه
١٥١	المقام الثانى

المقام الثالث - - - - -	١٥٤
أما العقائد - - - - -	١٥٤
فمنها - - - - -	١٥٤
اما الدليل العقلي على بطلانه - - - - -	١٦٨
الاول - - - - -	١٦٨
الثاني - - - - -	١٦٩
الثالث - - - - -	١٧٢
و أما الدليل النقلى - - - - -	١٨٥
فمنه قوله عليه السلام: فى الفصل السادس من المختار الأول: - - - - -	١٨٥
و منه قوله عليه السلام فى المختار الرابع و الستين: - - - - -	١٨٦
و منه قوله عليه السلام فى الفصل الثانى من المختار التسعين: - - - - -	١٨٦
و منه - - - - -	١٩٢
أولها قوله: لا تحجبه السواتر اه - - - - -	١٩٣
الوجه الثانى من وجوه الدلالة قوله عليه السلام: الظاهر لا برؤيه و الباطن لا بلطافه - - - - -	٢٠١
الوجه الثالث من وجوه الدلالة قوله عليه السلام: بان من الأشياء بالقهر لها و قدره - - - - -	٢٠٥
الوجه الرابع قوله عليه السلام: من وصفه فقد حدّه إلى قوله: فقد أبطل أزلّه - - - - -	٢٠٥
و منه - - - - -	٢٠٥
فمنها قوله عليه السلام فيها: حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها - - - - -	٢٠٥
و منها قوله عليه السلام فى الخطبه المذكوره أيضا: لا تقدّره الأوهام بالحدود - - - - -	٢٢٣
و منها قوله عليه السلام فى الخطبه المذكوره أيضا: الظاهر لا يقال ممّا و الباطن - - - - -	٢٢٥
و منه - - - - -	٢٢٥
و منه - - - - -	٢٢٧
و منه - - - - -	٢٢٩
فمن جمله هذه الفقرات قوله عليه السلام: و لا حقيقته أصاب من مثله و لا آياه عنى - - - - -	٢٢٩
و منها قوله عليه السلام: كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم فى سواء معلول - - - - -	٢٢٩
و منها قوله عليه السلام: غنى لا باستفاده - - - - -	٢٣٠

و منها قوله عليه السلام: يخبر لا بلسان و لهوات، و يسمع لا بخروق و أدوات، يقول ----- ٢٣٥

بيان ----- ٢٤٢

و منها ----- ٢٥٦

و منها ----- ٢٧٣

و منها ----- ٢٧٥

و أما الافعال و الاعمال ----- ٢٨١

منها ----- ٢٨١

و منها ----- ٢٨٣

و منها ----- ٢٩١

تذييل ----- ٣٠٨

الاول ----- ٣٠٨

الثاني من اغلاط الغزالي ----- ٣١٥

و منها ----- ٣٣١

المقام الرابع ----- ٣٣٧

اشاره ----- ٣٣٧

فمنها ----- ٣٣٧

الواقعه الاولى ----- ٣٣٧

الواقعه الثانيه ----- ٣٣٩

الواقعه الثالثه ----- ٣٤٥

المقام الخامس ----- ٣٤٦

المقام السادس - في منشأ الكرامات و خوارق ----- ٣٤٩

اشاره ----- ٣٤٩

منها الشعبده ----- ٣٧٠

و منها التنجيم ----- ٣٧٠

و منها الكهانه ----- ٣٧١

و منها السحر ----- ٣٧١

٣٧٢	و منها استخدام الجن و الشياطين
٣٧٣	الاول سحر الكذابين
٣٧٣	الاولى
٣٧٣	و الثانيه
٣٧٣	الفرقه الثالثه
٣٧٣	القسم الثانى سحر أصحاب الأوهام و النفوس القويّه
٣٧٤	الثالث الاستعانه بالأرواح الأرضيّة و هى الجنّ
٣٧٩	المقام السابع - فى مطاعن الصوفيه
٣٧٩	اشاره
٤٠٥	الفرقه الاولى الوحدتيه
٤٠٩	الفرقه الثانيه الواصليه
٤١٠	الفرقه الثالثه العشاقيه
٤١١	الفرقه الرابعه التلقّيه
٤١٢	الفرقه الخامسه الزّراقيّه
٤٢٨	تنبيه و هدايه
٤٣٦	درباره مركز

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲/خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

و من كلام له عليه السلام عند دفن

اشاره

الزهراء سلام الله عليها و هو

المأتان و الواحد من المختار

فى باب الخطب

و هو مروي فى الكافى و فى كشف الغمه و فى البحار من أمالى الشيخ و مجالس المفيد باختلاف و زياده تطلع عليه انشاء الله
السلام عليك يا رسول الله عنى و عن ابنتك النازله فى جوارك، و السريعه اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى،
و رق عنها تجلدى، إلا أن لى فى التأسي بعظيم فرقتك، و فادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد وسدتك فى ملحوده قبرك، و
فاضت بين نحرى و صدرى نفسك. إنا لله و إنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، و أخذت الرهينه، أما حزنى فسرمد، و أما
ليلى فمسهد، إلى أن يختار الله لى

ص: ٢

دارك التي أنت بها مقيم، و ستبتك ابتك بتظافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، هذا و لم يطل العهد، و لم يخل منك الذكر، و السلام عليكما سلام مودع، لا قال و لا ستم، فإن أنصرف فلا عن ملاله، و إن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

اللغة

(التجلد) تكلف الجلاذه، و هي القوه و الشده كما في القاموس و الكنز قال الشاعر:

بتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا أتضعضع

أو تكلف الجلد، و هو الصبر قال الشاعر:

ما الاصطبار لسلمي أم لها جلد إذا الاقى الذي لاقاه أمثالي

و أصل الجلد كما في القاموس جلد البوء تحشى تماما و يخيل للنّاقه فتعطف بذلك على ولد غيرها أو جلد حوار يلبس حوارا آخر لترامه امّ المسلوخه، و على ذلك فاطلاقه على الصبر مجاز لعلاقه السببيه.

و (الفرقه) بالضّم اسم من الافتراق و (عزّيته) تعزیه قلت له: أحسن الله عزاك أى رزقك الصبر الحسن، و العزاء اسم من ذلك مثل سلمّ سلاما و كلمّ كلاما، و تعزّى هو تصبّر و شعاره أن يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون.

و (استرجعت) و (اخذت) بالبناء على المجهول و (السهد) بالضّم الأرق و قد سهد سهدا من باب فرح، و السّهد بضمتين القليل النّوم، و سهدته فهو مسهد أى مورك و هو ذو سهدة يقظه و (هضمه) هضما من باب ضرب دفعه عن موضعه فانهضم، و قيل: هضمه كسره و هضمه حقّه نقصه هكذا فى المصباح، و قال فى القاموس: هضم فلانا ظلمه و غصبه كاهتضمه و تهضمه فهو هضم.

و (الاحفاء) فى السؤال المبالغه فيه و الاستقصاء و (قليت) الرّجل أقلية من باب

رمى قلى بالكسر و القصر و مقلية ابغضه فأنا قال و (سئم) الشىء ساما و سأما و سامه ملّ منه فهو سؤم و سئم و (أقام) بالبلد إقامه اتّخذة وطننا فهو مقيم.

الاعراب

قوله: إلّا- أنّ لى استثناء منقطع، و موضع تعزّ بالنصب اسم أنّ و قدّم خبرها للتوسّع، و قوله، فى ملحوده قبرك، إضافة الملحوده إلى القبر من إضافه الصّيفه إلى الموصوف لا- بيانيه كما توهم، و التّأنيث باعتبار الخطّه و الحفره، وقوله: و أمّا ليلى فمسّهّد، من المجاز العقلى من باب الاسناد إلى الزّمان كما فى قول الشاعر رحمه الله:

و بات و باتت له ليله كليله ذى العائر الأرمد

و قوله: إلى أن يختار، ظرف لغو متعلّق بقوله مسّهّد، و قوله: استخبرها الحال، قال الشّارح المعتزلى: أى عن الحال فحذف الجار، اه، و الأظهر أن يجعل الحال مفعولا به و الجار مخذوفا قبل الضّمير أى استخبر عنها الحال، و قوله: هذا و لم يطل العهد، خبر هذا محذوف على أنّه مبتدأ أو فاعل لفعل محذوف، و جملة و لم يطل فى محلّ النّصب على الحال، و قوله: لا قال و لا سئم، صفه لمودّع.

المعنى

إشاره

اعلم أنّ هذا الكلام كما قال السيّد «ره» قد روى عنه عليه السّلام أنّه قاله عند دفن سيّده النساء فاطمه الزهراء عليها السلام إظهارا للتّفجّع بمصائبها و التّوجّع من ألم فراقها كالمناجى به رسول الله صلّى الله عليه و آله عند قبره، و ينبغى قبل الشروع فى شرح كلامه أن نذكر طرفا من الأخبار الواردة فى تسميتها سلام الله عليها بفاطمه و فى تلقيبها بسيّده النساء و بالزّهراء. أما تسميتها بفاطمه.

ففى البحار من العيون بالاسناد إلى دارم قال: حدّثنا علىّ بن موسى الرّضا و محمّد بن علىّ عليهما السّلام قالا: سمعنا المأمون يحدث عن الرّشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جدّه قال: قال ابن عبّاس لمعاويه: أ تدري لم سمّيت فاطمه فاطمه؟ قال: لا، قال: لأنّها فطمت هى و شيعتها من النّار، سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول.

و من العيون بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّي سمّيت ابنتي فاطمه لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها و فطم من أحبّها من النّار.

و من علل الشرائع بسنده عن يزيد بن عبد الملك عن أبي جعفر عليه السّلام قال: لمّا ولدت فاطمه سلام الله عليها أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملك فأنطق به لسان محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم فسّمّاها فاطمه ثمّ قال: إنّي فطمتك بالعلم و فطمتك عن الطمث، ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: و الله لقد فطمها الله تبارك و تعالى بالعلم و عن الطمث في الميثاق.

قال المحدث العلامة المجلسي «قد» بعد نقله: فطمتك بالعلم أى أرضعتك بالعلم حتّى استغنيت و فطمت، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامك من اللبن مقرونا بالعلم كناية عن كونها فى بدء فطرتها عالمه بالعلوم الرّبانيه، و على التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول كالمدّافق بمعنى المدفوق، و يقرأ على بناء التفعيل أى جعلتك قاطعه للنّاس من الجهل، أو المعنى لما فطمها من الجهل فهى تفطم النّاس منه، و الوجهان الأخيران يشكل إجراؤهما فى قوله فطمتك عن الطمث إلّا بتكلف بأن يجعل الطمث كناية عن الاخلاق و الأفعال الدّميمة.

و فى البحار من المناقب عن الصادق عليه السّلام قال: تدرى أى شىء تفسير فاطمه؟ قال: فطمت من الشرّ، و يقال إنّما سمّيت فاطمه لأنّها فطمت عن الطمث.

و أما تلّقّبها بسّيده النساء.

فقد روى فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن حذيفه أنّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: أتانى ملك فبشّرني أنّ فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه أو نساء امتى.

و عن جابر بن سمره عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم فى خبر أنّها سيده النساء يوم القيامة.

و من الامالى بسنده عن الحسن بن زيد العطار قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام قول رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه أسّيده نساء عالمها، قال صلّى الله عليه وآله و سلّم: تاك مريم و فاطمه سيّده نساء الجنّه من الأولين و الاخرين فقلت: فقول رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه؟ قال: و الله هما سيّدا شباب أهل الجنّه من الأولين

و من معانى الأخبار باسناده عن المفضل قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أخبرنى عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فى فاطمه: انها سيده نساء العالمين أهى سيده نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم كانت سيده نساء عالمها و فاطمه سيده نساء العالمين من الأولين و الاخرين.

و من الأموال بسنده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم كان جالسا ذات يوم و عنده على و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: اللهم إنك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتى و أكرم الناس على فاحب من أحبهم، و ابغض من أبغضهم، و وال من والهم، و عاد من عادهم، و أعن من أعانهم، و اجعلهم مطهرين من كلّ دنس، معصومين من كلّ ذنب، و أيدهم بروح القدس منك.

ثم قال: يا على أنت امام امتى و خليفتى عليها بعدى، و أنت قائد المؤمنين إلى الجنة، و كائنى أنظر إلى ابنتى فاطمه قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملك، و بين يديها سبعون ألف ملك، و عن يسارها سبعون ألف ملك، و خلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤنات امتى إلى الجنة فأما امرأه صلت فى اليوم و الليله خمس صلاه، و صامت شهر رمضان، و حجت بيت الله الحرام، و زكت مالها، و أطاعت زوجها، و والت عليا بعدى دخلت الجنة بشفاعه ابنتى فاطمه، و أنّها لسيده نساء العالمين من الأولين و الاخرين، و أنّها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، و ينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمه إنّ الله اصطفيك و طهرك و اصطفيك على نساء العالمين.

ثم التفت إلى على عليه السلام و قال: يا على إنّ فاطمه بضعه منى و هى نور عينى و ثمره فؤادى يسوؤنى من «ما» ساءها و يسرنى من «ما» يسرها، و أنّها أول من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى، و أما الحسن و الحسين فهما ابنائى و ريحائتاى و هما سيّدا شباب أهل الجنة فليكونا عليك كسمعك و بصرك.

ثم رفع يده إلى السماء فقال: اللهم إنى اشهدك أنّى محب لمن أحبهم،

و مبغض لمن أبغضهم، و سلم لمن سالمهم، و حرب لمن حاربهم، و عدو لمن عاداهم و وليّ لمن والاهم.

و أما تَلَقُّبُها بِالزَّهْرَاءِ.

فقد روى فى البحار من معانى الأخبار، و علل الشرائع عن الطالقانى عن الجلودى عن الجوهرى عن ابن عماره عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن فاطمه لم سمّيت زهراء؟ قال: لأنها كانت إذا قامت فى محرابها ظهر نورها لأهل السّماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض.

و من العلل بسنده عن جابر عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت: لم سمّيت فاطمه الزهراء زهراء؟ فقال: لأنّ الله عزّ و جلّ خلقها من نور عظمته، فلما أشرقّت أضاءت السّماوات و الأرض بنورها، و غشيت أبصار الملائكة و خزّت الملائكة ساجدين لله و قالوا: إلهنا و سيّدنا ما هذا النّور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نورى أسكنته فى سمائى خلقتة من عظمتى اخرجه من صلب نبيّ من أنبيائى أفضّله على جميع الأنبياء و اخرج من ذلك النّور أئمّه يقومون بأمرى يهدون إلى حقّى «خلقى» و أجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحيى.

و من المناقب عن أبى هاشم العسكر قال: سألت صاحب العسكر لم سمّيت فاطمه الزّهراء؟ فقال: كان وجهها يزهر لأمر المؤمنين عليه السّلام من أوّل النّهار كالشمس الضّاحيه، و عند الزّوال كالقمر المنير، و عند غروب الشّمس كالكوكب الدّرى.

و من العلل بسنده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: يا ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لم سمّيت الزّهراء زهراء؟ قال: لأنها تزهر لأمر المؤمنين فى النّهار ثلاث مرّات بالنّور:

كان يزهر نور وجهها صلاه الغداه و الثّياس فى فراشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينه فتبييض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فيسألونه عمّا أوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمه فيأتون منزلها فيرونها قاعده فى محرابها تصلّى

و النور يسطع من محرابها و من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمه فاذا انتصف النهار و ترتبت (١) للصلاه زهر نور وجهها بالصيفه فتدخل الصيفه في حجرات الناس فتصفر ثيابهم و ألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيسألونه عمّار أوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمه عليها السلام فيرونها قائمه في محرابها و ظهر نور وجهها صلوات الله عليها و على أبيها و بعلمها و بنيتها بالصيفه، فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجهها.

فاذا كان آخر النهار و غربت الشمس احمرّ وجه فاطمه عليها السلام و أشرق وجهها بالحمرة فرحا و شكرا لله عزّ و جلّ فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم و تحمرّ حيطانهم فيعجبون ذلك و يأتون النبي صلى الله عليه و آله و سلم يسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمه فيرونها جالسه تسبح الله و تمجّده و تحمّده و نور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمه.

فلم يزل ذلك النور في وجهها حتّى ولد الحسين فهو يتقلّب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منّا أهل البيت إمام بعد إمام. إذا عرفت ذلك فلنشرع في شرح كلامه عليه السلام فأقول:

بدء عليه السلام بالسّلام قبل الكلام رعايه لرسم الأدب و مواظبه على التّذب فقال:

(السّلام عليك يا رسول الله عنّي و عن ابنتك النازله في جوارك) أى في البقيع كما روى عن ابن عباس في حديث وفاتها قال: فلما أرادوا أن يدفنها نودوا من بقعه من البقيع إلى إلى فقد رفع تربتها منّي، فنظر فاذا هي بقبر محفور، فحملوا السرير إليها فدفنوها، أو في بيتها و هو المشهور.

روى في البحار من المناقب قال: قال أبو جعفر الطوسي: الأصوب أنّها مدفونه في دارها أو في الرّوضه يؤيد قوله قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ بين قبري و منبري روضه من رياض الجنّه، و في البخارى بين بيتي و منبري، قالوا: حدّ الرّوضه

ص: ٨

١- (١) - اى ثبتت في محرابها كما في اللغة أو تهيأت من الترتيب العرفي بمعنى جعل كلّ شيء في مرتبته، و يحتمل أن يكون تصحيف تزينت، بحار.

ما بين القبر إلى المنبر إلى الاساطين التي تلى صحن المسجد.

و عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قبر فاطمه، فقال: دفنت في بيتها فلما زادت بنو اميّه في المسجد صارت في المسجد و رواه أيضا في الكافي عن علي بن محمّد و غيره عن سري بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام مثله.

(و السريعه للحاق بك) وارده في مقام التفجع و التشكى من تواتر المحن و المصائب الموجهه لقصر عمرها و المعدّه لسرعه لحاقها به سلام الله عليها و على أبيها.

و روى في البحار من المناقب عن البخارى و مسلم و الحليه و مسند أحمد بن حنبل عن عايشه أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلّم دعا فاطمه في شكواه الذى قبض فيه فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها «سارّها ظ» فضحكت، فسألت عن ذلك فقالت: أخبرني النبي صلى الله عليه و آله سلّم أنّه مقبوض فبكيت، ثم أخبرني أنّي أول أهله لحوقا به فضحكت.

و من المناقب من كتاب ابن شاهين قالت أم سلمه و عايشه: إنّها لما سئلت عن بكائها و ضحكها فقالت أخبرني النبي صلى الله عليه و آله سلّم أنّه مقبوض فبكيت، ثم أخبر أنّ بنيه سيصيبهم بعدى شدّه فبكيت، ثم أخبرني أنّي أول أهله لحوقا به.

و قد اختلف الأخبار جدّا في مدّه بقائها بعد أبيها.

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: كانت وفاه فاطمه بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله سلّم بمدّه يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول: ثمانيه أشهر، و المقلل يقول: أربعين يوما إلا أنّ الثبت في ذلك ما روى عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام أنّها توفيت بعده بثلاثه أشهر، حدّثنى بذلك الحسن بن عليّ عن الحرث عن ابن سعد عن الواقدي عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن عليّ.

و في كشف الغمّه و نقلت من كتاب الدّرّيّه الطاهره للدّولابى في وفاتها ما نقله عن رجاله قال: لبثت فاطمه عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه و آله سلّم ثلاثه أشهر.

و قال ابن شهاب ستّه أشهر و قال الزّهرى ستّه أشهر و مثله عن عايشه و مثله عن عروه بن الزّبير.

و عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السّلام خمساً و تسعين ليلة في سنة إحدى عشرة و قال ابن قتيبة في معارفه مأثمه يوم و قيل ماتت في سنة إحدى عشرة ليلة الثّلاثا لثلاث ليال من شهر رمضان المبارك و هي بنت تسع و عشرين سنة أو نحوها.

و في البحار عن الكفعمي في الثالث من جمادى الآخرة.

و في الكافي بسنده عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله سلّم خمسة و سبعين يوماً و كان دخلها حزن شديد على أبيها و كان يأتيها جبرئيل فيحسن عزائها على أبيها و يطيب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانه و يخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، و كان عليّ عليه السّلام يكتب ذلك.

كانت وفاه الصّديقه سنة إحدى عشرة.

قال في البحار بعد نقله الأخبار على كثره اختلافها:

أقول: لا- يمكن التطبيق بين أكثر تواريخ الولادة و الوفاة و مدّة عمرها الشّريف، و لا بين تواريخ الوفاة و بين ما مرّ في الخبر الصحيح أنّها عاشت بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً، إذ لو كان وفاه الرّسول صلّى الله عليه و آله سلّم في الثامن و العشرين من صفر كان على هذا وفاتها في أواسط جمادى الأولى، و لو كان في ثاني عشر ربيع الأوّل كما ترويه العامه كان وفاتها في أواخر جمادى الأولى، و ما رواه أبو الفرج عن الباقر عليه السّلام من كون مكثها بعده ثلاثه أشهر يمكن تطبيقه على ما هو المشهور من كون وفاتها في ثالث جمادى الآخرة هذا.

و أما مدّة عمرها فالأخبار فيه أيضاً مختلفه.

ففي الكافي ولدت فاطمه بعد مبعث رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بخمس سنين، و توفيت و لها ثمان عشرة سنة و خمسة و سبعون يوماً، و بقيت بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً.

و نحوه في البحار من عيون المعجزات للسيد المرتضى قال: روى أنّ فاطمه عليها السّلام توفّت و لها ثمان عشرة سنة و شهران و أقامت بعد النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم خمسة و سبعين يوماً و روى أربعين يوماً.

و في البحار من بعض كتب المناقب القديمه عن سيّد الحفاظ أبي منصور الديلمي

باسناده أنّ عبد الله بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك و عنده الكلبى فقال هشام لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد كم بلغت فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من السن؟ فقال: بلغت ثلاثين، فقال للكلبي: ما تقول؟ قال: بلغت خمسا و ثلاثين، فقال هشام لعبد الله: ألا تسمع ما يقول الكلبى؟ فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين سلنى عن امى فأنا أعلم بها و سل الكلبى عن امها فهو أعلم بها.

و عن العاصمى باسناده عن محمد بن عمر قال: توفيت فاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله و سلم لثلاث ليال خلون من شهر رمضان و هى بنت تسع و عشرين أو نحوها و قال محمد بن اسحاق توفيت و لها ثمان و عشرون سنه و قيل: سبع و عشرون سنه.

و فى روايه أنّها ولدت على رأس سنه إحدى و أربعين من مولد النبى صلى الله عليه وآله و سلم فيكون سنّها على هذا ثلاثا و عشرين، و الأكثر على أنّها كانت بنت تسع و عشرين أو ثلاثين، و الله العالم بحقايق الوقايح.

ثم إنّ عليه السلام بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم شرع فى اظهار التفجع و الأسف فقال:

(قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى) قال الشّارح المعتزلى اجلّه صلى الله عليه وآله و سلم عن أن يقول عن ابنتك فقال عن صفيتك و هذا من لطايف عبارته و محاسن كنايته عليه السّلام أقول: و فيه مضافا إلى ذلك الاشاره إلى كونها صفيه له مختاره عنده كما أنّها كانت صفيه لله حسبما عرفت فى روايه الامالى المتقدّمه فى وجه تسميتها بسیده النساء من أنّ الملائكه يسلمون عليها و ينادونها بما نادت به الملائكه مريم فيقولون: يا فاطمه إنّ الله اصطفيك و طهرك و اصطفيك على نساء العالمين.

و فى البحار من الخصال فيما أوصى به النبى صلى الله عليه وآله و سلم إلى على عليه السّلام يا على إنّ الله عزّ و جلّ أشرف على الدّنيا فاخترانى منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانيه فاختراك على رجال العالمين بعدى، ثم اطلع الثالثه فاختر الأئمه من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرابعه فاختر فاطمه على نساء العالمين و فيه الاشاره أيضا إلى ما كان له صلى الله عليه وآله و سلم فى حقّها من التبجيل و المحبّه

والاعظام ما لم يكن في حق غيره حتى روى عن القرطبي في كتاب إكمال الاكمال أنّ فاطمه «رض» أحبّ بناته صلّى الله عليه وآله وسلم وأكرمهنّ عنده وسَيِّده نساء الجنّة و كان إذا قدم من سفره بدء بالمسجد فيصلّي ركعتين ثمّ بيت فاطمه «رض» فيسأل عنها ثمّ يدور على نسائه إكراما لفاطمه واعتناء بها.

و في البحار من الامالى بسنده عن عايشه بنت طلحه عن عايشه قالت:

ما رأيت أحدا من النّاس أشبه كلاما و حديثا برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من فاطمه كانت إذا دخلت عليه رَحِبَ بها و قَبِلَ يديها و أجلسها في مجلسه، فاذا دخل عليها قامت إليه فرَحِبَتْ به و قَبِلَتْ يديه، الخبر.

و من المناقب من جامع الترمذى و ابانه العكبرى و اخبار فاطمه عن أبى على الصّولى و تاريخ خراسان عن السيّلامى مسندا أنّ جميعا التميمى قال: دخلت مع عمّتى على عايشه فقالت لها عمّتى: ما حملك على الخروج على على؟ فقالت عايشه:

دعينا فوالله ما كان أحد من الرّجال أحبّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من على، و لا من النساء أحبّ إليه من فاطمه و قوله (و رقّ عنها تجلّدى) أى ضعف عن فراقها تحملى للجلد و الصبر من عظم الرّزیه و شدّه المصيبه.

(إلا أنّ لى فى التأسى) و الاقتداء (بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعزّ) و هو وارد مورد التسليه لنفسه القدسيه، فأنّه لما ذكر عظم وجده فى افتقاد الصديقه سلام الله عليها و شدّه تأثيره فيه استدرك ذلك بأنّى قد اصبّت قبل ذلك بعظيم فراقك و ثقیل مصابك فصبرت عليه مع كونه أعظم رزء و أشدّ تأثيرا فينبغى لى أن أقتدى فى الصّبر على تلك المصيبه الحادثه بالصبر على هذه المصيبه الماضيه لكونها سهلا عندها.

و بعبارة أوضح فكأنّه يقول: إنّ صفيتك و ان عظم بفراقها المصاب و قلّ عنها الصبر و التحمل إلا أنّ فراقك قد كان أعظم و أجلّ، و مصابك أشدّ و أثقل فكما صبرت فى تلك الرّزیه العظمى فلئن أصبر فى هذه المصيبه كان أولى و أحرى

ثم أكد شدته تأثره بفراقه صلى الله عليه وآله وسلم بشرح بعض حالاته معه صلى الله عليه وآله وسلم حين موته المفيدة لمزيد اختصاصه به فإن الاختصاص كلما كان أزيد كان تأثير الفراق أشد فقال (فلقد وسّدتك في ملحوده قبرك) أى اتخذت لك وساده فيقبر كالمعموله فيها اللحد وهو كناية عن دفنه له فيها بيده.

(وفاضت بين نحرى و صدرى نفسك) وقد مضى تحقيق معنى هذه الفقره و تفصيل الكلام فيها و فى سابقتها فى شرح الخطبه المأه و السادسه و التسعين فليراجع هناك.

و المراد بهاتين الفقرتين حسبما أشرنا إليه إظهار مزيد تفجّعه بمصيبته به صلى الله عليه وآله وسلم و تجرّعه بغصص الفراق، فإن أعظم المصائب و أشدّ الآلام أن يخرج روح أحبّ الخلق إلى الرّجل و رأسه فى صدره و أن يدفنه بيده فى قبره.

ثم ليّا كان الاسترجاع موجبا للسّلموه و لجبران المصيبه مضافا إلى ما فيه من عظيم الأجر و الاستبشار بالنعمة الدّائمه استرجع و قال:

(إنا لله و إنا إليه راجعون) أمّا الاستبشار فلقوله تعالى «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعْتِدُونَ » و أمّا السّلوه و الأجر العظيم:

فلما رواه فى الصّافى من مجمع البيان عن النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من استرجع عند المصيبه جبر الله مصيبته و أحسن عقابه، و جعل له خلفا صالحا يرضيه قال: و قال:

من اصاب بمصيبه فأحدث استرجاعا و إن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب.

و فيه من الكافى عن الباقر عليه السّلام ما من عبد يصاب بمصيبه فيسترجع عند ذكر المصيبه إلّا غفر الله له كلّ ذنب فيما بينهما.

و عن الصادق عليه السّلام من ذكر مصيبه و لو بعد حين فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون و الحمد لله ربّ العالمين اللهم أجرنى على مصيبتى و اخلف علىّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان له عند أوّل صدمته.

و قوله عليه السّلام (فلقد استرجعت الوديعه و أخذت الرّهينه) استعار عليه السّلام لفظ الوديعه و الرّهينه لتلك النفس الكريمه لأنّ الأرواح كالوديعه و الرّهن فى الأبدان أو لأنّ النّساء كالودائع و الرّهان عند الأزواج يجب عليهم مراقبتهنّ و محافظتهنّ كما يجب على المستودع و المرتهن حفظ الودائع و الرّهان.

ثمّ ذكر ما ناله من تلك المصيبه فقال: (أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهد إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم) يريد أنّ حزنه دائم و أنّه يسهر ليله إلى انتقاله إلى الدّار الاخره و التحاقه برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مجلس القدس و محفل الانس.

و هذا كما قال الشّارح المعتزلى من باب المبالغه التى يستعملها الفصحاء و الشّعراء فى كلامهم و هو من محاسن البلاغه قال الشاعر:

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم و حزن طويل

و إنما قلنا: إنه من باب المبالغه لأنه ما سهر منذ ماتت فاطمه عليها السّلام إلى أن قتل و إنما أسهر ليله أو شهرا أو سنه نعم دوام الحزن فهو على حقيقته فانه لم يزل حزينا اذا ذكرت فاطمه عليها السلام عنده.

ثمّ ساق الكلام مساق التشكّى إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من سوء فعل الامه بعده فقال (و ستنبئك ابتك بتظافر امتك على هضمها) لا- يخفى ما فى هذه العبارة من حسن البيان مع بديع الايجاز فإنّ التظافر بماذته التى هى الظفر و هو الفوز على المطلوب يدلّ على أنّ هضمها كان مطلوبا لهم لكنهم لم يكونوا متمكّنين من الفوز به ما دام كونه صلّى الله عليه و آله و سلّم حيا بين أظهرهم، فلما وجدوا العرصه خاليه من وجوده الشريف فازوا به.

و ان كان مأخوذا من أظفر الصقر الطائر من باب افتعل و تظافر أى أعلق عليه ظفره و أخذه برأسه فيدلّ على أنهم علقوا أظفارهم على هضمها قاصدين بذلك قتلها و إهلاكها.

ثمّ إنّ المعانى الخمسه المذكوره للهضم كلّها مناسبه للمقام.

أما المعنى الأول فلأنهم قد تظاهروا على رفعها عن محلّها و مقامها الذى كان لها و حطّوها عن مرتبتها المقرّره و لم يراعوا فى حقّها ما كان لازما عليهم من التبجيل و الاعظام و التعظيم و الاكرام، بل عاملوا معها معامله الرّعيه و السوقه حتى ألجئوها إلى الخروج إلى مجامع الرّجال فى أمر فذك و غيره مثل ساير النسوه البرزه.

و على المعنى الثانى فيكون إشاره إلى ما صدر عنهم من كسر ضلعها و اسقاط جنينها يوم اخراجه عليه السيّلام من البيت ملبيا للبيعه.

و على الثالث فيكون إشاره إلى اجتماعهم على نقص حقّها المقرّر لها بقوله تعالى: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ».

و مثله المعنى الخامس فيكون إشاره إلى غضب فذك.

و أما المعنى الرّابع فهو أولى بالاراده لشموله جميع مظالمها و ما وقع فى حقّها من الظلم و الجور، فالى الله المشتكى من سوء عمل الامه و شنيع فعلهم بالعتره و ما أدرى

ما ذا يقولون إذ قال النّبىّ لهما ما فعلتم و أنتم آخر الامم

بعترتى و بأهلى بعد مفتقديهم اسارى و منهم ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكمأن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

(فاحفها السّؤال) أى بالغ فى سؤالها و استقص فى مسألتها (و استخبرها الحال) أى حالها و حالى بعد ارتحالك و افتقادك.

(هذا) أى تظاهر الامه على الهضم كائن (و) الحال أنّه (لم يطل العهد) أى عهدهم بك أو ما عاهدتهم عليه من المودّه فى القربى و المواظبه بالثقلين (و لم يخل منك الذّكر) أى لم يرتفع ذكرك الجميل عن أفواههم.

و محصّيه انه لم يطل المدّه من موتك حتى ينسوا وصاياك المتأكده فى حقّ العتره أو يغفلوا من صنائعك العظيمه فى حقّهم فيقابلوها بهذا الكفران العظيم.

و لما أراد الوداع ختم كلامه بالسلام كما بدء به جريا على مجارى عادته

الأحباب عند وداع بعضهم لبعض فقال (و السلام عليكما سلام مودّع) محبّ مشتاق مشفق (لا قال و لا سئم) أى لا مبغض لكما و لا- ملول من طول صحبتكما و أوضح ذلك بقوله (فان أنصرف) عن زيارتكما (فلا- عن ملاله و ان اقم) أى أقمت عند ضريحكما (فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين) بقوله: «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ».

تذنيب

ينبغي لنا أن نذكر شطرا من الأخبار فيما وقع عليها من الظلم و بكائها و حزنها و شكاياتها فى مرضها و كيفيّه وفاتها و دفنها صلوات الله عليها و لعنه الله على غاصبى حقّها و ظالميها فأقول:

روى فى كشف الغمه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: البكّاءون خمس: آدم، و يعقوب و يوسف، و فاطمه بنت محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، و علىّ بن الحسين عليهم السّلام.

فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار فى خديّه مثل الأوديه.

و أما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره و حتى قيل له: تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرصا أو تكون من الهالكين.

و أما يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذى به أهل السّجن فقالوا: إمّا أن تبكى بالنهار و تسكت بالليل، و إمّا أن تبكى اللّيل و تسكت النّهار فصالحهم على واحد منهما.

و أمّا فاطمه فبكت على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى تأذى بها أهل المدينه فقالوا لها قد آذيتنا بكثره بكائك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتّى تقضى حاجتها و تنصرف.

و أمّا علىّ بن الحسين فبكى على الحسين عليه السّلام عشرين سنه أو أربعين و ما وضع بين يديه طعام قطّ إلّا بكى حتّى قال له عليه السّلام مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إننى أخاف عليك أن تكون من الهالكين قال: أنما أشكو بثّى و حزنى إلى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون، إننى لم أذكر مصرع بنى فاطمه إلّا خنقتنى

لذلك العبره.

و فى البحار من الأمالى عن الدّاق عن الأسدى عن النخعى عن النوفلى عن البطائى عن أبيه عن ابن جبير عن ابن عباس فى خبر طويل أخبر فيه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بظلم أهل البيت قال صلى الله عليه وآله وسلم:

و أما ابنتى فاطمه فانها سيّده نساء العالمين من الأوّلين و الاخرين، و هى بضعه منى، و هى نور عينى، و هى ثمره فؤادى، و هى روحى التى بين جنبى، و هى الحوراء الانسيه متى ما قامت فى محرابها بين يدى ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكه السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض و يقول الله عزّ و جلّ لملائكته: يا ملائكتى انظروا إلى أمتى فاطمه سيده إمامى قائمه بين يدى ترتعد فرائصها من خيفتى و قد أقبلت بقلبها على عبادتى اشهدكم أنى قد امنت شيعتها من النار.

و انى لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدى كائنى بها و قد دخل الدّلّ بيتها و انتهكت حرمتها و غصبت حقها و منعت ارثها و كسر جنبها و اسقطت جنينها و هى تنادى يا محمّداه فلا تجاب و تستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدى محزونه مكروبه باكيه تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّه و تتذكّر فراقى اخرى و تستوحش إذا جنّها اللّيل لفقد صوتى الذى كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليله بعد أن كانت أيام أبيها عزيزه، فعند ذلك يونسها الله تعالى ذكره بالملائكه فنادتها بما نادى به مريم بنت عمران فتقول يا فاطمه إنّ الله اصطفيك و طهرك و اصطفيك على نساء العالمين يا فاطمه اقنتى لربك و اسجدى و اركعى مع الراكعين.

ثم يتبدء بها الوجع فتمرض فيبعث الله عزّ و جلّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها و تونسها فى علّتها فتقول عند ذلك: يا ربّ إني قد سئمت الحياه و تبرّمت بأهل الدّنيا فألحقنى بأبى فتكون أوّل من يلحقنى من أهل بيتى، فتقدم على محزونه مكروبه مغمومه مغصوبه مقتوله فأقول عند ذلك: اللهمّ العن من ظلمها و عاقب من غصبها و ذلّ من أذلّها، و خلّد فى نارك من ضرب جنيتها حتّى ألت ولدها فتقول الملائكه عند ذلك: آمين.

ص: ١٧

و من كتاب دلائل الامامه للطبري بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبضت فاطمه في جمادى الاخره يوم الثلاثاء ثلاث خلون منه سنه إحدى عشر من الهجره، و كان سبب وفاتها أن قنفذ مولى عمر لكرها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسنا و مرضت من ذلك مرضا شديدا و لم تدع أحدا ممّن أذاها يدخل عليها.

و كان الرّجلان من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم سألّا أمير المؤمنين أن يشفع لهما إليها فسألها أمير المؤمنين عليه السّلام فلما دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم؟ قالت: بخير بحمد الله، ثم قالت لهما: ما سمعتما النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم يقول: فاطمه بضعه منى من أذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله، قالّا: بلى، قالت: فو الله لقد آذيتما، قال: فخرجا من عندها و هى ساخطه عليهما أقول: و قد تقدّم فى المقدّمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه بروايه سليم بن قيس الهلالي تفصيل كيفيه دخول قنفذ اللعين بيت فاطمه و إحراق بابها و بعض مظالمها، و اورد هنا بعض ما تقدّم من روايه سليم ملخصا و نضيف إليه ما لم يتقدّم هناك بحسب اقتضاء المقام و ما اورده هنا أنقله من المجلد العاشر من البحار على ما لخصّه أيضا فأقول:

قال المحدّث العلامة المجلسي: وجدت فى كتاب سليم بن قيس الهلالي بروايه أبان بن أبى عياش عنه عن سلمان و عبد الله بن العباس قالّا: توفّى رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم يوم توفّى فلم يوضع فى حفرتّه حتّى نكث النّاس و ارتدّوا و أجمعوا على الخلاف و اشتغل علىّ عليه السّلام برسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم حتّى فرغ من غسله و تكفينه و تحنيطه و وضعه فى حفرتّه، ثمّ أقبل علىّ تأليف القرآن و شغل عنهم بوصيّهم رسول الله فقال عمر لأبى بكر: يا هذا إنّ النّاس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرّجل و أهل بيته فابعث إليه، فبعث إليه ابن عمّ لعمر يقال له: قنفذ، فقال: يا قنفذ انطلق إلى علىّ فقل له أجب خليفه رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فبعثا مرارا و أبى علىّ عليه السّلام أن يأتيهم فوثب عمر غضبانا و نادى خالد بن الوليد و قنفذا فأمرهم أن يحملّا حطبا و نارا

ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي عليه السلام و فاطمه عليها السلام قاعده خلف الباب قد عصبت رأسها و نحل جسمها في وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى يا ابن أبي طالب افتح الباب. فقالت فاطمه عليها السلام خلف الباب: يا عمر ما لنا و لك لا تدعنا و ما نحن فيه، قال: افتحي الباب و إلا أحرقنا عليكم، فقالت يا عمر، أما تتقي الله تدخل على بيتي و تهجم على داري بغير اذن فأبى أن ينصرف.

ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب ثم دفعه عمر فدخل فاستقبلته فاطمه و صاحت يا أبتاه يا رسول الله، فرفع عمر السيف و هو في غمده فوجى به جنبها فصرخت يا أبتاه، فرفع السوط فضرب به ذراعها و نادت يا رسول الله بئس ما خلفك أبو بكر و عمر.

فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر فصرعه و وجى أنفه و رقبتة و هم بقتله فذكر قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما أوصاه به من الصبر و الطاعة فقال: و الذي أكرم محمدا بالنبوة يا ابن صحاك لو لا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار فكاثروه و ألقوا في عنقه حبلا فحالت بينهم و بينه فاطمه عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت و أن في عضدها كمثل الدملج من ضربته لعنه الله، فألجأها إلى عضاده بيتها و دفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيها من بطنها، فلم تزل صاحبه فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة - و ساق الحديث إلى أن قال - قال ابن عباس: ثم إن فاطمه بلغها أن أبا بكر قبض فدكا فخرجت في نساء بنى هاشم حتى دخلت على أبي بكر فقال: يا أبا بكر أ تريد أن تأخذ مني أرضا جعلها لى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فدعا أبو بكر بدواه ليكتب به لها فدخل عمر لعنه الله فقال:

يا خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا تكتب لها حتى تقيم البينه بما تدعى، فقالت فاطمه:

علي و أم أيمن يشهدان بذلك فقال عمر: لا نقبل شهاده امرأه أعجميه لا تفصح و أما علي فيجر النار إلى قرصته، فرجعت فاطمه عليها السلام مغتاظه فمرضت و كان علي عليه السلام يصلى في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر و عمر

كيف بنت رسول الله إلى أن ثقلت فسألا- عنها و قالوا و قد كان بيننا و بينها ما قد علمت فان رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا، قال: ذاك إليكما، فقام فجلسا في الباب.

فدخل عليّ على فاطمه فقال: أيتها الحرّة فلان و فلان في الباب يريدان أن يسلمّا عليك فما تريدان؟ قالت: البيت بيتك و الحرّة زوجتك و افعل ما تشاء، فقال: سدى قناعك فسدت قنّاعها و حوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلوا و سلّموا و قالوا ارضى عنا رضى الله عنك، فقالت: ما دعا إلى هذا فقالا اعترفنا بالاساءه و رجونا أن تعفى عنا، فقالت إن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه فاني لا- أسألكما عن أمر إلاّ- و أنا عارفه بأنكما تعلمانه، فان صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما قالوا: سل عما بدا لك، قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول:

فاطمه بضعه مني فمن آذاها فقد آذاني؟ قالوا: نعم، قال: فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم إنهما قد اذيانى فأنا أشكوهما إليك و إلى رسولك لا و الله لا أَرْضِي عنكما أبدا حتى ألقى أبى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و اخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما قال: فعند ذلك دعى أبو بكر بالويل و الثبور و جزع جزعا شديدا فقال عمر له:

تجزع يا خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من قول امرأه؟!

قال: فبقيت فاطمه بعد وفاه أبيها أربعين ليله فلما اشتدّ بها الأمر دعت عليها السّلام عليا و قالت: يا ابن عمّ ما أرانى إلاّ لما بى و إنى اوصيك أن تتزوّج بامامه بنت اختى زينب يكون لولدى مثلى، و اتّخذ لى نعشا فأنى رأيت الملائكه يصفونه لى، و أن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتى و لا دفنى و لا الصلاه علىّ.

قال ابن عباس: فقبضت فاطمه عليها السلام من يومها، فارتجت المدينه بالبكاء من الرّجال و النساء، و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأقبل أبو بكر و عمر يعزيان عليا عليه السّلام و يقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاه على ابنه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فلما كان الليل دعا عليّ عليه السّلام العباس و الفضل و المقداد و سلمان و أبا ذر و عمارا

فقدّم العباس و صلى عليها و دفنها ليلا.

فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر و عمر و الناس يريدون الصلاة على فاطمه عليها السّلام فقال المقداد: قد دفنّا فاطمه البارحه، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون فقال العباس: إنها أوصت أن لا تصلّي عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بنى هاشم حسدكم القديم لنا أبدا إن هذه الضغائن الذى فى صدوركم لن تذهب و الله لقد هممت أن انبشها فأصلّي عليها، فقال على عليه السّلام: و الله لو رمت ذلك يا ابن صهاك لا رجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفي لا غمدته دون إزهاق نفسك، فانكسر عمر و سكت و علم أنّ عليا عليه السّلام إذا حلف صدق.

ثمّ قال على عليه السّلام يا عمر أ لست الذى همّ بك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و أرسل إلى فجئت متقلدا سيفي ثمّ أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله عزّ و جلّ «فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا».

و فى كشف الغمه روى أنها عليها السلام أوصت عليا و أسماء بنت عميس أن يغسلاها.

و عن ابن عباس قال: مرضت فاطمه مرضا شديدا فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلى ما بلغت(١) فلا تحملينى على سرير ظاهر فقالت: لا لعمرى و لكن أصنع نعشا كما رأيت يصنع بالحبشه قالت: فأرنيها، فأرسلت إلى جرايد رطبه فقطعت من الأسواق ثمّ جعلت على السرير نعشا و هو أوّل ما كان النعش، فتبسّمت و ما رأيت متبسّمه إلّا يومئذ ثمّ حملناها و دفناها ليلا و صلى عليها العباس بن عبد المطلب و نزل فى حفرتها هو و على و الفضل بن العباس.

و عن أسماء بنت عميس أنّ فاطمه عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قالت انى قد استقيحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى فقالت أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم إنى أريك شيئا رأيت به بأرض الحبشه قال:

فدعت بجريده رطبه فحسنتها ثمّ طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمه: ما أحسن هذا و أجمله لا تعرف به المرأة من الرجل، قال: قالت فاطمه: فاذا متّ فاغسليني أنت و لا يدخلنّ

ص: ٢١

١- (١) - اى من نحول الجسم و الضعف كما صرح به فى روايه اخرى، منه.

علیّ أحد، فلما توفيت فاطمه جاءت عايشه تدخل عليها فقالت أسماء: لا تدخل فكلمت عايشه أبا بكر فقالت: إن هذه الخثعميّة تحول بيننا وبين ابنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فقالت أسماء: أمرتني أن لا يدخل عليها أحد و أريتها هذا الذي صنعت و هي حيّة فأمرتني أن أصنع لها ذلك فقال أبو بكر: اصنعي ما أمرتك، فانصرف و غسلها عليّ و أسماء.

و قيل: قالت فاطمه لأسماء حين توضأت وضوءها للصلاه: هاتي طيبى الذى أ تطيب به، و هاتي ثيابى التى اصلّى فيها، فتوضأت ثم وضعت رأسها فقالت لها:

اجلسى عند رأسى فاذا جاء وقت الصلاه فأقيمىنى فان قمت و إلّا فأرسلنى إلى عليّ فلما جاء وقت الصلاه قالت: الصلاه يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فاذا هى قد قبضت فجاء عليّ عليه السّلام فقالت له: قد قبضت ابنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال عليّ: متى؟ قالت: حين أرسلت إليك، قال: فأمر أسماء فغسلتها و أمر الحسن و الحسين يدخلان الماء، و دفنها ليلا و سوى قبرها فعوتب على ذلك فقال: بذلك أمرتني.

و فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن ابن جبير عن ابن عباس قال:

أوصت فاطمه عليها السلام أن لا يعلم إذا ماتت أبو بكر و لا عمر، و لا يصلّي عليها قال: دفنها عليّ ليلا و لم يعلمهما بذلك.

و عن الأصبغ بن نباته أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السّلام عن دفنها ليلا، فقال:

إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها و حرام على من يتولّاهم أن يصلّى على أحد من ولدها.

و روى أنّه عليه السّلام سوى قبرها مع الأرض مستويا و قالوا سوى حوالها قبورا مزوره مقدار سبعة حتّى لا يعرف قبر لها.

و روى أنّه رشّ أربعين قبرا حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور، فيصلّوا عليها.

و فى البحار وجدت فى بعض الكتب خبرا فى وفاتها عليها السلام فأحببت ايراده و إن لم آخذه من أصل يعول عليه.

روى ورقه بن عبد الله الانزدي قال: خرجت حاجيا إلى بيت الله الحرام راجيا لثواب الله رب العالمين فبينما أنا أطوف وإذا أنا بجاريه سمراء مليحه الوجه عذبه الكلام وهي تنادى بفصاحه منطقها وتقول:

اللهم رب الكعبة الحرام والحفظة الكرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ورب محمد خير الأنام البرره الكرام أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين وأبنائهم الغر المحجلين الميامين، ألا فاشهدوا يا جماعة الحجاج والمعتمرين إن موالى خير الأخيار وصفوه الأبرار الذين علا قدرهم على الأقدار وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار المرتدين بالفخار.

قال ورقه بن عبد الله فقلت: يا جاريه إنى لأظنك من موالى أهل البيت، فقلت أجل قلت: ومن أنت من موالىهم؟ قالت: أنا فضة أمه فاطمه الزهراء ابنة محمد المصطفى صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، فقلت لها: مرحبا بك وأهلا وسهلا فلقد كنت مشتاقا إلى كلامك ومنطقك فأريد منك الساعه أن تجيبنى من مسأله أسألك فإذا أنت فرغت من الطواف قفى لى عند سوق الطعام حتى آتيك وأنت مثابه مأجوره فافترقنا فى الطواف.

فلما فرغت من الطواف وأردت الرجوع إلى منزلى جعلت طريقى على سوق الطعام وإذا بها جالسه فى معزل عن الناس، فأقبلت إليها واعتزلت بها وأهديت إليها هديه ولم أعتقد أنها صدقه ثم قلت لها: يا فضة أخبرينى عن مولاتك فاطمه الزهراء عليها السلام وما الذى رأيت منها عند وفاتها بعد موت أبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ورقه: فلما سمعت كلامى تغرغرت عيناه بالدموع ثم انتحبت نادبه وقالت: يا ورقه بن عبد الله هيئت على حزنا ساكنا وأشجانا فى فؤادى كانت كامنه فاسمع الان ما شاهدت منها.

اعلم أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتجع له الصغير والكبير وكثر عليه البكاء وقلّ العزاء وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب، ولم تلق إلا كل باك وباكىه ونادب ونادبه، ولم يكن فى أهل الأرض

و الأصحاب و الأقرباء أشدّ حزنا و أعظم بكاء و انتحابا من مولاتى فاطمه الزهراء، و كان حزنها يتجدّد و يزيد، و بكاءؤها يشتدّ فجلست سبعة أيام لا يهدى لها أنين و لا يسكن منها حنين، و كلّ يوم جاء كان بكاءؤها أكثر من اليوم الأول.

فلما كان فى اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن فلم تطق صبرا إذ خرجت و صرخت فكأنها من فم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تنطق، فتبادرت النسوان و خرجت الولائد و الولدان، و ضجّ الناس بالبكاء و النحيب، و جاء الناس من كلّ مكان، و اطفيت المصابيح لكيلا تتبين صفحات النساء، و خيل إلى النسوان أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد قام من قبره، و صار الناس فى دهشه و حيره لما قد رهقهم، و هى تنادى و تندب أباه و أبتاه و صفياه و محمّدها و أبا القاسمها و اربيع الأرامل و اليتامى اه من للقبله و المصلّى، و من لابتك الوالهه الثكلى.

ثمّ أقبلت تعثر فى أذيالها و هى لا تبصر شيئا من عبرتها و من تواتر دمعته حتى دنت من قبر أبيها محمّد صلى الله عليه و آله و سلم فلمّا نظرت إلى الحجره وقع طرفها على المأذنه فقصر خطاها و دام نحيبها و بكائها إلى أن اغمى عليها، فتبادرت النسوان إليها فنضحن الماء عليها و على صدرها و جبينها حتى أفاقت و هى تقول:

رفعت قوّتى، و خاننى جلدى، و شمت بى عدوى، و الكمد قاتلى، يا أبتاه بقيت و الهه وحيد و حيرانه فريده فقد انخمد صوتى، و انقطع ظهري، و تنغص عيشى، و تكدر دهرى، فما أجد يا أبتاه بعدك أنيسا لوحشتى، و لا رادا لدمعتى و لا معينا لضعفى، فقد فنى بعدك محكم التنزيل، و مهبط جبرئيل، و محلّ ميكائيل انقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب، و تغلّقت دونى الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قاله، و عليك ما ترددت أنفاسى باكيه، لا ينفد شوقى إليك، و لا حزنى عليك.

ثمّ نادى: يا أبتاه و الباه ثمّ قالت:

إنّ حزنى عليك حزن جديد و فؤادى و الله صبّ عنيد

كلّ يوم يزيد فيه شجونى و اكتب بى عليك ليس يبيد

جلّ خطبى فبان عنى عزائى فبكائى كلّ وقت جديد

إِنْ قَلْبًا عَلَيْكَ يَأْلَفُ صَبْرًا أَوْ عِزًّا فَإِنَّهُ لَجَلِيدٌ

ثُمَّ نَادَتْ: يَا أَبَتَاهُ انْقَطَعْتَ بِكَ الدُّنْيَا بِأَنْوَارِهَا، وَزُوتُ زَهْرَتِهَا وَكَانَتْ بِيَهْجَتِكَ زَاهِرَةٌ فَقَدْ اسْوَدَّ نَهَارُهَا، فَكَانَ يَحْكِي حِنَادِهَا رَطْبُهَا وَيَابِسُهَا، يَا أَبَتَاهُ لَا زَالَتْ آسَفُهُ عَلَيْكَ إِلَى التَّلَاقِ، يَا أَبَتَاهُ زَالَ غَمَصِي مِنْذُ حَقِّ الْفِرَاقِ، يَا أَبَتَاهُ مِنْ لِلْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ، وَ مِنْ لِلْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، يَا أَبَتَاهُ أَمْسِينَا بَعْدَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، يَا أَبَتَاهُ أَصْبَحْتَ النَّاسَ عَنَّا مُعْرِضِينَ، وَلَقَدْ كُنَّا بِكَ مُعْظَمِينَ فِي النَّاسِ غَيْرِ مُسْتَضْعَفِينَ فَأَيُّ دَمْعِهِ لِفِرَاقِكَ لَا تَنْهَمِلُ، وَ أَيْ حُزْنِ بَعْدِكَ عَلَيْكَ لَا يَتَّصِلُ، وَ أَيْ جَفْنِ بَعْدِكَ بِالنَّوْمِ يَكْتَحِلُ، وَ أَنْتَ رَبِيعُ الدِّينِ، وَ نُورُ النَّبِيِّينَ، فَكَيْفَ لِلْجِبَالِ لَا- تَمُورُ، وَ لِلْبَحَارِ بَعْدَكَ لَا تَغُورُ، وَ الْأَرْضُ كَيْفَ لَمْ تَتَزَلْزَلْ، رَمِيتَ يَا أَبَتَاهُ بِالْخُطْبِ الْجَلِيلِ، وَ لَمْ يَكُنِ الرِّزْيَةُ بِالْقَلِيلِ، وَ طَرَقَتْ يَا أَبَتَاهُ بِالمَصَابِ الْعَظِيمِ، وَ بِالفَادِحِ الْمَهُولِ، بِكَتْكِكَ يَا أَبَتَاهُ الْأَمَلَا-كُ، وَ وَقَفْتَ الْأَفْلَا-كُ فَمَنْبَرِكَ بَعْدَكَ مُسْتَوْحِشٌ، وَ مَحْرَابُكَ خَالٌ مِنْ مَنَاجَاتِكَ، وَ قَبْرُكَ فَرَحٌ بِمَوَارَاتِكَ، وَ الْجَنَّةُ مُشْتَاقَةٌ إِلَيْكَ وَ إِلَى دَعَائِكَ وَ صَلَاتِكَ، يَا أَبَتَاهُ مَا أَعْظَمَ ظَلَمَهُ مَجَالِسُكَ، فَوَا أَسْفَا عَلَيْكَ إِلَى أَنْ أَقْدِمَ عَاجِلًا عَلَيْكَ وَ أَثْكُلَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُؤْتَمِنُ أَبُو وَلَدَيْكَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ وَ أَخُوكَ وَ وَلِيكَ وَ حَبِيبِكَ وَ مِنْ رَبِّتِهِ صَغِيرًا وَ أَخِيَّتِهِ كَبِيرًا وَ أَحْلَى أَحْبَابِكَ وَ أَصْحَابِكَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ سَابِقًا وَ مُهَاجِرًا وَ نَاصِرًا، وَ الثَّكُلَ شَامِلِنَا، وَ الْبَكَاءَ قَاتِلِنَا، وَ الْأَسَى لَازِمِنَا.

ثُمَّ زَفَرَتْ زَفْرَهُ وَ أَتَتْ أَنَّهُ كَادَتْ رُوحَهَا أَنْ تَخْرُجَ ثُمَّ قَالَتْ:

قَلَّ صَبْرِي وَ بَانَ عَنِّي عِزِّي بَعْدَ فَقْدِي لِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ

عَيْنِ يَا عَيْنِ اسْكُبِي الدَّمَعَ سَحًّا وَيَكُ لَا تَبْخُلِي بِفَيْضِ الدَّمَاءِ

يَا رَسُولَ الْإِلَهِ يَا خَيْرَهُ اللَّهُ وَ كَهْفَ الْإِيْتَامِ وَ الضَّعْفَاءِ

قَدْ بَكَتْكَ الْجِبَالُ وَ الْوَحْشُ جَمْعًا وَ الطَّيْرُ وَ الْأَرْضُ بَعْدَ بَكْيِ السَّمَاءِ

وَ بَكَكَ الْحُجُوجُ وَ الرُّكْنُ وَ الْمَشْعَرُ يَا سَيِّدِي مَعَ الْبَطْحَاءِ

وَ بَكَكَ الْمَحْرَابُ وَ الدَّرْسُ لِلْقُرْآنِ فِي الصُّبْحِ مَعْلَنًا وَ الْمَسَاءِ

وَ بَكَكَ الْإِسْلَامُ إِذَا صَارَ فِي النَّاسِ غَرِيبًا مِنْ سَائِرِ الْغُرَبَاءِ

لو ترى المنبر الذى كنت تعلوه علاه الظلام بعد الضياء

يا إلهى عجل وفاتى سريعا قد نغصت الحياه يا مولائى

قالت: ثم رجعت إلى منزلها و أخذت بالبكاء و العويل ليلها و نهارها و هى لا ترقى دمعتها، و لا تهدى زفرتها.

و اجتمع شيوخ أهل المدينه و اقبلوا إلى أمير المؤمنين على عليه السلام فقالوا له يا أبا الحسن إن فاطمه تبكى الليل و النهار فلا أحد منا يتنهأ بالنوم فى الليل على فراشنا و لا بالنهار قرار على أشغالنا و طلب معاشنا، و إننا نخيرك أن تسألها إمّا أن تبكى ليلا أو نهارا، فقال حبا و كرامه.

فأقبل أمير المؤمنين حتى دخل على فاطمه عليها السلام و هى لا تفيق من البكاء، و لا ينفع فيها العزاء، فلما رآته سكتت هيمنه له فقال لها: يا بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إن شيوخ المدينه يسألونى أن أسألك إمّا أن تبكين أباك ليلا و إمّا نهارا فقالت يا أبا الحسن ما أقل مكثى بينهم و ما أقرب مغيبتى من بين أظهرهم، فو الله لا أسكت ليلا و لا نهارا أو ألحق بأبى رسول الله، فقال لها على: افعلى يا بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما بدا لك ثم إنه عليه السلام بنى لها بيتا فى البقيع نازحا من المدينه يسمى بيت الأحران و كانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسين أمامها و خرجت إلى البقيع باكيه فلا تزال بين القبور باكيه، فاذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها و ساقها بين يديه إلى منزلها.

و لم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعة و عشرون يوما و اعتلت العله التى توفيت فيها فبقيت إلى يوم الأربعين و قد صلى أمير المؤمنين صلاه الظهر و أقبل يريد المنزل إذ استقبلته الجوارى باكيات حزينات فقال لهنّ: ما الخبر و ما لى أراكنّ متغيّرات الوجوه و الصّور، فقلن: يا أمير المؤمنين أدرك ابنه عمك الزّهاء و ما نظنّك تدركها.

فأقبل أمير المؤمنين مسرعا حتى دخل عليها و إذا بها ملقاه على فراشها و هو

من قباطى مصر و هى تقبض يمينا و تمدّ شمالا، فألقى الرّداء عن عاتقه و العمامه عن رأسه و حل أزراره.

و أقبل حتّى أخذ رأسها و تركه فى حجره و ناداها: يا زهراء، فلم تكلمه، فناداها: يا بنت محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فلم تكلمه، فناداها: يا بنت من حمل الرّكاه فى أطراف رداءه و بذلها على الفقراء، فلم تكلمه، فناداها: يا ابنه من صلّى بالملائكه فى السّماء مثنى مثنى، فلم تكلمه فناداها: يا فاطمه كَلِمَينى فأنا ابن عمّك علىّ ابن أبى طالب.

قالت: ففتحت عينيها فى وجهه و نظرت إليه و بكت و بكى، و قال: ما الّذى تجدينه فأنا ابن عمّك علىّ بن أبى طالب، فقالت: يا ابن العمّ إنّنى أجد الموت الذى لا- بدّ منه و لا- محيص عنه و أنا أعلم أنّك بعدى لا تصبر على قلّه التزويج، فان أنت تزوّجت امرأه اجعل لها يوما و ليله و اجعل لأولادى يوما و ليله، و لا- تصح فى وجوههما فيصبحان يتيمن غريبن منكسرين فإنّهما بالأمس فقد اجدّهما: و اليوم يفقدان امّهما، فالويل لامة تقتلهما و تبغضهما ثمّ أنشأت تقول:

ابكنى إن بكيت يا خير هادى و اسبل الدّمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول اوصيك بالنّسل فقد أصبحا حليف الاشتياق

ابكنى و ابك لليتامى و لا تنس قتيل العدى بطفّ العراق

فارقوا فاصبحوا يتامى حيارى يخلف الله فهو يوم الفراق

قالت فقال علىّ: من أين لك يا بنت رسول الله هذا الخبر و الوحى قد انقطع عنّا؟ فقالت: يا أبا الحسن رقدت السّاعه فرأيت حبيبى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى قصر من الدّرّ الأبيض فلمّا رآنى قال: هلمّى إلىّ يا بتيه فأنّى إليك مشتاق، فقلت:

و الله إنّنى لأشدّ شوقا منك إلى لقائك، فقال: أنت اللّيله عندى و هو الصّادق لما وعد و الموفى لما عاهد فاذا أنت قرأت يس فاعلم أنّى قد قضيت نجبى، فغسّلى و لا- تكشف عنّى فأنّى طاهره مطهره، و ليصلّ علىّ معك من أهلى الأدنى فالأدنى و من رزق أجرى و ادفنى ليلا فى قبرى، بهذا أخبرنى حبيبى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

فقال عليّ عليه السّلام و الله لقد أخذت في أمرها و غسلتها في قميصها و لم اكشفه عنها فو الله لقد كانت ميمونه طاهره مطهره،
ثم حطّبتها من فضله حنوط رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و كفنتها و أدرجتها في أكفانها.

فلما هممت أن أعقد الرّداء ناديت يا أمّ كلثوم يا زينب يا سكينه يا فضّه يا حسن يا حسين هلمّوا تزوّدوا من أمّكم فهذا الفراق و
اللقاء في الجنّه، فأقبل الحسن و الحسين و هما يناديان وا حسرتاه لا ننطفئ أبدا من فقد جدّنا محمّد المصطفى صلّى الله عليه و
آله و سلّم و أمنا فاطمه الزّهراء، يا أمّ الحسن يا أمّ الحسين إذا لقيت جدّنا محمّد المصطفى صلّى الله عليه و آله و سلّم فاقرئيه منّا
السّلام و قولي له: إنّنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدّنيا.

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام: إنني اشهد الله أنّها قد حنّت و أنّت و مدّت يديها و ضمّتهما إلى صدرها مليا و إذا بهاتف
من السماء ينادي يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا و الله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب.

قال: فرفعتهما من صدرها و جعلت أعقد الرّداء و أنا انشد بهذه الأبيات:

فراقك أعظم الأشياء عندي و فقدك فاطم أدهى الثّكول

سأبكي حسره و أنوح شجوا على خلّ مضى أسنا سبيل

ثم حملها على يده و أقبل بها إلى قبر أبيها و نادى:

السّلام عليك يا رسول الله، السّلام عليك يا حبيب الله، السّلام عليك يا نور الله السّلام عليك يا صفوه الله منّي السّلام عليك
و التحيه منّي واصله إليك و لديك، و من ابتكك النازله عليك بفنائك، و إنّ الوديعة قد استردّت، و الرهينه قد اخذت، فوا
حزنه على الرّسول، ثم من بعده على البتول، و لقد اسودّت على الغبراء، و بعدت عنّي الخضراء، فوا حزنه ثم و أسفاه.

ثم عدل بها على الرّوضه فصلى عليها في أهله و أصحابه و مواليه و أحبيائه و طائفه من المهاجرين و الأنصار، فلما واراها و
ألحدها في لحدها أنشأ بهذه الأبيات يقوله:

أرى علل الدنيا على كثيره و صاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خيلين فرقه و إنّ بقائى عندكم لقليل

و أنّ افتقادی فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

أقول: و فى الديوان المنسوب إليه عليه الصلاه و السلام أنه أنشد عند وفاه فاطمه صلوات الله و سلامه عليها بهذه الأبيات:

ألا هل إلى طول الحيات سبيل و أنّى و هذا الموت ليس يحول

و إنّى و إن أصبحت بالموت موقنا فلا أمل من دون ذاك طويل

و للدهر ألوان تروح و تغتدى و إنّ نفوسا بينهنّ تسيل

و منزل حقّ لا معرّج دونه لكلّ امرء منها إليه سبيل

قطعت بأيّام التعزّز ذكره و كلّ عزيز ما هناك ذليل

أرى علل الدنيا على كثيره و صاحبها حتى الممات عليل

و أنّى لمشتاق إلى من أحبه فهل لى إلى من قد هويت سبيل

و أنّى و إن شطت بى الدهر نازحا و قد مات قبلى بالفراق جميل

فقد قال فى الأمثال فى البين قائل أضرب به يوم الفراق رحيل

لكلّ اجتماع من خيلين فرقه و كلّ الذى دون الفراق قليل

و أنّ افتقادی فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

و كيف هناك العيش من بعد فقدهم لعمر ك شىء ما إليه سبيل

سيعرض عن ذكرى و تنسى مودّتى و يظهر بعدى للخليل عديل

و ليس خليلى بالملول و لا الذى إذا غبت يرضاه سوى بديل

و لكن خليلى من يدوم وصاله و يحفظ سرّى قلبه و دخيل

إذا انقطعت يوما من العيش مدّتى فإنّ بكاء الباقيات قليل

يريد الفتى أن لا يموت حبيبه و ليس إلى ما يتغيه سبيل

و ليس جليلا رزء مال و فقده و لكنّ رزء الأكرمين جليل

ص: ٢٩

لذلك جنبى لا يواتيه مضجع و فى القلب من حرّ الفراق غليل(١)

خاتمه

نذكر فيها بعض الأخبار الواردة فى كيفيه مجيئها سلام الله عليها إلى المحشر و تظلمها يوم القيامة و عقاب ظالمها.

و إنما أوردت هذه الأخبار لأنّ الأخبار السالفه المتضمّنه لما جرى عليها بعد وفاه أبيها سلام الله عليه و عليها من البغى و العدوان و الظلم و الطغيان لا سيّما ما تضمّنت أنينها و حنينها و بكائها و مظلوميّتها و وحدتها و غربتها حاله وفاتها، قد ملأت قلبى قيحا و شحنت صدرى قرحه، و جرّعتنى نعب التّهمام أنفاسا، فسرت عند روايتها لا أضبط دمعتى، و لا أملك كمدى و لوعتى، و كانت الدّمعات من عظم مصيبتها جاريه، و حرقات القلب مشتعله.

فأحببت ايراد هذه الأخبار تسليه لبعض همومى و هموم ساير الموالين، لعن الله ظالمها و ظالمى بعلمها و بنيتها فلقد أوغلوا فى العداوه و الطغيان، و بالغوا فى التعديه و العدوان، و شمّروا فى استيصال أهل البيت الشّريف بالفعل و اللّسان، و أبانوا عن دناءه أصلهم بقبح فعلهم و فعل الأعوان، و ركبوا مركبا وعرا أجابوا فيه دعوه وليّهم الشّيطان.

فليتهم أخزاهم الله إذ لم يكفّوا عن غصب فدك و الخلافة، كفّوا عن إحراق باب بيت العصمه و الطهاره، و ليتهم قنعوا بتليب سيّد الأولياء، و أمسكوا عن ضرب السّوط و اسقاط جنين سيّده النساء.

نعم نسبهم الخبيث و أصلهم الدنىّ قد نفى عنهم الغيره و المروّه و أقامهم على

ص: ٣٠

١- (١) - قوله (عليه السلام): و أنى، اسم استفهام خبره محذوف أى كيف سبيل إلى طول الحياه و منزل عطف على ألوان، و المعرج محل الاقامه، و شطت الدار و نزلت بعدت و الباء للتعديه و التضريب مبالغه فى الضرب، و البين الفراق أى أضرب المثل الذى قاله القائل فى يوم الفراق الذى هو رحيل، و المثل قوله: لكلّ اجتماع، و فاطم مرخم فاطمه، و البديل البدل، و دخیل الرجل الذى يداخل فى اموره و يختصّ به، لا يواتيه اى لا يوافقه و الغليل العطش منه (١).

دعوى الجاهليته لأنّ الاناء ينضح بما فيه، و الولد سرّ أبيه.

روى فى البحار من تفسير العياشى عن أبى بصير قال: يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب: الأوّل للظالم و هو زريق، و بابها الثّانى لحبتر، و الباب الثالث للثالث و الباب الرابع لمعاويه، و الباب الخامس لعبد الملك، و الباب السادس لعسكر بن هوسر، و الباب السابع لأبى سلامه، فهم أبواب لمن اتّبعهم.

قال المحدث العلامة المجلسى: عسكر اسم جمل عايشه فيكون كناية عن عايشه و صاحبها، و يحتمل كناية عن بعض و لاه بنى اميه كأبى سلامه، و يحتمل أن يكون أبو سلامه كناية عن أبى مسلم إشارة إلى من سلّطهم من بنى العباس.

و من العياشى عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام أنّه إذا كان يوم القيامة يؤتى بابليس فى سبعين غلا و سبعين كبلًا (١)، فينظر الأوّل إلى زفر فى عشرين و مائه كبل و عشرين و مائه غلّ فينظر إبليس فيقول: من هذا الذى أضعفه الله العذاب و أنا أغويت هذا و الخلق جميعا؟ فيقال: هذا زفر، فيقول: بما جدّد له هذا العذب؟ فيقال: ببغيه على علىّ عليه السّلام فيقول له إبليس: ويل لك و ثبور لك أما علمت أنّ الله أمرنى بالسجود لادم فعصيته و سألته أن يجعل لى سلطانا على محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و شيعته فلم يجبنى إلى ذلك، و قال «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ» و ما عرفتهم حين استنّاهم إذ قلت «وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» فمّنت به نفسك غرورا.

فيوقف بين يدى الخلايق فيقال له: ما الذى كان منك إلى علىّ و إلى الخلق الذين اتّبعوك على الخلاف؟ فيقول الشّيطان و هو زفر لابليس: أنت أمرتنى بذلك فيقول له إبليس: فلم عصيت ربّك و أطعنتى؟ فيردّ عليه زفر ما قال الله «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ» إلى آخر الايه.

قال العلامة المجلسى «قد»: قوله عليه السّلام: فيردّ زفر عليه ظاهر السياق أن يكون قوله: إنّ الله وعدكم، كلام إبليس فيكون كلام زفر ما ذكر

ص: ٣١

قبل تلك الايه من قوله «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» و ترك اختصارا.

و من كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان بن أبي عيَّاش عن سليم قال:

سمعت سلمان الفارسي يقول: إذا كان يوم القيامة يؤتى إبليس مزموما بزمام من نار و يؤتى بزفر مزموما بزمامين من نار، فينطلق إليه إبليس فيصرخ و يقول: ثكلتك امّيك من أنت أنا الذي فتنت الأولين و الآخرين و أنا مزموم بزمام واحد و أنت مزموم بزمامين، فيقول: أنا الذي امرت فاطعت و أمر الله فعصى.

و في عقاب الأعمال عن حنان بن سدير قال: حدثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذابا يوم القيامة لسبعه نفر:

أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه، و نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، و اثنان في بني إسرائيل هوذا قومهما و نصيراهما، و فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، و اثنان من هذه الامة أحدهما شرهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من نار.

و فيه عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام «أخبرني ظ» بأول من يدخل النار قال: إبليس، و رجل عن يمينه، و رجل عن يساره.

و فيه عن إسحاق بن عمار الصيرفي عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت جعلت فداك حدثني فيهما بحديث فقد سمعت عن أبيك فيهما أحاديث عدّه، قال فقال لي: يا إسحاق الأول بمنزله العجل، و الثاني بمنزله السامري.

قال: قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال: هما و الله هوذا و نصرا و مجسا فلا غفر الله ذلك لهما.

قال: قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال، ثلاثه لا ينظر الله إليهم و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم، قال: قلت: جعلت فداك فمن هم؟ قال رجل ادعى إماما من غير الله، و آخر طغى في إمام من الله، و آخر زعم أنّ لهما نصيبا في الاسلام.

قال: قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال: ما ابالي يا إسحاق محوت المحكم من كتاب، أو جحدت محمدا النبوه، أو زعمت أن ليس في السماء إلهاء، أو

تقدّمت على عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال عليه السّلام: إنّ في النّار لواديا يقال له:

محيط لو طلع منها شراره لأحرق من على وجه الأرض و إنّ أهل النّار يتعوّذون أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل و ننته و قدره و ما أعدّ الله فيه لأهله، و إنّ في ذلك الجبل لشعبا يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشّعب و ننته و قدره و ما أعدّ الله فيه لأهله، و إنّ في ذلك الشّعب لقلبا يتعوّذ «أهل ظ» ذلك الشّعب من حرّ ذلك القلب و ننته و قدره و ما أعدّ الله فيه لأهله، و إنّ في ذلك القلب لحية يتعوّذ جميع أهل ذلك القلب من خبث تلك الحية و ننتها و قدرها و ما أعدّ الله عزّ و جلّ في أنيابها من السمّ لأهلها، و إنّ في جوف تلك الحية لسبع صناديق فيها خمسه من الامم السّالفه و اثنان من هذه الامّه.

قال: قلت: جعلت فداك و من الخمسه؟ و من الاثنان؟ قال: أمّا الخمسه فقايل الّذى قتل هابيل، و نمرود الّذى حاجّ إبراهيم في ربّه قال أنا حيي و اميت و فرعون الّذى قال أنا ربّكم الأعلى، و يهود الّذى هوّد اليهود، و يولس الّذى نصّير النّصارى، و من هذه الامه الأعرابيان.

أقول: الأعرابيان أبو بكر و عمر عبّر عنهما بذلك إشارة إلى كفرهما كما قال تعالى: «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا».

و فيه عن أبي خديجه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: يؤتى يوم القيامة بابليس مع مضلّ هذه الامّه في زمامين غلظهما مثل جبل أحد، فيسحبان على وجوههما فيسدّ بهما باب من أبواب النّار.

و فيه عن شريك يرفعه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمه في لمة (1) من نساءها فيقال لها: ادخلي الجنّة، فتقول: لا- أدخل حتّى أعلم ما صنع بولدى من بعدى، فيقال لها: انظري في قلب القيامة، فتتظر إلى الحسين عليه السّلام قائما و ليس عليه رأس فتصرخ صرخه و أصرخ لصراخها و تصرخ الملائكة

ص: ٣٣

لصراخنا، فيغضب الله لنا عند ذلك فيأمر نارا يقال لها هبهب قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت لا يدخلها روح أبدا ولا يخرج منها غم أبدا، فيقال لها: التقطى قتله الحسين وحملة القرآن(١)، فتلقتهم فاذا صاروا في حوصلتها صهلت و صهلوا بها و شهقت و شهقوا بها و زفرت و زفروا بها، فينطقون بألسنه زلقه طلقه: يا ربنا بما أوجبت النار لنا قبل عبده الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن الله عزّ و جلّ إنّ من علم ليس كمن لا يعلم.

و فيه عن محمد بن سنان عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمه قبه من نور و أقبل الحسين عليه السلام رأسه على يده، فاذا رآته شهقت شهقه لا يبقى في الجمع ملك مقرب و لا- نبى مرسل و لا عبد مؤمن إلّا بكى لها، فيمثل الله عزّ و جلّ رجلا لها في أحسن صوره و هو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله قتلته و المجهّزين عليه و من شرك في قتله فيقتلهم حتى اتى على آخرهم، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثم ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام، ثم ينشرون فلا يبقى من ذريتنا أحد إلّا فيقتلهم قتله، فعند ذلك يكشف الله الغيظ و ينسى الحزن، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام رحم الله شيعتنا، شيعتنا و الله هم المؤمنون فقد و الله شركونا في المصيبة بطول الحزن و الحسره.

و فى البحار من مجالس الشيخ عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين و الآخرين فى صعيد واحد فينادى مناد:

غصّوا أبصاركم و نكسّوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله و سلم الصراط.

قال: فتغصّ الخلايق أبصارهم فتأتى فاطمه سلام الله عليها على نجيب من نجب الجنّه يشيعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفا شريفا من مواقف القيامة، ثم تنزل من نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن عليّ عليهما الصلاه و السلام بيدها مضمخا بدمه، و تقول: يا ربّ هذا قميص ولدى الحسين و قد علمت ما صنع به، فيأتيها النداء من قبل الله عزّ و جلّ: يا فاطمه لك عندى الرضا، فتقول: يا ربّ انتصر لى

ص: ٣٤

١- (١) - المراد بحمله القرآن الذين ضيعوه و حرقوه (منه) أقول تفسير حمله القرآن على الذين ضيوه و حرقوه عجيب بل الظاهر أن المراد: التقطى قتله الحسين و قتله حمله القرآن. المصحح.

عن قاتله، فيأمر الله تعالى عنقا من النار فتخرج من جهنم، فتلتقط قتله الحسين بن علي صلوات الله و سلامه عليهما كما يلتقط الطير الحب، ثم يعود العنق بهم إلى النار، فيعذبون فيها بأنواع العذاب.

ثم تركب فاطمه سلام الله عليها نجيبها حتى تدخل الجنة و معها الملائكة المشيعون لها و ذريتها بين يديها و أولياؤهم من الناس عن يمينها و شمالها.

أقول: و لقد أجاد من قال مضمنا لمضمون هذه الأخبار:

كأنني بالبطل الطهر واقفه في الحشر تشكو إلى الرحمن باريها

تأني و قد ضمخت ثوب الحسين دما فيض النحور البحارى ويل مجريها

تدعو ألا أين مسمومى و يا أسفا على ذبيحى و اسرى من ذراريها

تقول و احزنى بل آه و احسنى هذا حسينى قتيل فى فيا فيها

هذا حسينى رضيع الجسم منجدلا تسفى على جسمه العارى سوا فيها

آه على جثث بالطف قد قطعت رؤوسها و هجير السيف يصلها

آه على جثث فيها القنى لعبت و اركضت ماضيات فى تراقيا

يا فتية ذبحت فى كربلا و ثوت على الوجوه عرايا فى صحاريها

بنتم فبان لكم سلوان فاطمه و لا عج الوجد بالوجدان يشجها

ألا لعنه الله على القوم الظالمين، و سيعلم الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه و عليهم حقهم أى منقلب ينقلبون.

تكملة

قد أشرنا إلى أن هذا الكلام مروى فى عدّه من اصول معتمده على اختلاف و زياده أحببت روايه ما فيها على مجرى عادتنا فأقول:

روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني عن أحمد بن مهران و عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار الشيباني قال: حدّثنى القاسم بن محمد الرّازى قال:

حدّثنى على بن محمد الهرمزانى عن أبى عبد الله الحسين بن على عليهما السلام قال:

لَمَّا قَبِضَتْ فَاطِمَةُ سَلامَ اللَّهِ عَلَيْهَا دَفَنَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَرًّا وَ عَفَى عَلَى مَوْضِعِ

ص: ٣٥

قبرها ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

السّلام عليك يا رسول الله عنّي و السلام عليك عن ابنتك و زائرتك و البائتة في الثرى ببقعتك، و المختار الله لها سرعه اللّحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى، و عفى عن سيده نساء العالمين تجلّدى، إلّا أنّ فى التّأسيى لى بسنتك فى فرقتك موضع تعرّ فلقد وسدتك فى ملحوده قبرك، و فاضت نفسك بين نحرى و صدرى، بلى و فى كتاب الله لى انعم القبول إنّنا لله و إنّنا اليه راجعون، قد استرجعت الوديعه و اخذت الرّهينه، و اخلست «اخذت» الزّهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول الله أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهد، و همّ لا يبرح من قلبى أو يختار الله لى دارك التى أنت فيها مقيم، كمد مقيح، و همّ مهيج، سرعان ما فرق بيننا، و الى الله أشكو، و ستبئك ابنتك بتظافر امتك على هضمها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بته سبيلا و ستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين سلام مودّع لا قال و لا سئم فان أنصرف فلا عن ملاله، و ان اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين واه واه و الصبر أيمن و أجمل، و لو لا غلبه المستولين لجعلت المقام و اللبث لزاما معكوفاً، و لأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرّزیه، فبعين الله تدفن ابنتك سراً و تهضم حقّها و تمنع إرثها، و لم يتباعد العهد و لم يخلق منك الذكر، و إلى الله يا رسول الله المشتكى، و فيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلى الله عليك، و عليها السلام و الرضوان.

بيان

«العفو» المحو و الانمحاء و «المختار الله» من إضافه الصفه إلى فاعلها و «سرعه اللّحاق» مفعوله أى التى اختار الله لها سرعه لحاقها بك.

قوله «و فى كتاب الله لى أنعم القبول» أى فيه ما يصير سببا لقبول المصائب أحسن القبول و أطيبه و «أخلسته» و اخلسته استلبته، و الخلسه ما يؤخذ سلبا و مكابره.

قوله «و كمد مقيح» الكمد محرّكه و بالفتح الحزن الشّديد و مرض القلب

والمقّيح بتشديد الياء من القيقح أى حزنى حزن شديد يورث فى القلب قيحا و «سرعان» اسم فعل مبنّى على الفتح بمعنى سرع و قرب مع تعجّب أى ما أسرع ما فرق و «ما» كناية عن الموت و «ستنّبك» من باب الافعال و التّفعليل من النبأ و هو الخبر و «الغليل» حراره الجوف و «اعتلجت» الأمواج التطمّت.

و قوله «سلام مودّع» منصوب على المصدر محذوف العامل مطردا و قوله «واه واه» و فى بعض النسخ واه واه يقال: واه لك و يترك تنوينه كلمه تعجّب من طيب شىء و كلمه ملهف و التكرير للتأكيد كما قال الشاعر:

واها لريّا ثم واه واه واهى المنا لو أنّنا نلناها

و «معكوف» أى محبوسا و «العويل» رفع الصّوت بالبكاء و الصّياح و قوله «فبعين الله» آه أى تدفن ابنتك سرّا بحفظ الله أو بحضوره و شهوده «و لم يخلق» من الخلق و هو البالى أى لم يبل و لم يندرس ذكرك و قوله «و فيك» أى فى اطاعه أمرك «أحسن العزاء» و فى البحار من المجالس و أمالى المفيد عن الصّيدوق عن أبيه عن أحمد ابن إدريس عن محمّد بن عبد الجبار عن القاسم بن محمّد الرّازى عن عليّ بن محمّد الهروى عن عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السّلام قال:

لما مرضت فاطمه بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم وصّت إلى عليّ بن أبى طالب أن يكتّم أمرها و يخفى خبرها و لا يؤذن أحدا بمرضها، ففعل ذلك و كان يمرضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسار بذلك كما وصّت به.

فلما حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين عليه السّلام أن يتولّى أمرها و يدفنها ليلا و يعفى قبرها. فتولّى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام و دفنها و عفى موضع قبرها، فلما نفّض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديّه و حوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فقال:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك و حبيبتك و قرّه عينك و زائرتك و البائتة فى الثرى ببقيعك، المختار الله لها سرعه اللحاق بك، قلّ يا

رسول الله عن صفيتك صبرى، و ضعف عن سيده النساء تجلدى، إلا أن فى التأسى لى بستتك و الحزن الذى حل بى لفراقك موضع التعزى، و لقد وسدتك فى ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدرى، و غمضتكم يدي، و توليت أمرك بنفسى نعم و فى كتاب الله أنعم القبول إننا لله و إننا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعه، و أخذت الرهينه، و اختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول الله أما حزنى فسرمد، و أما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبى أو يختار الله لى دارك التى فيها أنت مقيم، كمد مقيح، و حزن مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا، و إلى الله أشكو، و ستنبك ابنتك بتظاهر امتك على و على هضمها حقها فاستخيرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بته سيلا، و ستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين، سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا- سام و لا- قال، فان أنصرف فلا عن ملاله و إن اقم فلا عن سوء ظنى بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن و أجمل و لو لا- غلبه المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، و التلبث عنده معكوفاً و لأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزیه، فبعين الله تدفن بنتك سراً، و يهتضم حقها قهراً و يمنع إرثها جهراً و لم يطل العهد و لم يخلق منك الذكر، فالى الله يا رسول الله المشتكى، و فيك أجمل العزاء فصلوات الله عليها و عليك و رحمه الله و بركاته.

و رواه فى كشف الغمه مثل ما رواه السيد فى المتن إلى قوله: بما وعد الله الصابرين، ثم قال: و فى روايه اخرى زياده على قول على عليه السلام عند موتها:

أمّا حزنى فسرمد، و أمّا ليلى فمسهد، و لا- نبرح أو يختار الله لى دارك التى أنت فيها مقيم، سرعان ما فرق بيننا، و إلى الله أشكو، و ستنبك ابنتك بتظافر امتك على هضمها حقها، فأحفظها السؤال، و استخيرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بته سيلا، فستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين، و السلام عليكما سلام مودع، لا قال و لا سئم، فان أنصرف فلا عن ملاله، و إن اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، فالصبر أيمن و أجمل، فبعين الله تدفن ابنتك صبرا، و تهتضم

حَقَّهَا، و تمنع إرثها، و لم يبعد العهد، فإلى الله المشتكى يا رسول الله و فيك يا رسول الله أحسن العزاء صلوات الله عليك و عليها معك.

الترجمه

از جمله کلام آن امام است که روایت کرده اند از او که گفته این کلام را در وقت دفن کردن حضرت سیده زنان فاطمه زهرا سلام الله عليها گویا مناجات می نمود با این کلام با حضرت رسالتاب صلوات الله عليه و آله و عرض می نمود:

السلام عليك يا رسول الله سلام باد بر تو ای پیغمبر خدا از طرف من و از طرف دختری که نازل شد در همسایگی تو، و زود لاحق شد بتو، کم شد یا رسول الله از دختر پسندیده تو صبر من، و ضعیف شد از فراق او تحمل و قوت من، لکن مراست در پیروی نمودن جدائی بزرگ تو و مصیبت سنگین تو محلّ تسلی، پس بتحقیق خواباندم ترا در قبر لحد دار تو، و سیلان نمود میان گلو و سینه من روح تو.

و إنا لله و إنا إليه راجعون، پس بتحقیق که باز یافت شد امانت، و پس گرفته شد گرو - کنایه است از حضرت فاطمه که بمنزله امانت و رهن بود در نزد شوهرش -.

أما حزن و اندوه من پس همیشگی است، و أما شب من پس بی خوابیست تا آنکه اختیار نماید خدای تعالی از برای من خانه را که تو در آنجا اقامت کرده و بزودی خبر می دهد ترا دختر تو باجماع امت ستمکار تو بر ظلم و ستم آن مظلومه پس درست سؤال کن از آن، و پیرس از آن حال من و او را.

بود این ظلم ظالمان در حالتی که عهد ایشان با تو طول نیافته بود، و ذکر خیر تو از زبان خلق نرفته بود، و سلام باد بر تو یا رسول الله و بر دختر تو، مانند سلام وداع کننده مهربان که صاحب خشم و ملال نباشد از صحبت شما، پس اگر مراجعت نمایم از نزد شما نه از جهت ملالست، و اگر اقامت کنم در نزد قبر شما نه از جهت سوء ظنّ و بدگمانیست به آن چه که وعده فرموده است خداوند تبارک و تعالی در حق صبر کنندگان.

اشاره

المأتان و الثانى من المختار

فى باب الخطب

و رواه فى الارشاد و فى البحار من أمالى الصدوق بتفاوت يسير مع زياده حسبما تعرفه فى التكملة الاتيه إنشاء الله.

أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز، و الآخره دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم و أخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، و غيرها خلقتم، إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك، و قالت الملائكه ما قدّم، لله آباءكم فقدّموا بعضا يكن لكم، و لا تخلّفوا كلّا فيكون عليكم.

اللغه

(المجاز) مصدر ميميّ من جاز المكان يجوزّه جوزا و جوازا إذا سار فيه و عبره و (القرار) اسم من قرّ الشىء قرّا من باب ضرب استقرّ بالمكان و (لا تخلّفوا كلّا) مضارع خلّف الرّجل الشىء بالتّشديد تركه بعده.

الاعراب

من فى قوله: من ممركم نشويه و قوله: لله آباءكم، جملة اسميّه تستعمل فى مقام التعجب و الاستعظام كقولهم: لله أبوك و لله درك و تسمى هذه اللام بلام التعجب.

قال نجم الأئمة: أما معنى قولهم: لله درك، فالدر في الأصل ما يدر أي ينزل من الصرع من اللبن و من الغيم من المطر، و هو ههنا كناية عن فعل الممدوح الصادر عنه، و إنما نسب فعله إليه تعالى قصدا للتعجب، لأن الله منشىء العجائب، فكل شيء عظيم يريدون التعجب منه ينسبون إليه تعالى و يضيفونه نحو قولهم: لله أبوك و لله أنت فمعنى لله دره ما أعجب فعله، و قد تقدم مزيد تفصيل فيه فى شرح المختار المأه و التاسع و السبعين

المعنى

اشاره

اعلم أن الغرض من هذا الكلام التنفير من الدنيا و الترغيب فى الآخرة و الأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد و بالاستعداد للموت قبل حلول الفوت، و صدر الكلام بحرف النداء و التنبيه ايقاظا للمخاطبين من نوم الغفلة فقال:

(أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز و الآخرة دار قرار) يعنى أن الاولى دار عبور و الآخرة دار استقرار، و الاتيان بكلمه إنما المفيده للحصر تأكيداً للغرض المسوق له الكلام، و تنبيهها على أن وجود الدنيا نفس حدوثها و بقاءها عين زوالها، فلا صلاحية لها إلا لأن تكون مجازاً و معبراً بمنزله قنطره يتجاوز منها إلى المقر و المأوى، فمن نوى البقاء فيها و القرار فقد جهل و ضل و خبط خبطاً عظيماً و خسر خسرانا مبيناً، و إذا كان شأنها ذلك:

(فخذوا من ممركم لمقركم) أى خذوا فى الدنيا من الخيرات و الحسنات و الباقيات الصالحات التى هى زاد الآخرة، لتناولوا بها حسن الثواب فيها و تحصلوا النعمة الدائمة.

(و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم) أى لا تجاهروا بالمعصية و العدوان عند من لا يخفى عليه شيء من السر و الاعلان، بل يعلم ما أنتم مقترفون فى ليلكم و نهاركم، لطف به خبراً و أحاط به علماً، أعضاءكم شهوده، و الحفظه جنوده، و ضمائركم عيونه، و خلواتكم عيانه كما قال عز من قائل «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

(و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن يخرج منها أبدانكم) و هو أمر بالزهد فى الدّنيا و الاعراض عنها و حذف محبّتها عن ساحه القلب و الاستعداد للموت قبل حلوله، لأنّ من كانت الدّنيا همّته و أشرب محبّتها قلبه اشتدّت عند مفارقتها حسرته.

روى فى البحار من الأمالى قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض و اجتناب المحارم و الاشتغال على المكارم ثم لا- يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، و الله ما يبالى ابن أبى طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

و فيه من الخصال و معانى الأخبار بسنده عن عبد الله بن بكر المرادى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن الحسين عليهم السّلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم جالس مع أصحابه يعيهم للحرب إذ أتاه شيخ عليه شجّه السّفر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقل: هو ذا، فسلمّ ثم قال: يا أمير المؤمنين إننى أتيتك من ناحيه الشّام و أنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضل ما لا احصى، و أننى أظنّك ستقتال فعلمنى ممّا علمك الله.

قال: نعم يا شيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون، و من كانت الدّنيا همّته اشتدّت حسرته عند فراقها، و من كانت غده شرّ يوميه فهو محروم، و ساق الرّوايه إلى أن قال:

فقال: يا شيخ إنّ الله عزّ و جلّ خلق خلقا ضيق الدّنيا عليهم نظرا لهم فزهدهم فيها و فى حطامها، فرغبوا فى دار السلام الذى دعاهم إليه و صبروا على ضيق المعيشه و صبروا على المكروه و اشتاقوا إلى ما عند الله من الكرامه، و بذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله و كانت خاتمه أعمالهم الشّهاده، فلقوا الله و هو عنهم راض و علموا أنّ الموت سبيل من مضى و بقى فتزوّدوا لا-خرتهم غير الدّهب و الفضة و لبسوا الخشن و صبروا على القوت، و قدّموا الفضل و أحبّوا فى الله و أبغضوا فى الله عزّ و جلّ اولئك المصاييح و أهل النّعيم فى الآخرة و السّلام.

(ففيها اختبرتم و لغيرها خلقتكم) يعنى أَنَّهُ سبحانه خلقكم فى الدُّنيا لا لأجل الدُّنيا و البقاء فيها و الرُّكون إليها، بل لأجل الآخرة و تحصيل النِّعمه الدَّائمه، و إِنَّمَا خلقكم فى الدُّنيا لمحض الابتلاء و الامتحان كما قال تعالى:

«و نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِنَّا نُرْجِعُونَ».

و قد مضى تحقيق معنى الابتلاء فى شرح الخطبه الثانيه و السّتين، و بيّنا هناك أَنّ اللاّزم على الانسان قصر همّته فى محصّيات السَّعاده الآخريه ليخلص من قالب الامتحان، و ليستحقّ القرار فى غرفات الجنان، و يدرك مرتبه الرِّضوان الذى هو أعظم السَّعادات و أشرف اللذات و أكبر البهجات.

(انّ المرء إذا هلك قال النَّاس ما ترك و قالت الملائكه ما قدّم) و هو تأكيد لما سبق فأنّه عليه السَّلام لَمَّا أمر بالأخذ من الممَرّ للمقَرّ و بالزَّهد فى الدُّنيا و الاعراض عن قنيتها و زخارفها، و تبّه على أَنّ الغرض الأصلى من الخلقه هو العباده و الطاعه و تحصيل السَّعاده الآخريه.

أكّده بأنّ المرء إذا مات قال أبناء الدُّنيا من عشائر الميِّت و الأقرباء و الاخوان و القرناء المصروف همهم بها و المشغولين بها عن التَّوجّه إلى الآخري:

ما ترك، أى يسأل بعضهم بعضا عمّا خلفه الميِّت من متاع الدُّنيا و ما تركه من الأولاد و الأموال.

و قالت الملائكه الذين نظرهم إلى محصلات القرب و الزّلفى لديه تعالى فقط:

ما قدّم الميِّت لنفسه و ادّخره ليوم فاقته و مقام حاجته، فينبغى على ذلك ترجيح مسئول الملائكه على مسئول النَّاس، و تقديم محصّيات الزّلفى على قنيات الدُّنيا قال الشَّارح البحرانى: و فى لفظ ما ترك و ما قدّم لطف تنبيه على أَنّ متاع الدُّنيا مفارق متروك و الأعمال الصّالحه مقدّمه باقيه نفعه للمرء فى معاده، فينبغى أن تكون العناية بها دون المفارق المتروك.

(لله آباءكم) استعظمهم بنسبه آبائهم إلى الله حيث ولدوا مثل هؤلاء الأولاد و قوله:(فقدّموا بعضا لكم و لا تخلّفوا كلاً فيكون عليكم)تفريع على

ما تقدّم، فانه لما صدّر الكلام بالأمر بالأخذ من الممرّ للمقرّ و أكدّه بأنّ سؤال الملائكة و فحصهم عن المقدّم دون المؤخّر، رتب عليه هذه الجملة تنبيها على مقدار ما يؤخذ و يقدّم.

و لا- يخفى ما فى هاتين القرينتين من حسن المقابلة، و هو مقابلة الأربعة بالأربعة حيث جعل القرينه الأولى موجبه و الثانيه سالبه، ثمّ قابل بين التقديم و التخليف و بين البعض و الكلّ و بين لكم و عليكم.

و فى بعض النسخ فقدّموا بعضا يكن لكم قرضا، و لا تخلّفوا كلّا فيكون عليكم كلّا فتكون من مقابلة الخمسه بالخمسه.

أى خذوا من ممرّكم لمقرّكم بعض أموالكم، و قدّموه و أنفقوه فى سبيل الله يكن لكم قرضا على الله تستحقّون بأخذ مثله من الله فى مقام الحاجه و موطن الفاقه بل يضاعفه لكم أضعافا مضاعفه كما قال تعالى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» «و قد مرّ معناه فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و الثمانين و قال أيضا: «و آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَ مَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَ أَعْظَمُ أَجْرًا».

و لا- تتركوا جميع أموالكم فيكون عليكم كلّا- أى ثقيلًا لا خير فيه أو وزرا و ثقلا أى يكون عبؤه لكم و مهناؤه لغيركم روى فى الوسائل عن الصدوق فى قول الله عزّ و جل «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ عَلَيْهِمْ» قال: هو الرجل يدع ماله لا ينفقه فى طاعه الله عزّ و جلّ بخلا- ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعه الله أو بمعصيه الله، فان عمل فيه بطاعه الله رآه فى ميزان غيره فرآه حسره و قد كان المال له، و ان كان عمل به فى معصيه الله قويه بذلك المال حتى عمل به فى معصيه الله عزّ و جلّ.

قال: و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما محق الاسلام محق الشخّ شىء، ثمّ قال:

إِنَّ لِهَذَا الشَّخِّ دِيْبًا كَدِيبِ النَّمْلِ وَ شَعْبًا كَشَعْبِ الشَّرْكِ.

و فى الكافى باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ليس يتبع

الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقه أجراها في حياته فهي تجرى بعد موته، و سنه هدى سنّها فهي يعمل بها بعد موته، و ولد صالح يدعو له.

و فيه عن أبي كهمس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سته يلحق المؤمن بعد وفاته:

ولد يستغفر له، و مصحف يخلفه، و غرس يغرسه، و قلب يحفره، و صدقه يجريها، و سنّه يؤخذ من بعده.

ثم إن قوله عليه السلام: قدّموا بعضاً آه يدلّ بمنطوقه على مطلوبيّته تقديم البعض و بمفهومه على عدم مطلوبيه تقديم الكلّ كما أنّ قوله: و لا- تخلّفوا كلاً- آه يدلّ بمنطوقه على مبغوضيّته تخليف الكلّ و بمفهومه على عدم مبغوضيّته تخليف البعض، فيكون محصّل مفاد القضيتين تقديم البعض و تخليف البعض و على ذلك:

فان اريد بالأمر أعنى قوله: قدّموا معناه الحقيقي الذى هو الوجوب، فالمراد بالعوض الذى يجب تقديمه هو الحقوق المالىة الواجبه من الخمس و الزكاه و مصارف الحجّ و نفقه من يجب نفقته عليه و نحوها.

و إن اريد به الأعمّ من معنى الحقيقي أى الرّجحان المطلق فيعمّ البعض حينئذ للحقوق الواجبه و المندوبه من وجوه البرّ و صنائع المعروف و الحقّ المعلوم للسائل و المحروم و نحوها، و هذا هو الأظهر.

فينبغى على الانسان أن يقدّم البعض لنفسه و يخلف البعض لوارثه و لا- يجوز أن يخلف الكلّ فيحرم و لا أن يقدّم الكلّ فيحرم الوارث و يظلم.

و يدلّ على ذلك ما رواه فى الكافى مرسلاً قال: و قد روى عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لرجل من الانصار اعتق ممالك له لم يكن له غيرهم فعابه النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و قال:

ترك صبيه صغاراً يتكفّفون النّاس، و رواه فى الوسائل عن الصدوق باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام.

و يدلّ عليه أيضاً الأخبار الداله على عدم جواز الجور فى الوصيّيه و الحيف فيها بتجاوز الثلث و وجوب ردّها إلى العدل و المعروف.

مثل ما رواه فى الوسائل عن الشيخ باسناده عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى نجران عن عاصم بن حميد عن محمد بن قيس عن أبى جعفر عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام فى رجل توفى و أوصى بماله كله أو أكثره فقال: إن الوصية ترد إلى المعروف و يترك لأهل الميراث ميراثهم.

و فى الوسائل عن الشيخ باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: من عدل فى وصيته كان كمن تصدق بها فى حياته و من جار فى وصيته لقي الله عز و جل يوم القيامة و هو عنه معرض.

و فيه عن الشيخ باسناده عن على بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام ما للرجل من ماله عند موته؟ قال: الثلث و الثلث كثير.

و فيه من مجمع البيان قال: جاء فى الحديث إن الضرار فى الوصية من الكباير و فيه عن الصدوق باسناده عن السكونى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال على عليه السلام: الوصية بالخمس لأن الله عز و جل قد رضى لنفسه بالخمس و قال: الخمس اقتصاد، و الربع جهد، و الثلث حيف.

و فيه من قرب الاسناد عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبى جعفر عن أبيه عن على عليهم السلام قال: لئن أوصى بالخمس أحب إلى من أن أوصى بالربع و لئن أوصى بالربع أحب إلى من أن أوصى بالثلث، و من أوصى بالثلث فلم يترك شيئا.

و رواه فى الكافى باسناده عن محمد بن قيس عن أبى جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لئن أوصى بخمس مالى أحب إلى من أن أوصى بالربع و لئن أوصى بالربع أحب إلى من أن أوصى بالثلث، و من أوصى بالثلث فلم يترك و قد بالغ الغايه إلى أن قال: و يترك لأهل الميراث ميراثهم، و قال: من أوصى بثلث ماله فلم يترك و قد بلغ المدى، ثم قال: لئن أوصى بخمس مالى أحب إلى من أن أوصى بالربع و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة و لا حاجة إلى الإطالة، و لنختم بما هو أحرى بأن يختم به المقام.

و هو ما رواه فى الوسائل عن الصدوق باسناده عن جابر عن أبى عبد الله عليه السلام

قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، و من ختم له بصيام يوم دخل الجنة، و من ختم له بصدقه يريد بها وجه الله دخل الجنة.

و من الله أسأل أن يجعل خاتمه امورنا خيرا بجاه محمد وآله وسلم الأبرار، سلام الله عليهم ما تعاقب الليل والنهار.

تكملة

روى فى البحار من الأمالى للصدوق قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض خطبه:

أيها الناس إن الدنيا دار فناء، و الاخرة دار بقاء، فخذوا من ممركم لمقركم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، و اخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففى الدنيا حييتم، و للاخرة خلقتكم، إنما الدنيا كالسِّم يأكله من لا يعرفه، إن العبد إذا مات قالت الملائكة ما قدم، و قال الناس ما أخر، فقدّموا فضلا لكم يكن لكم، و لا تؤخّروا كلاً يكن عليكم فإن المحروم من حرم خير ماله، و المغبوط من ثقل بالصّدقات و الخيرات موازينه، و أحسن فى الجنة بها مهاده، و طيب على الصّراط بها مسلكه و فى الارشاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى الحكمة و الموعظة:

خذوا رحمكم الله من ممركم لمقركم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، و اخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن يخرج منها أبدانكم فللاخرة خلقتكم، و فى الدنيا حبستم إن المرء إذا هلك قالت الملائكة ما قدم، و قال الناس ما خلف، فلله آباؤكم قدّموا بعضا يكن لكم، و لا تخلّفوا كلاً فيكون عليكم، فأنما مثل الدنيا مثل السِّم يأكله من لا يعرفه.

الترجمة

از جمله کلام حکمت نظام آن امام است در تنفیر از دنیای فانی می فرماید:

ای مردمان بدرستی که دنیا خانه تجاوز و عبور است و آخرت خانه برقراری پس اخذ نمائید از گذرگاه خودتان برای قرارگاه خودتان، و بر ندرید پردهای خودتان را در نزد خداوندی که می داند سرّهای شما را، و بیرون کنید از دنیا قلبهای خود پیش از این که خارج شود از آن بدنهای شما، پس در دنیا امتحان شده اید، و از برای غیر دنیا یعنی آخرت خلق شده اید، بدرستی که مرد هر گاه هلاک شود و بمیرد گویند مردمان که ترکه آن مرده چه بوده است، و گویند ملائکه که او از برای خود چه پیش فرستاده است، از برای خداست پدران شما یعنی خدا رحمت کند پدران شما را، پس پیش بفرستید بعض مال خود را تا آنکه دریابید منفعت آنرا، و باقی نگذارید همه را پس برسد بشما ضرر آن.

و من کلام له علیه السلام کان کثیرا ما ینادی به

اشاره

أصحابه و هو المأتان و الثالث من

المختار فی باب الخطب

و هو مروی فی البحار من أمالی الصّیّدوق باختلاف کثیر تطلع علیه تجهّزوا رحمکم الله فقد نودی فیکم بالرحیل، و أقلّوا العرجه علی الدّنیا، و انقلبوا بصالح ما بحضرتکم من الرّاد، فإنّ أمامکم عقبه کئودا، و منازل مخوفه مهوله، لا بدّ من الورود علیها، و الوقوف عندها، و اعلموا أنّ ملاحظ المتیّه نحوکم دائبه، و کأنّکم بمخالبها و قد نشبت فیکم، و قد دهمتکم منها مفضعات الأمور، و معضلات المحذور، فقطّعوا علایق الدّنیا، و استظّھروا بزاد التّقوی

ص: ۴۸

قال السيّد «ره»: وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدّم بخلاف هذه الرواية أقول: الأشبه أن يكون مراده به ما تقدّم في الخطبه الرابعه و الثمانين.

اللغة

(جهاز) المسافر ما يحتاج إليه في قطع المسافه و هو بالفتح و به قرء السبعه في قوله تعالى «فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ» و الكسر لغه قليله، و جهاز العروس و الميّت باللغتين أيضا ما يحتاجان إليه و جهّزته تجهيزا هيأت جهازه فتجهّزو (العرجه) بالضمّ الاقامه من عرّج تعريجا و تعرّج تعرّجا أى أقام و حبس المطيّه على المنزل و (عقبه كنود) ككفور و كأداء أى صعبه شاقّه من تكأذنى الأمر شقّ علىّ و (هاله) الأمر هولا- أفزعه، و الهول المخافه و الجمع أهوال و هول هائل و مهول كمصون تاكيد و (الملاحظ) جمع الملاحظ مصدر ميميّ بمعنى اللحظ يقال لحظه و إليه لحظا من باب منع و لحظانا بالتحريك نظر بمؤخر عينيه قال الشاعر:

و أسرار الملاحظ أين تخفى و قد يقرأ بذى اللّحظ الطّنون

قال الفيروز آبادي: اللّحظ أشدّ التفاتا من الشّرز و (دئب) فى الأمر دئبا جدّ و تعب، و فى بعض النسخ دانيه بدل دائبه من الدنوّ بمعنى القرب و (المخلب) من السّباع كالظّفر من غيرها و (نشب) نشبا من باب تعب علق و (المعضلات) الشّدايد من أعضل به الأمر اشتدّ.

و فى نسخه الشارح المعتزلى مضلعات المحذور و فسرها بالخطوب التى تضلع أى تجعل الانسان ضلعا أى معوجا.

أقول: لعلّه أخذه من ضلع السيف ضلعا من باب فرح اعوجّ، و لا قيمنّ ضلعك بالتحريك و بالسكون أيضا و هو الاعوجاج خلقه و لكن الأظهر أن يكون مأخوذا من أضلعه الدّين أثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء و حمل مضلع وزان محسن أى ثقيل و ان كان مرجعه أيضا إلى الأول.

و روى مظلعات المحذور بالطاء المشاله، قال الشارح المعتزلى: أراد الامور التى تجعل الانسان ظالعا أى يغمر فى مشيه لثقلها عليه و الماضى ظلع بالفتح يظلع

ظلعا فهو ظالع، و في القاموس ظلع البعير كمنع غمز في مشيه، و الظالع المائل و الظلاع كغراب داء في قوائم الدابه لا من سير و لا تعب

الاعراب

قول السيد: كثيرا ما ينادى، كثيرا منصوب على الظرفيه المجازيه مفعول لقوله ينادى قدّم عليه لتضمّنه معنى الظرف أى ينادى حينما كثيرا أى فى كثير من الأوقات، و نحوكم منصوب بنزع الخافض متعلّق بقوله دائبه، و قوله: و كأنكم بمخالبتها، كأنّ للتشبيه و الظرف متعلق بفعل محذوف بقرينه المقام أى كأنكم تبصرون بمخالبتها على حدّ قوله تعالى «فَبَصَّيْرُتِ بِهِ عَنْ جُنْبٍ» و الجملة خبر كأنّ و جملة و قد نشبت فى محلّ النصب حال من مخالبتها لكونه مفعولا بالواسطه و قوله و قد دهمتكم جملة مستأنفه، و الفاء فى قوله: فقطعوا فصيحاه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه السيّد كان عليه السّلام كثيرا ما ينادى به أصحابه بعد صلاه العشاء الاخره كما صرح به فى روايه الامالى الاتيه ايقاظا لهم عن نوم الغفله و إزعاجا من الاغترار بالدّنيا يناديهم بحيث يسمع من فى المسجد.

(تجهّزوا رحمكم الله) أى خذوا جهاز الموت و هيئوا ما تحتاجون إليه فى طيّ منازل الاخره و الوصول إلى حضرت ربّ العزّه.

(فقد نودى فيكم بالرحيل) أى بالارتحال و المسافره إلى العقبى، و المراد بالمنادى إما توارد الالام و الأسقام و تراكم الأسباب المعدّه للمزاج للفساد، أو الملك المأمور من الله تبارك و تعالى بالنداء يقول: لدوا للموت و ابنوا للخراب أو طروّ المشيب و الهرم كما قال عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه:

الشيب عنوان المتيّه و هو تاريخ الكبر

و بياض شعر ك موت شعر ك ثم أنت على الاثر

و إذا رأيت الشيب عمّ الرأس فالحذر الحذر

و يحتمل أن يكون المراد بالرحيل الازعاج من الدّنيا و التوجّه إلى الاخره

و السفر إلى الله بالرياضيات الكامله، فالمراد بالنداء حينئذ ما نطق به الكتاب العزيز و جرى على ألسنه الأنبياء و الرسل و الأئمه من الأوامر الوارده بالزهد كما قال عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا، أو أن المراد به اخبارهم بأنهم يرتحلون و لا يبقون كما قال تعالى «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» و «أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ» و نحو ذلك، و قد مرّ نظير هذه الفقره فى الخطبه الثالثه و الستين و هو قوله: ترحلوا فقد جدّ بكم، فليراجع ثمه.

(و أقولوا العرجه على الدنيا) أى الاقامه عليها و حبّ البقاء فيها، و المراد به الأمر بقصر الأمل و عدم تطويله، لأنّ طول الأمل ينسى الآخره.

كما قال عليه السلام فى المختار الثانى و الأربعين: إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتّباع الهوى و طول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أما طول الأمل فينسى الآخره، و مضى فى شرحه مطالب نافعه و أخبار نفيسه.

و قال عليه السلام فى المختار الثامن و العشرين: ألا و إنكم قد امرتم بالظعن و دلتم على الزاد، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى و طول الأمل، و مضى فى شرحه أيضا مطالب و أخبار شريفه و رويانا هناك عن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق بثلاث خصال: همّ لا يفنى، و أمل لا يدرك، و رجاء لا تنال.

و محصّل المراد من إقلال الاقامه على الدنيا الزهد فيها و القناعه على القدر الضرورى من العيش و ارتقاب الموت و لنعم ما قال عليه السلام فى الديوان المنسوب إليه

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوتاً إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

و لقد يكفيك منها أيها الطالب قوتو لعمري عن قليل كلّ من فيها يموت

و قال أيضا:

ألم تر أنّ الدهر يوم و ليله يكرّان من سبت جديد إلى سبت

فقل لجديد الثوب لا بدّ من بلى و قل لاجتماع الشمل لا بدّ من شتّ

و قال أيضا:

بيت و يوم و قوت يوم يكفى لمن فى غد يموت

و ربما مات نصف يوم و النصف من قوته يفوت

و فيه أيضا

بيت يوارى الفتى و ثويستر من عوره و قوت

هذا بلاغ لمن تحسبو ذا كثير لمن يموت

(و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد) أى انصرفوا إلى وطنكم الأصلي الذى منه خرجتم و هو الدار الآخرة و الجنة و ذلك باعتبار كونهم ذرا فى صلب أبيهم آدم منه خرج و إليه عاد أو المراد انصرفهم إلى الحق الأول عزّ و جلّ فأنه تعالى منه البداء و إليه الانتهاء، و هو غايه مراد المريدين، و منتهى سیر السّائرين، و مرجع الرّاجعين كما قال تعالى «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُجَبِّكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» و قال «إِنَّا لِلّٰهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

و على أى تقدير فلا يخفى ما فى التعبير بلفظ الانقلاب من حسن التقرير و بديع الصّيناعه، و محصل المراد الأمر بتحصيل صالح الزاد ليوم المعاد و أراد به التقوى كما قال عزّ و علا «و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ».

و علّل شدّه الحاجه إلى أخذ الزاد بقوله (فإنّ أمامكم عقبه كنودا) أى صعبه شاقّه المصاعد.

(و منازل مخوفه مهوله لابدّ من الورد عليها و الوقوف عندها) أشار بها إلى شدايد الموت و مشاق البرزخ و منازل الآخرة و مواقف القيامة و أهويلها و أخاويها و أفزاعها «يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَ مَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ».

روى فى البحار من أمالى المفيد عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله جعفر ابن محمد عليهما السّلام: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنّ فى القيامة خمسين موقفا كلّ موقف كآلف سنه ممّا تعدّون ثمّ تلا هذه الآية «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

و من تفسير على بن إبراهيم فى هذه الآية قال عليه السّلام: إنّ فى القيامة خمسين

موقفا لكل موقف ألف سنه.

و قال الصّيدوق فى عقايدہ، اعتقادنا فى العقبات التى على طريق المحشر أنّ كلّ عقبه منها اسم فرض و أمر و نهى، فمتى انتهى الانسان إلى عقبه اسمها فرض و كان قد قصر فى ذلك الفرض حبس عندها و طولب بحقّ الله فيها.

فان خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمه تداركه نجى منها إلى عقبه اخرى فلا يزال من عقبه إلى عقبه و يحبس عند كلّ عقبه فيسأل عتياً قصر فيه من معنى اسمها فان سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحى حياه لا موت فيها أبداً و سعد سعادته لا شقاؤه معها أبداً و سكن فى جوار الله مع أنبيائه و حججه و الصّديقين و الشهداء و الصالحين من عباده.

و إن حبس على عقبه فطولب بحقّ قصير فيه و لم ينجه عمل صالح قدّمه و لا أدركته من الله عزّ و جلّ رحمته زلت به قدمه عن العقبه فهوى فى جهنّم، نعوذ بالله منها.

و هذه العقبات كلّها على الصّراط اسم عقبه منها الولايه يوقف جميع الخلايق عندها فيسألون عن ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و الأئمه من بعده فمن أتى بها نجا و جاز و من لم يأت بها بقى فهوى و ذلك قول الله عزّ و جلّ «وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ».

و أهمّ عقبه منها المرصاد و هو قول الله عزّ و جلّ «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ» و يقول الله عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى لا يجوزنى ظلم ظالم، و اسم عقبه منها الرّحم، و اسم عقبه منها الأمانه، و اسم عقبه منها الصّلاه و باسم كلّ فرض و أمر و نهى عقبه و يحبس عندها العبد فيسأل.

و قال الشّيخ المفيد فى شرحه: العقبات عبارته عن الأعمال الواجبه و المسائله عنها و المواقفه عليها، و ليس المراد بها جبال فى الأرض يقطع، و إنّما هى الأعمال شتّيت بالعقبات، و جعل الوصف لما يلحق الانسان فى تخلصه من تقصيره فى طاعه الله تعالى، كالعقبه التى يجهدده صعودها و قطعها قال الله تعالى «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ»

. «وَمَا أَذْرَاكَ مِمَّا الْعَقْبَةُ فَكَّ رَقَبِهِ» فسمي الله سبحانه الأعمال التي كلفها العبد عقبات تشبها بالعقبات و الجبال لما يلحق الانسان في أدائها من المشاق كما يلحقه في صعود العقبات و قطعها.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام انّ أمامكم عقبه كئودا و منازل مهوله لا بدّ من الممرّ بها و الوقوف عليها، فاما برحمه الله نجوتم و إما بهلكه ليس بعدها انجبار.

أراد عليه السلام بالعقبه تخلص الانسان من العقبات التي عليه، و ليس كما ظنّه الحشويه من أنّ في الاخره جبالا و عقبات يحتاج الانسان إلى قطعها ماشيا و راكبا و ذلك لا معنى له فيما توجهه الحكمه من الجزاء و لا وجه لخلق عقبات تسمى بالصلاه و الزكاه و الصيام و الحجّ و غيرها من الفرائض يلزم الانسان أن يصعدّها فان كان مقصّرا في طاعه الله حال ذلك بينه و بين صعودها.

إذ كان الغرض في القيامه الموافقه على الأعمال و الجزاء عليها بالثواب و العقاب و ذلك غير مفتقر إلى تسميته عقبات و خلق جبال و تكليف قطع ذلك و تصعيبه و تسهيله مع أنه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل فيعتمد عليه و تخرج له الوجوه، و إذا لم يثبت بذلك خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه، انتهى كلامه رفع مقامه.

و اعترض عليه المحدث العلامة المجلسي في البحار بعد نقله له بقوله: إن تأويل ظواهر الاخبار بمحض الاستبعاد بعيد عن الرّشاد، و لله الخيره في معاقبه العاصين من عباده بأيّ وجه أراد، و قد مضى الأخبار في ذلك و سيأتي بعضها و الله الموفّق للخير و السّداد، هذا.

و لما حذر من عقبات الاخره و مواقفها المهوله المقتضيه لأخذ الزّاد لها، عقّبه بالاشاره إلى قرب الموت المعقّب لهذه الأهويل و العقبات و كونه بالرّصد و التّرقّب و الاخترام تنبيهها به على وجوب المبادرة بأخذ الزّاد لقرب الحاجه إليه و على عدم التّواني و التّسويق فيه بتوهم بعد زمان الاحتياج فقال:

(و اعلموا أنّ ملاحظ المتيّه نحوكم دائبه) أي مجده يعني أنّها تنظر اليكم باللّحظ و الشرز أي بمؤخّر عينها نظر الغضبان مجده فيه قصدا لاخترامكم.

(و كَأَنكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشَبْتَ فِيكُمْ) شَبَّهَهَا بِالسَّيِّعِ الْفَتَاكِ الضَّارِّ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِعَارَةِ الْمَكْتَبَةِ وَ أَثْبَتَ لَهَا الْمَخَالَبَ وَ النَّشُوبَ تَخْيِيلًا وَ تَرْشِيحًا، يَرِيدُ قَرَبَ أَخْذِهَا لَهُمْ وَ انْتِشَابَ مَخَالَبِهَا فِيهِمْ وَ إِلَى هَذَا يَنْظُرُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدِّيَّانِ الْمُنَسُوبِ إِلَيْهِ:

يَا مُؤَثِّرَ الدُّنْيَا عَلَى دِينِهِ وَ الثَّائِيهِ الْحِيرَانِ عَنْ قَصْدِهِ

أَصْبَحْتَ تَرْجُو الْخُلْدَ فِيهَا وَ قَدْ أُبْرَزَ نَابُ الْمَوْتِ عَنْ حَدِّهِ

هِيَاهُتَ إِنَّ الْمَوْتَ ذُو أَصْهَمٍ مِنْ يَرْمِهِ يَوْمًا بِهَا يَرْدُهُ

(و قَدْ دَهَمْتُمْ مِنْهَا مَفْطَعَاتِ الْأُمُورِ) أَيْ غَشِيْتُمْ مِنَ الْمَتِّهِ الْأُمُورَ الشَّنِيعَةَ الْبَالِغَةَ فِي الشَّنَاعَةِ الْغَايَةِ (وَ مَعْضَلَاتِ الْمَحْذُورِ) أَيْ الْأَفْزَاعِ وَ الدَّوَاهِي الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَحْذَرُ مِنْهَا وَ تَحْتَرِزُ، وَ عَلَى رَوَايَةٍ مُضْلَعَاتِ الْمَحْذُورِ فَالْمَرَادُ الْمَحَازِيرُ الَّتِي تَوْجِبُ انْحِنَاءَ ظَهْرِ الْإِنْسَانِ لِثِقَلِهَا وَ شِدَّتِهَا مِنْ سُكْرِهِ مَلْهَتِهِ وَ غَمْرِهِ كَارِثَتِهِ وَ جَذْبِهِ مَتْعَبِهِ وَ سَوْقَهُ مَكْرَبِهِ وَ نَحْوَهَا مِنْ أَفْزَاعِ الْمَوْتِ.

(فَقَطَّعُوا عِلَاقَ الدُّنْيَا) وَ أَمِيطُوا مَحَبَّتَهَا عَنْ قُلُوبِكُمْ (وَ اسْتَظْهَرُوا ب) خَيْرِ الزَّادِ (زَادَ التَّقْوَى) لَتَقْوُوا بِهِ إِلَى قَطْعِ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ وَ الْوَصُولِ إِلَى حَضْرَتِ الرَّبِّ الْأَعْلَى.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنا مِنَ الْمُسْتَظْهِرِينَ بِهِ، وَ الْوَاصِلِينَ إِلَى مَقَامِ الْقَرَبِ وَ الزَّلْفَى لَدَيْهِ بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ.

تكملة

رَوَى فِي الْبَحَارِ مِنَ الْأُمَالِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ هَاشِمٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَنْ ابْنِ حَمِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ يَنَادِي النَّاسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْمَعَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ:

أَيُّهَا النَّاسُ تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُوْدِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ فَمَا التَّعَرَّجَ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَ النَّدَاءِ فِيهَا بِالرَّحِيلِ، تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَ انْتَقِلُوا بِأَفْضَلِ مَا بَحْضَرْتُمْ مِنَ الزَّادِ وَ هُوَ التَّقْوَى، وَ اعْلَمُوا أَنَّ طَرِيقَكُمْ إِلَى الْمَعَادِ، وَ مَمَرُّكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ

و الهول الأعظم أمامكم على طريقكم عقبه كئوده، و منازل مهوله مخوفه، لا بدّ لكم من الممّر عليها، و الوقوف بها فإمّا برحمه من الله فنجاه من هولها و عظم خطرها و فظاعه منظرها و شدّه مختبرها، و إمّا بهلكه ليس بعدها انجبار.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام است که اکثر اوقات ندا میکرد بان اصحاب خود را می فرمود:

ضروریات سفر آخرت را مهیا نمائید خدا رحمت کند بشما، پس بتحقیق ندا کرده شد در میان شما به کوچ کردن، و کم نمائید اقامت در دنیا را، و رجوع نمائید بسوی آخرت با بهترین چیزی که نزد شماست از توشه آخرت، پس بدرستی که پیش شماست عقبه سخت و منزلهای خوفناک و خطرناک لابد هستید از آمدن آن منزلها و از توقف نمودن در نزد آنها، و بدانید که نظرهای تند و غضبناک مرگ بسوی شما متوجه است، و گویا می بینید که چنگال های آن سبع قتال بشما بند شده، و بتحقیق که احاطه کرده شما را از آن مرگ امورات قبیحه بی نهایت، و محذورات شدیده بغایت شدت، پس بیزید علایق دنیا را، و طلب اعانت نمائید با توشه تقوی و پرهیزکاری.

و من کلام له علیه السلام و هو المأثان

اشاره

و الرابع من المختار فی باب الخطب

و رواه الشارح المعتزلی فی شرح المختار الحادی و التسعین من کتاب نقض کتاب العثمانيه لأبی جعفر الاسکافی باختلاف کثیر تعرفه إن شاء الله.

قال السيد: کلم به طلحه و الزبير بعد بيعته بالخلافه و قد عتبا عليه من ترك مشورتهما و الاستعانه فی الامور بهما.

لقد نقمتما يسيرا، و أرجأتما كثيرا، ألا تخبراني أى شيء لكما

فيه حقّ دفعتمكما عنه، و أئى قسم استأثرت عليكما به، أم أئى حقّ رفعه إئى أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته أم أخطأت بابه، و الله ما كانت لى فى الخلافه رغبه، و لا- فى الولايه إربه، و لكنكم دعوتمونى إليها، و حملتمونى عليها، فلمّا أفضت إئى نظرت إئى كتاب الله و ما وضع لنا و أمرنا بالحكم به فاتّبعته، و ما استسنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فافتديته، فلم أحتج فى ذلك إئى رأيكما، و لا رأى غيركما، و لا وقع حكم جهلته فأستشيركما و إخوانى من المسلمين، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا- عن غيركما. و أمّا ما ذكرتما من أمر الاسوه فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأى، و لا وليته هوى منى، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد فرغ منه، فلم أحتج إئىكما فيما قد فرغ الله من قسمه، و أمضى فيه حكمه، فليس لكما و الله عندى و لا لغيركما فى هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إئى الحقّ، و ألهمنا و إئاكم الصبر. ثم قال عليه السّلام: رحم الله رجلا رأى حقّا فأعان عليه، أو رأى جورا فردّه، و كان عوننا بالحقّ على صاحبه.

اللغة

(نقمت) عليه أمره و نقمت منه نقما من باب ضرب و نقمت أنقم من باب

تعب لغه إذا عبته و كرهته أشد الكراهه بسوء فعله و اللغه الأولى هي الفصيحه و بهما قرء قوله تعالى «وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا» أى و ما تطعن فينا و تقدح، و قيل: ليس لنا عندك ذنب و لا ركنا مكروها و (أرجأته) بالهمزه أخرته (و قسمته) قسما من باب ضرب فرزته أجزاء فانقسم و القسم بالكسر اسم منه، ثم اطلق على الحصه و النصيب فيقال: هذا قسمى و الجمع أقسام مثل حمل و أحمال.

و (استأثر) بالشىء استبد به أى انفرد به من غير مشارك له فيه و (حمله) على الأمر يحمله فانحمل أغراه به و (الاسوه) بالضم و الكسر القدوه (و لا وليته هوى منى) فى أكثر النسخ بتشديد اللام يقال وليته توليه أى جعلته واليا، و فى بعضها بالتخفيف و هو الأظهر من وليه إذا قام به و منه ولي الصغير أى القائم بأمره و (عتب) عليه عتبا من باب ضرب و قتل لأمه فى تسخط، و أعتبنى الهمزه للسلب أى أزال الشكوى و العتاب، و العتبنى وزان فعلى اسم من الاعتبار.

الاعراب

قوله: بعد بيعته بالخلافه من إضافه المصدر إلى المفعول، و يسيرا و كثيرا منصوبان على المفعول به، و قوله: ألا تخبرانى أى شىء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه أى اسم استفهام مرفوع على الابتداء و جمله دفعتكما عنه خبره، و جمله لكما فيه حقّ صفه لشىء، و لكما ظرف لغو متعلق بحقّ، و فيه ظرف مستقرّ متعلق بمقدّر خبر مقدّم، و حقّ مبتدأ و يحتمل أن يجعل الأول ظرف مستقرّ و الثانى ظرف لغو، و جمله أى شىء اه منصوبه المحلّ مفعول لتخبرانى اه.

و قوله: أم أى قسم فى بعض النسخ أو بدل أم و كذلك فى قوله أم جهلته و قوله: و لا وليته هوى منى، على روايه وليته بالتشديد يكون هوى مفعولا- به أى لم أجعل هواى واليا فى هذا الأمر. و على روايه التخفيف فهو مفعول له أى ما قمت به لأجل هوى نفسى، و جمله قد فرغ منه بالبناء على الفاعل حال من رسول الله، و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول فتكون حالا من ما جاء به، و الفاء فى قوله:

فليس فصيحته، و جمله رحم الله رجلا اه، دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب.

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه الرّضىّ رضى الله عنه: (كَلَّمَ به طلحه و الزّبير بعد بيعتهما له بالخلافه و قد عتبا من ترك مشورتهم و الاستعانه فى الامور بهما) و من ترك تفضيلهما فى العطاء على غيرهما.

قال الشّارح المعتزلى إنّهما قالّا: ما نراه يستشيرنا فى أمر و لا يفاوضنا فى رأى و يقطع الأمر دوننا و كانا يرجوان غير ذلك، و أراد طلحه أن يولّيه البصره و أراد الزّبير أن يولّيه الكوفه.

فلَمّا شاهدنا صلابته فى الدّين و قوّته فى العزم، و هجره الادهان و المراقبه و رفضه المدالسه و المواريه، و سلوكه فى جميع مسالكه منهج الكتاب و السّنة، و قد كانا يعلمان ذلك قديما من طبعه و سجيّته، و كان عمر قال لهما و لغيرهما: إنّ الأجلح أى الأنزع إن وليها ليحملنكم على المحبّه البيضاء و الصراط المستقيم، و كان النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال من قبل: و إن تولّوها علينا تجدوه هاديا مهديّا، إلّا أنّه ليس الخبر كالعيان، و لا القول كالفعل، و لا الوعد كالانجاز حالا (1) عنه و تنكّرا له، و وقعا فيه، و عاباه تطلّبا له العلل و التّأويلات، و تنقما عليه الاستبداد و ترك المشاوره، و انتقلا من ذلك إلى الوقيعه فيه بمساوات الناس فى قسمه الأموال، و أثنيا على عمر و حمدا سيرته و صوّبا رأيه، و قالّا: إنّّه كان يفضّل أهل السوابق، و ضلّلا علينا فيما رآه و قالّا: إنّّه أخطاء، و إنّّه خالف سيره عمر، و استنجدا عليه بالرّؤساء من المسلمين كان عمر يفضّلهم فى القسم على غيرهم.

و الناس أبناء الدّنيا و يحبّون المال حبّا جمّا فتنكّرت على أمير المؤمنين بتنكّرهما قلوب كثيره.

و كان عمر منع قريشا و المهاجرين و ذوى السوابق من الخروج من المدينه و نهاهم عن مخالطه الناس، و نهى الناس عن مخالطتهم و رأى أنّ ذلك اسّ

الفساد فى الأرض، و أنّ الفتوح و الغنائم قد أبطرت المسلمين، و متى بعد الرؤوس و الكبراء منهم عن دار الهجره و انفردوا بأنفسهم و خالطهم الناس فى البلاد البعيده لم يؤمن أن يحسنوا لهم الوثوب و طلب الاماره و مفارقه الجماعه و حلّ نظام الالفه و لكنّه نقض هذا الرأى السديد بما فعله بعد طعن أبى لؤلؤه له من الشورى فانّ ذلك كان سبب كلّ فتنه وقع و يقع إلى أن تنقضى الدّنيا.

قال: و قد قدّمنا ذكر ذلك و شرحنا ما أدّى إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل فى نفس كلّ من الستة من ترشيحه للخلافه إلى أن قال: إنّ طلحه و الزبير لما آيسا من جهه علىّ عليه السّلام و من حصول الدّنيا من قبله قلبا له ظهر المجنّ، فكاشفاه و عاتباه قبل المفارقه عتابا لاذعا(١) قال: روى أبو عثمان الجاحظ قال:

أرسل طلحه و الزبير إلى علىّ عليه السّلام قبل خروجهما إلى مكّه محمّد بن طلحه و قالوا:

لا تقل له يا أمير المؤمنين و لكن قل له: يا أبا الحسن لقد فال «أى اخطأ» فيك رأينا و خاب ظننا أصلحنا لك الأمر و وطننا لك الامر و أجلبنا على عثمان حتّى قتل فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك و بايعناك و قدنا إليك أعناق العرب و وطأ المهاجرون و الأنصار أعقابنا فى بيعتك حتّى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا و رفضتنا رفض التريكة(٢) و أذلتنا إذاله الاماء(٣) و ملكت أمرك الاشر و حكيم بن جبلة و غيرهما من الأعراب فلما جاء محمّد بن طلحه أبلغه ذاك فقال: اذهب إليهما فقل لهما فما الذى يرضيكما؟ فذهب و جاء و قال: إنّهما يقولان ولّ أحدنا البصره و آخرنا الكوفه.

فقال: لا هاء الله إذا يحلم(٤) الأديم، و يستشرى الفساد، و تنتقض علىّ

ص: ٦٠

١- (١) - لزع النار الشىء لفحه، منه.

٢- (٢) - التريكة كسفينه امرأه تترك لا تتزوج، منه.

٣- (٣) - اى أهنتا إهانته الاماء يقال أذلتة أهنته و لم أحسن القيام عليه، منه.

٤- (٤) - حلم الجلد من باب فرح وقع منه الحلم و هى دوده تقع فى الجلد فتأكله منه.

البلاد من أقطارها، والله أنى لا آمنهما و هما عندى بالمدينه فكيف آمنهما و قد وليتهما العراقيين اذهب إليهما فقل أيها الشيخان احذرا من الله و نبيه صلى الله عليه و آله و سلم على امته و لا تبغى (١) المسلمين غايه و كيدا و قد سمعنا قول الله تعالى «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

فقام محمّد بن طلحه فأتا إليهما و لم يعدا له و تأخرا عنه أياما ثم جاءاه فاستأذنا فى الخروج إلى مكّه للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا- ينقضا بيعته و لا- يغدرا به و لا- يشقّا عصا المسلمين و لا يوقعا الفرقه بينهم و أن يعودا بعد العمره إلى بيوتهما بالمدينه، فحلفا على ذلك كلّهم ثم خرجا ففعلا ما فعلا قال: و روى الطبرى فى التاريخ قال: لما بايع الناس عليّا و تمّ الأمر له قال طلحه للزبير: ما أرى أنّ لنا من هذا الأمر إلّا ككشحه أنف الكلب فقد ظهر لك من ذلك و يظهر أيضا ممّا نرويه من الاسكافى أنّ علّه نقم طلحه و الزبير منه عليه السلام إنّما كانت ترك استشارتهما و مداخلتهما فى أمر الخلافه و عدم بذل مأمولهما فى توليه العراقيين و التسويه بينهما و بين غيرهما فى القسم و لما نقما عليه بذلك أجاب لهما بقوله:

(لقد نقمتما يسيرا و أرجأتما كثيرا) أى طعنتما و عتبتما على شيئا يسيرا و هو ترك الاستشاره و أمر التسويه حسبما عرفت مع عدم كونهما مورد طعن و عيب فى الحقيقه و أخرتما شيئا كثيرا من رعايه حقوقى الواجبه و السعى فيما يعود إلى صلاح حال المسلمين و انتظام أمر الدين و اتّساق حبل الالفه و الجماعه.

و قال الشّارح المعتزلى: أى نقمتما من أحوالى اليسير، و تركتما الكثير الذى ليس لكما و لا لغيركما فيه طعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير الكثير.

و قال الشّارح البحرانى: يحتمل أن يريدان الذى أبدياه و نقماه بعض ممّا فى أنفسهما و قد دلّ ذلك على أنّ فى أنفسهما أشياء كثيره وراء ما ذكراه.

أقول: يعنى قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفى صدورهم أكبر،

ص: ٦١

و الأظهر ما قلناه.

ثم استخبر عَمِيًا نَقْمَاهُ و استفهم عن وجوه النَّقْمِ المتصوِّره في المقام استفهما انكاريا إبطاليا تنبيها به على بطلان تلك الوجوه جميعا و على كذب مدَّعيها فقال:

(ألا تخبراني أيَّ شيءٍ لكما فيه حقٌّ) مَالِيَّ أو غير مَالِيَّ (دفعتمكما عنه) و ظلمتكما فيه.

و بطلان هذا الوجه مع كونه معصوما واضح، و يزيده وضوحا قوله الاتي في الكلام المأتين و العشرين: و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها و يطول في الثرى حلولها، و قوله فيه أيضا. و الله لو اعطيت الأقاليم السَّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته، و من هذا حاله كيف يتصوَّر في حقِّه الظلم؟!.

(و أيَّ قسم استأثرت عليكما به) أيَّ أيَّ سهم و نصيب أخذت من بيت المال و تفردت به و لم اشارككم.

و بطلانه أيضا واضح ممَّا مرَّ و يزيده توضيحا ما مرَّ في الكلام المأه و السادس و العشرين من قوله: لو كان المال لى لسويت بينهم فكيف و المال مال الله، و ما يأتي في باب المختار من كتبه في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري من قوله: و إنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعمه بقرصيه، و من هذا شأنه كيف يحيف الغير و يذهب بحقه و غيره؟! و بما ذكرته علم الفرق بين هذا الوجه و الوجه الأوَّل، فإنَّ الأوَّل أعم من الحقِّ المالى و غيره، و هذا مخصوص بالمالى، و أيضا دفع الحقِّ عنهما أعم من أن يصير إليه أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل يبقى في بيت المال و الاستيثار عليهما به هو أن يأخذ حقَّهما لنفسه.

(أم أيَّ حقٍّ رفعه إلَيَّ أحد من المسلمين ضعفت عنه) و كنت محتاجا فيه إلى المعاون و المعين.

و بطلان هذا الوجه أيضا لا ريب فيه لما قد عرف من بأسه و شجاعته و أنه لو لا سيفه لما قام للإسلام عمود و لا اخضرّ للدين عود، و قد قال فى الكلام السابع و الثلاثين و استبددت برهانها كالجبل لا تحرّكه القواصف و لا تزيله العواصف لم يكن لأحد فى مهمز و لا- لقائل فى مغمز الدليل عندى عزيز حتى آخذ الحقّ له، و القوى عندى ضعيف حتى آخذ الحقّ منه، و قال فى الكلام المأه و السّادسه و الثلاثين: و ايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزائمه حتى أوردّه منهل الحقّ و إن كان كارها (أم جهلته أم أخطأت بابه) و كنت محتاجا إلى التعليم و التنبيه و الفرق بين الجهل و الخطاء فى الباب الأوّل أن يكون الله سبحانه قد حكم بحرمة شىء مثلا فأحلّه الامام و الثانى أن يصيب فى الحكم و يخطىء فى طريقه و الاستدلال عليه، أو أنّ الأوّل أن يجهل الحكم و يتحرّج فيه و لا- يدرى كيف يحكم، و الثانى أن يحكم بخلاف الواقع و على أىّ تقدير فتوهم أحد الأمرين فى حقّه عليه السّلام، مع علمه بما كان و ما يكون و ما هو كائن و كونه أعلم بطرق السّماء من طرق الأرض و كونه باب مدينه العلم و الحكمه و كونه أقضى الامه على ما صدر عن صدر النّبوه و عرفته فى تضاعيف الشّرح غير مرّه أوضح البطلان و فساده غنى عن البرهان، هذا و لما أشار عليه السّلام إلى بطلان وجوه النّقم المتصوّره إجمالا أراد إبطال ما نقما به عليه تصرّحا و هو ترك الاستشاره و أمر الاسوه و أجاب عن النّقم بهما تفصيلا.

و قبل الشروع فى الجواب مهّده مقدّمه لطيفه دفعا بها توهم كون نهوضه بالخلافه من حبّ الملك و الرّياسه و محبّه السلطنه و الولايه المقتضيه للمماشاه و المشاوره مع الحاشيه و البطانه كما كان فى المتخلفين الثلاثه و رفعها بها منتهما عنه عليه السّلام حيث منّا عليه بأنّا أصلحنا الأمر و وطننا لك الامر و بايعناك و قدنا إليك أعناق العرب على ما مرّ فى روايه أبى عثمان الجاحظ.

و تلك المقدّمه قوله عليه السّلام (و الله ما كانت لى فى الخلافه رغبه و لا فى

الولاية اربه) و حاجه أمّا عدم احتياجه إليها فواضح، و أمّا عدم رغبته فيها فلكرهته لها طبعاً و إن كان يحبّها شرعاً أو كراهته لها من حيث الملك و السلطنه فلا تنافى رغبته من حيث التمكن من إعلاء لواء الشرع و إقامة المعروف و إزاحه المنكر أو أنّ عدم الرّغبة حين عدم تحقّق الشرائط.

كما يشعر بذلك قوله عليه السّلام فى الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه: أمّا و الذى فلق الحَبّه و برء النّسمه لو لا حضور الحاضر و قيام الحَجّه بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كُظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها و لألقيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفته عنز.

و يشعر به أيضاً قوله عليه السّلام فى الكلام الحادى و التّسعين: دعونى و التمسوا غيرى، و مضى هناك أخبار مناسبه للمقام.

(و لكنكم دعوتمونى إليها) على رغبه منكم (و حملتمونى عليها) على كراهه منى كما أوضحه عليه السّلام فى المختار المأتين و الخامسه و العشرين حيث قال هناك: و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها ثمّ تداككتم علىّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى انقطعت النّعل و سقطت الرّداء و وطىء الضّعيف و بلغ من سرور الناس بيعتهم إياى أن ابتهج بها الصغير و هدج إليها الكبير.

و لما مهّد المقدّمه الشريفه المنبئه عن عدم رغبته فى الولاية و الخلافه و رفع بها منتهما عليه فى المبايعه رتبّ عليها الجواب عن نقمهما الأول أعنى مسأله المشاوره و قال:

(فلما أفضت) أى وصلت الخلافه (إلى نظرت إلى كتاب الله عزّ و جلّ (و) إلى (ما وضع لنا) أى ما وظفه لنا و ألزمه علينا معاشر الأئمه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الحكم بين الناس بالعدل حيث قال «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللّهِ».

روى فى البحار عن العياشى عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبى

عبد الله عليه السلام قال: في قراءه علي عليه السلام «كنتم خير أئمة أخرجت للناس» قال: هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

و عن العياشي عن أبي بصير عنه عليه السلام، قال: إنما انزلت هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي الأوصياء خاصه فقال «أنتم خير أئمة» امه «خ» اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر» هكذا و الله نزل بها جبرئيل و ما عنى بها إلا محمدا و أوصياه صلوات الله عليهم.

و قال تعالى أيضا «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» فإن هذه الآية أيضا خطاب لخصوص ولاد الامر، و على كونها خطابا للعموم فيدخل فيه ولاد الامر، و على أى تقدير فقد بين الله وظيفتهم فيها.

قال في مجمع البيان: قيل في معنى هذه الآية أقوال:

أحدها أنها في كل من أؤتمن أمانه من الأمانات و أمانات الله أوامره و نواهيه و أمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال و غيره، و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام.

و ثانيها أن المراد به ولاد الامر أمرهم الله أن يقوموا برعايه الرعية و حملهم على موجب الدين و الشريعة و رواه أصحابنا عن أبي جعفر الباقر و أبي عبد الله الصادق عليهما السلام قالا: أمر الله كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده، و يعضده أنه أمر الرعية بعد هذا بطاعه ولاد الامر.

و روى عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: آيتان إحداهما لنا و الاخرى لكم قال الله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» الآية و قال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» الآية.

و هذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما ائتمن الله عليه الأئمة الصادقين عليهم السلام و لذلك قال أبو جعفر عليه السلام إن الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج من الأمانة و يكون من جملتها الأمر لولاد الامر بقسم الصدقات و الغنائم و غير ذلك

مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ الرِّعْيَةِ، وَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَ الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ» وَقَوْلِهِ «لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ» وَقَوْلِهِ «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ».

(و) إِلَى مَا (أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتَهُ) أَرَادَ بِهِ الْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْإِسْتِحْسَانَاتِ الْعَقْلِيَّةِ كَمَا صَدَرَتْ عَنِ الْمُتَخَلِّفِينَ الثَّلَاثَةَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» وَ «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» وَ «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» وَقَالَ «وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ كَمَا تَرَى صَرِيحَةً فِي وَجُوبِ الْأَخْذِ بِحُكْمِ الْكِتَابِ، وَالْإِيَّاهِ الْأَخِيرَةَ وَإِنْ كَانَتْ خَاصَّةً بِالنَّبِيِّ إِلَّا أَنَّهَا تَعَمُّ الْأَئِمَّةَ الْقَائِمِينَ مَقَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ تَعَمُّ سَائِرَ أَحْكَامِ الشَّرْعِ بِمَقْتَضَى أَدْلِهِ الشَّرْكَهَ فِي التَّكَالُفِ.

وغير خفي على الفطن العارف حسن انطباق مفاد الإيَّاهِ الأخيرة بالمقام فإنَّ الله سبحانه أمر نبيه فيها في الحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله ونهاه عن اتباع هواهم وحذرهم من تفتينهم وأشار إلى توليهم عن حكم الله وإلى ابتغائهم حكم الجاهلية، وكذلك كان حال أمير المؤمنين عليه السلام مع طلحه والزبير اللذين هما تاليا أهل الكتاب فقد كان مراده أن يحكم بحكم الله وبالأخذ بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان مرادهما أن يداخلهما في الأمر ويشاورهما ويتابع هواهما ويسير فيهما وفي غيرهما بسيرة عمر، وكان غرضهما تفتينه وتغييره حكم الله إلى حكم الجاهلية، إذ حكم الجاهلية لم يكن منحصرًا في أحكام أيام الفتره بل كلَّ حكم خالف الكتاب والسنة كما روى في الكافي عن الصادق عن أمير المؤمنين عليه السلام الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية.

وقال الطبرسي في قوله «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» قيل: المراد به كلٌّ من

طلب غير حكم الله فانه يخرج منه إلى حكم الجاهليته و كفى بذلك أن يحكم بما يوجه الجهل دون ما يوجه العلم.

فقد علم بذلك أن تكليف الأئمة عليهم السلام اتباع أمر الله و الأخذ بحكم الله لا الحكم بالرأى و الأهواء كما فى أئمة الجور.

روى فى البحار من تفسير على بن إبراهيم عن حميد بن زياد عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: الأئمة فى كتاب الله إمامان قال الله «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا» لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم و حكم الله قبل حكمهم، قال «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النِّارِ» يقدمون أمرهم قبل أمر الله و حكمهم قبل حكم الله و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب الله.

و كيف كان فمحصيل مفاد قوله عليه السلام إننى نظرت إلى كتاب الله جلّ شأنه و إلى ما عيّن لنا فيه من التكاليف و الأحكام فاتّبعته.

(و) نظرت إلى (ما استسنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم) و شرعه (فاقتديته) و تابعته (فلم) يبق الكتاب و السنه شيئا من الأحكام الشرعيه (احتج فى ذلك إلى رأيكما و لا رأى غيركما) من الاراء الباطله و الاستحسانات الفاسده.

(و لا وقع حكم جهلته) و هذا أحد الوجوه المتقدمه التى أنكرها سابقا على سبيل الاستفهام و نفاه هنا صريحا أى لم يقع حكم شرعى لا أعلم به فأحتاج إلى التعلّم و المشاوره (فأستشير كما و اخوانى من المسلمين) فيه و أتعلّمه منكم (و لو كان ذلك) أى لو وقع حكم كذلك (لم أرغب عنكما و لا عن غيركما).

و لما أجاب عن نقمهما الأوّل شرع فى الجواب عن نقمهما الثانى فقال:

(و أما ما ذكرتما من أمر الاسوه) أى القدوه و اقتدائكما بغير كما فى النصيب و القسمه (فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأى) و من تلقاء نفسى (و لا- وليته هوى منى) أى ما جعلت هوى واليا أو ما باشرته بهوى (بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم) من القسم بالسويه و العدل فى الرعيه و الحال أنه (قد فرغ منه)

و أكمل و لم يبق مجال للكلام (فلم احتج إليكما) و لا إلى غيركما (فيما قد فرغ الله من قسمه و أمضى فيه حكمه) نسبه الفراغ أولا إلى الرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ثانيا إلى الله تنبيها على اتحاد حكمهما لعدم كونه ناطقا عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى و المراد أنه لا- حاجه لى إلى الغير فى مال قد فرغ الله من تقسيمه و حكم فيه بالحكم النافذ الالزامى بأن يقسم بالسويه لا بالتفاوت.

(فليس لكما و الله عندى و لا- لغيركما فى هذا) القسم بالسويه (عتبى) أى ليس لكما و لا- لغيركما على أن ارضيكم و ازيل شكواكم عنى.

ثم دعا لنفسه و لهما بقوله (أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق) أى صرفها إليه (و ألهمنا و اياكم الصبر) أى ألهمنى الصبر على مشاق الخلافه و مقاساه المكاره و المساوى من الرعيه و ألهمكم الصبر على ما تكرهه نفوسكم الاماره من القسم بالسويه و نحوه ممّا مر.

(ثم قال عليه السلام رحم الله رجلا رأى حقا) و عدلا (فأعان عليه) و على العمل به (أو رأى جورا) و ظلما (فردّه) و دفعه (و كان عوننا بالحقّ على صاحبه) أى على صاحب الجور.

و المراد به الجذب إلى طاعته و إعانتة و الصرف عن مخالفته و اعانه ظالميه، لأنه عليه الصلاه و السلام مع الحقّ و الحقّ معه عليه السلام و الصيلاه يدور معه حيثما دار هو عليه التحية و الثناء، فالمعين له عليه الصلاه و السلام معين للحقّ، و المعاند له عليه السلام معاند للحقّ و معين للجور و الباطل.

تكملة و تبصره

روى فى البحار من الامالى أمالى الشيخ عن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت عن أحمد بن عقده قال: حدّثنا الحسن بن صالح من كتابه فى ربيع الأول سنه ثمان و سبعين و أحمد بن يحيى عن محمد بن عمرو عن عبد الكريم عن القاسم بن أحمد عن أبى الصلت الهروى و قال ابن عقده و حدّثناه القاسم بن الحسن الحسينى عن أبى الصلت عن على بن عبد الله بن النّعجه عن أبى سهيل بن مالك عن مالك بن اوس بن

لَمَّا وَلِيَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى بَيْعِهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَجَمَاعَهُ النَّاسَ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ خَذَلُوا وَبَايَعَ النَّاسَ، وَكَانَ عَثْمَانُ قَدْ عَوْدَ قَرِيشًا وَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ، وَصَبَّتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا صَبًّا، وَآثَرُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَخَصَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي أُمِيهِ وَجَعَلَ لَهُمُ الْبِلَادَ وَخَوَّلَهُمُ الْعِبَادَ فَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ وَحَمَلَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبَهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ حَتَّى غَلَبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ فَأَنْكَرَ النَّاسُ مَا رَأَوْا مِنْ ذَلِكَ فَعَاتَبُوهُ فَلَمْ يَعْتَبِهِمْ، وَرَاجَعُوهُ فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَنْ ضَرَبَ بَعْضًا وَنَفَى بَعْضًا وَحَرَّمَ بَعْضًا.

فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْفَعُوهُ وَقَالُوا: إِنَّمَا بَايَعْنَاهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالْعَمَلِ بِهِمَا، فَحَيْثُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمْ طَاعَةٌ فَافْتَرَقَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ عَلَى خَاذِلٍ وَقَاتِلٍ.

فَأَمَّا مَنْ قَاتَلَ فَرَأَى أَنَّهُ حَيْثُ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَاسْتَأْثَرَ بِالْفِئَةِ وَاسْتَعْمَلَ مَنْ لَا يَسْتَأْهِلُ رَأَوْا أَنَّ جِهَادَهُ جِهَادٌ.

وَأَمَّا مَنْ خَذَلَهُ فَإِنَّهُ رَأَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْخِذْلَانَ وَلَمْ يَسْتَوْجِبِ النُّصْرَةَ بِتَرْكِ أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قَتَلَ.

وَاجْتَمَعُوا عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَايَعُوهُ فَقَامَ وَحَمْدُ اللَّهِ وَاثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَآلَهُ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَارَهَا لِهَذِهِ الْوَلَايَةِ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي سَمَاوَاتِهِ وَفَوْقَ عَرْشِهِ عَلَى أَمِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اجْتَمَعْتُ عَلَى ذَلِكَ فَدَخَلْتُ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَيُّمَا وَالٍ وَلِيَ أَمْرًا مَتَى مِنْ بَعْدِي أَقِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ وَنَشَرْتُ الْمَلَائِكَةَ صَحِيفَتَهُ، فَإِنْ نَجَى فَبَعْدَهُ، وَإِنْ جَارَ انْتَفَضَ بِهِ الصِّرَاطُ انْتِفَاضَهُ تَزِيلُ مَا بَيْنَ مَفَاصِلِهِ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَ كُلِّ عَضْوٍ وَعَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ مَسِيرُهُ مِائَةً عَامٍ يَحْرَقُ بِهِ الصِّرَاطُ (١)، فَأَوَّلُ مَا يَلْقَى بِهِ النَّارُ أَنْفَهُ وَحَرَّ وَجْهِهِ، وَلَكِنِّي لَمَّا اجْتَمَعْتُ

علی نظرت فلم یسعی ردّکم حیث اجتمعتم أقول ما سمعتم و أستغفر الله لی و لکم.

فقام إلیه الناس فبايعوه فأول من قام فبايعه طلحه و الزّبير، ثمّ قام المهاجرون و الأنصار و سائر الناس حتی بايعه الناس و كان الذی يأخذ علیهم البیعه عمار بن یاسر و أبو الهیثم بن التیهان و هما یقولان: نبايعکم علی طاعه الله و سنه رسوله و إن لم نف لکم فلا- طاعه لنا علیکم و لا بیعه فی أعناقکم و القرآن أمانا و أمامکم ثمّ التفت علی علیه السّلام عن یمینه و عن شماله و هو علی المنبر و هو یقول:

ألا- لا یقولنّ رجال منکم غدا قد غمرتہم الدّنيا فاتخذوا العقار، و فجّروا الأنهار، و ركبوا الخیول الفارہ، و اتّخذوا الوصائف الرّدقه، فصار ذلک علیهم عارا و شنارا ان لم یغفر لهم الغفّار إذا منعوا ما كانوا فیہ، و صیروا إلی حقوقہم التی یعلمون یقولون حرّمنا علیّ بن أبی طالب و ظلّمنا حقوقنا و نستعین بالله و نستغفره، و أما من كان له فضل و سابقه منکم فانما أجره فیہ علی الله، فمن استجاب لله و لرسوله و دخل فی دیننا و استقبل قبلتنا و أكل ذبیحتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فأنتم أيها الناس عباد الله المسلمون و المال مال الله یقسم بینکم بالسویہ و لیس لأحد علی أحد فضل إلاّ بالتقوی، و للمتقین عند الله خیر الجزاء و أفضل الثواب، لم یجعل الله الدّنيا للمتقین جزاء و ما عند الله خیر للأبرار، إذا كان غدا فاعدوا فإنّ عندنا مالا اجتمع فلا یتخلّفن أحد كان فی عطاء أو لم یکن إذا كان مسلما حرا، احضروا رحمکم الله.

فاجتمعوا من الغد و لم یتخلّف عنه أحد، فقسم بینهم ثلاثه دنانیر لكلّ إنسان الشریف و الوضیع و الأحمر و الأسود و لم یفضّل أحدا و لم یتخلّف عنه أحد إلاّ- هؤلاء الرّهط طلحه و الزّبير و عبد الله بن عمر و سعید بن العاص و مروان بن الحکم و ناس معهم، فسمع عیید الله بن أبی رافع و هو کاتب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام عبد الله بن الزّبير و هو یقول للزّبير و طلحه و سعید بن العاص لقد التفت إلی زید بن ثابت فقلت له: ایاک اعنی و اسمعی یا جاره فقال عیید الله یا سعید بن العاص و عبد الله بن الزّبير إنّ الله یقول فی کتابه «وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» قال عیید الله فأخبرت علیا علیه السّلام فقال

عليه السّلام لان سلمت لهم لأحملنهم على الطريق قاتل الله ابن العاص لقد علم في كلامي أني اريده و أصحابه بكلامي و الله المستعان.

قال مالك بن الأوس: و كان عليّ بن أبي طالب اكثر ما يسكن القناه، فيينا نحن في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحه فجلسا ناحيه عن عليّ، ثم طلع مروان و سعيد و عبد الله بن الزّبير و المسور بن محزمه، فجلسوا و كان عليّ عليه السّلام جعل عمار بن ياسر على الخيل، فقال لأبي الهيثم بن التيهان و الخالد بن زيد أبي أيّوب و لأبي حيه و لرفاعه بن رافع في رجال من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قوموا إلى هؤلاء القوم فانه بلغنا عنهم ما نكره من خلاف أمير المؤمنين امامهم و الطعن عليه و قد دخل معهم قوم من أهل الجفاء و العداوه فانّهم سيحملونهم على ما ليس من رأيهم فقال، فقاموا و قمنا معهم حتّى جلسوا إليهم.

فتكلّم أبو الهيثم بن التيهان فقال: إنّ لكم لقدما في الاسلام و سابقه و قرابه من أمير المؤمنين عليه السّلام و قد بلغنا عنكم طعن و سخط لأمر المؤمنين فان يكن أمر لكما خاصّه فكاتبنا ابن عمّتكما و امامكما، و إن كان نصيحه للمسلمين فلا تؤخّراه عنه و نحن عون لكما فقد علمتما أنّ بنى اميه لن تنصحكما و قد عرفتما و قال أحمد عرفتم عداوتهم لكما و قد شرّكتما في دم عثمان و مالأتما.

فسكت الزبير و تكلّم طلحه فقال:

افرغوا جميعا ممّا تقولون، فأنّى قد عرفت أنّ في كلّ واحد منكم خطبه فتكلّم عمّار بن ياسر رحمه الله فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و قال:

أنتما صاحبا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد اعطيتم إمامكم الطاعه و المناصحه و الميثاق على العمل بطاعه الله و طاعه رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أن يجعل كتاب الله اماما.

قال أحمد و جعل كتاب الله اماما ففيم السخط و الغضب على عليّ بن أبي طالب فغضب الرّجال للحق انصرا نصر كما الله.

فتكلّم عبد الله بن الزبير، فقال: لقد تهدّدت يا أبا اليقظان.

فقال عمار: ما لك تتعلق في مثل هذا يا أعبس ثم أمر به فاخرج.

فقام الزبير فقال: أعجلت يا أبا اليقظان على ابن أخيك رحمك الله.

فقال عمار: يا أبا عبد الله انشدك الله أن تسمع قول من رأيت فانكم معشر المهاجرين لم يهلك من هلك منكم حتى استدخل في أمره المؤلفه قلوبهم.

فقال الزبير: معاذ الله أن نسمع منهم.

فقال عمار: و الله يا أبا عبد الله لو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما خالفته ولا زالت يدي مع يده، وذلك لأن عليا لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فاني أشهد أنه لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحدا.

فاجتمع عمار بن ياسر و أبو الهيثم و رفاعه و أبو أيوب و سهل بن حنيف فتشاوروا أن يركبوا إلى علي عليه السلام بالقناه فتخبروه بخبر القوم، فركبوا إليه فأخبروه باجتماع القوم و ما هم فيه من إظهار الشكوى و التعظيم لقتل عثمان، و قال له أبو الهيثم: يا أمير المؤمنين انظر في هذا الأمر.

فركب بغله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و دخل المدينة و صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و اجتمع أهل الخير و الفضل من الصحابه و المهاجرين فقالوا لعلي: إنهم قد كرهوا الاسوه و طلبوا الاثره و سخطوا لذلك، فقال علي عليه السلام: ليس لأحد فضل في هذا المال، و هذا كتاب الله بيننا و بينكم و نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم و سيرته.

ثم صاح بأعلى صوته: يا معشر الأنصار أتمنّون عليّ باسلامكم أنا أبو الحسن القرم(1) و نزل عن المنبر و جلس ناحية المسجد و بعث إلى طلحه و الزبير فدعاهما ثم قال لهما: ألم يأتينى و تبايعانى طائعين غير مكرهين فما أنكرتم أجور في حكم أو استيثار في فيء؟ قالا: لا.

ص: ٧٢

١- (١) - القرم أى المقدم فى رأى، و القرم فحل الابل، أى أنا فيهم بمنزله الفحل فى الابل، بحار

قال: أو في أمر دعوتاني إليه في أمر المسلمين فقصرت عنه؟ قال: معاذ الله.

قال: فما الذي كرهتما في أمري حتى رأيتما خلافي؟ قال: خلافتك لعمر بن الخطاب في القسم و انتقاصنا حقنا من الفيء، جعلت حظنا في الاسلام كحظ غيرنا مما أفاء الله علينا بسيوفنا ممّن هو لنا فيء، فسوّيت بيننا وبينهم.

فقال عليّ: الله أكبر اللهمّ إنني اشهدك و اشهد من حضر عليهما أما ما ذكرتما من الاستيثار فو الله ما كانت لي في الولاية رغبة و لا- لي فيها محبة، و لكنكم دعوتموني إليها و حملتموني عليها فكرهت خلافتكم، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله و ما وضع و امر فيه بالحكم و قسم و سنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأمضيته و لم احتج فيه إلى رأيكما و دخولكما معي و لا- غيركما و لم يقع أمر جهلته فأثقوى فيه برأيكما و مشورتكما، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما إذا لم يكن في كتاب الله و لا في سنّه نبينا، فأما ما كان فلا يحتاج فيه إلى أحد.

و أما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه و وجدت أنا و أنتما ما قد جاء به محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم من كتاب الله فلم أحتج فيه إليكما قد فرغ من قسمه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و أما قولكما جعلتنا فيه كمن ضربناه بأسيا فإنا و أفاء الله علينا و قد سبق رجال رجالا فلم يضرهم و لم يستأثر عليهم من سبقهم لم يضرهم حتّى استجابوا لربهم، و الله ما لكم و لا لغيركم إلّا ذلك ألهمنا الله و إياكم الصبر عليه.

فذهب عبد الله بن الزبير يتكلّم فامر به فوجئت عنقه و اخرج من المسجد و هو يصيح و يقول: ردّوا إليه بيعته.

فقال عليّ عليه السّلام: لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه و لا مدخلكما في أمر خرجتما منه.

فقاما عنه فقالا: أما أنّه ليس عندنا أمر إلّا الوفاء، قال:

فقال عليه السلام: رحم الله عبدا رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فردّه و كان عوناً للحقّ على من خالفه.

و روى الشّارح المعتزلى فى شرح الخطبه الحادى و التسعين عن أبى جعفر الاسكافى من كتابه الذى نقض به كتاب العثمانيه للجاحظ قال:

قال أبو جعفر: لما اجتمعت الصّحابه فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم بعد قتل عثمان للنظر فى أمر الامامه أشار أبو الهيثم بن التيهان و رفاعه بن رافع و مالك بن العجلان و أبو أيوب الأنصارى و عمّار بن ياسر بعلّى عليه السّلام و ذكروا فضله و سابقته و جهاده و قرابته، فأجابهم النّاس إليه فقام كلّ واحد منهم خطيباً بذكر فضل علىّ عليه السّلام، فمنهم من فضّله على أهل عصره خاصّه، و منهم من فضّله على المسلمين كلّهم كافه، ثمّ بويح فصعد المنبر فى اليوم الثانى من يوم البيعه و هو يوم السّبت لاحدى عشر ليله بقين من ذى الحجه، فحمد الله و أثنى عليه و ذكر محمّداً صلّى الله عليه وآله و سلّم فصلّى عليه، ثمّ ذكر نعمه الله على أهل الاسلام، ثمّ ذكر الدّنيا فرّدهم فيها و ذكر الاخره فرغبهم إليها ثمّ قال:

أما بعد فأنّه لما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم استخلف النّاس أبا بكر، ثمّ استخلف أبو بكر عمر، فعمل بطريقه ثمّ جعلها شورى بين ستّه فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم و عرفتم ثمّ حصر و قتل، ثمّ جئتمونى فطلبتم إلىّ و إنّما أنا رجل منكم لى ما لكم و علىّ ما عليكم، و قد فتح الله الباب بينكم و بين أهل القبله، و أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم و لا يحمل هذا الأمر إلّا- أهل الصّبر و النصر و العلم بمواقع الأمر، و إنى حاملكم على منهج نبيكم، و منفذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لى و بالله المستعان ألا- إنّ موضعى من رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم بعد وفاته كموضعى منه أيام حياته، فامضوا لما تؤمرون و قفوا عند ما تنهون عنه، و لا تعجلوا فى أمر حتّى نبيّنه لكم، فإنّ لنا عن كلّ أمر تنكرونه عذراً، ألا و إنّ الله عالم من فوق سمائه و عرشه أنى كنت كارهاً للولايه على امه محمّداً صلّى الله عليه وآله و سلّم حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم يقول: أيّما وال ولى الامر من بعدى

أقيم على حدّ الصراط و نشرت الملائكه صحيفته، فان كان عادلا أنجاه الله بعدله و إن كان جائرا انتقض به الصراط حتى تترايل مفاصله ثم يهوى إلى النار، فيكون أوّل ما يتّقيها به أنفه و حرّ وجهه، و لكنى لما اجتمع رأيكم لم يسعنى ترككم.

ثم التفت يمينا و شمالا فقال:

ألا- لا- يقولنّ رجال منكم غدا قد غمرتهم الدّنيا فاتّخذوا العقار و فجّروا الأنهار و ركبوا الخيول الفارहे و اتّخذوا الوصايف الرّذقه، فصار ذلك عليهم عارا و شنارا إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه و اصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون فينقمون ذلك و يستنكرون و يقولون: حرّ منا ابن أبى طالب حقوقنا، ألا و أيّما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته فإنّ له الفضل التّير غدا عند الله و ثوابه و أجره على الله، و أيّما رجل استجاب لله و للرسول فصّدق ملّتنا و دخل فى ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فأنتم عباد الله و المال مال الله يقسم بينكم بالسويه لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتّقين غدا عند الله أحسن الجزاء و أفضل الثّواب، لم يجعل الله الدّنيا للمتّقين أجرا و لا ثوابا، و ما عند الله خير للأبرار، و إذا كان غدا إنشاء الله فاغدوا علينا فإنّ عندنا مالا نقسمه فيكم و لا يتخلّفنّ أحد منكم عربى و لا- عجمى كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلما حرّا، أقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم، ثمّ نزل.

قال أبو جعفر: و كان هذا أوّل ما أنكره من كلامه عليه السّلام و أورثهم الضّغن عليه و كرهوا اعطاءه و قسمه بالسويه فلمّا كان من الغد غدا و غدا النّاس لقبض المال، فقال لعبيد الله بن أبى رافع كاتبه: ابدء بالمهاجرين فنادهم و أعط كلّ رجل ممّن حضر ثلاثه دنانير ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، و من يحضر من الناس كلّهم الأحمر و الأسود فافعل به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامى و قد اعتقته اليوم.

فقال: نعطيه كما نعطيك فأعطى كلّ واحد منهم ثلاثه دنانير، و لم يفضّل أحدا على أحد، و تخلّف عن هذا القسم يومئذ طلحه و الزبير و عبد الله بن عمر و سعيد ابن العاص و مروان بن الحكم و رجال من قريش و غيرها.

قال: وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحه و مروان و سعيد ما خفى علينا أمس من كلام عليّ عليه السلام ما يريد، فقال سعيد بن العاص و التفت إلى زيد بن ثابت: إياك أعنى و اسمعني يا جاره.

فقال عبيد الله بن أبي رافع لسعيد و عبد الله بن الزبير: إنّ الله يقول في كتابه «وَلَكِنَّ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ».

ثمّ إنّ عبيد الله بن أبي رافع أخبر عليا عليه السّلام بذلك فقال عليه السلام إنّ بقيت و سلمت لهم لاقينهم على المحجّة البيضاء و الطريق الواضح، قاتل الله بنى العاص لقد عرف من كلامي و نظري إليه أمس أنّي أريده و أصحابه ممّن هلك فيمن هلك.

قال: فبينما الناس في المسجد بعد الصّبح إذ طلع الزبير و طلحه فجلسا ناحيه عن عليّ عليه السلام ثمّ طلع مروان و سعيد و عبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما، ثمّ جاء قوم من قریش فانضمّوا إليهم فتحدّثوا نجيا ساعه.

ثمّ قام الوليد بن عقبه بن أبي معط فجاء إلى عليّ عليه السّلام فقال: يا أبا الحسن قد و ترتنا جميعا أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا و خذلت أخى يوم الدار بالأمس، و أمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب و كان ثور قریش، و أمّا مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه و نحن اخوتك و نظراؤك من بنى عبد مناف، و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيّام عثمان، و أن تقتل قتلته و أنا إن خفناك تركنا و التحقنا بالشام.

فقال عليه السّلام: أمّا ما ذكرتم من وترى إياكم فالحقّ و تركم، و أمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لى أن أضع حقّ الله عنكم و لا- عن غيركم، و أمّا قتلى قتله عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس و لكن لكم عليّ إن خفتهموني أن أومنكم و إن خفتكم أن اسيركم فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم و افترقوا على إظهار العداوه و إشاعة الخلاف فلمّا ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه: قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فانه قد بلغنا عنهم و رأينا منهم ما نكره من خلاف و طعن على إمامهم و قد دخل أهل الجفا بينهم و بين الزّبير، و الاعسر العاق يعنى طلحه.

فقام أبو الهيثم و عمّار و أبو أيّوب و سهل بن حنيف و جماعه معهم على عليّ

فقالوا يا أمير المؤمنين انظر في أمرك و عاتب قومك هذا الحي من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك و أخلفوا وعدك و قد دعونا في السر إلى رفضك هداك الله لرشدك، و ذاك لأنهم كرهوا الاسوه و فقدوا الاثره و لما آسيت بينهم و بين الأعاجم أنكروا و استأثروا عدوك و أعظموه و أظهروا الطلب بدم عثمان فرقه للجماعه و تألفا لأهل الضلاله فرأيتك.

فخرج على عليه السلام فدخل المسجد و صعد المنبر مرتديا بطاق مؤتزا ببرد قطري(١) متقلدا سيفاً متوكئاً على قوس فقال:

أما بعد فإنا نحمد الله ربنا و إلهنا و ولينا و ولي النعم علينا الذي أصبحت نعمه علينا ظاهره و باطنه امتناناً منه بغير حول منا و لا قوه ليلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده و من كفر عذبه، فأفضل الناس عند الله منزله و أقربهم من الله وسيله أطوعهم لأمره و أحملهم «أعملهم خ» بطاعته و أتبعهم لسنته رسوله و أحياهم لكتابه، ليس لأحد عندنا فضل إلا بطاعه الله و طاعه الرسول، هذا كتاب الله بين أظهرنا و عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و سيرته فينا لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق منكر قال الله تعالى «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» ثم صاح بأعلى صوته: أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان توليتم فإن الله لا يحب الكافرين، ثم قال: يا معشر المهاجرين و الأنصار أتمنّون على الله و رسوله باسلامكم بل الله يمتنّ عليكم أن هديكم للإيمان إن كنتم صادقين ثم قال: أنا أبو الحسن - و كان يقولها إذا غضب -.

ثم قال: ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتتم تتمنونها و ترغبون فيها و أصبحت تغضبكم و ترضيكم ليست بداركم و لا منزلكم الذي خلقتكم له، فلا تغرّنكم فقد حذرتموها و استتمّوا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعه الله و الذلّ لحكمه جلّ ثناؤه، فأما هذا الفى، فليس لأحد على أحد فيه اثره، فقد فرغ الله من قسمته فهو

ص: ٧٧

مال الله و أنتم عباد الله المسلمون، و هذا كتاب الله به أقررنا و إليه أسلمنا و عهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتول كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله و الحاكم بحكم الله لا وحشه عليه.

ثم نزل عن المنبر فصلّى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر و عبد الله بن خلّ القرشي إلى طلحه و الزبير و هما في ناحية المسجد، فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه فقال لهما:

نشدتكما الله هل جئتما طائعين للبيعة و دعوتماي إليها و أنا كاره لهما؟ قالا: نعم.

فقال: غير مجبرين و لا مقسورين فأسلمتما لى بيعتكما و أعطيتماي عهدكما قالا: نعم.

قال: فما دعاكما إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضى الامور و لا تقطعها دوننا، و أن تستشيرنا فى كلّ أمر و لا تستبدّ بذلك علينا و لنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم و تقطع الأمر و تمضى الحكم بغير مشاورتنا و لا علمنا.

فقال عليه السلام: لقد نقمتما يسيرا و أرجاتما كثيرا فاستغفرا الله يغفر كما ألا تخبراننى أدفعتكما عن حقّ و جب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ الله.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسى بشى؟ قالا: معاذ الله.

قال: فوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قال:

معاذ الله.

قال: فما الذى كرهتما من أمرى حتّى رأيتما خلافى؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب فى القسم إنك جعلت حقنا فى القسم كحقّ غيرنا و سوّيت بيننا و بين من لا- يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا و رماحنا و أو جفنا عليه بخيلنا و ظهرت عليه دعوتنا و أخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الاسلام إلّا كرها فقال: أما ما ذكرتماه من أمر الاستشاره فو الله ما كانت لى فى الولاية رغبة،

و لكنكم دعوتوموني إليها و جعلتموني عليها فخفت أن أردكم فتختلف الامة فلما افضت إلى نظرت في كتاب الله و سنته رسوله فأمضيت ما ولاني عليه و اتبعته و لم احتج إلى رأيكما فيه و لا- رأي غيركما، و لو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه و لا في السنه برهانه و احتج إلى المشاوره فيه لشاورتكما فيه.

و أما القسم و الاسوه فان ذلك أمر لم أحكم فيه بادية بدء، قد وجدت أنا و أنتم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحكم بذلك و كتاب الله ناطق به و هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و أمّا قولكما جعلت فيننا و ما أفاءه سيوفنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا فقدima سبق إلى الاسلام قوم و نصره بـسيوفهم و رماحهم فلا فضّ لهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في القسم و لا آثرهم بالسّيق و الله سبحانه موفّ السّابق و المجاهد يوم القيامة أعمالهم و ليس لكما و الله عندي و لا لغيركما إلّا هذا، أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ و ألهمنا و آياكم الصّبر - ثمّ قال - رحم الله امرء رأى حقاً فأعان عليه و رأى جوراً فردّه و كان عوناً للحقّ على من خالفه.

قال أبو جعفر: و قد روى أنّهما قالاه عليه السّلام وقت البيعه: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر.

فقال: و لكنكما شريكاي في الفء لا أستأثر عليكما و لا على عبد حبشي مجدّع بدرهم فما دونه، لا أنا و لا ولدای هذان، فان أبيتم إلّا لفظ الشّركه فأنتم عونان لي عند العجز و الفاقة لا عند القوّه و الاستقامه.

قال أبو جعفر: فاشترط ما لا يجوز في عقد الامامه و شرط عليه السّلام لهما ما يجب في الدّين و الشريعة.

قال الشّارح المعتزلي بعد نقله هذا الكلام من الاسكافي:

فان قلت: فانّ أبا بكر قسّم بالسويّه كما قسّمه أمير المؤمنين و لم ينكروا ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين فما الفرق بين الحاليتين؟ قلت: إنّ أبا بكر قسّم محتديا لقسم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فلما ولي عمر الخلافه

و فضّل قوما على قوم ألفوا ذلك و نسوا تلك القسمة الاولى و طالت اَيام عمر و اشربت قلوبهم كثره العطاء و حبّ المال، و أمّا الذين اهتضموا ففنعوا و مزّنوا على القناعه و لم يخطر لأحد من الفريقين أنّ هذه الحال تنتقض أو تتغيّر بوجه ما.

فلما ولي عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه، فازداد وثوق القوم بذلك و من ألف أمرا شقّ عليه فراقه و ترك العاده فيه.

فلما ولي أمير المؤمنين أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان في اَيام رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أبى بكر و قد نسي ذلك و رفض و تخلل بين الزّمانين اثنتان و عشرون سنه فشقّ ذلك عليهم و أكبروه حتّى حدث ما حدث من نقض البيعه و مفارقة الطّاعه، و لله أمر هو بالغه.

الترجمه

از جمله کلام نصیحت انجام آن امام است که خطاب فرموده طلحه و زبیر را بعد از آنکه بیعت کردند با او بخلاف او و عتاب کردند مر او را بجهت ترک نمودن آن بزرگوار مشاوره ایشان را و نخواستن اعانت از ایشان را در امور خلافت می فرماید:

بتحقیق ایراد نمودید چیز مختصری را و تأخیر انداختید چیز زیاد را، چرا خبر نمی دهید بمن کدام چیزی که شما را در آن حق بوده است من مانع از حقّ شما شده ام؟ و کدام سهم و حصّه از بیت المال من علاوه از شما برداشته و بشما نداده ام یا کدام حقّی که یک نفر مسلمان نزد من آورده از اجراء آن ضعیف بوده ام یا بحکم آن جاهل شده یا در دلیل آن خطا نموده؟ قسم بخدای تعالی نبود مرا در خلافت هیچ رغبت و نه در ولایت هیچ حاجتی و لیکن شما خواندید مرا بسوی آن و الزام نمودید مرا بر آن، پس هنگامی که رسید بمن نظر نمودم در کتاب عزیز خداوند و بچیزی که واجب فرموده بما و امر نموده ما را بحکم کردن آن، پس تبعیت نمودم بان و نظر نمودم بچیزی

که پیغمبر خدا صلوات الله و سلامه علیه و آله سنت خود قرار داده، پس متابعت کردم آن را پس محتاج نبودم در این خصوص برآی و تدبیر شما، و نه برآی و تدبیر غیر شما، و اتفاق نیفتاده حکمی که جاهل باشم بان تا مشاوره نمایم با شما، یا با سایر برادران خود از مسلمانان، و اگر همچنین حکمی اتفاق می افتاد إعراض نمی کردم از شما و نه از غیر شما.

و اما آن چیزی که اظهار نمودید آن را از امر اسوه یعنی برابری شما با سایرین در قسمت، پس بدرستی که این چیز است من خود سر با رأی خود در آن حکم ننموده و با هوای نفس خود مباشر آن نبوده، بلکه یافتم من و شما چیزی را که آورد آن را حضرت رسالت ماب صلوات الله و سلامه علیه و آله از قسمت بالسویه در حالتی که فارغ شده بود از آن، پس احتیاج نداشتم من بشما در چیزی که خدا از قسمت آن فارغ بوده و امضای حکم خود را در آن فرموده، پس نیست شما را بحق خدا در نزد من و نه غیر شما را این که ترضیه خواطر و ازاله شکایت شما را نمایم، برگرداند خداوند قلبهای ما و قلبهای شما را بسوی حق، و الهام فرماید بما و شما صبر را.

پس از آن فرمود: رحمت کند خدا مردی را که بیند حق را پس اعانت نماید بان، یا بیند ظلم و ستم را پس رفع نماید آن را، و باشد معین بحق بر ضرر صاحب جور و ظلم.

و من کلام له علیه السلام و هو المأثان

اشاره

و الخامس من المختار فی باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلی من کتاب نصر بن مزاحم فی شرح المختار السادس و الأربعین باختلاف تطلع علیه إنشاء الله و قد سمع قوما من أصحابه یسّبون أهل الشّام أیّام حربهم بصفّین -

ص: ۸۱

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ، وَ أُبْلَغَ فِي الْعَذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اَللّٰهُمَّ احْقِنِ دِمَائَنَا وَ دِمَائِهِمْ، وَ أَصْلِحِ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنَهُمْ، وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جَهْلِهِ، وَ يَرْعَوْى عَنِ الْغَىِّ وَ الْعِدْوَانِ مِنْ لَهْجِ بِهِ.

اللغة

(السب) الشتم كالسب باب بكسر السين و تخفيف الباء من سبه يسبه من باب نصر، و رجل مسبّ بكسر الميم و سبّ و سباب كثير السبّ، و التسابّ التشاتم و رجل سبه بالضّم أى يكثر الناس سبه و سببه كهمزه أى كثير السب للناس و السبابه الأصبع التى تلى الابهام لأنها يشار بها عند السبّ.

و (حقنت) الماء فى السقاء حقنا من باب نصر جمعته فيه و حقنت دمه خلاف هدرته أى منعته أن يسفك.

و (البين) بالفتح من الأضداد يطلق على الفرقة و الوصل قال تعالى «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» أى وصلكم و يكون اسما و ظرفا متمكنا قال الفيومى: البين يطلق على الوصل و على الفرقة و منه ذات البين للعداوة و البغضاء و قولهم لاصلاح ذات البين أى لاصلاح الفساد بين القوم، و المراد إسكان النائرة و بين ظرف مبهم لا- يتبين معناه إلاّ بالاضافه إلى اثنين فصاعدا أو ما يقوم مقام ذلك كقوله تعالى «عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ».

و (ارعوى) عن القبيح ارتدع عنه و رجع و (الغى) الضلال و روى العمى بدله و (لهج) بالشىء لهجا من باب تعب أولع به.

الاعراب

قوله: و قلتم عطف على قوله: و وصفتم فتدخل عليه لو و حذف جوابها بدلاله الجواب السابق عليه أى و لو قلتم مكان سبكم هذا الدعاء لكان أحسن و أصوب.

وقوله: ذات بيننا وبينهم باضافه ذات إلى بين، وبينهم على ما رأيناه في عدّه من النسخ بالنصب عطف على ذات، والأصوب أن يكون بالجَرّ عطفا على بيننا.

و ذات إمّا بمعنى صاحبه كما في قوله تعالى «وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا» فتكون كناية عن نائره العداوه والبغضاء، وبيننا وبينهم على هذا ظرف مكان أى اصلح ما بيننا وبينهم من البغضاء والعداوه، ولَمّا كانت العداوه مصاحبه البين و ملابسه له اضيفت إليه كما أنّ الضمائر لمّا كانت ملابسه للصدور قيل: ذات الصدور.

و إمّا بمعنى نفس الشيء و حقيقته كما في قولهم: ذات يوم و ذات ليله، وقد فسّر بهما قوله تعالى «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى عليم بما في الصدور من الصّماير أو عليم بنفس الصدور و بواطنها، و بين على هذا المعنى الثانى يجوز أن يكون ظرفا، و أن يكون اسما بمعنى الفرقه و الوصل حسبما تعرف في بيان المعنى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام كما قاله الرضى و يأتى فى روايه الطبرسى أيضا خاطب به أصحابه (و) ذلك أنّه (قد سمع قوما من أصحابه يستبون أهل الشام أيام حربهم بصفين) فمنعهم بهذا الكلام من باب التأديب و الارشاد إلى القول الصواب و كرايم الأخلاق المطلوبه فى كلّ باب.

و قبل الشروع فى شرح كلامه ينبغى أن نمهّد مقدّمه فقهيّه فى جواز السبّ و عدم جوازه مطلقا أو فى الجملة تحقيقا للمقام و توضيحا لمرام الامام عليه السلام.

فأقول و بالله التوفيق:

السبّ لغه هو الشتم كقولك يا شارب الخمر، يا آكل الرّبا، يا ملعون، يا خائن، يا فاجر، يا فاسق، يا حمار، يا كلب، يا ابن الكلب و نحو ذلك، أو يا أعور يا أعمى يا أجذم، يا أبرص، و نحوها، و يشمل القذف أيضا مثل يا ابن الزانيه، يا ابن الحرام، و يا ديوث، و يا قواد، و مثل ذلك.

و هو إما فى حقّ المؤمن، أو فى حقّ غيره من المنافق و الكافر و النّاصب.

أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَسَبَّهَ حَرَامٌ مُطْلَقًا، سِوَاءَ كَانَ مُتَضَمِّنًا لِلْقَذْفِ أَمْ لَا وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ الْمُسْتَفِيضَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ جَمْلُهُ مِنْهَا فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ الْمَاءِ وَ الثَّانِي وَ التَّسْعِينَ خُصُوصًا وَ عُمُومِ الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى حُرْمَةِ إِهَانَةِ الْمُؤْمِنِ وَ اسْتِحْقَارِهِ وَ اسْتِذْلَالِهِ.

مِثْلُ مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي بِسَنَدِهِ عَنْ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ لِي: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرَصَدَنِي بِالْمَحَارِبَةِ وَ مِنْ حَارِبِنِي حَارِبَتَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ وَ مَنْ وَلِيَّكَ هَذَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ حَارِبِكَ حَارِبَتَهُ، قَالَ: ذَاكَ مَنْ أَخَذَتْ مِيثَاقَهُ لَكَ وَ لَوْصِيكَ وَ لَذَرَيْتُكَمَا بِالْوِلَايَةِ.

وَ فِيهِ عَنِ الْمُعَلَّى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: قَدْ نَابَذَنِي مِنْ أَذَلَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ.

وَ عَنِ الْمُعَلَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

مَنْ اسْتَذَلَّ عَبْدِي فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارِبَةِ، وَ نَحَوَهَا أَخْبَارُ أُخَرَ.

وَ كَمَا يَحْرَمُ سَبُّهُ يَحْرَمُ لَعْنُهُ أَيْضًا، وَ مَعْنَاهُ الطَّرْدُ وَ الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بَلْ هُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّبِّ فَيَدُلُّ عَلَى حُرْمَتِهِ مَا دَلَّ عَلَى حُرْمَةِ السَّبِّ مُضَافًا إِلَى خُصُوصِ الْأَخْبَارِ النَّاهِيَةِ عَنْهُ.

مِثْلُ مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّعْنَةَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ فَيِّ صَاحِبِهَا تَرَدَّدَتْ فَانْ وَجَدَتْ مَسَاغَا وَ إِلَّا رَجَعْتَ عَلَى صَاحِبِهَا.

وَ فِيهِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّعْنَةَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ فَيِّ صَاحِبِهَا تَرَدَّدَتْ بَيْنَهُمَا فَانْ وَجَدَتْ مَسَاغَا وَ إِلَّا رَجَعْتَ عَلَى صَاحِبِهَا.

وَ عَنْ مُعَلَّى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ غَسَّالٍ عَنْ سَمَاعِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِي مُبْتَدَأً: يَا سَمَاعُ مَا هَذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَ جَمَالِكَ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فَحَاشَا أَوْ سَخَابَا أَوْ لَعَانَا، فَقُلْتُ: وَ اللَّهُ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ إِنَّهُ ظَلَمَنِي، فَقَالَ: إِنْ كَانَ ظَلَمَكَ لَقَدْ

أربيت عليه إنَّ هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي استغفر ربَّك ولا تعد، قلت:

أستغفر الله ولا أعود.

ثمَّ المراد بالمؤمن الذى قلنا بعدم جواز سبِّه و لعنه هل هو مطلق المؤمن أو خصوص من لم يستحق الاستخفاف، ظاهر الأخبار الاطلاق لكنَّ المستفاد من بعض الأخبار و كلمات علمائنا الأبرار هو الاختصاص فيجوز سبُّ المستحق إذا لم يكن متضمَّنًا للقذف.

قال فى البحار بعد ما روى من الكافى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السَّلام قال:

قال: سباب المؤمن فسوق، و قتاله كفر، و أكل لحمه معصية، و حرمة ماله كحرمة دمه: ما عبارته:

السَّباب هنا بالكسر مصدر باب المفاعله، و هو إمَّا بمعنى السَّبِّ أو المبالغه فى السَّبِّ أو على بابهِ من الطرفين و الاضافه إلى المفعول أو الفاعل، و الأوَّل أظهر فيدلُّ على أنَّه لا بأس بسبِّ غير المؤمن إذا لم يكن قذفًا.

بل يمكن أن يكون المراد بالمؤمن من لا يتظاهر بارتكاب الكبائر و لا يكون مبتدعا مستحقًا للاستخفاف.

قال المحقِّق فى الشَّرايع: كلَّ تعريض بما يكرهه المواجه و لم يوضع للقذف لغه و لا عرفا يثبت به التعزير إلى قوله: و لو كان المقول له مستحقًا للاستخفاف فلا حدَّ و لا تعزير، و كذا كلَّ ما يوجب أذى كقوله: يا أجذم أو يا أبرص.

و قال الشَّهيد الثَّانى فى شرحه: لمَّا كان أذى المؤمن الغير المستحقَّ للاستخفاف محرَّمًا فكلَّ كلمه تقال له و يحصل له بها الأذى و لم تكن موضوعه للقذف بالزَّنا و ما فى حكمه لغه و لا عرفا يجب بها التَّعزير بفعل المحرم كغيره من المحرَّمات و منه التَّعبير بالأعراض.

و فى صحيحه عبد الرُّحمن بن أبى عبد الله قال: سألت أبا عبد الله عليه السَّلام عن رجل سبَّ رجلا بغير قذف يعرَّض به هل يجلَّد؟ قال: عليه التعزير.

و المراد بكون المقول له مستحقًا للاستخفاف أن يكون فاسقًا متظاهرا بفسقه

فأنه لا حرمه له حينئذ.

لما روى عن الصادق عليه السلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمه له، ولا غيبه قال: وفي بعض الأخبار: من تمام العبادة الوقيعه في أهل الزيب.

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم أهل البدع والزيب من بعدى فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعه وباهتوهم لئلا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات «في الآخره» انتهى.

وأما غير المؤمن من الكافر والمنافق والمبغض لآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، فلا ريب في جواز لعنهم وجوب معاداتهم والبراءة منهم، وآيات الكتاب وروايات الأئمة الأطياب مشحونه به، قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» وقال «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ».

وفي البحار من العيون باسناد التميمي عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكه والناس أجمعين قال الصادق في عقايده: اعتقادنا في الظالمين أنهم ملعونون والبراءة منهم واجبه قال الله عز وجل «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

وقال ابن عباس في تفسير هذه الايه: سبيل الله عز وجل في هذا الموضع علي بن أبي طالب، والأئمة في كتاب الله عز وجل: إمامان: إمام هدى، وإمام ضلاله قال الله جل ثناؤه: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا» وقال عز وجل في أئمة الضلال «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَآتَبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ».

ولما نزلت هذه الايه «وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من ظلم عليا مقعدى هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتى

و نبوّه الأنبياء من قبلى، و من تولّى ظالما فهو ظالم قال الله عزّ و جلّ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و قال الله عزّ و جلّ «لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» و قال عزّ و جلّ «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» و قال عزّ و جلّ «وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» و الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه، فمن ادعى الامامه و ليس بامام فهو الظالم الملعون، و من وضع الامامه فى غير أهلها فهو ظالم ملعون، انتهى كلامه رفع مقامه.

و أما سبّ هؤلاء و شتمهم فالظاهر جوازه أيضا كما ظهر من المحدث العلامة المجلسى، بل هو ظاهر عبارته الشهيد الثانى أيضا لعدم الرّيب فى فسقهم الموجب للاستخفاف بأى نحو كان.

و يدل على ذلك صريحا ما فى تفسير على بن إبراهيم القمى فى تفسير سورة الأحزاب فى اقتصاص غزوه بنى قريظه قال: فجاء أمير المؤمنين عليه السّلام فأحاط بحصنهم فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن يشتمهم و يشتم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأقبل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على حمار فاستقبله أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: بأبى و أمى يا رسول الله لا تدن من الحصن، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا على لعنهم شتمونى انهم لو رأونى لأذلهم الله، ثم دنا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من حصنهم فقال: يا اخوه القرده و الخنازير و عبده الطاغوت أ تشتمونى إنا إذا نزلنا بساحه قوم فساء صباحهم، فأشرف عليهم كعب بن اسيد من الحصن فقال: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، فاستحى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حتى سقط الرّداء من ظهره حياء مما قاله الحديث.

و يدل عليه أيضا ما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام فى المختار التاسع عشر للاشعث ابن قيس: عليك لعنه الله و لعنه اللاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر، و ما قاله فى المختار المأه و الخامس و الثلاثين للمغيره بن الأخنس يا ابن اللعين الأتر و الشجره التى لا أصل لها و لا فرع، و الأخبار فى هذا المعنى كثيره كما هو غير خفى

هذا كله إذا لم يتضمّن سبهم للقذف، و أمّا إن تضمّن ذلك فلا كالمؤمن.

و يدل على ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عن عمرو بن النعمان الجعفي قال:

كان لأبي عبد الله عليه السّلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكانا فبينما هو يمشى معه في الحذائين (1) و معه غلام سندی له يمشى خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلما نظر في الرابعه قال: يا ابن الفاعله أين كنت؟ قال:

فرّعت أبو عبد الله عليه السّلام يده فصكّ بها جبهه نفسه ثمّ قال عليه السّلام: سبحان الله تقذف أمّه قد كنت أرى أنّ لك ورعا فإذا ليس لك ورع، فقال: جعلت فداك إنّ أمّه سنديّه مشركه فقال عليه السّلام: أما علمت أنّ لكلّ امه نكاحا تنحّ عنى، قال: فما رأيته يمشى معه حتى فرق الموت بينهما، قال: و فى روايه اخرى أنّ لكلّ امه نكاحا يحتجزون به عن الزّنا.

و فى الوسائل من الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي الحسن الحذا قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فسألني رجل ما فعل غريمك قلت:

ذاك ابن الفاعله، فنظر إلى أبو عبد الله عليه السّلام نظرا شديدا قال: فقلت: جعلت فداك إنه مجوسىّ امه اخته، فقال عليه السّلام: أ و ليس ذلك فى دينهم نكاحا.

و إذا تمهّد لك هذه المقدّمه الشريفه و عرفت جواز سبّ غير المؤمن و لعنه و طعنه و الوقيعه فيه فلنرجع إلى شرح المتن و نبين وجه منعه عليه السّلام لأصحابه عن سبّ أهل الشام كما يستفاد من قوله عليه السّلام:

(إنى أكره لكم أن تكونوا سبّابين) و لعلّ النكته فى ذلك أنه عليه السّلام لما كان غرضه الأصلي و مقصوده بالذّات فى جميع حروبه هدايه الانام و إعلاء كلمه الاسلام و انقاذهم من ورطات الجهاله و الضلاله لا القتل و الغاره و الملك و السلطنه بالاصاله كما أشار إلى ذلك فى المختار الزّابع و الخمسين بقوله عليه السّلام حين استبطاء أصحابه اذنه لهم فى القتال بصفين: و أما قولكم شكّا فى أهل الشام فو الله ما دفعت الحرب يوما

ص: ٨٨

إلا- و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهدى بى و تعشو إلى ضوئى، و ذلك أحب إلى من أن اقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء باثامها، و كان حصول هذا الغرض بالرفق و المداراه و الحلم و كظم الغيظ لا بالغلظه و الخشونه و السب و اللعنه، لا جرم منعهم من السب لئلا يبعث على شدّه العناد و مزيد العداوه.

و الى ذلك يومى ما رواه فى الكافى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال:

إن رجلا من بنى تميم أتى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: اوصنى، فكان فيما أوصاه أن قال:

لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوه بينهم.

و يدل على ذلك صريحا قوله تعالى فى سورة بنى إسرائيل «وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا » أى أن الشيطان يفسد بينهم و يغرى بعضهم ببعض و يلقي بينهم العداوه.

قال فى الصافى فى تفسير الايه: قل لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمه التى هى أحسن و لا يخاطبهم بما يغيظهم و يغضبهم إن الشيطان يهيج بينهم المراء و الشر، فلعل المخاشنه بهم يفضى إلى العناد و ازدياد الفساد.

و قال تعالى أيضا فى سورة السجده «لَا تَسِيئُوا إِلَى الْحَسَنَةِ وَلَا السَّيِّئَةِ ادْفَعِ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » قال فى مجمع البيان: لا تستوى الخصله الحسنه و السيئه، فلا يستوى الصبر و الغضب و الحلم و المداراه و الغلظه و العفو و الاسائه، ثم بين سبحانه ما يلزم على الداعى من الرفق بالمدعو فقال: ادفع بالتي هى أحسن، خاطب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: ادفع بحقك باطلهم و بحلمك جهلهم و بعفوك اسائتهم، فانك إذا دفعت خصومك بلين و رفق و مداراه صار عدوك الذى يعاديك فى الدّين بصوره وليك القريب فكأنه وليك فى الدّين و حميمك فى النسب، و ما يلقيها أى ما يلقي هذه الفعله و هذه الحاله التى هى دفع السيئه بالحسنه إلا الذين صبروا على كظم الغيظ و احتمال المكروه، و ما يلقيها أى هذه الخصله إلا ذو نصيب وافر من العقل و الرأى.

و قال تعالى أيضا فى سورة الشورى «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »

«وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: الذين إذا أصابهم البغى من غيرهم هم ينتصرون ممن بغى عليهم، فمن انتصر و أخذ بحقه و لم يجاوز فى ذلك ما حدّ الله فهو مطيع لله و من أطاع الله فهو محمود.

ثم ذكر حدّ الانتصار فقال: و جزاء سيئه سيئه مثلها، قيل: هو جواب القبيح إذا قال أخزأك الله قال أخزأك الله، و سَمَى الثانيه سيئه للمشاكله و كونها فى مقابله الأولى.

ثم ذكر سبحانه العفو فقال: فمن عفى و أصلح فأجره على الله أى فمن عفى عماله المؤاخذه به و أصلح أمره بينه و بين ربّه فتوابه على الله إنه لا يحبّ الظالمين بين سبحانه أنه لم يرغب المظلوم فى العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لحبه إياه و لكنّه ليعرضه بذلك لجزيل الثواب و لحبه الاحسان و الفضل.

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال: و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل معناه من انتصر لنفسه و انتصف من ظالمه بعد ظلمه أى بعد أن ظلم و تعدّى عليه فالمنتصرون ما عليهم من اثم و عقوبه و ذمّ إنّما السبيل أى الاثم و العقاب على الذين يظلمون الناس ابتداء و يبغون فى الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم و لمن صبر و تحمّل المشقه فى رضاء الله و غفر فلم ينتصر فإنّ ذلك الصبر و التجاوز لمن عزم الامور.

فقد علم بما ذكرنا كلّهُ أنّ استكراهه عليه السيّلام لسبّ أهل الشّام لم يكن لتحريمه كما توهمه الشّارح البحرانى، بل لا يراثة ازدياد الفساد و مزيد العداوه و العناد المنافى لغرضه عليه السيّلام، مع أنّ فى الرّفق و المداراه و العفو و الصّيفح من المصالح الدّنيويه و الاخرويّه ما لا تحصى حسبما اشيرت اليها فى الايات الشريفه و الأخبار

و لكون هذه الخصال من مكارم الأخلاق و مزايا الخصال واطب عليها في نفسه كما حثَّ عليها أصحابه.

فقد روى في البحار من كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن رجل عن منازل الجهني عن زيد بن وهب أنَّ علياً مرَّ على جماعه من أهل الشام فيهم الوليد بن عقبة و هم يشتمونه فأخبروه بذلك فوقف في ناس من إخوانه فقال:

انهدوا(١) إليهم و عليكم بالسَّكينة و سيماء السَّكينة و وقار السلام و الله لا قرب قوم من الجهل بالله عزَّ و جلَّ قوم قائدهم و مؤدبهم معاويه و ابن النابغة و ابن الأعور السَّلمي و ابن أبي معيط شارب الحرام و المجلود حدا في الاسلام، و هم اولى يقومون فيقصبوني(٢) و يشتموني و قبل اليوم ما قاتلوني و شتموني و أنا إذ ذاك أدعوهم إلى الاسلام و هم يدعونى إلى عباده الأصنام، الحمد لله و لا- إله إلا- الله و قديما ما عادنى الفاسقون إنَّ هذا هو الخطب الجليل إنَّ فساقا كانوا عندنا غير مرضيين، و على الاسلام و أهله متخوفين، حتَّى خدعوا شطر هذه الامَّة و اشربوا قلوبهم حبَّ الفتنة و استمالوا أهواءهم بالافك و البهتان، و قد نصبوا لنا الحرب، و جدّوا في اطفاء نور الله، و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون، اللهمَّ إنَّهم قد ردّوا الحقَّ فافضض جمعهم، و شتت كلمتهم، و ابلسهم بخطاياهم، فإنَّه لا يذلّ من واليت، و لا يعزّ من عاديت.

فانظر إلى كريم خلقه و شرفه و سودده و حلمه، فإنَّه مع سماعه لشتمهم لعنهم الله كيف كفَّ و حلم و صفح و أمر أصحابه بالهدى إليهم و أوصاهم بالسَّكينة و الوقار و لزوم سيماء الصّالحين، و لعمرى إنَّه عليه السَّلام المصداق الحقّ لقوله تعالى «وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» هذا.

و يحتمل أن يكون السَّرّ في المنع من سبِّ أهل الشام التحرّز من سبِّهم له،

١- (١) - نهّد لعدوّه صمد اليه، ق

٢- (٢) - قصبه عابه، ق

فيكون السَّبُّ لهم و الحال ذلك حراما، و يراد بالكراهه الحرمه لا معناها المعروف في مصطلح المتشرّعه.

فيكون مساقه مساق قوله تعالى «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» قال قتاده: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهله.

و في مجمع البيان نهى الله المؤمنين أن يسبوا الأصنام، لما في ذلك من المفسده فقال: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، أى لا تخرجوا من دعوه الكفار و محاجتهم إلى أن تسبوا ما يعبدون، فإن ذلك ليس من الحجاج في شىء فيسبوا الله عدوا أى ظلما بغير علم و أنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون، فيدلّ على وجوب كفّ اللسان عن المخالفين و عن أئمتهم في مقام عدم التمكن.

و في تفسير على بن إبراهيم قال: حدّثنى أبى عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سئل عن النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الشّرك أخفى من ديب النّمل على صفاء سوداء في ليله ظلماء، قال عليه السّلام: كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبوا الكفار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ» الآية.

و في الصّافى من الكافى عن الصادق عليه السّلام فى حديث: إياكم و سبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوا بغير علم.

بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ المقصود بالايه النهى عن سبّهم لئلا يسبوا وليّ الله فيكون المراد بالايه و المراد بكلام الامام شيئا واحدا.

فقد روى فى الصّافى عن العياشى عن الصادق عليه السّلام أنّه سئل عن هذه الايه فقال عليه السّلام: أرايت أحدا يسبّ الله؟ ف قيل: لا و كيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله.

قال فى الصّافى: و فى الاعتقادات عنه عليه السّلام إنه قيل له: إنا نرى فى المسجد رجلا يطعن بسبّ أعدائكم و يسبّهم، فقال: ما له لعنه الله تعرّض بنا قال الله «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ» الآية.

قال وقال الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الاية: لا تسبّوهم فانهم يسبّون عليكم، قال: و من سبّ ولّى الله فقد سبّ الله قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلّى عليه السلام: من سبّك فقد سبّنى و من سبّنى فقد سبّ الله و من سبّ الله فقد كبّه الله فى منخرية فى نار جهنم فقد تحصّل مما ذكرنا أنّ سبّ أعداء الله و لعنهم و طعنهم مندوب مرغوب شرعا عند التمكن و القدرة، و الكفّ عنهم و الصفح و الاعراض واجب عند عدم الاستطاعة كما قال تعالى «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» و قال «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» هذا.

و لما منعهم من السب رغّبهم بأحسن القول و أصوبه الذى لا يهيج الفساد فقال (و لكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكرتم حالهم) بدل السباب لهم و شرحتهم ما هم عليه من البغى و الظلم و العدوان و اتباع الهوى و الانحراف عن قصد السبيل من باب النصيح و الارشاد و التنبيه على الخطاء (كان أصوب فى القول) لأنه من باب الدفع و الجدل بالتى هى أحسن الأمور بهما فى قوله تعالى «ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ» أى أدفع باطلهم ببيان الحجج على ألطف الوجوه و أوضحها و أقربها إلى الاجابه و القبول نحن أعلم بما يكذبون و يقولون و نجازيهم بما يستحقّون و فى قوله تعالى «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ» قال الطبرسى: أى ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته بالحكمه و الموعظه الحسنه و هو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه و التهديد فى فعله، و فى ذلك تليين القلوب بما توجب الخشوع، و جادلهم بالكلمه التى هى أحسن و المعنى اقتلوا المشركين و اصرفهم عما هم عليه بالرفق و السكينه و لين الجانب فى النصيحه ليكونوا أقرب إلى الاجابه فإنّ الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج (و) كان (أبلغ فى العذر) إن مسّت الحاجه إلى الاعتذار مثل أن لو اعترض عليكم معترض منهم فى قتلهم و قتالهم كان لكم أن تجيبوهم و تعتذروا إليهم بأنا قد ذكرناكم فلم تتذكروا، و نصحناكم فلم تنتصخوا، و وعظناكم فلم تقبلوا، فليس لكم

عندنا عتبي (و) لو (قلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا و دمائهم) أى احفظها و أمسكها من السفك (و اصلح ذات بيننا و بينهم) أى العداوه التى بيننا و بينهم أو أصلح حقيقه فرقتنا و بينونتنا و بدلها بالائتلاف و الاجتماع (و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق) و يفىء إليه (من جهله و يرعوى) أى يرتدع (عن الغى) و الضلال (و العدوان من لهج) و أولع (به) لكان أحسن القول و أجمله.

تكملة

هذا كلام رواه الشارح المعتزلى فى شرح المختار السادس و الأربعين من كتاب صفين لنصر بن مزاحم باختلاف و زياده احببت نقله.

قال: قال نصر: حدثنا عمر بن سعد عن الحرث بن حصين عن عبد الله ابن شريك قال:

خرج حجر بن عدى و عمرو بن الحمق يظهر ان البراءه من أهل الشام، فأرسل على عليه السلام إليهما أن كفّا عما لا ينبغي عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محققين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قال: فلم منعنا من شتمهم؟ قال:

كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين تشتمون و تبرون و لكن لو وصفتم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا و من أعمالهم كذا و كذا كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر، و قلتم مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم: اللهم احقن دماءهم و دماءنا و أصلح ذات بينهم و بيننا و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله و يرعوى عن الغى و العدوان منهم من لهج به، لكان أحبّ إلى و خيرا لكم، فقالا يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك و نتأدّب بأدبك.

و يظهر من هذه الروايه انه عليه السلام كما كان يكره منهم الشتم كذلك يكره اللعن و البراءه للنكته التى قدّمنها، فما قاله الشارح المعتزلى فى شرح المقام:

من أنّ الذى كرهه عليه السلام منهم أنهم كانوا يشتمون أهل الشام و لم يكن يكره منهم لعنهم إياهم و البراءه منهم ليس بوجيه.

از جمله کلام نصیحت انجام آن بزرگوار است در حالتی که شنید جماعتی را از اصحاب خود که فحش می دادند شامیان را در ایام جنگ صفین:

بدرستی که من ناخوش دارم برای شما این که فحاش بشوید، و لیکن اگر تعریف نمائید عملهای ایشان را و ذکر نمائید حالهای ایشان را مقرون بصواب باشد در گفتار، و مقرون بکمال باشد در مقام اعتذار، و اگر بگوئید بجای فحش دادن شما ایشان را: بار پروردگارا نگه بدار خونهای ما و خونهای ایشان را از ریخته شدن، و اصلاح بفرما عداوت و دشمنی میان ما و میان ایشان را، و هدایت کن ایشان را از گمراهی خودشان تا این که بشناسد حق را کسی که جاهل بوده است بان و برگردد از گمراهی و تعدی کسی که حریص و مهیج باشد بان هر آینه این بهتر خواهد شد، اللهم وفقنا للطاعة.

و من کلام له علیه السلام فی بعض ایام صفین و هو

اشاره

المأتان و السادس من المختار فی باب الخطب

و قد رأى الحسن عليه السلام ابنه يتسرع إلى الحرب:

أملكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإني أنفس بهذين - يعني الحسن و الحسين عليهما السلام - على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

قال الرضى أبو الحسن «ره»: قوله: املكوا عني هذا الغلام من أعلى الكلام و أفصحه.

اللغة

(ملکه) یملکه من باب ضرب ملکا بتثلیث المیم احتواء قادرا علی الاستبداد به، فهو مالک و ذاک مملوک و عبد مملکه مثلثه اللام إذا سبی و ملک و لم یملک أبواه

و ملك على الناس أمرهم إذا تولى السلطنة فهو ملك بكسر اللام، و أملكه الشيء و ملكه من باب الافعال و التفعيل بمعنى واحد، و ملكت العجين ملكا من باب ضرب شدته و قوته و أنعمت عجنه، و ملك نفسه منعها من السقوط فى شهواتها و ما تمالك أن فعل أى لم يقدر على حبس نفسه.

و لفظ أملكوا فى أكثر النسخ حسبما صرح به علامه المجلسى أيضا بفتح الألف من باب الافعال.

و ضبطه الشارح المعتزلى بصيغه الثلاثى مجردا قال: الألف فى املكوا وصل لأن الماضى ثلاثى من ملكت الفرس و الدار و العبد أملك بالكسر أى احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه، قال: و عن متعلقه بمحذوف تقديره استولوا عليه و أبعده، و لما كان الملك سبب الهجر على مملوكه عثر بالسبب عن المسبب، انتهى.

و على النسخ المشهوره فلا بد من جعل المزيد بمعنى المجرد كما يستعمل المتعدى مورد اللزم فى نحو كبه فأكب.

و قال الزاوندى فى محكى كلامه: املكوا أى أمسكوه لأجل يقال ما تمالك أن قال، أى ما تماسك و قيل: إنه من ملكت العجين أى خذوه بالشده.

و قال البحرانى: أملكوه شدوه و اضبطوه و (الهد) الهدم بشده و الكسر و (نفس) به من باب فرح ضن و بخل و (انسل) الولد و نسل نسلا من باب ضرب كثر نسله و تناسلوا توالدوا أى ولد بعضهم من بعض.

الاعراب

حرف عن فى قوله أملكوا عنى على قول الشارح المعتزلى و البحرانى بمعناها الأصلية أعنى المجاوزه، أو بمعنى من كما فى قوله «هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» و على قول الزاوندى فهى بمعنى اللام للتعليل كما فى قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اسْمُ تَغْفَارٍ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدِهِ» و الأظهر عندي أنها بمعنى البدل و العوض

كما فى قوله تعالى «وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا».

و قوله لا يهدنى فى بعض النسخ بالنصب على اضمار أن أى لئلا يهدنى، و فى بعضها بالرفع على الغاء ان المضمرة عن العمل كما فى قولهم: و تسمع بالمعيدى خير من أن تراه على روايه الرفع، و قد روى بالوجهين أيضا قول طرفه:

ألا ائهذا الزاجرى احضر الوغى و ان اشهد اللذات هل أنت مخلد

قال علماء الأدب: و انتصاب المضارع فى هذا الشعر بأن شاذ لعدم وقوعه فى جواب أحد الأشياء الستة.

و يحتمل أن يكون انتصاب يهدنى بلفظه كى مضمرة إن جؤزنا إضمارها كما نصبت مظهره فى قوله تعالى «لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ» و قوله «لَكِنِّي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» و قوله «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ» و «لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا» و نحوها.

المعنى

إشارة

اعلم أن هذا الكلام حسبما أشار إليه الرضى قد خاطب به أصحابه فى بعض أيام صفين و قد رأى الامام الهمام أبا محمد الحسن عليه السلام ابنه يتسرع أى يتعجل إلى الحرب فقال لهم:

(أملكوا عني هذا الغلام) أراد به منعهم له من التسرع إليه و حفظهم إياه بدلا منه.

قال الشارح المعتزلى فى وجه علو هذا الكلام و فصاحته على ما أشار إليه السيد: إنه لما كان فى أملكوا معنى العبد أعقبه بعن، و ذلك أنهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين عليه السلام إلا و قد أبعده عنه ألا ترى أنك إذا حجرت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو، فلذلك قال: املكوا عني، انتهى.

و لا بأس به إلا انه انما يحسن لو كان الحسن فى تسرعه إلى الحرب متابعا لأبيه عليه السلام معاقبا له فيستحسن حينئذ أن يقول عليه السلام: ابعده عني، و لكن الرواية لا دلالة فيها على ذلك.

و الأوجه عندى انه عليه السّلام لما شاهد من ابنه مسارعته إلى الحرب و كان بنفسه غير متمكن من حفظه و ممانعته لمكان اشتغاله بكريهه الحرب و القتل و القتال أمر أصحابه بمحافظته عليه السّلام بأحسن تعبير و لطف عبارته و قال لهم: أملكوا أى أملكوه من التسرع، فعدل عن التعبير بلفظ المنع و الضبط و الحفظ و المراقبه و الامساك و ما ضاهاها إلى التعبير بلفظ الملك، لما فيه من الدلاله على التسلط و الاستيلاء و التمكّن من التصرف و القدره على الممانعه و الحفظ بأى وجه أمكن و أى نحو شاء و أراد المالك ما ليس فى غيره من الألفاظ المذكوره، يعنى امنعوه و احفظوه منع المالك لملكه و حفظه إياه.

ثم أكد ذلك بقوله عنى أى كما لو كان ممكنا لى لكنت أملكه و اراقبه غايه المراقبه، فحيث إنه لا يمكن لى ذلك فكونوا مالكين له مراقبين عليه بدلا منى و راقبوه مثل مراقبتى غير متوانين و لا مقصرين.

فقد علم بذلك أنّ فى هذه العبارة من الدلاله على تأكيد المنع و المحافظه ما ليس فى غيرها.

و علل عليه السّلام ذلك بقوله (لا يهدنى) أى لئلا يكسرني لأنّ التسرع إلى الحرب مظنه القتل و الهلاك و موت الولد الصالح المعين خصوصا مثل أبى محمد الحسن عليه السّلام موجب لانك «كذا» ظهر الوالد و ذهاب قوّه قلبه و نور بصره.

ثم علل عليه السّلام بعله ثانيه و قال (فانى أنفس) أى أبخل (بهذين - يعنى الحسن و الحسين عليهما السّلام - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم).

تنبيه

اشاره

قال الشارح المعتزلى:

فان قلت: يجوز أن يقال للحسن و الحسين و ولدهما أبناء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و ولد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و ذريه رسول الله صلى الله عليه و آله و نسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم؟ قلت: نعم لأنّ الله تعالى سماهم ابنه فى قوله «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» و انما عنى الحسن و الحسين و لو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات و سمى الله تعالى

عيسى ذريته إبراهيم في قوله تعالى «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ» إلى أن قال «وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى» ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل.

فان قلت: فما تصنع بقوله تعالى «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ»؟ قلت: أسألك عن أبوتيه لإبراهيم بن ماريه فكل ما تجيب به عن ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين عليهما السلام والجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول: زيد بن محمد على عادتهم في تبني العبد، فأبطل الله ذلك ونهى عن سنه الجاهلية وقال: إنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ أَبَا لَوَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ الْبَاغِينَ المعروفين بينكم ليفتري إليه بالنبوة، وذلك لا ينفي كونه أبا لأطفال لم يطلق عليهم لفظه الرجال كإبراهيم وحسن وحسين عليهم السلام.

فان قلت: أتقول إن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز؟ قلت: لذاذهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن الأصل في الاستعمال الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما أن لا يكون حقيقة في الآخر، ولذاذهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية، ولذاذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع، فجاز إطلاقه في كل حال واستعماله كسائر المجازات المستعملة.

قال: وما يدل على اختصاص ولد فاطمة عليهما السلام دون بنى هاشم كافه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما كان يحل له عليه السلام أن ينكح بنات الحسن والحسين عليهما السلام ولا بنات ذريتهما وإن بعدت وطال الزمان، ويحل له نكاح بنات غيرهم من بنى هاشم من الطالبين وغيرهم وهذا يدل على مزيد الأقربيه وهي كونهم أولاده فان قلت: فقد قال الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعد

وقال حكيم العرب أكثم الصيفي في البنات يذمهنَّ: إنهنَّ يلدن الأعداء ويورثن البعداء.

قلت: إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر، وليس في قول أكثم

ما يدلّ على نفى بنوّتهم و إنّما ذكر أنّهن يلدن الأعداء وقد يكون ولد الرّجل لصلبه عدوّا قال الله تعالى «إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ» و لا ينفى كونه عدوّا كونه ابنا، انتهى.

اقول: ما حقّقه الشّارح هو الحقّ الموافق للتحقيق، و هو مأخوذ من أخبار أهل بيت العصمة و الطهارة حسبما نشير إلى بعضها و ان شئت مزيدا على ذلك فأقول:

لا شكّ إنّ نسبه الابن و البنت إلى الأب و الأم من حيث التّكوين و الخلقه نسبه واحده لكونهما مخلوقين من نطفتهما قال تعالى «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ» أى أخلاط لأنّ ماء الرّجل يختلط بماء المرأة و دمها يكون مشيجا أربعين ليلة، و قال أيضا «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» أى صلب الرّجل و ترائب المرأة أى صدرها، لأنّ متيها يخرج منه و من أجل اتّحاد نسبتهما إليهما فى التّكوّن صحّ إضافتهما إلى كلّ منهما فى مقام التّلفّظ و التعبير من دون تفاوت، فيقال ابن فلان و ابنه فلان و ابن فلانه و ابنه فلانه، و لم يخالف فى صحّه هذه الاضافه أحد من أهل العرف و اللغه أصلا و قد قال تعالى فى كتابه العزيز «وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» و قال «وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا».

فاذا صحّ إضافه الابن إلى الأمّ و الأمّ إلى أبيها و هكذا إضافته إلى الأب و الأب إلى أبيه بلا خلاف فلتصحّ اضافته إلى أب الأمّ كما تصحّ إلى أب الأب، لعدم مانع يتصوّر إلّا الشّعر المتقدّم أعنى قوله:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأبعاد

و هو لا يصلح للمانع.

إما لما قاله الشّارح المعتزلى: من ابتناؤه على كون اطلاق الأبّ على ابن الابن أشهر و أغلب من اطلاقه على ابن البنت، و الشّهره فى الاطلاق لا تدلّ على كونه حقيقه فيه فقط و مجازا فى غيره كما برهن فى الاصول.

أو لا ببتناؤه على مجرى عادّه العرب من إسقاطهم البنات مع كونهنّ أولادا

حقيقه من درجه الأولاد من أجل الاستنكاف و الالفه و النخوه العربيّه و حميّة الجاهليّه كما شرح الله حالهم في قوله «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » و قد بلغوا في الاستنكاف منهم إلى أن جرت عاداتهم على الوئد و القتل حتّى نهاهم الله عن ذلك و عاتبهم عليه في قوله «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ» و قوله «وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » حسبما عرفت تفصيل ذلك في شرح الفصل السادس من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين المعروفه بالقاصعه.

أو لما قاله ابن إدريس في محكى كلامه من السيرائر: من أنّ الشاعر انما أراد بقوله بنونا بنو أبنا آه الانتساب بمعنى أنّ أولاد البنت لا ينسبون إلى أمهم و أنّما ينسبون إلى آبائهم و ليس كلامنا فيه بل في الولاده و هي متحقّقه من جهة الأم من غير خلاف و الذكر و الانثى فيه سواء.

و قد وافقنا على ذلك غير واحد من الأصحاب منهم المرتضى و ابن إدريس و صاحب الجواهر في غير موضع منه، و قد بسط الكلام في ذلك كلّ البسط في كتاب الخمس منه، و قال بعد اختياره موافقه المرتضى في كونه ابنه حقيقه: إنّ يظهر ذلك من جماعه من الأصحاب في غير المقام، بل قد يظهر من المحكى عن ابن إدريس في كتاب المواريث الاجماع عليه كما عن المرتضى فيه أيضا نفى الخلاف فيه، بل و كذا المحكى عن خلاف الشيخ في باب الوقف و الميراث، بل ظاهره فيهما اجماع الامّه على ذلك.

ثم ساق الأدله في ذلك، و أجاب عن الشّعر المتقدم بأنّه مضافا إلى أنّه قول اعرابى جاهل لا يعارض الكتاب و السنّه محتمل لاراده المتعارف المعتاد في جلب المنافع الدنيويّه و المضار بالأولاد و أولادهم دون أولاد البنات، فكانوا كالأبعد بالنسبه إلى ذلك، بل لعلّ ظهور اراده هذا الشاعر المجاز و المبالغه في النفى

شاهده على العكس، اذ من البعيد ارادته بيان الوضع و اللغة فتأمل، انتهى كلامه رفع مقامه.

و الحاصل انا نرى أنهم يستعملون لفظ الابن و الولد فى ابن البنت و ولدها كاستعمالهم لهما فى ابن الابن و ولده مع عدم صحه السلب، فيكونان حقيقه فيهما و لا دليل على المصير إلى المجاز.

و إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد أطلق على الحسين عليهما السلام لفظ الابن فى غير واحد من الأخبار فيكونان ابنه حقيقه.

و من جملة هذه الأخبار الحديث المشهور أنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال فيهما: هذان ابنائى إمامان.

و فى البحار من المناقب عن فردوس الدليمى عن سلمان قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

سمّى هارون ابنه شبرا و شبيرا، و أنّى سميت ابنتى الحسن و الحسين.

و عن الدّار قطنى بالاسناد عن ابن عمر قال: قال صلى الله عليه و آله و سلم: ابنائى هذان سيدا شباب أهل الجنّة و أبوهما خير منهما.

و عن الرّاغب عن أبى هريره و بريده رأيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يخطب على المنبر ينظر إلى الناس مرّه و إلى الحسن مرّه و قال: إنّ ابنى هذا سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين.

و عن عبد الرّحمن بن أبى ليلى قال: كنّا جلوسا عند النبى صلى الله عليه و آله و سلم إذ أقبل الحسين عليه السّلام فجعل ينزو على ظهر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و على بطنه فبال و قال عليه السّلام دعوه، قال أبو عبيد فى غريب الحديث إنّّه قال: لا تزرعوا ابنى أى لا تقطعوا عليه بوله ثمّ دعا بماء فصبّه على بوله.

و عن الطبرى عن طاوس اليمانى عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: رأيت فى الجنّة قصرا من درّه بيضاء لا- صدع فيها و لا وصل، فقلت: حبيبي جبرئيل لمن هذا القصر؟ قال: للحسين ابنك، ثمّ تقدّمت أمامه فاذا أنا بتفّاح فأخذت تفّاحه ففلقته فخرجت منها حوراء كان مقاريم النّسور أشفار عينيها فقلت: لمن أنت؟ فبكت

ثم قالت: لا بئسك الحسين، إلى غير هذه مما لا تطيل بروايتها.

فقد ظهر ممّا ذكرنا و اتّضح كلّ الوضوح أنّه لا شكّ في كونهما عليهما السّلام ابنيه صلّى الله عليه وآله و سلّم حقيقه فلا يستريب فيه إلّا جاهل متعنّت أو جاحد متعصّب، و قد احتجّ على ذلك الأئمه عليهم السّلام و غيرهم أيضا في مجالس المخالفين و غيرها بأحكام بيّنه و برهان.

فقد روى في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ظريف بن ناصح عن عبد الصمد بن بشير عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

قال لي أبو جعفر عليه السّلام: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن و الحسين عليهما السّلام قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم قال عليه السّلام: فبأيّ شيء احتججتهم عليهم؟ قلت: بقول الله عزّ و جلّ في عيسى بن مريم «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُليْمَانَ» إلى قوله «وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» فجعل عيسى من ذريّه إبراهيم قال عليه السّلام:

فأيّ شيء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنه من الولد و لا يكون من الصّلب قال عليه السّلام: فأيّ شيء احتججتهم عليهم؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله عزّ و جلّ «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» الايه قال عليه السّلام: فأيّ شيء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب ابني رجل واحد فيقول أبناؤنا و أنّما هما ابن واحد قال: فقال أبو جعفر عليه السّلام: و الله يا أبا الجارود لأعطينّكها من كتاب الله تسمّى بصلب رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم لا يردها إلّا الكافر، قال: قلت: جعلت فداك و أين؟ قال: حيث قال الله تعالى «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بنَاتُكُمْ» إلى أن ينتهي إلى قوله تعالى «وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» فسلهم يا أبا الجارود هل حلّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم نكاح حليلتهما فإن قالوا: نعم فكذبوا و الله و فجروا، و إن قالوا: لا فهما و الله ابناه للصلب و ما حرمتا عليه إلّا للصلب.

قال المحدث العلامة المجلسي: وجه الاحتجاج بالاياه الأخيره هو اتّفاقهم على دخول ولد البنت في هذه الايه و الأصل في الاستعمال الحقيقه أو أنّهم يستدلّون بهذه الايه على حرمة حليله الولد و لا يتمّ إلّا بكونه ولدا حقيقه للصلب

و فى البحار وجدت فى بعض كتب المناقب مرسلا عن عامر الشَّعبى أَنه قال:

بعث إلَى الحَجَّاج ذات ليله فخشيت فقامت فتوضأت و أوصيت ثم دخلت عليه فنظرت فاذا نطع منشور و السيف مسلول، فسلمت عليه فردَّ عَلَى السَّلام فقال:

لا تخف فقد امتنك اللّيله و غدا إلى الظهر، و أجلسنى عنده.

ثم أشار فاتى برجل مقيد بالكبول و الأغلال فوضعه بين يديه فقال: إنّ هذا الشَّيخ يقول: إنّ الحسن و الحسين كانا ابنى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم ليأتينى بحجّه من القرآن و إلّا لأضربن عنقه، فقلت: يجب أن تحلّ قيده فأنه إذا احتجّ فأنه لا محاله يذهب و ان لم يحتج فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد، فخلّوا قيوده و كبوله فنظرت فاذا هو سعيد بن جبير فحزنت بذلك و قلت: كيف يجد حجّه على ذلك من القرآن، فقال له الحجاج: ائتنى بحجّه من القرآن على ما ادّعت و إلّا أضرب عنقك، فقال له: انتظر، فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشَّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم ثم قال «و وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ» إلى قوله «و كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» ثم سكت، و قال للحجّاج اقرء ما بعده، فقرأ «و زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى» فقال سعيد: كيف يليق ههنا عيسى؟ قال: إنّ كان من ذريته قال: إن كان عيسى من ذريّه إبراهيم و لم يكن له أب بل كان ابن ابنته فنسب إليه مع بعده فالحسن و الحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم مع قربهما منه، فأمر له بعشره آلاف دينار، و أمر بأن يحملوها معه إلى داره و أذن له فى الرّجوع.

قال الشَّعبى: فلما أصبحت قلت فى نفسى قد وجب عَلَى أن آتى هذا الشَّيخ فأتعلم منه معانى القرآن لأئنى كنت أظنّ أنى أعرفها فأتيته فاذا هو فى المسجد و تلك الدنانير بين يديه يفرّقها عشرا عشرا و يتصدّق بها، ثم قال: هذا كلّ بركة الحسن و الحسين عليهما السَّلام لئن كنّا أغمنا واحدا لقد أفرحنا ألفا و أراضين

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّه حصل لهما عليهما السّلام من النّسب ما لم يحصل لغيرهما فإنّهما ابنا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلّم و سبطاه و ولداه و ذريّته و سيّدا شباب أهل الجنّه، فجدهما رسول ربّ العالمين، و أبوهما أمير المؤمنين، و أمّهما سيّده نساء العالمين و هذا هو النّسب الذى تتضائل عنده الأنساب، و الشّرف الذى اسجل بصحّته الاثر و الكتاب.

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نورا و من فلق الصباح عمودا

فهما عليهما السّلام دوحتا النّبوه التى طابت فرعا و أصلا، و شعبتا الفتوّه التى سمت رفعه و نبلا، و إنسانا عيني السيّاده و الفخار، و سليلا الشّرف الذى أظهر الخيلاء فى مضر و نزار، قد اكتنفهما العزّ و الشّرف، فما له عنهما منصرف، و أحاط بهما المجد من طرفيهما، و تصوّرا من الجلاله فكادت أن تقطر من عطفيهما، و تكوّنا من الاريحيه فهى تلوح على شمائلهما، تبدو كما يبدو النهار على مخائلهما، وفاقا فى طيب الاعراق و طهاره الاخلاق رتبه الأواخر و الأوائل، فعلت سماء فضلها حتّى قيل: أين الثريا من يد المتناول، نسبهما يتّصل بمحمد صلّى اللّٰه عليه وآله و سلّم من قبل الأمّ بغير فصل، و من قبل الأب يجتمع فى عبد المطلب فأعجب لطيب فرع و ذكاء أصل.

أنتم ذوو النسب القصير و طولكم باد على الكبراء و الأشراف

الخير إن قيل ابنه العنب اكتفت بأب من الألقاب و الأوصاف

تكميل

قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و السادس و التسعين و بعض الخطب المتضمّنه لذكر النّبىّ جملة من مناقبه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلّم، و تقدّم فى غير موضع من تضاعيف الشرح فصل واف من مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و كراماته و فضائله، و فى شرح المختار الواحد و المأتين جملة من مناقب الصّدّيقه الكبرى سيّده النساء سلام اللّٰه عليها فأحببت أن أذكر هنا شطرا من مناقب الامامين الهمامين السبطين الزّكيين أبى محمّد الحسن و أبى عبد اللّٰه الحسين عليهما السلام تيمّنا بذكر فضائل جميع الخمسه من آل العباء عليهم التحيه و الثناء، راجيا بذلك مزيد الأجر و الذخر يوم الجزاء،

و إن كان مناقبهم الجميله لا تعدّ و لا تحصي، و مآثرهم الجليله لا تحدّ و لا تستقصى، إلا أن الميسور لا يسقط بالمعسور، و عسى أن يدرك المرجوّ بالمقدور.

رويدك إن أحببت نيل المطالب فلا تعد عن ترتيل آي المناقب

مناقب أصحاب الكساء قدوه الورى بهم يبتغى مطلوبه كلّ طالب

مناقب تجلى سافرات وجوها و يجلو سناها مدلهما الغياهب

عليك بها سرّا وجه را فانها تحلل عند الله أعلى المراتب

وجد عند ما يتلو لسانك آينا بدعوه قلب حاضر غير غائب

لمن قام فى تأليفها و اعتنى به ليقضى من مفروضهم كلّ واجب

عسى دعوه تزكو بها حسناته فيحظى من الحسنى بأسمى المواهب

فأقول: روى فى كشف الغمه من كتاب معالم العترة الطاهره للجنابذى عن بريده قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يخطب فأقبل الحسن و الحسين عليهما السلام و عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان، فلما رآهما فنزل فأخذهما ثمّ صعد فوضعهما فى حجره ثمّ قال: صدق الله «أَنْتُمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» رأيت هذين فلم أصبر حتى أخذتهما.

و عن فاطمه عليهما السلام بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنها أتت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و معها الحسن و الحسين عليهما السلام فى مرضه الذى توفى فيه قالت: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إنّ هذين لم تورثهما شيئاً قال صلى الله عليه و آله و سلم: أمّا الحسن فله هيبتي و أمّا الحسين فله جرأتى و جودى.

و عن عبد الله بن عباس قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذ أقبلت فاطمه تبكى، فقال لها النبى صلى الله عليه و آله و سلم. ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله إنّ الحسن و الحسين خرجا فوالله ما أدرى أين سلكا.

فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم لا تبكين فداك أبوك فإنّ الله عزّ و جلّ خلقهما و هو أرحم بهما اللهم إن كانا قد أخذنا فى برّ فاحفظهما، و إن كانا قد أخذنا فى بحر فسلمهما فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد لا تغتم و لا تحزن هما فاضلان فى الدنيا

فاضلان فى الآخره و أبوهما خير منهما و هما فى حظيره بنى النجار نائمين، و قد وَّكَل الله بهما ملكا يحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم و قمنا معه حتى أتينا معه حظيره بنى النجار فاذا الحسن معانق الحسين و إذا الملك قد غطاهما بأحد جناحيه.

قال: فحمل النبى صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم الحسن و أخذ الحسين الملك و الناس يرون أنه صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم حاملهما فقال أبو بكر و أبو أيوب الأنصارى: يا رسول الله ألا نخفف عنك بأحد الصبيّين فقال صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم: دعاهما فانهما فاضلان فى الدّنيا فاضلان فى الآخره و أبوهما خير منهما ثم قال و الله لاشرفنهما اليوم بما شرفهما الله فخطب فقال:

يا أيها الناس ألا اخبركم بخير الناس جدّا و جدّه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن و الحسين جدّهما رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم و جدّتهما خديجه بنت خويلد.

ألا- اخبركم بخير الناس أبا و أما؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الحسن و الحسين أبوهما على بن أبى طالب عليه السّلام و أمّهما فاطمه بنت محمّد صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم.

ألا اخبركم أيها الناس بخير الناس عما و عمه؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال:

الحسن و الحسين عمّهما جعفر بن أبى طالب و عمّتهما أمّ هانى بنت أبى طالب.

أيها الناس ألا- اخبركم بخير الناس خالا- و خاله؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الحسن و الحسين خالهما القاسم بن محمّد و خالتهما زينب بنت محمّد ألا إنّ أباهما فى الجنّه و امهما فى الجنّه و جدّهما فى الجنّه و جدّتهما فى الجنّه و خالهما فى الجنّه و خالتهما فى الجنّه و عمّهما فى الجنّه و عمّتهما فى الجنّه و هما فى الجنّه و من أحبّهما فى الجنّه و من أحبّ من أحبّهما فى الجنّه.

و فى البحار من بعض كتب المناقب القديمه عن محمّد بن أحمد بن على بن شاذان باسناده عن ابن عباس قال:

كنت جالسا بين يدى النبى صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم ذات يوم و بين يديه على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام إذ هبط جبرئيل و معه تفّاحه، فتحيا بها النبى صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم و حيا بها على بن أبى طالب عليه السّلام فتحيا بها على و قبلها و ردّها إلى رسول الله، فتحيا بها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَم

و حَيًّا بِهَا الْحَسَنَ وَ تَحِيًّا بِهَا الْحَسَنَ وَ قَبْلَهَا وَ رَدَّهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فَتَحِيًّا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ وَ حَيًّا بِهَا الْحُسَيْنَ وَ تَحِيًّا بِهَا الْحُسَيْنَ وَ قَبْلَهَا وَ رَدَّهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَتَحِيًّا بِهَا وَ حَيًّا بِهَا فَاطِمَةُ فَتَحِيَّتَ بِهَا وَ قَبْلَتَهَا وَ رَدَّتْهَا إِلَى النَّبِيِّ، فَتَحِيًّا بِهَا الرَّابِعَهُ وَ حَيًّا بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا هَمَّ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ سَقَطَتِ التَّفَاحَةُ مِنْ بَيْنِ أُنَامِلِهِ فَانْفَلَقَتْ بِنَصْفَيْنِ فَسَطَعَ مِنْهَا نُورٌ حَتَّى بَلَغَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَذَا عَلَيْهَا سَطْرَانُ مَكْتُوبَانِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَحِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَ عَلِيِّ الْمُرْتَضَى وَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ سَبْطَى رَسُولِ اللَّهِ وَ أَمَانَ لِمَحَبَّتَيْهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ.

و عن ابن شاذان عن زاذان عن سلمان قال:

أَتَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَانِ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ جَائِعَانِ يَبْكِيَانِ فَخُذْ بِأَيْدِيهِمَا فَاخْرُجْ بِهِمَا إِلَى جَدِّهِمَا فَأَخَذَتْ بِأَيْدِيهِمَا وَ حَمَلَتْهُمَا حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ: مَا لَكُمَا يَا حَسَنَايَ؟ قَالَا: نَشْتَهِي طَعَامًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ اللَّهُمَّ أَطْعِمْهُمَا ثَلَاثًا قَالَ:

فَنَظَرْتُ فَذَا سَفَرَجُلُهُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ شَبِيهَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ حَجَرٍ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَ أَلْيَنَ مِنَ الزَّبَدِ، فَعَرَكَهَا بِأَبْهَامِهِ فَصِيرَهَا نَصْفَيْنِ ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْحَسَنِ نَصْفَهَا وَ إِلَى الْحُسَيْنِ نَصْفَهَا، فَجَعَلَتْ أَنْظُرَ إِلَى النِّصْفَيْنِ فِي أَيْدِيهِمَا وَ أَنَا أَشْتَهِيهَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: يَا سَلْمَانُ هَذَا طَعَامٌ مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَأْكُلُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَنْجُو مِنَ الْحَسَابِ.

و باسناده عن الطبراني باسناده عن سلمان قال:

كُنَّا حَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَقَدْ ضَلَّ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنَ وَ ذَلِكَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: قَوْمُوا فَاطِلْبُوا ابْنَيْ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ تَجَاهَ وَجْهِهِ وَ أَخَذَتْ نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَتَى صَفْحَ الْجَبَلِ وَ إِذَا الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُلْتَرِقَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، وَ إِذَا شَجَاعٌ قَائِمٌ عَلَى ذَنْبِهِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَبَهُ النَّارِ فَأَسْرَعَ لِي «إِلَيْهِ» رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَالْتَفَتَ مُخَاطِبًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، ثُمَّ انْسَابَ فَدَخَلَ بَعْضُ الْأَجْحَرِ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَافْرَقَ بَيْنَهُمَا وَ مَسَحَ

وجوههما و قال بأبى و أمى أنتما ما أكرمكما على الله، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن و الآخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوبى كما نعم المطيه مطيتكما فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: و نعم الراكبان هما و أبوهما خير منهما.

و روى فى المراسيل:

أن الحسن و الحسين عليهما السلام كانا يبكيان، فقال الحسن للحسين عليه السلام: خطى أحسن، و قال الحسين: لا بل خطى أحسن من خطىك، فقال لفاطمه عليهما السلام حكى بيننا فكرهت فاطمه عليها السلام أن تؤذى أحدهما، فقالت لهما: سلا أباكما، فسألاه فكره أن يؤذى أحدهما فقال: سلاجد كما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: لا - أحكم بينكما حتى أسأل جبرئيل فلما جاء جبرئيل قال: لا أحكم بينهما و لكن اسرافيل يحكم بينهما فقال اسرافيل: لا أحكم بينهما و لكن اسأل الله أن يحكم بينهما، فسأل الله ذلك فقال تعالى: لا أحكم بينهما و لكن امهما فاطمه تحكم بينهما، فقالت فاطمه:

أحكم بينهما يا رب و كانت لها قلاده فقالت: أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلاده فمن أخذ منها أكثر فخطه أحسن، فنثرها و كان جبرئيل وقتئذ عند قائمه العرش، فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض و ينصف الجواهر بينهما كيلا يتأذى أحدهما ففعل ذلك جبرئيل إكراما لهما و تعظيما.

و روى ركن الأئمه عبد الحميد بن ميكائيل عن يوسف بن منصور السّاوى عن عبد الله بن محمّد الأزدي عن سهل بن عثمان عن منصور بن محمّد النسفى عن عبد الله ابن عمرو عن الحسن موسى عن سعدان عن مالك بن سليمان عن ابن جريح عن عطا عن عايشه قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جايعا لا يقدر على ما يأكل، فقال لى: هاتى ردائى، فقلت أين تريد؟ قال: إلى ابنتى فأنظر إلى الحسن و الحسين فيذهب بعض ما بى من الجوع، فخرج حتى دخل على فاطمه عليها السلام فقال: يا فاطمه أين ابنائى؟ فقالت:

يا رسول الله خرجا من الجوع و هما يبكيان، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طلبهما فرأى أبا الدرداء فقال: يا عويمر هل رأيت ابني؟ قال: نعم يا رسول الله هما نائمان في ظل حائلي بنى جذعان، فانطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضمهما و هما يبكيان و هو يمسح الدموع عنهما، فقال له أبو الدرداء: دعني أحملهما فقال يا أبا الدرداء دعني أمسح الدموع عنهما فوالذي بعثني بالحق نبيا لو قطرت قطره في الأرض لبقيت المجاعة في امتي إلى يوم القيامة ثم حملهما و هما يبكيان و هو يبكي فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا محمد رب العزة جلّ جلاله يقرؤك السلام و يقول: ما هذا الجزع؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل ما أبكى جزعا بل أبكى من ذل الدنيا، فقال جبرئيل:

إن الله تعالى يقول: أيسرّك أن أحول لك احدا ذهباً و لا ينقص مما عندي شيء؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا، قال: لم؟ قال: لأن الله تعالى لم يحب الدنيا و لو أحبها لما جعلها للكافر أكملها فقال جبرئيل: ادع بالجفنة المنكوبة التي في ناحية البيت، قال: فدعا بها، فلما حملت فاذا فيها ثريد و لحم كثير، فقال: كل يا محمد و أطعم ابنك و أهل بيتك، قال: فأكلوا و شبعوا قال: ثم أرسل بها إلي فأكلوا و شبعوا و هو على حالها، قال ما رأيت جفنة أعظم بركة منها فرفعت عنهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: و الذي بعثني بالحق لو سكّت لتداولها فقراء امتي إلى يوم القيامة.

و في البحار وجدت في بعض مؤلفات أصحابنا أنه روى مرسلا من جماعه من الصحابة قالوا:

دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار فاطمه فقال: يا فاطمه إن أباك اليوم ضيفك، فقالت يا أبت إن الحسن و الحسين يطالباني بشيء من الزاد فلم أجد لهما شيئا يقتاتان به ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل و جلس مع عليّ و الحسن و الحسين و فاطمه عليهم السلام و فاطمه عليها السلام متحيرة ما تدري كيف تصنع، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى السماء ساعه و اذا بجبرئيل قد نزل و قال: يا محمد العليّ الأعلى يقرؤك السلام و يخصّك بالتحية و الاكرام و يقول لك: قل لعلّي و فاطمه و الحسن و الحسين أيّ شيء يشتهون من

فواكه الجنّة؟ فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ و يا فاطمه و يا حسن و يا حسين إنّ ربّ العزّه علم أنّكم جِيع فأَيّ شيء تشتهون من فواكه الجنّة؟ فأمسكوا عن الكلام و لم يردّوا جوابا حياء من النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين: عن إذنك يا أبتا يا أمير المؤمنين و عن إذنك يا أمّاه يا سيّده نساء العالمين و عن إذنك يا أخاه الحسن الزّكي اختار لكم شيئا من فواكه الجنّة.

فقالوا جميعا: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا، فقال: يا رسول الله قل لجبرئيل: إنّنا نشتهي رطبا جتيا فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: قد علم الله ذلك ثمّ قال:

يا فاطمه قومي و ادخلي البيت و احضري إلينا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقا من البلّور مغطى بمنديل من السندس الأخضر و فيه رطب جنّي في غير أوانه فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمه أنّي لك هذا قالت: هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب كما قالت مريم بنت عمران.

فقام النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم و تناوله و قدّمه بين أيديهم ثمّ قال: بسم الله الرحمن الرّحيم ثمّ أخذ رطبه واحده فوضعها في فم الحسين عليه السّلام فقال هنيئا مريئا لك يا حسين، ثمّ أخذ رطبه فوضعها في فم الحسن عليه السّلام و قال هنيئا مريئا لك يا حسن، ثمّ أخذ رطبه ثالثة فوضعها في فم فاطمه الزّهراء عليها السّلام و قال هنيئا مريئا لك يا فاطمه الزّهراء، ثمّ أخذ رطبه رابعة فوضعها في فم عليّ عليه السّلام و قال هنيئا مريئا لك يا عليّ، ثمّ ناول عليّا رطبه اخرى ثمّ رطبه اخرى و النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم يقول له هنيئا مريئا لك، ثمّ وثب النبي قائما ثمّ جلس ثمّ أكلوا جميعا عن ذلك الرّطب.

فلما اكتفوا و اشبعوا ارتفعت المائدة إلى السّماء باذن الله تعالى.

فقال فاطمه: يا أبت لقد رأيت اليوم منك عجا.

فقال: يا فاطمه أمّا الرّطبه الاولى التي وضعتها في فم الحسين و قلت له هنيئا يا حسين فإنّي سمعت ميكائيل و اسرافيل يقولان هنيئا يا حسين فقلت أيضا موافقا لهما في القول، ثمّ أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن فسمعت جبرئيل و ميكائيل يقولان هنيئا لك يا حسن فقلت أنا موافقا لهما في القول، ثمّ أخذت الثالثة فوضعها

فى فمك يا فاطمه فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان يقلن هنيئا لك يا فاطمه فقلت موافقا لهنّ بالقول، و لما أخذت الرّابعة فوضعتها فى فم على عليه السّلام سمعت النّداء من قبل الحقّ يقول هنيئا مريئا لك يا على فقلت موافقا لقول الله عزّ وجلّ، ثمّ ناولت عليّا رطبه اخرى ثمّ اخرى و أنا أسمع صوت الحقّ سبحانه يقول هنيئا مريئا لك يا على فقلت موافقا لقول الله، ثمّ قمت إجلالا لرّبّ العزّه جلّ جلاله فسمعتة يقول يا محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم و عزّتى و جلالى لو ناولت عليّا من هذه الساعه إلى يوم القيامه رطبه رطبه لقلت هنيئا مريئا بعد بلا انقطاع و روى فى بعض الأخبار:

أنّ أعرابيا أتى الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم فقال له: يا رسول الله لقد صدت خشفه غزاله و أتيت بها إليك هديه لولديك الحسن و الحسين، فقبلها النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم و دعا له بالخير فاذا الحسن واقف عند جدّه فرغب إليها فأعطاه إيّاها، فما مضى ساعه إلّا و الحسين قد أقبل فرأى الخشفه عند أخيه يلعب بها فقال: يا أخى من أين لك هذه الخشفه؟ فقال الحسن: أعطانيها جدّى رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم، فسار الحسين مسرعا إلى جدّه فقال: يا جدّاه أعطيت أخى خشفه و لم تعطنى مثلها و جعل يكرّر القول على جدّه و هو ساكت لكنّه يسلى خواطره و يلاطفه بشىء من الكلام حتّى أفضى من أمر الحسين عليه السّلام إلى أن همّ يبكى.

فبينما هو كذلك إذ نحن بصياح قد ارتفع من باب المسجد، فنظرنا فاذا ظبيه و معها خشفها و من خلفها ذئبه تسوقها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم و تضربها بأحد أطرافها حتّى أتت بها النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم.

ثمّ نظقت الغزاله بلسان فصيح فقالت: يا رسول الله قد كانت لى خشفتان إحداهما صاهاها الصياد و أتى بها إليك، و بقيت لى هذه الاخرى و أنا بها مسروره و إنّى كنت الان ارضعها فسمعت قائلا يقول: اسرعى اسرعى يا غزاله بخشفك إلى النّبىّ محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم و اوصليه سريعا لأنّ الحسين واقف بين يدى جدّه و قد همّ أن يبكى

و الملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العباد، و لو بكى الحسين لبكت الملائكة المقربون لبكائه، و سمعت أيضا قائلاً يقول: اسرعى يا غزاله قبل جريان الدموع على خدّ الحسين فان لم تفعل على سلّطت عليك هذه الذئبه تأكلك مع خشفك فأتيت بخشفى إليك يا رسول الله و قطعت مسافه بعيدة و لكن طويت لى الأرض حتّى أتيتك سريعه و أنا أحمد الله ربّى على أن جئتك قبل جريان دموع الحسين على خدّه، فارتفع التّهليل و التكبير من الأصحاب و دعا النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم الغزاله بالخير و البركه و أخذ الحسين الخشفه و أتى بها إلى امه الزّهراء فسرتّ بذلك سرورا عظيما و روى عن سلمان الفارسى قال:

اهدى إلى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قطف من العنب فى غير أوانه فقال لى: يا سلمان ايتنى بولدىّ الحسن و الحسين ليأكلا معى من هذا العنب، قال سلمان الفارسى: فذهبت أطرق عليهما منزل امّهما فلم أرهما، فأتيت منزل اختهما امّ كلثوم فلم أرهما.

فخبرت النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بذلك فاضطرب و وثب قائما و هو يقول: وا ولداه و اقّره عيناه من يرشدنى عليهما فله على الله الجنّه، فنزل جبرئيل من السماء و قال: يا محمّد على م هذا الانزعاج؟ فقال: على ولدىّ الحسن و الحسين فانى خائف عليهما من كيد اليهود، فقال جبرئيل: يا محمّد بل خف عليهما من كيد المنافقين، فإنّ كيدهم أشدّ من كيد اليهود اعلم يا محمّد أنّ ابنيك الحسن و الحسين نائمان فى حديقته أبى الدّحداح.

فسار النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من وقته و ساعته إلى الحديقه و أنا معه حتّى دخلنا الحديقه و إذا هما نائمان و قد اعتنق أحدهما الآخر و ثعبان فى فيه طاقه ريحان يروّح بها وجهيهما.

فلما رأى الثّعبان النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: ألقى ما كان فى فيه فقال: السّلام عليك يا رسول الله لست أنا ثعبانا و لكنى ملك من ملائكة الكرّ و بيّن غفلت عن ذكر ربّى طرفه عين فغضب علىّ ربّى و مسخنى ثعبانا كما ترى و طردنى من السماء إلى

الأرض ولي منذ سنين كثيره أقصد كريما إلى الله فأسأله أن يشفع لى عند ربى عسى أن يرحمنى و يعيدنى ملكا كما كنت أولا إنه على كل شىء قدير قال: فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقبلهما حتى استيقظا فجلسا على ركبتي النبى.

فقال لهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم: انظرا يا ولدى هذا ملك من ملائكة الله الكروبين قد غفل عن ذكر ربّه طرفه عين فجعله الله هكذا و أنا مستشفع بكما إلى الله فاشفعا له فوثب الحسن و الحسين عليهما السلام فأسبغا الوضوء و صليا ركعتين و قالا: اللهم بحق جدنا الجليل الحبيب محمّد المصطفى، و بأئينا على المرتضى، و بأمنا فاطمه الزهراء إلا ما رددته إلى حالته الأولى.

قال فما استتمّ دعاؤهما فاذا بجبرئيل نزل من السماء فى رهط من الملائكة و بشّر ذلك الملك برضى الله عنه و برّدّه إلى سيرته الأولى ثم ارتفعوا إلى السماء و هم يسبحون الله تعالى.

ثم رجع جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و هو متبسّم، و قال يا رسول الله إنّ ذلك الملك يفتخر على الملائكة السبع السماوات و يقول لهم: من مثلى و أنا فى شفاعه السيدين السبطين الحسن و الحسين عليهما السلام.

و قال حكى عن عروه البارقى قال:

حججت فى بعض السنين فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت رسول الله جالسا و حوله غلامان يافعان و هو يقبل هذا مرّه و هذا اخرى، فاذا رآه الناس يفعل ذلك أمسكوا عن كلامه حتى يقضى منهما و ما يعرفون لأى سبب حبّه أيّاهما.

فجئته و هو يفعل ذلك بهما فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذان ابناك؟ فقال:

أنهما ابنا ابنتى و ابنا أخى و ابن عمى و أحب الرجال إلّى و من هو سمعى و بصرى و من نفسه نفسى و نفسى نفسه و من أحزن لحزنه و يحزن لحزنى.

فقلت له: قد عجبت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فعلك بهما و حبك لهما.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: أحدثك أيّها الرّجل إنّى لمّا عرج بى إلى السماء و دخلت

الجَنَّة انتهيت إلى شجره فى رياض الجَنَّة فعجبت من طيب رايحتها فقال لى جبرئيل:

يا محمّد تعجب من هذه الشجره فثمرها أطيب من ريحها، فجعل جبرئيل يتحفنى من ثمرها و يطعمنى من فاكهتها و أنا لا أملّ منها، ثمّ مررنا بشجره اخرى فقال لى جبرئيل: يا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم كل من هذه الشجره فأثّها تشبه الشجره الّتى أكلت منها الثمر فهى أطيب طعما و أزكا رايحه.

قال: فجعل جبرئيل يتحفنى بثمرها و يشمّنى من رايحتها و أنا لا أملّ منها، فقلت: يا أخى جبرئيل ما رأيت فى الأشجار أطيب و لا أحسن من هاتين الشّجرتين، فقال لى: يا محمّد أ تدرى ما اسم هاتين الشّجرتين؟ فقلت: لا أدري، فقال: إحداهما الحسن و الاخرى الحسين، فاذا هبطت يا محمّد إلى الأرض من فورك فأت زوجتك خديجه و واقعها من وقتك و ساعتك فأنّه يخرج منك طيب رايحه الثمر الّذى أكلته من هاتين الشّجرتين فتلد لك فاطمه الزّهراء، ثمّ زوّجها أخاك عليا فتلد له ابنين فسّم أحدهما الحسن و الاخر الحسين.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ففعلت ما أمرنى أخى جبرئيل فكان الأمر ما كان، فنزل إلى جبرئيل بعد ما ولد الحسن و الحسين فقلت له: يا جبرئيل ما أشوقنى إلى تينك الشّجرتين فقال لى: يا محمّد إذا اشتقت إلى الأكل من ثمره تينك الشّجرتين فشّم الحسن و الحسين.

قال: فجعل النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم كلّما اشتاق إلى الشّجرتين يشّم الحسن و الحسين عليهما الصلاه و السّلام و يلثمهما و هو يقول: صدق أخى جبرئيل، ثمّ يقبّل الحسن و الحسين عليهما السّلام و يقول: يا أصحابى أنّى أودّ أنّى اقاسمهما حياتى لحبّى لهما و هما ريحانتاى من الدّنيا، فتعجّب الرّجل وصف النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم للحسن و الحسين عليهما السّلام.

و فى كشف الغمّه قال البغوى يرفعه إلى يعلى قال:

جاء الحسن و الحسين يسعيان إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأخذ أحدهما فضمّه إلى ابطنه و أخذ الاخر فضمّه إلى ابطنه الاخرى فقال: هذان ريحانتاى من الدّنيا من أحبّنى فليحبّهما.

و فيه عن أبي هريره قال:

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه حسن و حسين عليهما السلام هذا على عاتقه و هذا على عاتقه و هو يلثم هذا مژه و هذا مژه حتّى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما فقال: من أحبهما فقد أحبني و من أبغضهما فقد أبغضني.

أقول: هذه الأخبار أنموذج من مناقب أخبار السبطين سلام الله عليهما و على جدّهما و أبيهما و أمّهما و ظهر منها كيفيّة عنايه الله تعالى و عنايه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و إكرامهما فى حقّهما كما ظهر فرط محبّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و محبّه أمير المؤمنين إياهما إلى مرتبه يؤدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقاسمهما حياته كما مرّ فى آخر روايات البحار و يرضى أمير المؤمنين عليه السّلام بأن يخوض بنفسه الشّريف فى غمرات الحرب و يضنّ بهما ذلك حذرا من انقطاع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسبما مرّ فى هذا الكلام الذى نحن فى شرحه.

فلعن الله امه بلغوا الغايه فى العصيان، و وصلوا إلى التّهايه فى إرضاء الشيطان و أقدموا على أمر عظيم من إسقاط الرّحمن، كيف سعوا فى إطفاء نور الله و جدّوا فى قطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و بدّلوا ما وصّاهم الله به من مودّه القربى بالعداوه و البغضاء، و ما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من محبّه العتره بالشقاوه و الشقاء.

فشوها لتلك الوجوه التى شوّوها الكفر و الفسوق و العصيان، و سواه لهذه الامّه التى لم تبق شيئا من مراتب العداوه و العناد و الطغيان، فكيف لو شاهدتهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ما أقدموا عليه فى حقّ الال من سفك الدّماء و قتل الرجال و سبى الحرير و ذبح الأطفال، اولئك عليهم لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

الترجمه

از جمله كلام آن حضرتست در بعض اّيام جنگ صفين در حالتى كه دید پسرش امام حسن عليه السّلام را مى شتابد بسوى جنگ فرمود بأصحاب خود:

مالك شويد و ممانعت نمائيد بعوض من اين جوان را تا آنكه نشكند بنيّه

بدن مرا، پس بدرستی که من بخیل ترم باین دو جوان که حسن و حسین علیهما السّلام باشند بر مرگ، مبادا بریده شود بجهت موت ایشان نسل بر گزیده پیغمبر آن رسول خدا صلّی الله علیه و آله و سلّم.

سید رضی رحمه الله علیه گفته که: فرمایش آن حضرت که فرموده مالک شوید بعوض من از جمله کلام عالی مقام او و متضمّن غایت فصاحتست.

و من کلام له علیه السّلام و هو

اشاره

المأتان و السابع من المختار

فی باب الخطب

و قد رویناه فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثین من کتاب صفین لنصر بن مزاحم باختلاف یسیر عرفته. قاله لما اضطرب علیه علیه السّلام أصحابه فی أمر الحکومه.

أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحَبَّ، حَتَّى نَهَكْتُمْ الْحَرْبَ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَ تَرَكْتُ، وَ هِيَ لَعْدَوْكُمْ أَنْهَكُ، لَقَدْ كُنْتُ أَمْسُ أَمِيرًا، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَ كُنْتُ أَمْسَ نَاهِيًا، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مِنْهِيًا، وَ قَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

اللغه

(نهکته) الحمى نهکاً من باب منع و تعب هزلته، و نهکه السلطان عقوبه بالغ فيه، و نهکت الثوب لبسته حتّى خلق و بلی (و الحرب) مؤنّث سماعی و قد تذكّر ذهاباً إلى معنی القتال فيقال حرب شديد

قوله عليه السّلام: وقد والله أخذت، جملة القسم معترضه بين قد و مدخولها جيئت بها لتأكيد الكلام.

المعنى

اعلم أنّه قد تقدّم فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين تفصيل قصّه الحكومه و عرفت هناك أنّ أهل الشام لما ضعفوا عن مقاومه أهل العراق و عجزوا عن مقاتلتهم و رأوا علوّ كلمه الحقّ و أيقنوا بالهلا-ك و العطب، عدلوا عن القراع إلى الخداع فرفعوا المصاحف على الرّماح بتدبير ابن النابغه عمرو بن العاص اللّعين على وجه الخديعه و المكيده.

و لئلاّ رأى أهل العراق منهم ذلك كفّوا أيديهم عن القتال و اجتمعوا عليه عليه السّلام و طالبوه بالكفّ عنهم و كانوا فى ذلك على أقسام.

فمنهم من دخلت عليه الشّبهه برفع المصاحف و اعتقدوا أنّهم لم يرفعوها خديعه و حيله بل حقا و عملا بموجب الكتاب و تسليما للدين الحقّ فرأى أنّ الاستسلام للحجّه أولى من الاصرار على الحرب.

و منهم من قد كان ملّ من الحرب بطول المدّه، فلما رأى شبهه ما يسوغ التعلّق بها فى رفض المحاربه و حبّ العافيه أخلد إليها.

و منهم من كان يبغض أمير المؤمنين عليه السّلام بالباطن و يطيعه بالظاهر كما يطيع كثير من النّاس السلطان ظاهرا أو يبغضه باطنا فلما وجد طريقا إلى خذلانه و ترك نصرته أسرع إليها.

فاجتمع جمهور عسكره إليه عليه السّلام و طالبوه الكفّ فامتنع امتناع عالم بالمكيده و عرّفهم أنّها خدعه و حيله و قال لهم: إننى أعرف بالقوم منكم و أعلم أنّهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن فلا تغتروا برفعهم للمصاحف و انهّدوا إليهم و لم يبق منهم إلّا آخر أنفسهم، فأبوا عليه و لجّوا و أصرّوا على القعود و الخذلان و طلبوا أن ينفذ إلى الأشر و ساير المحاربين أن يكفّوا عن الحرب و يرجعوا.

فأرسل إلى الأشر و أمره بالرجوع، فقال الأشر: و كيف أرجع و قد لاحت

أمارات الظفر و قال له: ليمهلنى ساعه واحده و لم يكن عالما بصوره الحال، فلما عاد إليه الرسول بذلك غضبوا و شغبوا و قالوا: أنفذت إلى الأشر سراً تأمره بالجدّ و تنهاه عن الكفّ و إن لم يعد قتلناك كما قتلنا عثمان.

فرجعت الرّسل إلى الاشر فقالوا له: أ تحبّ أن تظفر بالعدوّ و أمير المؤمنين قد سلّت عليه خمسون ألف سيف، فقال: ما الخبر؟ قالوا: إنّ الجيش بأسره قد أهدقوا به و هو جالس بينهم على الأرض تحته نطع و هو مطرق و البارقه تلمع على رأسه يقولون: لئن لم يرجع الأشر قتلناك.

فرجع فوجد أمير المؤمنين تحت الخطر قد ردّوه أصحابه بين الأمرين إن لم يكفّ عن الحرب إمّا أن يسلموه إلى معاويه أو يقتلوه و لا ناصر له منهم إلّا ولداه و ابن عمّه و نفر قليل لا يبلغ عشره.

فلما رآهم الأشر شتمهم و شتموه و أبوا و قالوا: المصاحف المصاحف و الرجوع إليها لا نرى غير ذلك، فأجابهم أمير المؤمنين إلى ذلك كرها دفعا للأفسد بالفساد و قال لهم:

(أيّها الناس إنه لم يزل أمرى معكم على ما احبّ) من قتال أهل البغى و العدوان و استيصال القاسطين من حزب الشّيطان (حتّى) عاد طاعتكم لى إلى المخالفه و نصرتكم إلى الخذلان و المنابذه فأبيتم إباء المخالفين الجفاه و المنابذين العصاه بما (نهكتكم) و هزلتكم (الحرب) بطول مدّتها و ثقل أوزارها.

و تبّه على خطائهم فى القعود عنها بقوله (و قد و الله أخذت منكم) طائفه (و تركت) طائفه فلم تستأصلكم بالمرّه بل بقيت منكم بقيه (و هى لعدوّكم) أنكى و (أنهك) إذ لم يبق منهم إلّا حشاشه ضعيفه فانّ القتل فى أهل الشام كان أشدّ استحرارا و الوهن فيهم أظهر، و لو لا فساد أهل العراق لاستوصل الشّام و خلص إلى معاويه فأخذه بعنقه، و لم يكن قد بقى من قوّه أهل الشام إلّا حركه المذبوح و مثل حركه ذنب الوزغه عند قتلها يضطرب يمينا و شمالا.

ثمّ أخذ فى التّشكى منهم بسوء فعلهم فقال (لقد كنت أمس أميرا فأصبحت

اليوم مأمورا) لا يخفى حسن المقابلة بين القرينتين و هو من مقابله الثلاثه بالثلاثه.

و كذا فى قوله (و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا) ثم ساق الكلام مساق التعريض و التقرير فقال (و قد أحببتكم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون) من القتال و القتل، و عدم حمله لهم على ذلك إمّا لعدم قدره أو لعدم اقتضاء المصلحه ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

الترجمه

از جمله كلام معجز نظام آن امام اُنام عليه الصلاه و السلام است كه فرموده آن را هنگامى كه مضطرب شدند و اغتشاش نمودند أصحاب او بر او در امر حكومت حكمين پس فرمود آن بزرگوار بایشان:

ای مردمان بدرستی كه ثابت بود امر من و شما بر چیزی كه دوست مى داشتم تا این كه لاغر و ضعیف نمود شما را حرب و كارزار و حال آنكه قسم بخدا آن حرب بعض شما را فرا گرفت و بعضی را فرو گذاشت، و از برای دشمن زیادتر موجب لاغری آنها شد، بتحقیق بودم دیروز امیر شما پس گردیدم امروز مأمور، و بودم دیروز نهی كننده و گردیدم امروز نهی شده، و بتحقیق دوست داشتید زندگانی را و نیست مرا كه الزام نمایم شما را بر چیزی كه مكروه طبع شماست.

و من كلام له عليه السلام بالبصره و هو

اشاره

المأتان و الثامن من المختار فى باب الخطب

و هو مروى فى شرح المعتزلى باختلاف تعرفه إنشاء الله، و روى بعض فقراته فى الكافى أيضا مسندا بسند ذكره فى التكملة الاثنيه.

قال الرضى رضى الله عنه: و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعود فلما رأى سعه داره قال عليه السلام:

ما كنت تصنع بسعه هذه الدار فى الدنيا، أما أنت إليها فى الآخرة

كنت أحوج، و بلى إن شئت بلغت بها الآخره تقرى فيها الضيف، و تصل فيها الرحم، و تطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخره. فقال له عليه السلام العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد قال عليه السلام: و ما له؟ قال: لبس العباء و تخلى من الدنيا، قال عليه السلام: على به فلما جاء قال:

يا عدى نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك و ولدك، أ ترى الله أحل لك الطيبات و هو يكره أن تأخذها، أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونه ملبسك و جشوبه مأكلك، قال عليه السلام: ويحك إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبغ بالفقير فقره.

اللغة

(وسع) المكان القوم و وسع المكان يسع أى اتسع يتعدى و لا يتعدى و المصدر سعه بفتح السين و به قرء السبعة فى قوله تعالى «وَلَمْ يُؤْتِ سَعَهُ مِنَ الْمَالِ» و كسرهما لغة و به قرء بعض التابعين قال الفيومى قيل: الأصل فى المضارع الكسر و لهذا حذفت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة و كسره ثم فتحت بعد الحذف لمكان حرف الحلق، و مثله يهب و يقع و يدع و يلغ و يطأ و يضع، و الحذف فى يسع و يطأ ممّا ماضيه مكسور شاذّ لأنهم قالوا: فعل بالكسر مضارعه يفعل بالفتح

و استثنوا أفعالا ليست هذه منها.

(وقريت) الضَّعِيفُ أَقْرَبُهُ مِنْ بَابِ رَمَى وَ (عَدَى نَفْسَهُ) تَصْغِيرُ عَدُوٍّ وَ أَصْلُهُ عَدِيوٌ وَ فَحَذَفَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ وَ قَلَبَتْ الثَّانِيَةَ يَاءً تَخْفِيفًا ثُمَّ ادْغَمَتْ يَاءَ التَّصْغِيرِ فِيهَا وَ (هَامٌ) يَهِيمُ خَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ فَهُوَ هَائِمٌ وَ اسْتِهَامٌ بَكَ أَى جَعَلَكَ هَائِمًا، وَ قَالَ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِي: أَى أَذْهَبَكَ لَوْجْهَكَ وَ زَيْنَ لَكَ الْهِيَامُ وَ هُوَ الذَّهَابُ فِي الثَّيِّهِ.

وَ (الْمَلْبَسُ) وَ (الْمَأْكَلُ) مُصْدَرَانِ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، وَ طَعَامٌ (جَشَبٌ) وَ مَجْشُوبٌ غَلِيظٌ وَ قِيلَ اللَّذَى لَا آدَامَ مَعَهُ وَ (أَثْمُهُ الْحَقُّ) فِي بَعْضِ النِّسْخِ أَثْمُهُ الْعَدْلُ بَدَلُهُ وَ (يَقْدُرُوا) أَنْفُسَهُمْ فِي بَعْضِ النِّسْخِ بِالتَّخْفِيفِ مُضَارِعٌ قَدَرٌ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَ فِي بَعْضِهَا بِالتَّثْقِيلِ وَ الْمَعْنَى وَاحِدٌ مَأْخُوذَانِ مِنَ الْقَدَرِ بِمَعْنَى التَّضْيِيقِ قَالَ تَعَالَى «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» لَهُ أَوْ بِمَعْنَى قِيَاسِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَ يَقَالُ أَيْضًا هَذَا قَدَرٌ هَذَا وَ قَدْرُهُ أَى مِمَّاثِلُهُ وَ (الْبَيْغُ) ثَوْرَانِ الدَّمِ وَ تَبِيعَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ اخْتَلَطَ وَ الدَّمُ هَاجَ وَ غَلَبَ.

الاعراب

قوله: ما كنت تصنع، كان هنا زائده كما في قوله تعالى «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» وقوله: أما أنت اه أما حرف استفتاح يبدء بها الكلام و فايدتها المعنويّة تو كيد مضمون الجملة التي بعدها قال نجم الأئمة: و كأنها مركبة من همزة الانكار و حرف النفي و الانكار نفي و نفي النفي إثبات ركب الحرفان لا فاده الاثبات و التحقيق و فايدتها اللفظيّة كون الكلام بعدها مبتدأ به، و في بعض النسخ ما أنت بدل أما أنت و عليه فتكون ما موصولة بدلا من الدار أو من سعه و الأول أظهر.

و قوله إليها متعلق بقوله أحوج، و كذا قوله: في الآخره، و قوله: و بلى استدراك عن الجملة السابقة قال الفراء أصلها بل زيدت عليها الألف للوقف، و قال نجم الأئمة: لفظه بل التي تليها الجمل للانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الاولى، قال: و تجيء بعد الاستفهام أيضا كقوله: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ» إلى قوله «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ».

أقول: و يكون بلى هنا بمعنى الاستدراك ادخلت عليها الواو كما تدخل على لكن، و يجوز جعلها عاطفه للجمله على الجمله و لكن جعلها اعتراضيه أظهر من حيث المعنى.

و جمله تقرى فيها الضيف يجوز أن تكون حالا من قوله بها، و يجوز أن تكون استينافا بياتيا فإنه عليه السلام لما قال له: إن شئت بلغت بها، فكأنه سئل عن كيفية البلاغ فقال: تقرى فيها.

و قوله: على به، اسم فعل أى ايتونى به قال نجم الأئمة: يقال عليك زيدا أى خذه كأن الأصل عليك أخذه و أما على بمعنى أدلنى فهو مخالف للقياس من وجه آخر إذ هو أمر لكن الضمير المجرور به فى معنى المفعول يقال على زيدا أى قرّ بنيه و القياس أن يكون المجرور فاعلا، و قوله: يا عدى نفسه يحتمل أن يكون التصغير للتحقير، و أن يكون للتعظيم كما فى قول الشاعر:

و ديهيه تصفرّ منها الأنامل

و جمله: لقد استهام بك، جواب قسم مقدّر و الباء زائده، و أما رحمت، حرف تنديم و أ ترى الله استفهام توبيخى، و قوله هذا أنت فى خشونه ملبسك الظرف حال من أنت لأنه فى المعنى مفعول لمدلول هذا أى اشير إليك حال كونك فى خشونه اه و مثل ذلك قوله تعالى «هذا بَعْلِي شَيْخًا» أى اتبه عليه أو اشير إليه شيخا.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الكلام قاله بالبصره و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعوده و يتفقّد حاله لمرضه فلمّا رأى عليه السلام سعه داره قال:

(ما كنت تصنع بسعه هذه الدار فى الدنيا) استفهام وارد معرض التوبيخ و الإنكار لما صنعه لمنافاته الرّهد المطلوب و لما نبه على ذلك أردفه بقوله (أما أنت إليها فى الآخره كنت أحوج) تنبيهها له على كون السعه محتاجا إليها فى الآخره مزيد الاحتياج، و ذلك لكون الدنيا دار فناء و انقطاع و الآخره دار قرار و بقاء، و معلوم أنّ إصلاح المقرّ أولى من الممرّ، و الحاجه إليه فيه أزيد و أشدّ.

ثم استدرك بقوله (و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة) يعنى أنك بعد ما فرطت فى توسعتها و بنائها يمكن لك تدارك ذلك بأن تجعلها بلاغا و وصله و وسيله إلى اتساع الدار الآخرة بأن (تقرى فيها الضيف و تصل فيها الرحم) و القرابه (و تطلع منها الحقوق مطالعها) أى تخرج فيها الحقوق المائيه الواجبه و المندوبه من الخمس و الزكاه و الصّيدقات و صنایع المعروف و الحقّ المعلوم للسائل و المحروم و ساير وجوه البرّ المقرّبه إلى الله سبحانه و تضعها فى مواضعها اللايقه و تصرفها فى مصارفها المستحقّه.

و قال الشارح البحرانى: مطالع الحقوق وجوها الشرعيّه المتعلّقه به كالزّكاه و الصدقه و غيرهما، و الأظهر بل الأولى ما ذكرناه.

و كيف كان فالمراد أنك إن أتيت فيها بالقربات و الحسنات و أقمت باخراج الحقوق المفروضات و المندوبات (فاذا أنت قد بلغت بها الآخرة) و احملت «جمعت ظ» بينها و بين الدّنيا (فقال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد قال و ما له قال لبس العباء و تخلّى من الدّنيا).

قيل: المراد بلبس العباء جعلها شعارا أو ترك القطن و نحوه و الاكتفاء بلبسها فى الصّيف و الشّتاء و فى وصيه النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لأبى ذر: يكون فى آخر الزّمان قوم يلبسون الصوف فى صيفهم و شتائهم يرون لهم بذلك الفضل على غيرهم أولئك يلعنهم ملائكه السماوات و الأرض، انتهى.

أقول: و الأظهر أنّ المراد أنّه اقتصر بلبس العباء و ترك الدّنيا بالمرّه و لم يأخذ منها سواها.

(قال عليه السّلام علىّ به) أى اتّونى به و احضروه لدىّ (فلما جاء قال عليه السّلام يا عدّى نفسه).

قال الشارح البحرانى: صغّره استصغارا له باعتبار أنّ شيطانه لم يقده إلى كبيره بل قاده إلى أمر و إن كان خارجا به عن الشريعه إلاّ أنّه قريب من السلامه و دخل عليه بالخدعه فى رأى الصّالحين، و قيل: بل صغّره من جهه حقاره فعله ذلك

لكونه عن جهل منه، انتهى.

و الأظهر أن يكون التصغير للتعظيم، والغرض منه استعظامه لعداوته لها باعتبار ظلمه عليها، وذلك لأن لنفسه و لكل من جوارحه عليه حقاً و قد روي في شرح الخطبة التاسعة و الثمانين في ضمن أخبار محاسبه النفس من الوسائل من الخصال و معاني الأخبار عن عطا عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حديث قال: و على العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات: ساعه ينجى فيها ربه، و ساعه يحاسب فيها نفسه، و ساعه يتفكر فيها صنع الله إليه، و ساعه يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال فإن هذه الساعه معينه لتلك الساعات، و استجمام للقلوب و تفرغ لها.

و في البحار من كتاب تنبيه الخاطر قيل: إن سلمان رضى الله عنه جاء زائراً لأبي الدرداء فوجد أم الدرداء مبتذله، فقال: ما شأنك؟ قالت: إن أخاك ليست له حاجة في شيء من أمر الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء رحب لسلمان و قرب إليه طعاماً فقال لسلمان اطعم فقال: إنني صائم، قال: أقسمت عليك إلا ما اطعمت، فقال: ما أنا باكل حتى تأكل، قال: و بات عنده فلما جاء الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان فقال: يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً، و لجسدك عليك حقاً، و لأهلك عليك حقاً، فصم و افطر و صل و نم و أعط كل ذي حق حقه، فأتى أبو الدرداء النبي صلى الله عليه و آله و سلم فأخبره بما قال سلمان فقال عليه السلام مثل قول سلمان.

و قوله (لقد استهام بك الخبيث) أى جعلك هائماً متحيراً لا تدري ما تفعل و أين تذهب، و فيه تنبيه على أن تركه للدنيا لم يكن عن خالص العقل، بل كان بمدخله الشيطان و شوب الهوى، و ذلك بما كان في فعله ذلك من الإخلال بجمله من الحقوق الواجبه شرعاً عليه من حق الأهل و الأولاد كما أشار إليه بقوله:

(أما رحمت أهلك و ولدك) استفهام في معرض التوبيخ و الإنكار، لاعراضه عنهم و تركه لهم و عدم ترحمه عليهم، و قد جعل الله تعالى عليه حقاً.

كما يدل عليه ما رواه في البحار من كتاب تحف العقول في رساله علي بن

الحسين عليه السلام المعروفه برسالة الحقوق قال عليه السلام:

و أمّا حقّ أهل بيتك عامّة، فاضمار السلامه، و نشر جناح الرّحمه، و الرّفق بمسيئهم، و شكر محسنهم إلى نفسه و إليك فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه و كفاه مؤنته و حبس عنك نفسه. فعمّمهم جميعا بدعوتك و انصرهم جميعا بنصرتك، و أنزلهم جميعا منك منازلهم، كبيرهم بمنزله الوالد، و صغيرهم بمنزله الولد، و أوسطهم بمنزله الأخ.

و فى هذه الرّساله أيضا و أمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك و مضاف إليك فى عاجل الدّنيا بخيره و شرّه و انك مسئول عمّا وليّته من حسن الأدب و الدلاله على ربّه و المعونه له على طاعته فيك و فى نفسه فمثاب على ذلك و معاقب فاعمل فى أمره عمل المتّزين بحسن أثره عليه فى عاجل الدّنيا المعذر إلى ربّه فيما بينك و بينه بحسن القيام عليه و الأخذ له منه و لا قوّه إلّا باللّله.

و فى البحار من الفقه الرّضوى أروى عن العالم عليه السلام، أنّه قال لرجل:

ألك والدان؟ فقال: لا، فقال: أ لك ولد؟ قال: نعم، قال له: برّ ولدك يحسب لك برّ والديك.

و روى أنّه قال: برّوا أولادكم و أحسنوا إليهم فإنّهم يظنّون أنكم ترزقونهم و فى الفقيه قال الصادق عليه السّلام برّ الرّجل بولده برّه بوالديه.

و فى خبر آخر من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

و فى الوسائل من الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله ليرحم العبد لشده حبه بولده.

و عن كليب الصيدأوى قال قال لى أبو الحسن عليه السّلام: اذا وعدتم الصبيان ففوا لهم فإنّهم يرون أنكم الذين ترزقونهم، إنّ الله عزّ و جلّ ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء و الصبيان.

و فى الكافى فى كتاب المعيشه فى باب الحثّ على الطلب و التعرّض للرّزق عن معلّى بن خنيس قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجل و أنا عنده، فقيل: أصابته الحاجه

فقال: ما يصنع اليوم؟ قيل: فى البيت يعبد ربّه قال: فمن أين قوته؟ قيل: من عند بعض إخوانه فقال أبو عبد الله عليه السّلام: والله الذى يقوته أشدّ عباده منه.

وفيه عن أبي حمزه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: من طلب الدنيا استغففا عن الناس و سعيًا على أهله و تعطفًا على جاره لقي الله عزّ و جلّ يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليلة البدر.

ثم أنكر عليه ثانيا بقوله (أ ترى الله أحلّ لك الطيبات) من الرزق و الفاخرات من اللباس (و هو يكره أن تأخذها) و نبه بهذه الجملة الانكارية على أنّ التخليه من الدّنيا بالكلية ليست مطلوبة للشّارع، لأنّها توجب اختلال نظام العالم، و فيه نقض لغرض الشّارع و مقصوده الذى هو عماره الأرض و بقاء النّوع الانسانى حينًا من الدّهر و مدّه من الزّمان الّتى اقتضت الحكمة الالهية و المشيّه الربّانية بقائه إلى تلك المدّه ليعبدوه و يوخّدوه سبحانه فيها، لأنّ التّعمير و التمدّن و بقاء النّوع لا يحصل و لا يتمّ إلّا بتعاون أبناء النّوع و تشاركهم على القيام بمصالح البقاء و لوازمه و ترك الدّنيا و الاعراض عنها منافع لذلك الغرض البتّه، هذا.

و فى قوله عليه السّلام: أ ترى الله أحلّ لك الطيبات، تلميح إلى قوله عزّ و جلّ «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الّتى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطّيباتِ مِنَ الرّزْقِ قُلْ هى لِلَّذِينَ آمَنُوا فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى من حرّم الثياب الّتى تترين بها الناس و ساير ما يتجمل به مما أخرجها الله من الأرض لعباده من القطن و الكتان و الابریشم و الصّوف و الجواهر و المستلذّات من الماكل و المشارب روى فى الصافى من الكافى عن الصّادق عليه السّلام بعث أمير المؤمنين عبد الله بن عباس إلى ابن الكوّا و أصحابه و عليه قميص رقيق و حلّه، فلمّا نظروا إليه قالوا:

يا ابن عباس أنت خيرنا فى أنفسنا و أنت تلبس هذا اللباس؟ قال: و هذا أوّل ما اخاصمكم فيه «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الّتى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطّيباتِ مِنَ الرّزْقِ» و قال الله «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ».

و عن الصادق عليه السّلام أنّه كان متكئًا على بعض أصحابه فلقيه عباد بن كثير

و عليه عليه السّلام ثياب مرويه (١) فقال يا أبا عبد الله إنّك من أهل بيت النبوه و كان أبوك (٢) و كان (٣) فما لهذه الثياب المرويه عليك؟ فلو لبست دون هذه الثياب فقال له: ويلك يا عباد من حرّم زينه الله الّتي أخرج لعباده و الطيبات من الرّزق إنّ الله عزّ و جلّ إذا أنعم على عبده نعمه أحبّ أن يراها عليه ليس بها بأس، ويلك يا عباد إنّما أنا بضعه من رسول الله فلا تؤذوني و كان عباد يلبس ثوبين من قطن و في شرح المعتزلي روى أنّ قوما من المتصوّفه دخلوا بخراسان على عليّ ابن موسى الرضا عليهما السّلام فقالوا له إنّ أمير المؤمنين (٤) فكّر فيما ولّاه الله من الامور فرآكم أهل البيت أولى الناس أن تؤمّوا الناس و نظر فيكم أهل البيت فرآكم أولى الناس بالناس فرأى أن يردّ هذا الأمر إليكم و الامامه تحتاج إلى من يأكل الجشب و يلبس الخشن و يركب الحمار و يعود المريض، فقال عليه السّلام لهم: إنّ يوسف كان نبيا يلبس أقبيه الدّياج المزروره بالذهب، و يجلس على متكئات آل فرعون، و يحكم إنّما يراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق و إذا حكم عدل و إذا وعد أنجز إنّ الله لم يحرم لبوسا و لا مطعما، ثمّ قرء «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ» الايه.

و قال ابن عباس في قوله «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني أنّ المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدّنيا فأكلوا من طيبات طعامهم، و لبسوا من جياذ ثيابهم، و نكحوا من صالح نسائهم، ثمّ يخلص الله الطيبات في الاخره للذين آمنوا و ليس للمشركين فيها شيء.

و في الصّيافي من الامالي عن أمير المؤمنين عليه السّلام في حديث: و اعلموا يا عباد الله إنّ المتقين حازوا عاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم، و لم

ص: ١٢٨

١- (١) - الرواء بضم الراء و المد حسن المنظر، منه.

٢- (٢) - يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) منه.

٣- (٣) - أي زاهدا.

٤- (٤) - أي المأمون الملعون، منه.

يشاركهم أهل الدُّنيا في آخرتهم، أباحهم الله الدُّنيا ما كفاهم و أغناهم قال الله عزَّ و جلَّ «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ» الايه سكنوا الدُّنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما اكلت، شاركوا أهل الدُّنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، و شربوا من طيبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون، و أصابوا لذّة الدُّنيا مع أهل الدُّنيا، و هم غدا جيران الله يتمنّون عليه فيعطيهما ما يتمنّون، لا تردّ لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من اللذه، فالى هذا يا عباد الله يشناق إليه من كان له عقل، هذا.

و قوله عليه السّلام (أنت أهون على الله من ذلك) يعنى أنّ أفعال الله سبحانه و أحكامه ليست كأفعال خلقه و أحكامهم، فربّما يعطى الواحد منّا مالا لآخر مع عدم طيب نفسه به بل على كره منه له أو يأذن له أن يسكن فى منزله باقتضاء مصلحه لاحظها فيه من مداراه معه و نحوها مع كراهه له باطنا و أمّا الله القادر القاهر العزيز ذوا السلطان فأجلّ و أعلى من أن يكون ما أعطاه و أحلّه لعباده من باب المصانعه و المجامله، لأنّهم أهون عنده تعالى من ذلك، و أىّ ملاحظه للخالق من مخلوقه الدّليل، و مداهنه للقاهر من مقهوره الضّعيف المقيّد بقيد الرّقيه و العبوديّة.

(قال يا أمير المؤمنين هذا أنت) إمامنا و قد و تنا حال كونك (فى خشونه ملبسك) حيث قنعت من اللّباس بطمريه(1) (و جشوبه ماكلك) حيث اقتصرت من الطعام بقرصيه فينبغى لنا أن نتأسى و نأتمّ بك و نحذو حذوك.

(قال عليه السّلام ويحك) كلمه رحمه قالها شفقّه و عطفه (إنّى لست كأنت) يعنى أنّ تكليفى الشرعى غير تكليفك، و أشار إلى وجه المغايره بقوله:

(إن الله تعالى فرض على أئمّه الحقّ أن يقدرّوا أنفسهم بضعهف الناس) أى يضيقّوا على أنفسهم فى المعاش بضيق الفقراء و الضعفاء أو يقيسوا أنفسهم بهؤلاء و يكونوا شبيها بهم

ص: ١٢٩

(كيلا يتبيغ) و يغلب (بالفقر فقره) فيقل صبره فيعطب، و ذلك فانّ الفقير إذا رأى إمامه و مقتداه بزى الفقراء و معاشه مثل معاش المساكين كان له تسليه عمّا يتجرّعه من غصص الفقر و نغص المسكنه هذا.

و يؤيد ما ذكره عليه السلام من أنّ الفرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بالضعفاء:

ما رواه فى الصافى عن الصادق عليه السّلام أنّه قيل له: أصلحك الله ذكرت أنّ علىّ بن أبى طالب كان يلبس الخشن يلبس القميص بأربعة دراهم و ما أشبه ذلك و نرى عليك اللباس الجيد، فقال عليه السّلام له: إنّ علىّ بن أبى طالب كان يلبس ذلك فى زمان لا ينكر، و لو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله غير أنّ قائمنا عليه السّلام إذا قام لبس ثياب علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و سار بسيرته فأنّه يستفاد منه أنّ القائم عند ظهوره يسير سيره أمير المؤمنين عليه السلام، و يسلك مسلكه فى اللباس و غيره، لكونه مطمح نظر العموم كأمر المؤمنين، و أما سائر الأئمة فلا، و ما أجاب الصادق عليه السلام به للسائل فجواب إقناعى لاسكاته و الجواب الحقيقى ما قاله عليه السلام فى المتن من أن لا يتبيغ بالفقر فقره.

تكملة

قال الشّارح المعتزلى: و اعلم أنّ الذى رويته عن الشيوخ و رأيته بخطّ أحمد بن عبد الله بن الخشاب:

أنّ الزّبيح بن زياد الحارثى أصابه نّشابه فى جبينه فكانت تنتقض عليه فى كلّ عام، فأتاه علىّ عليه السّلام عائدا فقال: كيف تجدك أبا عبد الله؟ قال: أجدنى يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بى إلّا بذهاب بصرى لتمنيت ذهابه، قال: و ما قيمه بصرى عندك؟ قال لو كانت الدّنيا لفديته بها، قال: لا- جرم ليعطينك الله على قدر ذلك إنّ الله يعطى على قدر الألم و المصيبه و عنده تضعيف كثير، قال الزّبيح: يا أمير المؤمنين ألا أشكو اليك عاصم بن زياد أخى؟ قال عليه السّلام: و ماله؟ قال: لبس العباء و ترك الملاء و غمّ أهله و حزن ولده، فقال عليه السلام: ادعوا لى عاصما فلمّا،

أتاه عبس وجهه وقال: ويحك يا عاصم أ ترى الله أباح لك اللذات و هو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على الله من ذلك، أو ما سمعته يقول «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» ثم قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» وقال «وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا» أما والله ابتذال نعم الله بالفعال (١) أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد سمعتم الله يقول «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» وقوله «مِنْ حَرَمَ زِينَةِ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» إِنَّ الله مخاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» وقال «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا» وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم لبعض نسائه:

مالى أراك شعناء مرهء سلتاء (٢) قال عاصم: فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن و أكل الجشب؟ قال عليه السلام: إِنَّ الله افترض على أئمة العدل أن يقدر ما لأنفسهم بالقوام كيلا يتبغ بالفقير فقره، فما قام على عليه السلام حتى نزع عاصم العباء و لبس ملائه.

قال الشارح: و الزبيع بن زياد هو الذى افتتح بعض خراسان، و أما العلاء ابن زياد الذى ذكره الرضى رحمه الله فلا أعرفه لعل غيرى يعرفه.

أقول: و يؤيد ما ذكره الشارح روايه الكليني فأنه روى فى الكافى فى باب سيره الامام عن على بن محمّد عن صالح بن أبى حمّاد و عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمد و غيرهما بأسانيد مختلفه فى احتجاج أمير المؤمنين على عاصم بن زياد حين لبس العباء و ترك الملاء و شكاه أخوه الزبيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد غم أهله و أحزن ولده بذلك فقال أمير المؤمنين: على بعاصم بن زياد، فجىء به فلمّا رآه

ص: ١٣١

١- (١) - اى استعمالها و اظهارها و تشهيرها، بالفعال و هو الشكر الفعلى أحب إلى الله من ابتذالها بالمقال و هو الشكر القولى و قد صرح بعض المحققين إن الشكر الفعلى أقوى دلالة على تعظيم المنعم من الشكر القولى هكذا فى شرح ملا صالح على الكافى م.

٢- (٢) - فيه انه لعن السلتاء و المرهء، السلتاء التى لا تختضب و المرهء التى لا تكتحل نهائه.

عبس في وجهه فقال له: أما استحييت من أهلك أما رحمت ولدك أ ترى الله أحل لك الطيبات و هو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك أو ليس الله يقول «وَالْمَأْرُضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ» أو ليس الله يقول «مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» إلى قوله «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» فيا لله لا بتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبه و في ملبسك على الخشونه؟ فقال: ويحك إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبغ بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء و لبس الملاء اللهم وفقنا لطاعتك بمحمد وآله.

تنبیه

اشاره

على مذهب الصوفيه و هدايه

اعلم أنه قد ظهر لك اجمالا من هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام الهدى نحن في شرحه أن سلوك نهج العبودية بغير ما قرره صاحب الشريعة زيغ و ضلال، و وزر على سالكه و وبال، و أنه من استهامه الشيطان اللعين و تسويله و تمويه النفس و تدليسه، فأحببت باقتضاء المقام و مناسبته بسط المقال في هذا المرام و التنبيه على ضلال أقوام زاغوا عن نهج الرشاد و نكبوا عن طريق السداد، و نبذوا أمر الله وراء ظهورهم و اشتغلوا بالمجادلات الكلامية و الهذيانات الفلسفية و أبدعوا عبادات مخترعه، و أعرضوا عن حقايق علوم الدين و المله، و دقايق أسرار الكتاب و السنه، و سموا أنفسهم بالمتصوفه و الصوفيه.

و قبل الشروع في المقصود لا بد من تمهيد مقدمه شريفه و هي:

إنه لا شك أن الغرض الأصلي و المقصود بالذات من خلق الانسان هو العبودية و العرفان، كما شهد به الكتاب المكنون في قوله «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» كما لا شك أيضا أن المقصود من بعث الأنبياء و الرسل و إنزال

ص: ١٣٢

الصَّحَفِ و الكتب لم يكن إلّا ذلك أعنى جذب الخلق إلى الحقّ الأوّل عزّ و جلّ و أنّهم عليهم السّلام على كثرتهم و اختلاف شرايعهم لم يكن غرضهم إلّا شيئاً واحداً و هو التّنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى العقبي و القطع عن الخلق و الوصل إلى الحقّ و الارشاد و الدّلاله على الصّراط المستقيم المؤدّى إليه و المحصّل للقرب و الزّلفى لديه.

فبعثهم الله إلى الناس بما شرع لهم من الدّين ليدلّوهم عليه و يعلموهم كيفيّة السّلوكة إليه و لم يخل سبحانه خلقه من نبى مرسل أو كتاب منزل أو حجّه لازمه أو محجّه قائمه.

فهم عليهم السّلام أدلاء سبل الحقّ، و الهادون إليها، و المعلّمون لكيفيّة سلوكها بما أتوا به من الشرائع و الأديان الّتى شرعها الله تعالى لطفاً منه فى حقّ عباده، و لم يتركهم سبحانه و آراءهم و لم يكلهم فى سلوك سبيله إلى عقولهم الناقصه و أهوائهم المختلفه و آرائهم المتشثّه، فليس لهم أن يسلكوا طريق عبوديته بما يستحسنه العقول.

و قد ورد فى أخبار كثيره أنّ دين الله لا يصاب بالعقول، و أنه لا شىء أبعد عن دين الله من عقول الرجال.

و لو كانت العقول كافيه فى سلوك سبيل العبوديّه لم تكن إلى بعث الأنبياء و الحجج حاجه، كما أنه لو كان ما يرتضيه العقول و يخترعه من العبادات مرضياً عند الربّ مطلوباً له تعالى لم يكن داع إلى جعل الأديان و الشرائع الّتى شرعها و بعث بها الأنبياء عليهم السّلام كما قال تعالى «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً» و قال و «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً» فقد علم بذلك أنّ اللازم على العبد إذا أراد أن يعبد الله و يتقرب إليه أن يعبد بالعبادات المفعوله فى الشريعة الموظفه المشروحه فيها ماهيته و هيئه و كما و كيفاً و وقتاً و عدداً بادابها الموظفه و شرايطها المقرّره و أركانها و أجزاءها المختصّه و سنّتها المعيّنه و غيرهما مما جعله صاحب الشرع و شرعه.

لأنّ المطلوب للحقّ و المقرب إليه ليس إلّا و لا يقبل عزّ و جلّ من العبادات إلّا

ما أرسل به حججه و أنطق به ألسنتهم.

و من ذلك أنّ الشيطان اللعين لما أبى من السجود لادم عليه السّلام الذى كان مأمورا به و مطلوباً له تعالى مع أنه قال: يا ربّ اعفنى من السجود لادم و أنا أعبدك عباده لم يعبدكها ملك مقرب و لا نبيّ مرسل، صار مستحقاً للطرد و الابعاد حيث أراد أن يعبد الله من غير الوجه الذى كان مأمورا به، و قد قال الله له: لا حاجه لى فى عبادتك إنما اريد أن اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد، على ما مرّ فى روايه علىّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السّلام فى أوّل تنبيهات شرح الفصل الحادى عشر من الخطبه الاولى و قد قال تعالى «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا».

و اتيان البيوت من الأبواب هو الأخذ بقول الحجج و الرجوع فى سلوك نهج الحقّ إليهم، كما يدلّ عليه روايه الصافى عن أمير المؤمنين المتقدّم فى شرح الفصل الرابع من الخطبه الاولى.

و مرّ هنا روايه علىّ بن إبراهيم عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال: ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضى الرحمن الطاعه للامام بعد معرفته أما لو أنّ رجلاً قام ليله و صام نهاره و تصدّق بجميع ماله و حجّ جميع دهره و لم يعرف ولايه ولىّ الله فيواليه و يكون جميع أعماله بدلالته ما كان له على الله حقّ فى ثوابه.

فحاصل الكلام و ملخص المرام أنّ العباده المحصّله للقرب و الزّلفى هى العباده المتلقّاه من بيت النبوه و الولايه، و المعلومه الثبوت فى الكتاب و السّنه فما لم يعلم ثبوتها فيهما مثل ما علم عدم ثبوتها بدعه و ضلاله موجب لسطخ الزّحمن و رضى الشّيطان، مؤدّيه إلى العذاب الأليم و الخزي العظيم.

إلا أنّ جماعه من العامه و الجهال الخاصه غفلوا عمّا قررناه فى هذه المقدّمه و استبدّوا بعقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده، و سلكوا السّبيل من غير دليل و أضلّهم الشّيطان و ضلّوا عن سواء السّبيل، و مع ذلك يزعمون أنّهم أهل السّلوک و المعرفه و الزّهد و الكشف و الرّياضه

و هم قوم يسمّون بأهل الذّكر و التّصوّف، يدّعون البراءة من التّصنع و التّكلّف، يلبسون خرقا، و يجلسون حلّقا، يخترعون الأذكار، و يتغنّون بالأشعار و يغلبون بالتّهلّيل، و ليس لهم إلى العلم و المعرفة دليل، ابتدعوا شهيقا و نهيقا، و اخترعوا رقصا و تصفيقا، قد خاضوا فى الفتن، و أخذوا بالبدع دون السنن، رفعوا أصواتا بالنداء، و صاحوا صيحه الشّقاء، أمن الضّرب يتألّمون؟ أم من الطّعن يتظلمون؟ أم مع أكفائهم يتكلّمون؟ إنّ الله لا يسمع بالصّماخ، و لا يحتاج فى سماعه إلى الصّراخ، أتنادون باعدا؟ أم توقظون راقدا؟ تعالى الله لا تأخذه السّنة، و لا تحيط به الألسنة، سيّحوه تسييح الحيتان فى البحر، و ادعوه تضرّعا و خيفه دون الجهر، إنّ له ليس منكم بعيد، بل هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

و أنت إذا عرفت ما مهّدهنا فى هذه المقدّمه فاستمع لما يتلى عليك من شرح حال هذه الطائفة و بيان عقايدهم و مذاهبهم و وجه تسميتهم، و ما ورد من العلماء و العتره الطاهره سلام الله عليهم فى طعنهم و الازراء عليهم و تفصيل ذلك فى مقامات.

المقام الاول فى وجه تسميتهم بالصوفيه

و ذكروا فيه أقوالا:

الاول و هو الأشهر أنّ اشتقاقها من الصّوف سمّوا بها للبسهم الصّوف فى الصيف و الشتاء، و هذا الوجه هو المستفاد من الأخبار الاتيه.

و روى عن أنس بن مالك أنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يجيب دعوه العبيد تواضعا، و يركب الحمار غير مستنكف، و يلبس الصوف غير متكلّف.

و قال الحسن البصرى: لقد ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف و الشعر و فى روايه الجمهور أيضا عن امامهم البيهقى المشهور نقلا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كانت الأنبياء يركبون الحمار، و يلبسون الصوف، و يحلبون الشاه.

و فى البحار من اكمال الدّين باسناده عن الحسين بن مصعب عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل

على الحضيض مع العبيد، و ركوبى الحمار موكفا، و حلب العنز بيدي، و لبس الصوف، و التسليم على الصبيان لتكون سنه من بعدى.

و فى بعض كتب أصحابنا و لقد روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بطريق أهل البيت عليهم السلام أنّ عيسى بن مريم كان يلبس الصوف و الشعر، و يأكل من الشجر، و يبيت حيث أمسى.

و عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يوم كلم الله موسى كان عليه جبه من صوف، و سراويل من صوف، و قلنسوه مدوره من صوف، و نعلاه من جلد و يستفاد من هذه الأخبار و غيرها مما لا حاجة إلى ايرادها أنّ لبس الصوف مندوب شرعا و أنه لباس الأنبياء و الأئمه و الصالحاء.

و لكن هذه الطائفة لما كان لبسهم له تكلفا و تصيدا و قصدا للاشتهار و اظهارا للفضل كما قال عليه السلام فى الخطبه الثانيه و الثلاثين فى تعديد أصناف الناس: - و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئوله نفسه فتحلّى باسم القناعه و تزين بلباس أهل الزّهاده و ليس من ذلك فى مراح و لا مغدى - لا جرم كان ذلك موجبا للازراء عليهم.

و يشهد بما ذكرته النبوى المتقدم فى شرح قوله عليه السلام فى المتن: لبس العباء و تحلّى من الدنيا حيث قال لأبى ذر: قوم يلبسون الصوف فى الصيف و الشتاء يرون لهم بذلك الفضل على غيرهم، الحديث.

الثانى أنّه مأخوذ من الصّوف لا بالمعنى المتقدم بل بمعنى آخر نقلوه عن جنيدهم البغدادى أنه قال: الصوفى مشتق من الصوف و الصوف ثلاثه أحرف: صاد و واو و فاء، و الصاد صبر، و صدق، و صفاء، و الواو ودّ، و ورد، و وفاء، و الفاء فرد، و فقر و فناء.

الثالث أنهم سمّوا صوفيه نسبة إلى الصفه التى كانت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يسكنها فقراء المهاجرين، و كانت مسقفه بجريد النخل و كانوا أربعمائه رجل لم يكن لهم بالمدينه مساكن و لا عشائر يدرسون القرآن بالليل و يرضحون النوى بالنهار، و يحتطبون على ظهورهم، و يغزون مع كلّ سريّه، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

و أكثر أصحابه يؤانسونهم و يأكلون معهم، و يتعاهدونهم بالمبرات.

و قد وصل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوما إليهم و شاهد منهم فقرهم و طيب نفوسهم بالشده فقال: ابشروا يا أهل الصفة إن من امتي من كان على حالكم و وصفكم و نعتكم التي أنتم عليها انكم و انهم رفقائي في الجنة.

و قد رتبهم أبو نعيم الحافظ في حليته على ترتيب حروف المعجم ذكر من مشاهيرهم سلمان و أبا ذر و عمار و صهيب و بلال و أبا هريره و خباب بن الارت و حذيفه ابن اليمان و أبا سعيد الخدرى و بشر بن الخصاصيه و أبا مويهبه مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان هؤلاء أزهدهم و أعملهم بالكتاب و السنه فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، لأنهم يلبسون الصوف و يخطون ثيابهم بالأغصان الدقيقه من الشجر.

و نقل فى وصفهم: أنهم كانوا أضياف الاسلام إلا أن بعضهم زلت قدمه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ركن إلى الدنيا و مال إلى حطامها كأبى هريره و صهيب، و الذين ثبتت قدمهم فى الفقر و الزهد سلمان و أبو ذر و حذيفه و بلال و أبو سعيد، فانهم كانوا من السابقين الراجعين إلى أمير المؤمنين عليه السلام و كانوا يسمون بالشيعة قال أمين الاسلام الطبرسى فى قوله تعالى «وَ أَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعِشِيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » إن الايه نزلت فى سلمان و أبى ذر و صهيب و غيرهم من فقراء أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

و ذلك إن المؤلفه قلوبهم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عينيه بن الحصين و الأقرع ابن حابس و ذووهم فقالوا: يا رسول الله إن جلست فى صدر المجلس و نحييت عنا هؤلاء و أرواح ضئنانهم(١) - و كانت عليهم جبات الصوف - جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول إلا هؤلاء، فلما نزلت الايه قام النبى صلى الله عليه و آله و سلم يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله عز و جل فقال صلى الله عليه و آله و سلم: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من امتى معكم المحيا و الممات، انتهى.

ص: ١٣٧

١- (١) - فإن بعضهم يعرق فى ثوبه فيوجد منه ريح الضأن، منه

و الحاصل أنّ الصوفيه على زعمهم و ادّعائهم لما شاكلت حالهم حال أهل الصفه لكونهم مجتمعين متألفين مصاحبين لله و في الله قديما و حديثا في الربط و الروايات قليل لهم: صوفيّه، و هذا و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي إلا أن يراعى فيه الخفّه على اللسان، و لا بأس به من حيث المعنى.

الرابع أنّ هذه النسبه إلى صوفه كما يقال: الكوفي للمنتسب إلى كوفه، و بنى صوفه جماعه من العرب كانوا يتزهدون و يتقلّلون من الدنيا، فنسب هذه الطائيفه إليهم، و في القاموس صوفه أبو حيّ من مضر، و هو الغوث بن مرّ بن أرّ بن طابخه كانوا يخدمون الكعبه و يجيزون الحاجّ في الجاهليه أى يفيضون بهم من عرفات، أوهم قوم من أفناء القبائل تجمعوا فتشّبكوا كتشّبك الصوفه، و كذا في الصحاح و غيره من كتب اللغه.

المقام الثاني

في ابتداء ظهور هذه الطائيفه على اختلاف

الاقوال و الروايات

فأقول: قال المحدث الجزائري: إنّ هذا الاسم و هو التّصوّف كان مستعملا في فرقه من الحكماء الرّايغين عن طريق الحق، ثمّ قد استعمل بعدهم في جماعه من الزنادقه أى من الهنود و البراهمه، و بعد مجيء الاسلام استعمل في جماعه من أهل الخلاف كالحسن البصري و سفيان الثوري و أبى هاشم الكوفي و نحوهم، و قد كانوا في طرف من الخلاف مع الأئمه عليهم السلام، فإنّ هؤلاء المذكورين قد عارضوا الأئمه و باحثوهم و أرادوا إطفاء نور الله بأفواههم و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون إلى أن قال: و قد استمرّ الحال إلى هذه الأعصار و ما قاربها.

ثمّ إنّ جماعه من علماء الشّيعه طالعوا كتبهم و اطلعوا على مذاهبهم فأروا فيها بعض الرّخص و المسامحات مثل قولهم، بأنّ الغناء المحرّم هو الذي يستعمل في مجالس أهل الشرب و أهل الفسوق، فأباحوا أفراد الغناء و أنواعه لمتابعيهم و كانوا

ص: ١٣٨

من أهل العلم و الناس يميلون إلى من يسهل إليهم مثل هذه الامور التي كان للنفس منها التذاذ، و كتركهم التزويج و إقبالهم على الغلمان الحسان، و العجب من بعض الشيعه كيف مال إلى هذه الطريقه مع اطلاعه على أنها مخالفه لطريقه أهل البيت اعتقادا و أفعالا.

و قال أيضا: و الدواعي لهم على اختراع هذا المذهب امور:

الأول ما نقل أن خلفاء بني اميه و بني العباس لعنهم الله كانوا يحبون أن يحصلوا رجالا من أهل العباده و الزّهاده و التكلم ببعض المغيبات و إن لم يقع، لأجل معارضات الأئمه الطاهرين عليهم السلام و علمهم و زهدهم و كمالاتهم حتى يصغروا أهل البيت و أطوارهم في أعين الناس، فلم يجدوا أحدا يقدم على هذا سوى هذه الفرقة الضّالّه، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور لعنهم الله و بنوا لهم البقاع و حملوا اليهم الأموال و طلبوا منهم الدّعاء في مطالب دنياهم و قاسوهم بأهل البيت عليهم السلام، و أين الثّريا من يد المتناول.

الثاني سهوله هذا المسلك و صعوبه طريق العلم، فإنّ العامي منهم قد يجلس في بيت ضيق مظلم أربعين يوما، و ربّما ترائي له إخوانه من الجنّ و الشّياطين فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصل له درجه العالم الذي يحصلها في خمسين سنه و أكثر، بل ربما كان اعتبار هذا بين رعاي الناس أزيد من اعتبار ذلك العالم.

الثالث أنّ هذا المذهب شرك لصيد الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلك.

و قال أبو القاسم القشيري الصّوفي العامي في محكيّ كلامه من رسالته المعروفه بالقشريه:

اعلموا رحمكم الله أنّ المسلمين بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسميه علم سوى صحبه الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم إذ لا فضيله فوقها فليل لهم: الصحابه و لما ادرك أهل العصر الثاني سمّي من صحب الصّحابه التابعين و رأوا ذلك أشرف سمه، ثمّ قيل لمن بعدهم أتباع التابعين، ثمّ اختلف الناس و تباينت المراتب

فقلل لخواص الناس ممن لهم شدّه عنايه بأمر الدّين: الزهاد و العبّاد، ثمّ ظهرت البدع و حصل التّداعى بين الفرق فكلّ فريق ادّعى أنّ فيهم زهادا فانفردوا خواصّ أهل الشّريعه المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفله باسم التّصوّف، و اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المأتين من الهجره، انتهى.

و من كتاب نفحات الانس أنّ أوّل من اخترع له هذا الاسم أبو هاشم الكوفى الشّامى الصّوفى المعاصر مع الشّفيان الثّورى.

و فى كتاب حديقته الشّيعه أنّه كان يلبس ثيابا خشنه من الصوف كالزّهبان و يقول بالحلول و الاتّحاد لنفسه كالنّصارى فى عيسى عليه السّلام، و كان فى الظّاهر أمويّا جبريّا، و فى الباطن ملحدًا دهرىّا، و الطائفة التى ينتسب إليه باعتبار لباسه تسمى صوفيه سواء لبست الصوف أو لم تلبس، و بهشميّة و أبو هاشميّه باعتبار كنيته و عثمانيّة و شريكية لأنّ اسمه و اسم أبيه عثمان بن شريك.

قال فى حديقته الشّيعه: و كان غرض هذا الملعون من وضع مذهب التّصوّف هدم مذهب الاسلام، و قد ورد من الأئمه عليهم السّلام أحاديث فى طعنه.

و لما رأى سفيان الثّورى طريقته استحسنه و أضاف إليه الرّؤيه و الصوره و التشبيه و التجسيم و وسّع دائره التّصوّف، فنسبت هذه الفرقه إليه، فقالوا: ثوريه و سفيانيه ثمّ نسبت إلى أبى يزيد البسطامى فسُميت باليزيديّه و البسطاميّه، ثمّ بملاحظه قولهم بالحلول و الاتّحاد سُميت حلوليّه و اتّحاديّه، ثمّ لما بالغ بعضهم فى الاتّحاد و قال بوحده الوجود سُميت وحدتيّه، و نسبت إلى حسين بن منصور الحلاج فقليل منصوريّه و حلاجيه، و بملاحظه غلوهم فى المشايخ و زعمهم حلول الحقّ فيهم قيل لهم: غاليه و غاويه، و لمكرهم و خديعتهم و تفتينهم للنّاس قيل لهم: زرقايه و خداعيّه.

و لما اخترعوا مذهبًا متضمّنًا للرّهبانيه و النصرانيه و الكفر و الاسلام سَمّاهم الأئمه عليهم السّلام مبتدعه، و لكونهم من أهل الرّياء سَمّوا مرائيّه، و لوضعهم التّصوّف سماهم العلماء بالمتصوّفه، و لكثرة صلفهم سَمّوا بالمتصلفه، و لهم أسماء اخر و اشهر

ألقابهم و أسمائهم الصوفيه و المتصوّفه و المتصلّفه و المبتدعه و الزّراقيه و الغلاّت و الغاليه و الحلاجيه انتهى كلامه رفع الله مقامه في أعلى عليين مع الذين أنعم عليهم بنعمه الايمان و ألبسهم لباس الكرامه و الشرف.

المقام الثالث

في عقايدهم الفاسده و اعمالهم الباطله.

و قد حقّقنا عقايدهم الفاسده و بيّنا أعمالهم الباطله إنشاء الله و ثبتنا أنّ عقايدهم مخالفه للشريعه الطاهره بالدلائل العقليه و النقليه بعون الله الملك المتعال.

أما العقائد

:

فمنها

اعتقادهم بالحلول و الاتحاد

، و قد نسب أكثر المتكلّمين من الفريقين و غيرهم في مبحثي الحلول و الاتحاد من كتبهم الكلاميه هاتين النسبتين إلى هذه الفرقه الضاله خذلهم الله تعالى.

قال المحقّق الطوسي في رسالته الموسومه بقواعد العقائد:

و منها أى من الصفات السلبيه أنه تعالى لا- يمكن أن يكون في جهه أو حين أو محلّ لا احتياج ما يكون كذلك إلى الحيز و المحلّ، و كذلك لا يمكن أن يشار إليه اشاره حسيّه، و خالفت المشبّهه و المجسّمه في ذلك إذ قالوا في جهه فوق أو جسم لا كغيره من الأجسام، و ذهب بعض الصوفيه إلى جواز حلوله في قلوب أوليائه و لعلّ مرادهم غير ما يعنى به من حلول الأعراض في محلّها، انتهى.

و قال العلامة في شرح هذه الرساله الموسوم بكشف الفوائد:

ذهب المحقّقون إلى أنه تعالى لا- يمكن أن يكون في جهه أو محاذاه و لا في حيز و مكان و لا في محلّ يحلّ فيه حلول العرض في محلّه، لأنّ كلّ ما كان كذلك كان مفتقرا إلى الجهه و الحيز و المحلّ بالضروره لاستحاله حلول الغنى عن المحلّ فيه و الاحتياج ينافى الوجوب، و هذا المعنى لا يمكن أن يشار إليه اشاره حسيّه

بأنه هنا أو هناك، لتوقف ذلك على الحصول في الحيز و الجبهه و المحلّ، و خالفت المجسمه و المشبهه في ذلك فقالوا: إنّ الله في جهه فوق و انه جسم لا- كالأجسام و قد تقدّم بطلانه و قال بعض الصوفيه: بأنّه تعالى حالّ في قلوب العارفين، فان عنوا به حلول العرض في المحلّ فهو باطل بما تقدّم، و إن عنوا به شيئا آخر فلا بدّ من بيانه.

و قال المحقّق الطوسى في تلك الرساله:

و لا يجوز عليه الاتّحاد و هو صيروره الشّئين شيئا واحدا، بأن ينتفى أحدهما و يبقى الآخر أو ينتفيا معا و يحدث شيء آخر، فإنّ ذلك محال عقلا، و قال قوم من القدماء: كلّ من تعقل شيئا تعقلا تاما اتّحد بمعقوله ذلك، و إليه ذهب جمع من الصوفيه، و ذلك بالمعنى الذى ذكرناه غير معقول.

و قال العلامة في الشرح:

الاتّحاد يطلق على صيروره شيئين شيئا آخر، بأن يعدم عن الأوّل شيء و يحدث فيه آخر كما يقال: صار الماء هواء، فإنّ الصورة المائيّه زالت و اتّصفت بالصورة الهوائيه أو بأن يمتزج شيئان و يحدث صوره ثالثه مغايره للأوّل كما يقال صار الخشب سريرا، و هذان ممكنان لكن اطلاق الاتّحاد عليهما بنوع من المجاز، و هذا المعنى و إن كان ممكنا فى حقّ غيره تعالى إلاّ أنّه يستحيل فى حقّه أيضا لاستحاله انفعاله عن الغير و صيرورته جزءا من غيره.

و أمّا الاتّحاد الحقيقى و هو صيروره الشّئين شيئا واحدا لا بأحد المعنيين بل بأن ينتفى الذاتان و يتّحد إحداهما بالآخرى فهذا ضرورىّ البطلان.

فإنّ الشّئين إن بقيا بعد الاتّحاد بحالهما فهما اثنان، و إن عدم أحدهما فلا اتّحاد لاستحاله اتّحاد المعدم بالموجود، و إن عدما معا و وجد ثالث فلا اتّحاد بل اعدام شيء و ايجاد آخر و ذهب فرفوريوس بعد المعلّم الأوّل إلى أنّ من عقل شيئا اتّحدت ذاته بذلك المعقول، و إليه ذهب الرئيس فى المبدأ و المعاد، لأنّ الصوره العقليّه اذا حلت الجوهر العاقل بالقوّه صيرته عقلا بالفعل و إنّما يكون كذلك مع الاتّحاد و إلاّ

لكان ما هو بالقوّة بعد بالقوّة و الملازمه ممنوعه.

ثمّ لو اتّحد العاقل بمعقوله لزم أن لا يعقل إلّا شيئا واحداً أو يتّحد الذوات المعقوله فى أنفسها أيضا و قوم من الصّوفية إنّ الله تعالى يتّحد بأبدان العارفين و الكلّ غير معقول بالمعنى الذى ذكرناه.

و قال الفاضل المقداد فى شرحه على الباب الحادى عشر:

قال: أى العلامه «قد»: و لا يجوز أن يكون فى محلّ و الا افتقر إليه و لا فى جهه و إلا لافتقر إليها.

أقول: هذان وصفان سليّان، الأوّل إنّّه ليس فى محلّ خلافا للنّصارى و جمع من المتصوّفه و المعقول من الحلول هو قيام موجود بموجود على سبيل التّبعية، فان أرادوا هذا المعنى فهو باطل، و الاّ لزم افتقار الواجب و هو محال، و ان أرادوا غيره فلا بدّ من تصوّره أوّلا ثمّ الحكم عليه بالتّفى و الاثبات، انتهى ما أهتمّنا نقله.

و قال أيضا فى شرح قول العلامه «قد» و لا يتّحد بغيره لامتناع الاتّحاد مطلقا.

أقول: الاتّحاد يقال على معنيين: مجازى و حقيقى، أمّا المجازى فهو صيروره الشىء شيئا آخر بالكون و الفساد، إمّا من غير إضافه شىء آخر كقولهم صار الماء هواء و صار الهواء ماء، أو مع إضافه شىء آخر كما يقال صار التّراب طينا بانضياف الماء إليه، و أمّا الحقيقى فهو صيروره الشئين الموجودين شيئا واحدا موجودا.

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ الأوّل مستحيل عليه تعالى قطعاً لاستحاله الكون و الفساد عليه، و أمّا الثانى فقد قال بعض النّصارى إنّّه اتّحد بالمسيح فأنّهم قالوا اتّحدت (١) لاهوتيه البارى مع ناسوتيه عيسى، و قال النّصيريّ: إنّّه اتّحد بعلى عليه السّلام و قال بعض المتصوّفه: أنّه اتّحد بالعارفين، فان عنوا غير ما ذكرناه فلا بدّ من تصوّره أوّلا ثمّ يحكم عليه، و إن عنوا ما ذكرناه فهو باطل قطعاً لأنّ

ص: ١٤٣

الاتّحاد مستحيل فى نفسه فيستحيل اثباته لغيره، و أمّا استحالته فهو أنّ المتّحدين بعد اتّحادهما إنّ بقيا موجودين فلا اتّحاد، لأنّهما اثنان لا- واحد، و إنّ عدما معا فلا- اتّحاد بل وجد ثالث، و إنّ عدم أحدهما بقى الآخر فلا اتّحاد أيضا لأنّ المعدوم لا يتّحد بالموجود.

و قال الشيخ المفيد «قد» فى شرح عقايد الصدوق:

الحلاجيّة حزب من أصحاب التّصوّف و هم أصحاب الاباحه و القول بالحلول، و لم يكن الحلاج يتخصّص باظهار التّشيع و إنّ كان ظاهر أمره التّصوّف، و هم قوم ملحد زنادقه يموّهون بمظاهره كلّ فرقه بدينهم و يدعون للحلاج الأباطيل و يجرون فى ذلك مجرى المجوس و دعويهم لذردشت المعجزات و مجرى النصارى فى دعويهم لرهبانهم الايات البينات، و النصارى و المجوس أقرب إلى العبادات منهم و هم أبعد من الشرائع و العمل بها من النصارى و المجوس.

و قال الشارح القوشجى فى شرح الهيّات التجريد:

ذهب بعض المتصوّفه إلى أنّه تعالى يحلّ فى العارفين و النصارى إلى حله فى عيسى، فان أرادوا بالحلول هذا المعنى فباطل، و إنّ أرادوا أنّه غير ذلك فلا يمكن نفيه أو إثباته إلّا بعد تصوّر ما هو المراد.

و قال الشارح البحرانى فى كتاب قواعد العقائد له:

أنّه تعالى لا يتّحد بغيره، خلافا للنّصارى و بعض الحكماء السابقين و بعض المتصوّفه.

لنا أنّ المراد من الاتّحاد إنّ كان صيروره الشيئين شيئا واحدا كما هو المفهوم من لفظه فهو باطل، لأنّ المتّحدين إنّ بقيا موجودين فلا- اتّحاد، و إنّ عدما معا فالموجود غيرهما فلا اتّحاد أيضا، و إنّ عدم أحدهما دون الآخر فلا اتّحاد إذ المعدوم لا يتّحد بالموجود، و إنّ أرادوا به معنى آخر فلا بدّ من إفاده تصوّره لنظر فيه.

و قال شارح الطوالع:

حكى القول بالاتّحاد و الحلول عن النصارى و جمع من المتصوّفه، فأنّه حكى عن النصارى أنّهم قالوا: اتّحدت الأقانيم الأب و الابن و روح القدس و اتّحدت ناسوت المسيح و اللاّهوت و حلّ البارى فى عيسى، و حكى عن جمع من المتصوّفه أنّهم قالوا: إذا انتهى العارف نهايه مراتبه انتهى هوّيّته و صار الموجود هو الله سبحانه، و هذه المرتبه هى الفناء فى التّوحيد، و قالوا: إنّ الله تعالى يحلّ فى العارفين، فان أرادوا بالاتّحاد و الحلول ما ذكرناه فقد بان فساده، و إن أرادوا به غيره لا بدّ من تصوّره أوّلا ليتأتى التصديق به نفيا أو اثباتا، فأنّه لا يمكن نفيه و اثباته إلّا بعد تصوّر ما هو المراد.

و قال المحدث العلامة المجلسى فى عقايدہ:

و القول بحلوله تعالى فى غيره كما قال بعض الصوفيه و الغلاة، أو اتّحاده مع غيره كما قاله بعض الصّوفيه، أو أنّ له تعالى صاحبه أو ولدا أو شريكا كما قاله النصارى، أو أنّه تعالى جسم أو أنّ له مكانا كالعرش و غيره، أو جزءا أو عضوا فكلّ ذلك كفر إلى غير ذلك ممّا حكوه عنهم و شنعوا عليهم.

ثمّ لمّا رأى المتأخرون منهم فساد ما قاله متقدّموهم و بطلانه و شناعته و جّھوا كلامهم بأنّ مرادهم به وحده الوجود لا الاتّحاد و الحلول، و هو من قبيل دفع الفاسد بالأفسد و توجيه الشنيع بالأشنع.

و قال صاحب الشوارق فيه:

قد اشتهر من مشايخ الصوفيه القول بوحده الوجود و أنّ الوجودات بل الموجودات ليست بمتكثّره فى الحقيقه بل هناك موجود واحد قد تعدّدت شئونه و تكثرت أطواره ثمّ قال: و لمّا كان ذلك بحسب الظاهر و بالمعنى المتبادر مخالفا لما يحكم به بديهة العقل من تكثّر الموجودات بالحقيقه لا بمجرد الاعتبار تصدّى كثير من المحقّقين لتوجيه كلامهم، انتهى.

و قال القيصرى فى شرح الفصوص لمحيى الدين:

حقيقه الوجود إذا اخذت بشرط أن لا يكون معها شىء فهى المسمّاه عند

الصوفيّه بالمرتبه الأحديه المستهلكه جميع الأسماء و الصفات فيها، و يسمّى جمع الجمع و حقيقه الحقائق و العماء أيضا، و إذا اخذت بشرط شيء، فأمّا أن يؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمه لها كليّها و جزئها المسمّاه بالأسماء و الصفات فهي المرتبه الالهيه المسماه عندهم بالواحديه و مقام الجمع، و هذه المرتبه باعتبار ايصال مظاهر الأسماء الّتي هي الأعيان و الحقائق إلى كمالاتها المناسبه لاستعداداتها في الخارج تسمّى مرتبه الرّبوبيه، و إذا اخذت لا بشرط شيء آخر و لا بشرط لا شيء فهي المسماه بالهويّه السّاريه في جميع الموجودات، و إذا اخذت بشرط ثبوت الصور العلميه فيها فهي مرتبه الاسم الباطن المطلق و الأوّل و العليم و ربّ الأعيان الثابته - إلى أن قال - و إذا أخذت بشرط الصّور الحسيّه العينيّه فهي مرتبه الاسم المصوّر و ربّ العالم الخيال المطلق و المقيّد. و إذا أخذت بشرط الصور الحسيّه الشهادتيّه فهي مرتبه الاسم الظاهر المطلق و الآخر و ربّ عالم الملك، و مرتبه الانسان الكامل عباره عن جميع المراتب الالهيه و الكوتيّه من العقول و النفوس الكليه و الجزئيه و مراتب الطبيعه إلى آخر تنزلات الوجود، و يسمّى بالمرتبه العمائيه أيضا فهي المضاهيه للمرتبه الالهيه، و لا فرق بينهما إلّا بالرّبوبيّه و المربوبيه، و لذلك صار خليفه الله، و إذا علمت هذا علمت الفرق بين المراتب الالهيه و الرّبوبيه و الكونيه، انتهى.

و قال صاحب الشوارق في گوهر مراد في الفصل الذي ساقه لبيان كيفيه صدور المعلول من العلّه ما محصله:

إنّ الصوفيّه قالوا إنّ صدور المعلول من العلّه عباره عن تنزّل العلّه بمرتبه وجود المعلول و تطورها بطور المعلول و من هنا تفتنوا بوحده الوجود بمعنى أنّ الوجود حقيقه واحده ساريه في جميع الموجودات، و ليست مهيّات الممكنات إلّا امورا اعتباريه و الموجودات بأسرها مظاهر تلك الحقيقه الواحده بحيث لا يلزم الاتّحاد و الحلول، لأنهما فرع الاثنيّيه و لا موجود إلّا واحد.

قال: و فهم هذا المعنى بغايه الاشكال لأنهم ادعوا أنّ فهم ذلك لا يتيّسر

بالعقول المتعارفه بل بالرياضه و المجاهده و بطور وراء طور العقل، و هو فناء السالك فى سلوكه من نفسه و عقله و من جميع المعقولات و الموهومات فضلا عن المحسوسات و قصره همته فى التوجه الى الحق و ذكره له بلسانه و قلبه بحيث لا يخطر بقلبه سواه و لا- يبقى فى قلبه غيره حتى يغيب عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله، و إن لاحظها فمن حيث هى لاحظها لا من حيث هى مزينه بزينه الحق، بل لا يكون الذكر أيضا ملحوظا فضلا عن الذكر.

قال: و إذا داوم السالك على ذلك يفيض عليه نور من أنوار الالهيه يشاهد به حقايق الأشياء على ما هى عليها كما يشاهد المحسوسات بحس البصر.

قال: و نحن اعتقدنا بإمكان صدق هذه الدعوى بحسن ظننا بالسلف، و ليس المراد بهذا النور المذكور نور يفاض عليه من الخارج، بل نور مودع فى نفس الانسان ذواته، و الغرض من الرياضه و المجاهده تصفيته و تجليته من الأكدار الطبيعى و الحسيه و الخياليه و الوهميه، و إذا حصلت التصفيه و التجليه بالرياضات العلميه و العمليه و الاعتقاد بالعقايد الحقه صار هذا النور من القوه إلى الفعل، و يرى به الأشياء و يشاهدها بعين اليقين، اللهم بلغنا إلى ذلك المقام العالى باخراجنا عن هذا المنزل الفانى البالى، انتهى ما أهمنا نقله من كلامه.

و قد سلك هذا المسلك صدر المتألهين و صرح به فى كتبه الكلاميه و غيرها فى موارد كثيره.

قال فى الفصل الأول من إلهيات الأسفار الذى ساقه لاثبات وجود الواجب تعالى و الوصول إلى معرفه ذاته ما هذه عبارته:

اعلم أن الطرق إلى الله كثيره لكن بعضها أوثق و أشرف و أنور من بعض، و أسد البراهين و أشرفها هو الذى لا يكون الوسط فى البرهان غيره بالحقيقه، فيكون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود، و هذه سبيل الصديقين الذين يستشهدون بذاته على صفاته و بصفاته على أفعاله واحدا بعد واحد.

و ذلك لأن الرّبّانيّين ينظرون إلى الوجود و يحقّقونه و يعلمون أنّه أصل

كُلُّ شَيْءٍ ثُمَّ يَصْلُونَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ إِلَى أَنَّهُ بِحَسَبِ حَقِيقَتِهِ وَاجِبُ الوجودِ، وَ أَمَّا الْإِمْكَانُ وَ الْحَاجَةُ وَ الْمَعْلُومِيَّةُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَمَّا يَلْحَقُهُ لَا- لِأَجْلِ حَقِيقَتِهِ بَلْ لِأَجْلِ نَقَايِصٍ وَ إَعْدَامِ خَارِجِهِ عَنْ أَصْلِ حَقِيقَتِهِ، ثُمَّ بِالنَّظَرِ فِيمَا يُلْزَمُ الْوُجُوبُ وَ الْإِمْكَانُ يَصْلُونَ إِلَى تَوْحِيدِ ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَى كَيْفِيَّةِ أَعْمَالِهِ.

وَ تَقْرِيرُهُ أَنَّ الوجودَ كَمَا مَرَّ حَقِيقَتُهُ عَيْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ بِسَيِّطِهِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَفْرَادِهَا لِذَاتِهَا إِلَّا بِالْكَمَالِ وَ النِّقْصِ وَ الشَّدَّةِ وَ الضَّعْفِ أَوْ بَامُورٍ زَائِدَةٍ كَمَا فِي أَفْرَادِ مَا هِيَ نَوْعِيَّةٌ وَ غَايَةُ كَمَالِهَا مَا لَا أَتَمُّ مِنْهُ وَ هُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِغَيْرِهِ وَ لَا يَتَصَوَّرُ مَا هُوَ أَتَمُّ مِنْهُ، إِذْ كُلُّ نَاقِصٍ مُتَعَلِّقٌ بِغَيْرِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَى إِتْمَامِهِ.

فَإِذَا الوجودَ إِمَّا مُسْتَغْنٍ عَنْ غَيْرِهِ، وَ إِمَّا مُفْتَقِرٌ لِذَاتِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَ الْأَوَّلُ هُوَ وَاجِبُ الوجودِ وَ هُوَ صَرَفُ الوجودِ الَّذِي لَا أَتَمُّ مِنْهُ وَ لَا- يَشُوْبُهُ عَدَمٌ وَ لَا- نَقْصٌ، وَ الثَّانِي هُوَ مَا سِوَاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ وَ آثَارِهِ وَ لَا قَوَامَ لَهَا سِوَاهُ إِلَّا بِهِ لَمَّا مَرَّ أَنَّ حَقِيقَةَ الوجودِ لَا نَقْصَ لَهَا وَ إِنَّمَا يَلْحَقُهُ النِّقْصُ لِأَجْلِ الْمَعْلُومِيَّةِ، وَ قَدْ مَرَّ أَنَّ الوجودَ إِذَا كَانَ مَعْلُولًا كَانَ مَجْعُولًا بِنَفْسِهِ (١) جَعَلًا بِسَيِّطَا وَ كَانَ بِذَاتِهِ مُفْتَقِرًا إِلَى جَاعِلٍ، وَ هُوَ مُتَعَلِّقُ الْجَوْهَرِ وَ الذَّاتِ بِجَاعِلِهِ.

فَإِذَا قَدْ ثَبَتَ وَ اتَّضَحَ أَنَّ الوجودَ إِمَّا تَامَ الْحَقِيقَةُ وَاجِبُ الْهُوِيَّةِ، وَ إِمَّا مُفْتَقِرُ الذَّاتِ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقُ الْجَوْهَرِيَّةِ، وَ عَلَى أَيْ الْقَسْمَيْنِ ثَبَتَ وَ تَبَيَّنَ وَجُودَ وَاجِبُ الوجودِ غَنَى الْهُوِيَّةِ عَمَّا سِوَاهُ - إِلَى أَنْ قَالَ بَعْدَ جُمْلَةٍ مِنَ النِّقْصِ وَ الْإِبْرَامِ:

فَإِذَا حَقِيقَةُ الوجودِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ بِحَسَبِهِ وَ أَمَّا الْوَحْدَةُ الَّتِي تَجْمَعُ الْكُلَّ فَهِيَ لَيْسَتْ نَوْعِيَّةٌ وَ لَا جَنْسِيَّةٌ بَلْ ضَرْبًا آخَرَ مِنَ الْوَحْدَةِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْكَامِلُونَ.

وَ قَالَ فِي شَرْحِ الْكَافِي فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مِنْ بَابِ جَوَامِعِ التَّوْحِيدِ:

«تَوْحِيدُ عَرْشِي» أَعْلَمُ أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى حَقِيقَةُ الوجودِ بِلا حَدٍّ، وَ حَقِيقَةُ الوجودِ لَا يَشُوْبُهُ عَدَمٌ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ بِهَا وَجُودُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ وَ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَجُودُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، إِذْ لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الذَّاتُ وَجُودَ الشَّيْءِ بَعِينَةً أَوْ الْأَشْيَاءُ بَعِينَهَا وَ لَمْ تَكُنْ لَشَيْءٍ آخَرَ أَوْ الْأَشْيَاءِ أُخْرَى لَمْ يَكُنْ حَقِيقَةُ الوجودِ

ص: ١٤٨

١- (١) - أَيْ لَا بِالْعَرَضِ وَ التَّبَعِيَّةِ لِلْمَاهِيَةِ كَمَا أَنَّ الْمَاهِيَةَ مَجْعُولَةٌ بِوَاسِطَتِهِ وَ تَبَعِيَّةٌ مِنْهُ.

و قد فرضناها حقيقه الوجود أو حقيقه الشيء و صرفه لا يتعدّد كالانسان مثلاً فإنه لا يمكن أن يتعدّد من حيث هو انسان، و ليس التعدّد في زيد و عمر إلّا بأمر خارج عن حقيقه الانسانيه فحقيقه الوجود لا يتعدّد إلّا بشيء خارج، و لكن الخارج ليس إلّا العدم إذ المعاني و المهيّات تابعه للوجود و العدم ليس بشيء ثابت فثبت أن لا تعدّد في الوجود إلّا من جهة الاعدام و النقائص.

فاذن لمّا كان واجب الوجود محض حقيقه الوجود الصرف الذي لا أتم منه فلا خارج عنه إلّا النقائص العدميه و الاعدام فهو كلّ الدّوات و لا يشذّ عنه شيء من الموجودات من حيث كونه موجوداً بل من حيث كونه ناقصاً أو معدوماً.

و قال في شرح الحديث الأوّل من باب أدنى المعرفه:

اعلم أنّ للتوحيد و ساير معارف الايمان أربع درجات كقشر الجوز، و قشر قشره، و لبّه، و لبّ لبّه.

الدّرجه الاولى أن يقول باللسان: لا إله إلّا الله و قلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق و الثانيه أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما يصدّق به عموم المسلمين و هو اعتقاد و ليس بعرفان.

و الثالثه أن يعرف ذلك بطريق الكشف بالبرهان بواسطه نور الحقّ و هو مقام المقرّبين، و ذلك بأن يرى أشياء كثيره و لكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار الرّابعه أن لا يرى في الوجود إلّا واحداً و هو مشاهده الصّديقين و تسميه الصوفيّه بالفناء في التوحيد.

فالأوّل موحد باللسان و يعصم ذلك صاحبه عن السيف و السنان.

و الثاني موحد بمعنى أنّه معتقد بقلبه.

و الثالث موحد بمعنى أنّه لم يشاهد إلّا مؤثراً واحداً و يرى أنّه لا فاعل بالحقيقه إلّا واحد، و الوسائط مترتبه في القرب و البعد منه تعالى لصدورها منه

على الترتيب الضروري لا لكونها علل الایجاد بخلاف ما عليه الأشاعره.

و الرابع موحّد بمعنى أنّه لم يحضر فى شهوده غير الواحد الحقّ فلا يرى الكلّ من حيث هو كثير بل من حيث هو واحد، لأنّ المهيّات المختلفه لا وجود لها إلّا بالوجود، و الوجود بذاته موجود و له حقيقه واحده متفاوتة الدّرجات و المقامات و لكلّ مقام خواص و لوازم ينتزع منه و يصدق عليه و هى المسّماء بالمهيّات و الأعيان الثابته الّتى ما شمت رائحه الوجود، و لا هى مجعوله و كذا الأعدام و النقائص لا يتعلق بها جعل و تأثير، إذ لا وجود لها فالحقيقه على صرافه وحدتها الذاتيه الّتى لا مثل لها و لا شبه و لا ندّ و لا ضدّ، إذ ليست هذه الوحده وحده عدديّه يحصل بتكرّرها العدد، سواء كان فى العين أو فى الدّهن، و لا جنسيّه و لا نوعيه و لا مقداريّه و لا غير ذلك من أقسام الوحدات.

فهذا هو الغايه القصوى فى التوحيد و إن كانت الأذهان قاصره عن إدراكها و لكن لا أقلّ من التسليم و عدم التلقّى بالوجود و الانكار، و الله ذو الفضل العظيم.

و قال فى شرح الحديث الخامس من باب حدوث العالم:

إنّ مهيتّه تعالى إيتيه بمعنى أن لا مهيتّه له سوى الحقيقه المحضه و الاثيه البحته و الوجود الصرف الذى لا يشوبه عدم و لا عموم و لا خصوص فاليه الاشاره بقوله عليه السّلام: شىء بخلاف الأشياء.

لأنّ كلّ ما سوى حقيقه الوجود له مهيتّه خاصّه يعرضها عدم و قصور يلحقها كليّه و جزئيه، و كلّ منها يسلب عنها أشياء كثيره وجوديه، فهذا جسم و هذه صورته، و هذا فلك و هذا انسان، فما هو فلك ليس بانسان، و ما هو جسم ليس بعقل و ما هى صورته ليست بمادّه.

و هذا بخلاف ذاته تعالى إذ هو كلّ الوجود و كلّ الوجود و ما من شىء إلّا و هو ذاته أو تبع و رشح لذاته، و ما فى الوجود إلّا ذاته و صفاته و أفعاله.

و قال فى شرح الحديث الرابع من باب اطلاق القول بأنّه شىء:

و نسبه جميع الأشياء إليه تعالى نسبه ساير الأضواء و ظلالها إلى ضوء

الشمس الذى به يضىء كل شىء و هو مستغن عن غيره لو كان لضوئها قيام بنفسه و لكنّه يغاير الأوّل تعالى بأنّ الضوء فيها يحتاج إلى موضوع و هو محسوس، و الوجود الأوّل لا موضوع له و لا محسوس، بل معقول لذاته و عاقل و عقل لذاته و لما سواه من الأنوار العقلية القاهره و المدبّره و ساير الصّور و الأجرام و عوارضها و الوجودات الفايضه منه كالأنوار و المهيّات التابعه لها كالظلال و الأجسام كالظلمات، و لله المثل الأعلى فى السماوات. إلى غير ذلك ممّا لا نطيل بنقله.

و قال بعضهم:

كلّما فى الكون وهم أو خيال أو عكوس فى المرايا أو ظلال

و قال عامر بن عامر البصرى و هو من صوفيّه الشيعة كما فى مجالس المؤمنين فى مفتتح قصيدته الّتى سماها ذات الأنوار فى معنى الوحده الصرّفه:

إنّ ذلك ليس بحلول كما ظنّه بعض المتوّهمين، و ذلك لأنّ الحلول يقتضى وجود شيئين أحدهما حالّ و الثانى محلّ، و ليس الأمر كذلك عند فحول المتوحّدين، بل عندهم أنّ الواحد المطلق من كلّ الوجوه لا يبقى سواه، و هو ظاهر بالكلّ للكلّ، و لكلّ فرد من أفراد كثرته الدّاخله فى حقيقه وحدته نصيب من عين تلك الوحده، و لا خروج له عنها و لا انعدام يطرى على شىء ثمّ شرع فى القصيده المسّماه بذات الأنوار و قال فى مطلعها:

تجلّى لى المحبوب فى كلّ وجهه فشاهدته فى كلّ معنى و صوره

و خاطبنى منى بكشف السرائر تعالت عن الأغيار لطفا و جلّت

فقال أ تدرى من أنا قلت أنت يا منأى أنا إذ كنت أنت حقيقتى

فقال كذاك الأمر لكنّما إذا تعيّنت الأشياء بى كنت نسختى

فأوصلت ذاتى باتّحادى بذاته بغير حلول بل بتخصيص نسبه

فصرت فناء فى بقاء مؤبّد لذات بديموميّه سرمديه

إذا رمت إثباتا لايتى محاهواه وجودى محوه أى محوه

فأخذنى منى فأصبح سائلا لنفسى عن نفسى حضورا لغيبه

و انظر في مرآت ذاتي مشاهدا لذاتي بذاتي و هو غايه غايته
فاغدو و أمري بين أمرين واحد علومي تمحوني و وهمي مثلتي
إلى أن قال:

بدا ظاهرا بالكلّ للكلّ بينا فشاهده العينان في كلّ ذره
و أشرق منه مطلق قيد الوري عموما بوحدانيه صمديّه
هو الواحد الفرد الكثير بنفسه و ليس سواه إن نظرت بدقه
به كلّ حيّ و هو حيّ بذاته و إن شئت أن تحيي به فله مت
له كلّ عين في الوجود يرى بها له كلّ اذن في البرايا وعيه
له كلّ كفّ في الواري باطشا بها له كلّ علم من علوم الخلقه
لذلك ما قال الاله لادم على صورتي كانت لخلقك خلقتي
فكثرت مخفيه تحت وحده كما أنا فرد كثرتي تحت وحدتي
بقيت به لما فنيت له كما وجدت حياتي فيه من بعد موتي
إلى أن قال:

نظرت فلم ابصر سوى محض وحده بغير شريك قد تقسّط بكثره
تكثر الأشياء و الكلّ واحد صفات و ذات ضمنا في هويّه
يحجب عنا و اختفى بظهوره فضلّ فيه كلّ قوم بحجّه
فساير ذرات الوجود مظاهر له إن رآه باصر ببصيره
محا ممكنات الوهم منه بواجب حوى كثره توحيدها بالضروره
و ذاك لأن لا شيء يوجد غيرها و جملتها موجوده بالمعنيه
لك الكلّ يا من لا سواه فمن رأى سواك فرؤيا ذاك من أحوليه

۱- (۱) با من آمیزش او الفت موج است و کناردائما با من و پیوسته گریزان از منمجموعه کون را بقانون سبقکردیم تصفح
ورقا بعد ورقحقا که نخواندیم و ندیدیم در اوجز ذات حق و شئون ذاتیه حق

و مظاهر له.

و بعباره اخرى الوجود إذا اعتبر لا بشرط التَّعَيَّن و عدم التَّعَيَّن يكون حقيقه الواجب، و اذا اعتبر بشرط التَّعَيَّن بالماهيه يكون عين حقيقه الممكنات فيكون حقيقه كل ممكن هو الوجود المتعَيَّن بالماهيه، فاذا لم يعتبر فيه التَّعَيَّن كان عين حقيقه الواجب، تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا.

اذا عرفت ذلك فأقول:

إنَّ بطلان هذا الاعتقاد الفاسد ممَّا دلَّ عليه العقل و النَّقل، و لكونه من مزالِّ الأقدام يحتاج إلى بسط الكلام في ذلك المقصود و المرام، بعون الله المالك المهيمن السَّلام، و بالله أستعين و أستمَدَّ و بمحمَّد و آله الطاهرين سلام الله عليه و عليهم أجمعين أتوسَّل في كشف الحجاب عن وجه المرام.

اما الدليل العقلي على بطلانه

فموقوف على تمهيد مقدّمه متضمّنه للفرق بين الواجب تعالى شأنه و الممكن و هو بوجوه:

الاول

الافتقار و عدم الافتقار

بيانه: أنَّ الموجود إمَّا موجود بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره أى - العلّه الموجدّه، أو موجود لا بنفسه بل مفتقر إلى العلّه، و الحصر بينهما عقليّ دائر بين النفي و الاثبات، فلا يتصوّر واسطه بين الافتقار و عدم الافتقار، فلا موجود خارجا من القسمين و المتّصف بعدم الافتقار هو الواجب و بالافتقار هو الممكن.

أمّا الثّاني فلا بدّ أن ينتهى وجوده إلى علّه قائمه بذاتها موجوده بنفسها، إذ معنى افتقاره هو قبوله لأثر العلّه الذى هو الوجود، فلو لم تكن العلّه بنفسها موجوده لكانت فاقده للأثر و الفاقد للشيء كيف يكون معطيا، و مجرد وصول الأثر بواسطه إلى محلّ لا يرفع الافتقار فلا بدّ من الانتهاء إلى المؤثر القائم بذاته ؟؟؟؟ عنى غير المفتقر في وجوده إلى غيره.

؟؟؟؟ يكون وجوده علّه لوجوده و هو غير معقول لاستلزامه تقدّم الشيء

على نفسه.

و إما بأن يكون نفسه عين الوجود أى لا يكون له ماهية و وجود كما فى الممكنات بل يكون ماهيته ائيته و هو المطلوب.

فان قلت: هل له تعالى ماهية؟ قلت: الماهية لها معنيان:

أحدهما بازاء الوجود كما يقال وجود الممكن زايد على ماهيته و الماهية بهذا المعنى يعرضها العموم و الاشتراك فليست له تعالى ماهية بهذا المعنى.

و ثانيهما ما به الشيء هو هو و هذا يصح له عزّ و جلّ و قد صرح به الصادق عليه السلام فى جواب الزنديق فى حديث طويل مرويّ فى الكافى قال: قال له السائل: فله إتيه و مائه؟ قال عليه السلام: نعم لا يثبت الشيء إلاّ بآتيه و مائه.

الثانى

أنّه تعالى منزّه عن الحدّ و الرسم

و المثل و الشبه و الضدّ و النّد، و التنزّه مقتضى ذاته و الممكن محدود ممثّل.

أمّا الأوّل فلما عرفت من أنّه تعالى نفس الوجود و متعيّن الذات بوجوب وجوده و ليس له ماهية و وجود فليس بذى أجزاء و ما لا جزء له لا جنس له و لا فصل له و ما لا جنس له و لا فصل له لا حدّ له، و إذ ليست له صفة لازمه و لا خاصّه فلا رسم له، و ما لا- حدّ له يمتنع إقامة البرهان عليه إلاّ أنّه من حيث كونه مبدءاً لأفعاله و آثاره و بارئاً لمخلوقاته ممّا يقام عليه البرهان كما يقال: العالم مصنوع مبنى يقتضى أنّ له صانعا بانيا، فالعالم له صانع و إذا ثبت أنّ للعالم صانعا ثبت وجوده ضروره.

و أما الثانى فلتركبه من الوجود و الماهية يكون ذا أجزاء و الوجود للممكنات أمر عقلى متصوّر فى الذّهن مشترك بين الموجودات زايد فى تصوّر على المهيّات و قد عرفت أنّ المهيّة التى هى معروض الوجود أيضا مما يعرضه العموم و الاشتراك فافراد الممكنات بجميعها مشتركة فى أمر جامع بينها به يشابه أحدها الآخر و يشاكله

ص: ١٥٤

و يتميّز أحدهما عن الآخر بأمر بائن، و ليس الحدّ إلّا عبارته عن الجامع الفارق.

و أيضا كلّ متصف بالوجود الامكانى فله مهية و وجود.

أما المهية فلكونها غير الوجود يحتاج فى موجوديتها إلى جاعل يجعلها موجودا إذ المهية لا تقتضى نفسها وجودها و إلّا لكان وجودها قبل وجودها و هو محال ضروره تقدّم المقتضى على المقتضى.

و أما الوجود فلائذ كلّ وجود غير وجوده تعالى فهو يشوبه عدم و نقص فيحتاج إلى موجد و له حدّ معين من مراتب الوجود يحتاج إلى محدّد إذ لو كانت نفس طبيعه الوجود تقتضى ذلك الحدّ لكان الجميع كذلك و ليس كذلك، فاذن الوجود فى كلّ موجود نفس تعيينه الخاصّ و وحدته الشخصيه و تشخصه المحدّد و المعين، و كلّ ما له حدّ فله عله محدّده تحدّده على ذلك الحدّ.

و هذا بخلاف الوجود الالهى الذى هو عين ذاته و تعيينه بالوجوب فلا قاهر فوقه و لا محدّد له إذ ليس فيه إلّا محض الحقيقه القدسيه و التنزّه.

بل قد قال بعض الأساطين: إنّ انفكاك المهية من الوجود إنما هو فى تحليل العقل، و أما فى الواقع فهى عينه حيث قال:

إنّ الوجود لا بدّ له عما يخرجّه عن الاليهام، فلا يتحقّق إلّا بعد التعيّن التمام بالفصول المتنازله إلى أن ينتهى إلى التشخص. فبعد التعيّن التام يتحقّق و الترتب إنما هو فى المرتبه و التحليل، و هذا ما أشاروا إليه بقولهم: إنّ الشىء ما لم يتشخص لم يوجد و ما لم يوجد لم يتشخص، و أنّ التشخص يساوق الوجود، فانه ذات الوجود و خلّوه عنه سلب الشىء عن نفسه.

و بما حقّقنا ظهر أنّ الماهيه عين الوجود، و انما ينفكان فى التحليل، فيحمل الوجود على الماهيه و يعرضها باعتبار كما أنّ الماهيه تعرض الوجود باعتبار آخر و فى الحقيقه ليس هناك إلّا الوجود الخاصّ، فالوجود الذى هو نقيض عدمه بنفسه لا يتقوم بل هو و الحدّ و التحديد مستند إلى أمر وراء ذلك، فالمبدء تعالى ليس له ذات و وجود، و إنما يعبر بعبارتين بالالغاء و ضيق المجال كما هو الحال فى جميع

صفات الجمال، و هذا متن بيان مقتبس من مشكاه النبوه إلى أن قال:

ظهر من جميع ما تقدّم أنّ إثبات المبدأ تعالى لا ينفكّ عن التوحيد، ضروره أنّ الحدّ ينافى الوجود و التعدّد لا يعقل إلاّ بالحدود و قال:

و كشف الحجاب أنّ الوجود عين هويّته و نفس الماهيه كما هو محصّل عروض الوجود للماهيه، و التفكيك إنّما هو بالتحليل و كذا الحمل و العروض، فقبل التحقّق الذى هو عين الواقع و الخارج لا وجود و لا ماهيه، و معه لا تمايز.

فلهيوائيه مثلا نحو من الوجود لأنّ الحركه بالاراده و الحسّ وجود و المعدوم لا يعقل أن يكون حيوانا و حساسا، و كذا النطق و هو إدراك الكليات و ملكه اكتساب النظريات نحو من الوجود و المعدوم ليس ناطقا بالضروره.

و كذا الحال فى جميع الأجناس و الفصول و الأنواع الملتئمه منها المترتبه فأنّه صرف الفرض و ليس كون الانسان قبل الوجود انسانا و كون الوجود وجودا قبل التحقّق إلاّ- مجرد الفرض، فعدم كون الانسان و الوجود قبل التحقّق وجودا و انسانا مخالف للفرض لا أنّه سلب للشئ عن نفسه كيف و ليس هناك شئ و لا نفس إلاّ بالفرض.

ألا- ترى أنّ اجتماع التقيضين لو كان اجتماعا تحقيقيا لكان محققا و إنّما هو مجرد فرض و تقدير، فالانسائيّه التحقيقيه و هو الحيوائيه مع النطق لو كانت غير الوجود فكيف يكون متحرّكا بالاراده و مدركا للمعقولات و هو لا وجود له.

و من خفى عليه هذا المعنى خبط خبطه عشواء فبين من ذهب إلى أنّ التقرير مرحله سابقه على الوجود، و من توهم أنّ بين الوجود و العدم مرحله تسمى بالحال و لم يتفطنوا أنّ ارتفاع التقيضين محال، انتهى ما أهتمنا نقله من كلامه دام عزّه و علاه.

و قد اتّضح منه كلّ الوضوح أنّ الممكن لا تحصل له إلاّ بالوجود و الماهيه و أنّ الماهيه بحسب الخارج عين الوجود وحده، و أنّ معنى عروض الوجود للماهيه أنّ الملحوظ فى الوجود إنّما هو حدّه المعين لا أنّ هناك عارضا و معروضا

فانقذ منه أنّ قول الصوفيّه بأنّ الماهيّة ماهيّة حال العدم و هي المعبر عنها بالعين الثابت، و قولهم بأنّ الأعيان الثابتة ما شمت رايحه الوجود ممّا لا معنى له أو التفكيك بين الثبوت و الوجود و القول بأنّ تصاف الماهيّة بالأوّل دون الثاني سفسطه محضه.

الثالث

أنّ الواجب تعالى وجوده تامّ فوق التّمام

، و الممكن موصوف بالقصور و النقصان، و التّمام مقتضى ذات الأوّل كما أنّ النقصان لازم وجود الثاني.

و المراد بكونه تامّاً كونه جامعاً لجميع صفات الكمال إذ قد قلنا إنّ عين الوجود و الكمالات كلّها وجود، فتكون الكمالات جميعاً حاصله له بالفعل بنفسه من دون افتقار إلى الاستكمال بالغير، و هذا من ضيق العبارة بل كما أنّ ذاته تعالى صرف الوجود كذلك صرف العلم و القدره و الاختيار و الحياه و غيرها من الصّفات الكماليّة، و هذه الصّفات عين ذاته كما قال أمير المؤمنين: علم كلّ قدره كلّ حياه كلّ.

و المراد بفوق التّمام كونه مع جامعيتّه للكمالات و تماميتها له موجداً لوجود غيره و كمالاتهم جميعاً أيضاً.

و أمّا الممكن فلا ينفك عن وصف الافتقار و الامكان و المهية و المعلوليه و التركيب و غيرها من النقائص، و ما يتصوّر فيه من وصف الكمال فأمّا أن لا يكون حاصله له بالفعل بل بالقوّه كالانسان مثلاً، أو يكون حاصله بالفعل و لكن حصوله ليس بنفسه بل بالغير، فعلم من ذلك أنّ الواجب تامّ و الممكن ناقص.

و اذا عرفت هذه المقدّمه الشريفه ظهر لك فساد القول بوحده الوجود، لأنّه إذا كان الواجب عله و الممكن معلولاً، و الأوّل مستغنياً و الثاني مفتقراً، و الأوّل منزّهاً عن الحدّ و التعيّن و الثاني محدوداً متعيّناً بالماهيه، و الأوّل بسيطاً و الثاني مركّباً، و الأوّل تامّاً فوق التّمام و الثاني مكتنفاً بالعدم و النقصان حسبما عرفته

فى المقدمه التى مهّدهاها، فكيف يعقل ترقى الثانى إلى مرتبه الأول، فإنّ ذاتى الشىء لا ينفك عنه و المعلوليه و المحدوديه و الافتقار و النقصان من لوازم ذات الممكن فكيف يتصوّر أن يلقى الممكن إتيته على اصطلاحهم و يصل إلى مرتبه الواجب.

مع أنّ إتيته ليس إلّا تعينه بماهيته و بعد ارتفاع التعين و التحدّد لا يبقى ماهيته و لا وجود، فلا يكون هناك شىء أصلا.

و كذلك إذا كان الواجب تعينه بذاته و بكنهه و منزّها عن الحدود لكونه صرف الوجود و كان تامّا فوق التمام كان مباينا للممكن غاية بينونه كما قال الرضا عليه السلام فى الحديث المروى عنه فى الكافى: مباينته إياهم مفارقتها إتيّتهم، فكيف يتوهم كونه ساريا فى الموجودات.

و هؤلاء الجهله لما سمعوا أنّ الواجب وجود خال من جميع الحدود و القيود، و أنّ الوجود مفهوم واحد نقيض العدم، فتوهموا أنّ الوجود الخالى من جميع القيود هو الوجود المطلق لا- بشرط التعين و عدم التعين، فيجتمع مع جميع التعينات الامكانيه، و يكون عين حقيقه كلّ ممكن.

و هذا التوهم من الفساد بمكان لأنّ معنى خلوّ الواجب من القيود، هو خلوّه من التعينات الامكانيه لا من مطلق التعين و لو بذاته، فتعينه سبحانه بوجوب وجوده الذى هو عين ذاته فعلى هذا يكون طرد الحدود و التعينات الامكانيه محالا، و ليس معنى خلوّه منها كونه مبهما ساريا فى التعينات مثل سريان الكلّيات فى مصاديقها الخارجيه المتعينه.

و بعباره أوضح أنّ الواجب مع قطع النظر عن الحدود و التعينات إمّا مبهم أو متعين.

أمّا الأول فتحققه محال بالضروره، لأنّ الشىء ما لم يتشخص لم يوجد و من هنا قالوا إنّ الكلّى الطبيعى أمر مبهم لا يمكن تحقّقه فى الخارج إلّا بضمّ التعينات و تشخصات الأفراد.

و أما الثانى فاما أن يكون سرايته فى المخلوقات مع تعينه الذى هو له فهو محال، لأنه جمع بين النقيضين إذ التعين الوجوبى مناف للتعين الامكانى و مناقض له، أو مع إلقائه لتعينه الذاتى و تعينه بالتعين الامكانى و هو فرع أن يكون متحرك غير واجب و ممكن يكون فى تلك المراتب و يكون واجبا تاره و ممكنا اخرى و هو باطل.

و الحاصل أن الواجب إمّا مبهم محض و جامع بين جميع الموجودات كما هو شأن الجامعه الساريه، و هو مستلزم لنفى وجود الصانع تعالى عن ذلك علوا كبيرا، و إما أنه متعين بحب ذاته فيستحيل سريانه فى الامور المتعينه بالحدود و القيود.

و الى ذلك أشار المحقق الطوسى فى شرح الاشارات حيث قال:

حقيقه الواجب ليست هى الوجود العام بل هى مجرد وجوده الخاص به المخالف لساير الموجودات لقيامه بالذات.

و قال أيضا: الوجود داخل فى مفهوم ذات واجب الوجود لا الوجود المشترك الذى لا يوجد إلا فى العقل بل الوجود الخاص الذى هو المبدأ الأول لجميع الموجودات و إذ ليس له جزء فهو نفس ذاته و هو المراد من قولهم: مهيته هى إتيته انتهى.

و قال المعلم الثانى فى محكى كلامه من كتاب الجمع بين الرايين:

إنه لما كان البارى جلّ جلاله بائيه ذاته مباينا لجميع ما سواه و ذلك له بمعنى أشرف و أفضل و أعلى بحيث لا يناسبه فى إتيته شىء و لا يشاكله و لا يشبهه حقيقه و لا مجازا، ثم مع ذلك لم يكن بدّ من وصفه و اطلاق كلّ لفظه كماله من هذه الألفاظ المتواطئه عليه، فإنّ من الواجب الضرورى أن نعلم أنّ مع كلّ لفظه نقولها فى شىء من أوصافه معنى بذاته بعيدا من المعنى الذى نتصوره من تلك اللفظه و ذلك كما قلناه بمعنى أشرف و أعلى حتى إذا قلنا إنه موجود علمنا مع ذلك أنّ وجوده لا كوجود ساير ما دونه، و إذا قلنا إنه حيّ علمنا أنه بمعنى أشرف من الحيّ الذى هو دونه و كذلك الأمر فى سايرها، انتهى.

و هو كما ترى نصّ صريح مثل الاخبار الاتيه الوارده من معادن القدس و الطهاره فى أنّ مباينته لغيره بنفس ذاته. فلا يتّصف بالماهيه و لا بالوجود بالمعنى المتصوّر فى الممكن، بل إذا قلنا إنّّه موجود و وصفناه بالوجود فهو بمعنى اعلا ممّا يتصوّر العقل، و هكذا إذا وصفناه بالعلم و الحياه و ساير الصفات الثبوتيه و هو معنى ما ورد فى غير واحد من الأخبار الكثيره من أنّه سبحانه شىء لا- كالأشياء فوصفه بأنّه شىء من ضيق المجال و الخروج من حدّ التعطيل، و بأنّه لا كالأشياء للتّزيه و التقديس و نفى التشبيه و الاشاره إلى كونه باينا من الأشياء و كونها باينه منه بنفس ذاته المقدّسه.

و الحاصل أنّه تعالى ممتاز عمّا سواه بذاته، و الوجود عين ذاته، و الوجود الّذى له عزّ و جلّ ليس بالمعنى الذى لها كيف و الوجود الذى لغيره أمر بديهيّ يعرفه الكلّ كساير البديهيّات، و الوجود المخصّص به لا- يدركه بعد الهمم و لا- يناله غوص الفطن، و غايه معرفتنا بذاته أنّا لا نعرف ذاته بيان ذلك أنّ كلّ مدرك باحدى القوى و الحواسّ ظاهريّه كانت أو باطنيه و كلّ ما تدركه المشاعر صوره كانت أو معنى فهو محدود متمثّل تحدّه الحواسّ و تمثله الأفكار، و كلّ ما هو كذلك فهو مخلوق مثلنا مصنوع بفكرنا، و خالق الأشياء منزّه عنه فنعرف ذاته بأنّا لا نعرف ذاته إذ غايه ما يحصل لنا من الاثار و الأفعال كونه مبدء لتلك الاثار و الأفعال صانعا لها، و من ذلك يحصل الجزم بوجوده تعالى.

إذ لو لم يكن موجودا ثابتا لكان معدوما منفيا اذ لا مخرج منهما و لا واسطه بين النفى و الاثبات و الوجود و العدم.

و يلزم من عدمه أن لا- يكون فى الوجود شىء أصلا و اللازم باطل بالبدييه فكذا الملزوم و وجه الملازمه أنّ الكلّ مفتقر فى وجوده إليه فما هو معدوم فى نفسه كيف يكون مفيضا للوجود فثبت بذلك أنّه موجود ممتاز بذاته عمّا عداه هذا.

و الصوفيّته أولياء الشيطان لما ضاق بهم الخناق في إقامه البرهان على مذهبهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد استندوا إلى الكشف و العيان.

قال بعض من له خوض في التّصوف:

إنّ مستند الصوفيّته فيما ذهبوا إليه هو الكشف و العيان لا- النظر و البرهان، فإنّهم لَمّا توجّهوا إلى جناب الحقّ سبحانه بالتّعريه الكامله و تفرّغ القلب بالكلّيه عن جميع التّعلّقات الكونيّه و القوانين العلميه مع توحيد العزيمه و دوام الجمعيّه و المواظبه على هذه الطريقه بدون فتره و لا تقسيم خاطر و لا تشّتّ عزيمه منّ الله سبحانه عليهم بنور كاشف يريهم الأشياء كما هي.

و هذا النور يظهر في الباطن عند ظهور طور وراء طور العقل، و لا تستبعدن وجود ذلك، ف وراء العقل أطوار كثيره يكاد لا يعرف عددها إلّا الله.

و نسبه العقل إلى ذلك النور كنسبه الوهم إلى العقل، فكما يمكن أن يحكم العقل بصحّه ما لا يدركه الوهم كوجود موجود مثلا لا خارج العالم و لا داخله، فكذلك يمكن أن يحكم ذلك النور الكاشف بصحّه بعض ما لا يدركه العقل، كوجود حقيقه مطلقه محيطه لا يحصرها التقييد و لا يقيدّها التعيين.

مع أنّ وجود حقيقه كذلك ليس من هذا القبيل فإنّ كثيرا من الحكماء و المتكلّمين ذهبوا إلى وجود الكلّي الطبيعي في الخارج. و المقصود هنا رفع الاستحاله العقليه و الاستبعادات العاديه عن هذه المسأله لا إثباتها بالبراهين و الأدله، انتهى.

و هو سخيّف جدّا لامتناع أن يكون طور وراء العقل إلّا- النّبوه، و لو جوّز ذلك لبطلت الشرائع و الأديان و الأحكام النقليّه و العقليه و ارتفع الأمان و انسدّ باب الايمان.

و ليس نتيجه ما ذكر من الرّياضه و المجاهده إلّا تلطيف السّر و تهذيب الباطن و تصفيه القلب ليسهل النظر و يسرع الفكر و يصفو الذّهن من الكدر، فيتجزّد المعقولات النظرّيّه عن الغواشي الوهميه و يتميّز المعقول عن الموهوم، و ذلك

هو معنى الكشف و نور الله الكاشف لا ما توهموه.

و مثله فى السخافه استناد بعضهم فى ذلك إلى الأدله السمعيه حيث قال:

إذا علمت أنّ الوجود هو الحقّ علمت سرّ قوله «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ» وقوله «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» والله «بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» و كنت سمعته و بصره، و سرّ قوله: و لو دلّيتم بحبل لهبط على الله، و أمثال ذلك من الأسرار المنبّهه للتوحيد بلسان الاشاره، انتهى.

و لا دلالة فيها على ما زعموه بوجه.

أمّا الايه الاولى فدلالته على بطلان ما زعموه و فسادّه أظهر، بل مكذبه لدعواهم، لأنّ وجود الأشياء عينها فى الخارج لا معها، و قد عرفت أنّ التغاير فى طرف التحليل، و المراد بكونه تعالى معنا فى جميع الأمكنه ما حقّقناه فى شرح الفصل السادس من الخطبه الاولى فى شرح قوله عليه السّلام: مع كلّ شيء لا بمقارنه و أمّا الايه الثانيه فهى أيضا مكذبه لهم لأنّ الاقربيه مستلزمه للمغايره و المنافيه للعيّته، و المراد بها القرب بالعلم و الاحاطه أو باعتبار كون ذاته و وجوده منه تعالى حدودا و بقاء بحيث لو قطع النظر عنه آنا ما هلك و صار عدما محضاً لاستحاله بقاء المعلول من غير علّه و أمّا الايه الثالثه فهى أيضا دليل على بينونه و المغايره، لافادته كون نفس الشخص آيه على صانعه و هو استدلال إنّى و أين ذلك من الاتّحاد.

و أمّا الايه الرّابعه فالمراد بها انحصار الالوهيه فى جميع العوالم فيه تعالى و هو أيضا مكذب للعيّته لمنافاه الالوهيّة لها.

و أمّا الايه الخامسه فالمراد بها أنّه هاد لأهل السماوات بلا واسطه و لأهل الأرض بواسطه الأنبياء و الرّسل و الأئمه عليهم السّلام، و قد ورد تفسيره بهذا المعنى فى أخبار أهل البيت سلام الله عليهم.

و أمّا الايه السادسه فهى أيضا مكذبه لدعواهم لأنّ وجود الشىء ليس محيطا

به بل هو في الخارج و في التحليل عارض له.

و أما الحديث القدسي فلا دلالة فيه أيضا على الاتحاد، بل المراد به معنى آخر أشار به في البحار.

فانه بعد ما روى من المحاسن عن عبد الرحمن بن حماد عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: ما تحبب إليّ عبدى بشيء أحب إليّ مما افترضته إليه، و أنّ عبدى ليتحّب إليّ بالنافله حتى احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق به و يده التى يبطش بها و رجله التى يمشى بها إذا دعانى أجبتة و إذا سألتنى أعطيته.

قال: هذا الخبر يحتمل وجوها:

الأول أنه لكثرتة تخلقه بأخلاق ربّه و وفور حبه لجناب قدسه تخلى عن شهوته و إرادته، و لا ينظر إلا إلى ما يحبه سبحانه و لا يبطش إلا إلى ما يوصله إلى قربته تعالى و هكذا الثانى أن يكون المراد أنه تعالى أحبّ إليه من سمعه و بصره و لسانه و يده و يبذل هذه الأعضاء الشريفة فيما يوجب رضاه فالمراد بكونه سمعه أنه فى حبه و اكرامه بمنزله سمعه بل أعزّ منه لأنه يبذل سمعه فى رضاه و كذا البواقي.

الثالث أن يكون المعنى كنت نور سمعه و بصره و قوّه يده و رجله و لسانه و الحاصل أنه لما استعمل نور بصره فيما يرضى ربّه أعطاه بمقتضى وعده سبحانه «لئن شكرتم لأزيدنكم» نورا من أنواره به يميّز بين الحقّ و الباطل، و به يعرف المؤمن و المنافق كما قال الله تعالى «إنّ فى ذلك لآياتٍ للمؤمنين» و قال عليه السلام: المؤمن ينظر بنور الله، و كذا لما بذل قوّته فى طاعته أعطاه قوّه فوق طاقه البشر كما قال مولانا الأظهر: ما قلعت باب الخير بقوّه جسمانيه بل بقوّه ربانيه و هكذا.

الرابع أنه لما خرج عن سلطان الهوى و أثر على جميع إراداته و مراداته و شهواته لرضى المولى صار الرّب تعالى متصرّفا فى نفسه و بدنه، مدبّرا لقلبه

و عقله و جوارحه فبه يسمع و به يبصر و به ينطق و به يمشى و به يبطش كما ورد فى تأويل قوله «و ما تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» و هذا معنى دقيق لا يفهمه إِلَّا العارفون و ليس المراد به المعنى الذى باح به المبتدعون فأنه الكفر الصريح و الشُّرك القبيح انتهى كلامه رفع مقامه.

و أما الروايه الأخيره فعلى تسليم صحَّه سندها و عدم كونها من موضوعات العامه فمعناها إحاطته تعالى بجميع العوالم و عدم خلوّ مكان منه عزّ و جلّ بهذا المعنى، و أين هذا ممّا زعمه حزب الشيطان من أنّ الوجود هو الله، تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

فقد وضّح و اتّضح من هذا كلّهُ أنّ ما ذهب إليه الزّندى اللّعين محيى الدّين و أتباعه الذين هم أولياء الشيطان و هادمو أساس الشرع المبين من أنّ الوجود هو الحقّ الأوّل و أنّه سار فى الموجودات و أنّها على كثرتها مجالى و مظاهر له، و أنّ الواجب إذا اشتمل على الحدّ و التّعين صار ممكناً، و أنّ الممكن إذا ارتفع عنه الحدّ و التّعين صار واجبا ففى قوس النزول يكون الواجب ممكناً، و فى قوس الصّعود يكون الممكن واجبا، غلط بيّن و كفر و زندقه و إلحاد.

و العجب من صدر المتألّهين أنّه مع ذكائه و براعته فى فنّ الكلام و إذعانه بأكثر ما أوردناه فى المقدّمه الشّريفه، غفل عن نتيجتها و قلّم الصّوفيه فيما هم عليه زعماء منه أنّ ما ذهبوا إليه من وحده الوجود هو نتيجة كلمات الأساطين من الحكماء و المتكلّمين، و لم يتعلّل المباينه، ثمّ ذهب إلى كونه مشتركاً مقولاً على ما تحته بالتشكيك حسبما نقلناه.

قال فى الأسفار:

«فصل» فى أنّ مفهوم الوجود مشترك محمول على ما تحته حمل التشكيك لا حمل التّواطى.

أمّا كونه مشتركاً بين الماهيّات فهو قريب من الأوّلّيات، فإنّ العقل يجد بين موجود و موجود من المناسبه و المشابهه ما لا يجد مثلها بين الموجود

و المعدوم و أطال فى إثبات الاشتراك بما لا طائل تحته إلى أن قال:

و أما كونه محمولا على ما تحته بالتشكيك أعنى الأوليه و الأقدميه و الأشديه، فلأنّ الوجود فى بعض الموجودات بمقتضى ذاته كما سيجىء دون بعض و فى بعضها أقدم بحسب الطبع من بعض، و فى بعضها أتم و أقوى.

فالوجود الذى لا سبب له أولى بالموجوديه من غيره، و هو متقدّم على جميع الموجودات بالطبع، و كذا وجود كل واحد من العقول الفعّاله متقدّم على تاليه، و وجود الجوهر متقدّم على وجود العرض.

و أيضا فإنّ الوجود المفارقى أقوى من الوجود المادى، و خصوصا وجود نفس الماده القابله، فإنّها فى غايه الضعف حتّى كأنّه يشبه العدم و المتقدّم و المتأخّر و كذا الأقوى و الأضعف كالمقوّمين للموجودات و إن لم يكن كذلك للماهيات.

فالوجود الواقع فى كلّ مرتبه من المراتب لا يتصوّر وقوعه فى مرتبه اخرى لا سابقه و لا لاحقه و لا وقوع وجود آخر فى مرتبه لا سابق و لا لاحق، انتهى.

و اعترض عليه بعض أساطين مشايخنا المعاصرين أطال الله بقاءه بقوله:

إنّ هذا الكلام يكشف عن أنّه لم يتعقّل معنى الوجود و الماهيه، ضروره أنّ المتصف بالكلّيه و الجزئيه و التواطى و التشكيك إنّما هو الكلّى الطبيعى، فموضوع هذه الأحكام إنّما هو الماهيه، و أمّا الوجود المنسلخ عنها فى التحليل فهو كالعدم، و مع عدم لحاظ الانسلاخ فيه لا تعدّد و لا تغاير و لا ماهيه و لا وجود، بل هو حينئذ عينها و هى عينه كما لا يخفى و لا يصلح لأن يتّصف بشىء من هذه الصفات إلّا تبعا للذات.

بل التحقيق أنّ الاعراض بأسرها على هذا المنوال فإنّها جهات تحليليه لا اتيه لها و لا ماهيه و إنّما هى شئون المعروض، فإنّ العروض بلحاظ ارتباطه مع الغير فهو غير متأصل لا محاله كالفوقيه و الابدوه و كذا ما يلزم من وجوده

و أمّا اللون و ما شاكله فهو متأصّل لا- كما توهموه من أنّ له ماهيته و وجودا إلّا- أنّه في وجوده يحتاج إلى موضوع بخلاف الجوهر، و إلّا- لكان المعروض من مقوله الأين بالنسبة إلى العرض مع أنّ وجود العرض لنفسه عين وجوده للغير لا- أنّ هناك وجودين و هذا معنى الحلول و هو عبارة اخرى عمّا اشرنا إليه من أنّه نحو وجود المعروض، فالموجود له ذات و وجود و لوجوده شئون و خصوصيات تسمّى بالاعراض و أمّا الماهية فلا يعرضها إلّا الوجود، و أما الزوجية في الأربعة و ما يشابهها فليست عرضا لماهية، ضروره أنّ الأربعة كم منفصل لا- ماهية من الماهيات بل هو تحليل في تحليل في خصوصيات الوجود و لو على سبيل التقدير.

و أمّا ما توهمه من أنّ الوجود في بعض الموجودات بمقتضى ذاته فمرجعه إلى كون الشيء عله لنفسه و أمّا الواجب تعالى فهذا التعبير بالنسبة إليه جلّ ذكره كسائر التعابير ليس على ما توهمه بل مرجعه إلى أنّه تعالى مقدّس عن الوجود المذى هو نقيض العدم و نسبة الوجود إليه تعالى سلب نقص العدم عنه لا إثبات الوجود(١).

و بالجملة فكون الوجود معلولا للذات ضروري الاستحالة، فإنّ الفاقدا لا يكون معطيا مع أنّ تقدّم الشيء على نفسه أيضا ضروري الفساد.

و أمّا الأقدمية بحسب الطبع فهو أيضا من الأغلاط لما عرفت من أنّه تعالى منزّه عن الطبع.

ص: ١٦٦

١- (١) - يعنى أنّ وجوده ليس على حدّ وجود سائر الموجودات الممكنة لا- الممكنات جميعها تنحل في طرف العقل إلى ماهية و وجود عارض لها و من هنا قالوا كلّ ممكن زوج تركيبى بل وجوده عزّ و جلّ نحو آخر من الوجود و هو عين ذاته و ليس له ذات غيره بل ماهيته اثبتته. و الحاصل أنه تعالى كما أنه منزّه عن الماهية المعروضة للوجود فكذلك منزّه عن الوجود العارض عليها لأنّ الوجود بهذا المعنى مسبوق بالعدم و قد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض الخطب المتقدّمة: سبق الاوقات كونه و العدم وجوده فوجوده بمعنى آخر فتأمل جيّدا من الشارح عفى عنه

و أما العقول فعلى القول بها فلا تقدّم لشيء منها على تاليه إلا بالعلية.

و أما الجوهر فهو تقدّم الموضوع على العرض و هو نحو آخر من السبق التحليلي و هو عين العروض.

و أمّا اختلاف حال المجرد و المادى فليس مستندا إلى اختلاف أنحاء الوجود بل إنّما الاختلاف بين الجواهر بالماديه و التجرد بالذات و إن لم تكن موجوده، و الهىولى مع قطع النظر عن الوجود متميز عن العقل و غيره من أقسام الجواهر كتميز ساير الماهيات، و ضعف الماده عباره اخرى عن كونها ماده محضه فى الانفعال، و هذه جهه ذاتيه لا ربط لها بالوجود و أمّا ما توهمه من أنّ الوجود الواقع فى كلّ مرتبه من المراتب لا يتصور وقوعه فى مرتبه اخرى آه فقد أخذه من أهل العلم من حيث لا يشعر، ضروره أنّ مقتضى مذهب أئمتّه من أنّ الوجود حقيقه واحده أنّه لا تميز بين الوجودات إلاّ بالاعتبار، فالمراتب إنّما ترتبت باعتبار التّزلات، ففى قوسى التّزول و الصّعود تتحرّك العين فى الوجود، و هذا ما ذهبوا اليه من الحركة الجوهرية.

مع أنّ هذا مناف لهذا الكلام الذى تقدّم منه من الاختلاف بين العقل و الهىولى مثلا فى شدّه الوجود و ضعفه، فإنّ هذا إنّما ينطبق على ما ذهبوا إليه من أنّ الأعيان الثّابته ما شمت رايحه الوجود و إنّما هى اضافات إشراقية تختلف قوّه و ضعفا باختلاف التّزول و الصّعود و البعد و القرب، و لهذا كان النّاسوت أضعف الدّرجات، لأنّها منتهى قوس التّزول و اللاهوت أقوى حيث أنّه مبدء لهذه الدّرجات المتدرّجه.

و بالجملة فاستحاله تبدّل الوجودات إنّما تتمّ على مذهب غير الصوفيّه، فإنّ العرض لا ينتقل، و إنّما يتمّ هذا فيما لم يكن وجود فى طول الاخر، و أمّا فى السّلسله الطّوليّه فهو غلط صرف، فشئ من الشخصين لا يتبدّل بالاخر كما أنّ الحمار أيضا لا يتبدّل بالانسان، و أمّا النطفه فتكون علقه و مضغه و حيوانا و انسانا و ليس هذا من تبدّل الصّوره مع بقاء الهىولى، و كذا الحال فى تبدّل العناصر بعضها ببعض على

ما هو التحقيق، فأنه من تبدل وجود باخر بمعنى الترقى و الصيعود كما أن مراتب الفناء دركات النزول، و لتحقيق هذه المسائل مقام آخر، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

و قال السيد محمد قطب السلسله الذهبية في نظمه:

زعموا الوجود مشككا سبحانه عن اشتراك وضيعها و شريفها

في الاشتراكين التزام ضلاله قد ضاع في نهج الهدى تقطيعها، هذا.

و ربما اعترض على القول بالتشكيك بامتناعه في الذاتيات، و أجاب عنه القيصري في شرح الفصوص بما لا طائل تحته و لا بأس بنقل كلامه و تعقيبه بما يتوجه عليه من النظر.

قال: و ما يقال إن الوجود تقطع على أفراده لا على التساوي، فأنه يقع على العلل و معلولها بالتقدم و التأخر، و على وجود الجوهر و العرض بالأولوية و عدمها، و على وجود القارّ و غير القارّ بالشدة و الضعف، فيكون مقولا- عليها بالتشكيك و ما هو مقول بالتشكيك لا يكون عين ماهية شيء و لا جزئه.

إن أرادوا به أن التقدم و التأخر و الأولوية و عدمها و الشدة و الضعف باعتبار الوجود من حيث هو هو، فهو ممنوع لكونها من الامور الاضافية التي لا يتصور إلا بنسبه بعضها إلى بعض، و لأنّ المقول على سبيل التشكيك باعتبار العموم و الكلّيه و الوجود من حيث هو هو لا عامّ و لا خاصّ.

و إن أرادوا به أنّها يلحق الوجود بالقياس إلى الماهيات، فهو صحيح لكن لا- يلزم أن يكون الوجود من حيث هو مقولا- عليها بالتشكيك إذ اعتبار المعروضات غير اعتبار الوجود.

و ذلك بعينه كلام أهل الله لأنهم ذهبوا إلى أن الوجود باعتبار تنزله في مراتب الامكان و ظهوره في خطائر الامكان و كثره الوسائط يشتدّ خفاؤه، فيضعف ظهوره و كمالاته و باعتبار قلّتها يشتدّ نوريتها و يقوى ظهوره، فيظهر كمالاته و صفاته فيكون إطلاقه على القوى أولى من إطلاقه على الضعيف، انتهى.

و فيه أن الماهية مع قطع النظر عن الوجود و كذا الوجود مع قطع النظر

عن الماهية لا- يحكم عليهما بحكم لما عرفت من أنهما تحليليان لا- أمران متغايران، فالشدة والضعف إنما تعرضان الوجود التحقيقي الواحد للماهية، لا المتسلخ عنها فالماهية يشتد وجودها المنظم اليها و ما نسجت هذه الطائفة من أن الوجود هو الحق و أن الماهيات مظاهر و مجالي و أن الاختلاف إنما هو في الدرجات التجلي بحسب القرب و البعد و قلة الوسائط و كثرتها، مما ليس له معنى محصل.

و بالجمله فقد تحصيل ما ذكرنا كله أن وجوده تعالى مغاير لوجود غيره مباين له، و اتصافه بالوجود ليس كاتصاف غيره به إذ الوجود الذي له تام فوق التمام و اتصافه به بمعنى أجل و أشرف و أعلى من أن يبلغه العقول و الأوهام كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الفصل الثاني من الخطبة الاولى: الذي لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن.

بل قد قال بعض المحققين: إن وصفه تعالى بالوجود من ضيق العبارة، و إن معنى قولنا إنه موجود إنه ليس بعدم و لا معدوم فيكون مرجع اتصافه به إلى سلب العدم عنه لا اثبات الوجود الذي هو نقيض العدم له، فإنه تعالى منزّه عن ذلك، لأن الوجود الذي هو نقيضه حد له واقع في طرفه و قبالة.

كما يتضح ذلك بقولنا مثلاً خرج الشيء من العدم إلى الوجود و من الوجود إلى العدم، فإن الوجود و العدم متناقضان متقابلان صار كل منهما حداً للآخر و في قبالة و طرفه، و الله سبحانه لما كان منزّها عن الحدود لا يمكن اتصافه بالوجود الذي هو حدّ العدم و طرفه.

و يوضح ذلك قوله عليه السلام في المختار المأه و الخامس و الثمانين: سبق الأوقات كونه و العدم وجوده، و أيضا الوجود الذي هو نقيض العدم إنما يتصور فيما يتصور فيه العدم كالماهيات و الله عزّ و جلّ منزّه عن الماهية و عن عوارضها.

و الحاصل أن وصفه بالوجود كوصفه بساير أوصاف الجمال مثل قولنا: إنه عالم أي ليس بجاهل، و قادر أي ليس بعاجز، و هكذا.

و أما غيره تعالى من الموجودات الممكنه فانما يتصف بالوجود المقابل للعدم المناقض له لكونه ذى ماهيه مشخصه لوجوده كما أنّ وجوده كان مشخصا له فإنّ الشئ ما لم يتشخص لم يوجد و ما لم يوجد لم يتشخص.

و بعد هذا كلّ فكيف يزعم العاقل اتّحاد وجود المخلوقات الذى هو من البديهيات الأوّليه على ما قيل مع وجود الخالق الذى إذا حاول الفكر المبرّء من خطرات الوسوس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته و تولّعت القلوب إليه لتجرى فى كيفيه صفاته و غمضت مداخل العقول فى حيث لا- تبلغه الصفات لتنال علم ذاته رجعت إذا جبهت معترفه بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، و لا يخطر ببال اولى الرّوايات خاطره من تقدير جلال عزّته، فتعالى الله عما يقول الملحّدون علوا كبيرا.

و أما الدليل الثقلى

فهو جميع الأخبار و الأحاديث الدّاله على تقدّيسه و تزيّيه عن التشبيه و التحديد، و المفيده لمغايرته لمخلوقاته و مباينته إياهم بنفس ذاته الأقدس و وجوده الأجلّ الأشرف الأعلى.

و أكثرها احتواء لذلك خطب أمير المؤمنين الوارده فى مقام التوحيد المتقدّمه فى تضاعيف الكتاب، و لا بأس بالاشارة إلى بعض ما تقدّم منه عليه السّلام فى هذا الباب تذكره و ذكرى و ما يذكر إلّا اولو الألباب.

فمنه قوله عليه السّلام: فى الفصل السادس من المختار الأوّل:

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شئ لا بمقارنه، و غير كلّ شئ لا بمزاييله.

فإنّ قوله عليه السّلام: موجود لا عن عدم نصّ صريح فى أنّ وجوده ليس مثل وجود ساير موجودات المسبوق بالعدم المناقض له كما أنّ اثبات مغايرته لكلّ شئ و نفى مقارنته له صريحان فى عدم الاتّحاد و الوحده بل قوله: مع كلّ شئ أيضا لا يخلو عن الدّلاله، لأنّ المعيه مقتضيه للاتّينيه المنافيه للوحده و العينه كما لا يخفى.

و محصّل الجميع مباينه الحقّ للخلق بذاته و كونه معهم بالعلم و الاحاطه

و القيوميه و العليّه فانّ المعلول لا يغيب عن علته.

و منه قوله عليه السّلام في المختار الرابع و الستين:

لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن.

فانّ فقره الاولى صريحه في أبطال الحلول و الاتحاد كما هو مذهب قدماء الصوفيّه على ما حكينا عنهم سابقا، و المراد بالفقره الثانيه نفى المباينه المتصوّره بين المتباينين المتباعد أحدهما عن الآخر، فلا تنافى ما قدّمناه من بينوته لها لذاته من أجل تنزّهه عن الحدّ و كونها مشتمله على الحدود مع قربها لها بالعلم و الاحاطه و الافضال و الرّحمه.

و منه قوله عليه السّلام في الفصل الثاني من المختار التسعين:

كذب العادلون(١) بك إذ شبّهوك بأصنامهم و مخلوك حليه المخلوقين بأوهامهم «إلى ان قال» فاشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك و العادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك و نطقت عنه شواهد حجج بيناتك.

فأنّه كساير الأخبار المتواتره و الايات القرآنيّه في كفر من شبّه عزّ و جلّ بالأصنام و زيّنه المخلوقات فكيف المتصوّفه الجاعلون إيّاه سبحانه عين الأصنام و المعتقدون أنّ هويّته ساريه فيها و أنّ وجودها عين وجوده الظاهر في صورهِ الصّنميّه و أنّها مجالي و مظاهر له و أنّ العباده لها عباده له تعالى عمّا يقول الملحدون علوا كبيرا.

و لعلك إذا سمعت نسبه هذا القول و الاعتقاد منّا إلى هذه الطائيفه الضالّه المضلّه نسبتنا إلى العصبيّه و العناد. و بادرت إلى تكذيبنا و قلت كيف يمكن أن يعتقد هؤلاء مع كونهم من المسلمين المؤمنين على خلاف ما هو من ضروريات الدّين بل ما هو أساس الدّين و أصله أعنى توحيد الرّب و تفريده بالمعبوديه الذي لم يكن بعث الأنبياء و الرّسل و انزال الكتب و الصّحف و تشريع الشرائع و الأديان من لدن زمن آدم عليه السّلام إلى آخر الزّمن إلّا لأجله.

ص: ١٧١

فان شئت أن تعرف صحه هذه النسبه و تعلم حقيتها بعلم اليقين فاستمع لما يتلى عليك من كلام قطب أقطابهم الزنديق اللعين ابن العربي محيي الدين فى الفصوص و من كلام القيصرى فى شرحه.

قالا- فى الفصّ الهارونى بعد ما ذكرنا غضب موسى عليه السّلام على أخيه هارون لمّا شاهد من قومه عباده العجل ما صريح عبارتهما:

«ثم قال هارون لموسى إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل فتجعلنى سببا فى تفريقهم فإن عباده العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسّامرى و تقليدا له و منهم من توقّف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه فى ذلك فخشى هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه و كان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنّه علم ما عبده أصحاب العجل» أى علم موسى ما الذى عبده أصحاب العجل فى الحقيقة «لعلمه بأنّ الله قضى ألا نعبد إلا إياه» كما قال تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ».

«و ما حكم الله بشىء إلاّ وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر فى إنكاره و عدم اتّساعه» أى كان عتب موسى أخاه هارون لأجل انكاره عباده العجل و عدم اتّساعه قلبه لذلك.

«فانّ العارف من يرى الحق فى كل شىء بل يراه عين كل شىء فكان موسى يربّى هارون تربيّه علم».

و اعلم أنّ هذا الكلام و إن كان حقا من حيث الباطن لكن لا يصحّ من حيث التّبوه و الظاهر، فانّ النبىّ يجب عليه إنكار العباده للأرباب الجزئيه كما يجب عليه إرشاد الامّه إلى الحقّ المطلق، و لذلك أنكر جميع الأنبياء عباده الأصنام و إن كانت مظاهر للهويه الالهيه، فانكار هارون عباده العجل من حيث كونه نبيا حقّ إلاّ أن يكون محمولا على أنّ موسى علم بالكشف أنّه ذهل عن شهود الحقّ الظاهر فى صورته العجل، فأراد أن يتّبّه على ذلك و هو عين التّربيّه و الارشاد منه عليه السّلام و انكاره على السامرى و عجله على بصيره، فانّ انكار الأنبياء و الأولياء لعباده الأصنام التى هى المظاهر ليس كانكار المحجوبين فانّهم يرون الحقّ مع كلّ شىء بخلاف غيرهم

بل ذلك لتخليصهم عن التقيّد بصوره خاصّه و تجلّي خاصّ إذ فيه إنكار باقى المجالى و هو عين الضلال.

«و لذلك» أى و لأجل أنّه كان مربيًا لهارون «لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامرى فقال له فما خطبك يا سامرى» أى ما شأنك و ما مرادك، يعنى فيما صنعت من عدو لك إلى صوره العجل على الاختصاص و صنعتك هذا الشّبح من حلّى القوم و تركك الاله المطلق.

«فغلبت عليه الغيره فحرّقه ثمّ نسف رماد تلك الصّوره فى اليمّ نسفا و قال له انظر إلى إلهك فسّمّاها إليها بطريق التّنبيه للتّعليم» أى نبّه أنّه مظهر من المظاهر و مجلى من مجاليه - إلى أن قال:

«فكان عدم قوّه إرداع هارون بالفعل أن ينفذ فى أصحاب العجل بالتّسليط على العجل كما سلط عليه موسى حكمه من الله ظاهره فى الوجود ليعبد فى كلّ صورته و إن ذهبت تلك الصّوره بعد ذلك فما ذهبت إلّا بعد ما تلبّست عند عابدها بالالوهيّة» أى عدم تأثير هارون فى منعهم عن عباده العجل أو عدم تسلّطه عليهم كما تسلّط عليهم موسى كان حكمه من الله ظاهره فى الوجود الكونى فيكون معبودا فى صور الأكوان كلّها و ان كانت هذه الصوره ذاهبه فانيه لأنّ ذهابها و فنائها إنّما هو بعد التّلبّس بالعبوديه عند عابدها.

«و لهذا» أى و لأجل أنّه أراد أن يعبد فى كلّ صورته «ما بقى نوع من الأنواع إلّا و عبد إمّا عباده تألّه، أو عباده تسخير فلا بدّ من ذلك لمن عقل» أمّا العباده بالالهيّه كعباده الأصنام و غير ذلك من الشمس و القمر و الكواكب و العجل، و أمّا العباده بالتّسخير فكما يعبدون الأموال و أصحاب الجاه و المناصب، إلى أن قال بعد جملة من ترّهاته:

«و العارف المكمّل من رأى كلّ معبود مجلى للحقّ يعبد فيه و لذلك» أى و لأجل أنّ الحقّ هو الذى ظهر فى ذلك المجلى و عبد «سمّوه كلّهم إليها مع اسمه

الخاص بحجر أو حيوان أو شجر أو انسان أو كوكب أو ملك أو فلک هذا اسم الشخصيه فيه و الالوهيه مرتبه تخيل العابد له»
ای لمعبوده «أنها مرتبه معبوده الخاص و هي على الحقيقه مجلى للحق» انتهى كلامهما هبط مقامهما ببعض تلخيص مّا.

و محصّل كلامهما كما ترى أنّ الأصنام جميعا مجالى الحقّ و مظاهره بل هي عين الحقّ بل الأشياء جميعا مظاهره و مجاليه و عبده الأوثان و الأصنام و كذلك العابدون للشمس و القمر و الكواكب و الشجر و الحجر و النار و العجل، و كذلك عباده المدّعين للالوهيه من فرعون و شداد، و كذلك المنقادين للجبابره و ساير الظلمه من أرباب الجاه و المناصب المسلطين على الرّعيه كلّهم جميعا عابدون لله تعالى لأنّ هذه المعبودات كلّها هو الحقّ ظهر في هذه المظاهر و تصوّر بهذه الصور المختلفه فهى على كثرتها ليست فى الحقيقه إلّا واحدا.

و منع الأنبياء و الأولياء من عباده الأصنام لم يكن من حيث إنّها عباده باطله مبغوضه لله تعالى بل من أجل حصر العابد للصّنم أو الشجر أو الحجر مثلا عبادته فى هذا المعبود الخاصّ، فبعث الله الأنبياء ليرشدوا امتهم و يعلموهم أنّ الله شاء و قضى أن يعبد فى كلّ صوره و مجلى، و أنّ المجالى كلّها إله فليس لكم أن تقصروا عبادتكم بمعبود خاصّ و تخصّصوه به و تتخذوه إلهًا دون غيره.

و من هذا الباب كان غضب موسى على هارون فأنّه عليه السّلام لما كان أعلم منه و كان يعلم أن الله شاء أن يعبد فى كلّ صوره حتّى صوره العجل و ما شاءه و قضاه عزّ و جلّ لا بدّ من وقوعه لا محاله و كان هارون لا يعلم ذلك و لذلك أنكر على قومه عبادته فعتب موسى عليه لأجله و نبّهه على عدم اتّساع قلبه و على غفلته و ذهوله عن حقيقه الأمر.

و الحاصل إنّ الأنبياء إنّما بعثوا ليأمروا امتّهم بعباده كلّشئ من صنم أو غيره و ليردعوهم عن قصر عبادتهم بشئ مخصوص معيّن فقط. و قد أوضح الرّجس الخبيث هذا الغرض فى بعض فقرات الفصّ التّوحى.

قال فى جملة ما نقل من كلام نوح و قومه: «و مكروا مكرا كتيّارا» لأنّ الدّعوه إلى الله مكر بالمدعو لأنّه ما عدم من البدايه فيدعى إلى الغايه فهذا عين المكر على بصيره فنبّه أنّ الأمر له كلّه فأجابوه مكرا كما دعاهم»

قال شارحه القيصري: إى لَمَا مكر نوح معهم مكروا مكرا كُبارا فى جوابه و ذلك لأنّ الدّعوه إلى الله مكر من الدّاعى بالمدعوّ، لأنّ المدعوّ ما عدم الحقّ من البدايه حتى يدعى إليه فى الغايه لأنّه مظهر هويته فى بعض مراتب وجوده فالحقّ معه بل هو عينه فالدّاعى إذا دعى مظهرها ما يمكر به فانه يريد إنّ الحق ليس معه أو هو غيره و هو عين المكر.

لكن مثل هذا المكر من الأنبياء إنّما هو على بصيره كما قال: أدعو إلى الله على بصيره أنا و من اتّبعنى، أى يعلم النّبىّ أنّه مظهر هويه الحقّ لكن يدعوه ليخلّصه عن القيود و ترتفع عنه الحجب الموجه للضلاله فيرى ذاته مظهرًا للهويّيه و يشاهد جميع الموجودات مظاهر للحقّ و يعبدّه بجميع أسمائه و صفاته كما عبده من حيث اسمه الخاص، و فاعل نبه ضمير يرجع إلى نوح أو إلى الحقّ أى تّبهم على أنّ الملك كله لله ليس كما تخيلوا أنّه لهم.

قال «فقالوا فى مكرهم لا تذرّن آلهتكم و لا تذرّن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحقّ على قدر ما تركوا من هؤلاء فانّ للحقّ فى كلّ معبود وجهها يعرفه من عرفه و يجهله من جهله فالعالم يعلم من عبد و فى أىّ صورته ظهر حتى عبد، و أنّ التفريق و الكثره كالأعضاء المحسوسه و كالقوى المعنويه فى الصوره الروحانيه».

قال الشارح القيصري: فالعالم بالله و مظاهره يعلم أنّ المعبود هو الحقّ فى أىّ صورته كانت سواء كانت حسيّه كالأصنام أو خياليّه كالجنّ أو عقليه كالملائكه و يعلم أنّ التفريق و الكثره مظاهر لأسمائه و صفاته و هى كالأعضاء فى الصوره الانسانيّه، فانّ العين مظهر للابصار و الاذن للسمع و الانف للشّم و اليد للبطش، و كالقوى الروحانيه كالعقل و الوهم و الذاكره و الحافظه و المفكره و المتخيله فانها كلّها مظاهر لصفات الرّوح، انتهى.

و محصّل كلامهما أنّ قوم نوح فى عبادتهم للأصنام كانوا محقّين لكونها مظاهر الحقّ كما أن العابدين لها كذلك لأنهم أيضا كانوا مظهر الحقّ و كان

الحقّ معهم بل هو عينهم و كان نوح أيضا يعلم أنهم على الحقّ إلاّ أنه أراد على وجه المكر و الخديعه أن يصرفهم عن عبادتها إلى عبادته.

و إنما كان هذا مكرًا منه عليه السّلام لأنّه كان يقول لهم ما لم يكن معتقدا به و يموّه خلاف ما أضمره و اعتقده إذ كان عالما و على بصيره من ربّه بأنّ الأصنام مظاهر الحقّ و عبادتها عبادته إلاّ أنّه عليه السّلام أراد أن يخلّصهم من القيود حتى لا يقصروا عبادتهم فيها فقط، بل يعبدوه في كلّ معنى و صورته.

و لما شاهد القوم منه ذلك المكر أنكروا عليه و أجابوه بما هو أعظم مكرًا و أكبر من مكره فقالوا لا تتركوا آلِهَتكم إلى غيرها، لأنّ في تركها ترك عباده الحقّ بقدر ما ظهر فيها و قصر عبادته في سائر المجالى و هو جهل و غفله لأنّ للحقّ في كلّ معبود وجهها يعرفها العارفون سواء كان ذلك المعبود في صورته صنم أو حجر أو شجر أو بقر أو جن أو ملك أو غيرها.

هذا محض كلام هذين الرجسين النجسين النحسين و كم لهما في الكتاب المذكور من هذا النمط و الاسلوب، و سنشير إلى بعضها فيما سيأتى، فلينظر المؤمن الكيس البصير إلى أنهما كيف مؤّها الباطل بصوره الحقّ و أوّلا كلام الله بارائهم الفاسده و أحلامهم الكاسده على طبق عقايدهم الباطله، و قد قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم المختار من فسّر القرآن برأيه فليبوء مقعده من النار.

و لعمري أنهما و من حذا حذوهما حزب الشيطان و أولياء عبده الطاغوت و الأوثان، و لم يكن غرضهما إلاّ تكذيب الأنبياء و الرّسل و ما جاءوا به من اليّنات و البرهان و هدم أساس الاسلام و الايمان و إبطال جميع الشرائع و الأديان، و ترويج عباده الأصنام و جعل كلمه الكفر العليا و خفض كلمه الرحمن.

و اقسم بالله الكريم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم إنهم المصدقون الحقيقي لقول أمير المؤمنين عليه السّلام في المختار السابع: اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا و اتّخذهم له أشراكا فباض و فرخ في صدورهم و دبّ و درج في حجورهم فنظر بأعينهم و نطق

بألسنتهم فرَّكَبَ بهم الزَّلَل و زَيْنَ لهم الخطل فعل من شرَّكه الشيطان فى سلطانه و نطق بالباطل على لسانه.

و مع ذلك فالعجب كلَّ العجب أنهم يزعمون أنهم الموحِّدون العارفون الكُمَّلون و أنَّ غيرهم لمحجوبون و بالحقَّ جاهلون، بل يترقى بعضهم و يدعى الولاية و القطية و يطغى آخرون فيدعون لأنفسهم الالوهية و الرُّبوبيه و يزعمون أن ربَّهم تجلَّى فيهم و ظهر فى صورهم المنحوسه.

فيقول ابن العربى فى فتوحاته: إِنَّ الله تجلَّى لى مرارا و قال: انصح عبادى و يقول البسطامى: سبحانهى و ما أعظم شأنى و لا إله إلاَّ أنا، و يقول الحلاج: ليس فى جَبَّتى سوى الله، و يقول: أنا الحقَّ و أنا الله.

و بعضهم يبلغ الغايه و يجاوز النهايه فيقول و يهجر، و يتكلم تكلم المجنون الذى لا يشعر، فيخاطب الرّبَّ عزَّ و جلَّ و العياذ بالله مخاطبه الموالى للعبيد و هو قطبهم أبو يزيد.

فقد نقل عنه القيصرى فى شرح الفصِّ النوحى أنَّه قال فى مناجاته عند تجلَّى الحقِّ له: ملكى أعظم من ملكك لكونك لى و أنا لك فأنا ملكك و أنت ملكى و أنت العظيم الأعظم و ملكى أنت فأنت أعظم من ملكك و هو أنا.

فلينظر العاقل إلى مهملات هذا الجاهل، ثمَّ لينظر إلى سوء أدبه و قبح خطابه و مناجاته حيث لم يرفع يده عن الانانيه فعَبَّر بلفظ أنا و أنت غير مرَّه فى مثل هذا المقام الذى هو مقام الفناء و التجلَّى على زعمهم و كيف يجتمع ذلك مع قولهم السائر:

بينى و بينك اننى ينازعنى فارفع بلطفك اننى من البين

و أنما أطنبنا الكلام فى المقام تنبيها على ضلاله هذه الجهله الذين زعموا أنَّهم من أهل الكشف و الشَّهود و اليقين و الموحِّدين المخلصين مع أنَّهم من الضَّالين المكذِّبين للأنبياء و المرسلين، و تعالى الله عمَّا يقول الظالمون و الملحدون علوا كبيرا.

و منه

قوله عليه السَّلام فى الخطبه المأه و الثانيه و الخمسين:

ص: ١٧٧

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه و بمحدث خلقه على أزليته و باشتباههم على أن لا شبه له، لا تستلمه المشاعر و لا تحجبه السواتر، لا افتراق الصانع و المصنوع، و الحادّ و المحدود، و الربّ و المربوب «إلى أن قال» و البائن لا بترأخي مسافه، و الظاهر لا برؤيه، و الباطن لا بلطافه، بان من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها، و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرجوع إليه، من وصفه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزلّه.

و قد مضى شرح هذه الفقرات في محلّها و أقول هنا إنّ فيها وجوها من الدلالة على بطلان مذهب هذه الملاحده.

أولها قوله: لا تحجبه السواتر اه

فإنّ هذه الطائفة زعمت أنّه سبحانه و تعالى احتجب في مخلوقاته و سرت هويّته فيها و صارت صور الموجودات حجابا ساترا له. و يوضح ذلك ما قاله ابن الأعرابي في الفصّ الابراهيمي من الفصوص «أنما سمّى الخليل عليه السّلام خليلا لتخلّله و حصره جميع ما اتّصفت به الذات قال الشاعر.

قد تخلّلت مسلك الرّوح منّي و به سمّى الخليل خليلا

كما يتخلّل اللون و المتلون و لتخلّل الحقّ وجود صوره إبراهيم و كلّ حكم يصحّ من ذلك» قال القيصري: أي سمّى الخليل خليلا لتخلّله كما سمّى الخمر خمرا لتخميره العقل و تخلّله عليه السّلام عبارته عن سريانه في المظاهر الالهيه و الصّفات الرّبوبيه كسريان هويّه الحقّ فيها من حيث اسمه اللطيف و لكون اسم التخلّل هنا مجازا عطف عليه قوله و حصره جميع ما اتّصفت به الذات الالهيه و هو الصّفات الثّبوتيه الحقيقيه.

و المراد بالرّوح في البيت المستشهد الرّوح الحيواني أي سريت في ذاتي و قلبي كسريان الرّوح الحيواني في مسالكه فأورد مثالين أحدهما عقلي كقول الشّاعر لأنّ تخلّل عشق المحبوب مسالك الرّوح من المحبّ العاشق عقليّ،

والآخر حسي كقوله كما يتخلل اللون المتلون أى تخلل الخليل الذات الالهيه بالاختفاء فيها و الاتصاف بصفاتهما كما يتخلل اللون المتلون بسرائره فى جميع اجزاء المتلون بحيث يكون هو هو فى الحس بحيث لا يفرق بينهما بالاشارة الحسيه فيكون مكانه عين مكان المتلون و لا يكون بينهما امتياز فى الحس.

وقوله: و لتخلل الحق عطف على قوله و لتخلله و حصره أى سمى الخليل خليلا لتخلله و لتخلل الحق بظهور الهويه و سرائرها فى وجود إبراهيم فى الخارج و عينه فى العلم، و فى كل حكم يصح من ذلك الوجود من الصفات و الكمالات اللازمه لتعينه و المراد بالصوره عينه الخارجى.

ثم قال فى المتن و الشرح «اعلم انه ما تخلل شىء شيئا إلا كان محمولا فيه» لأن المتخلل هو الذى ينفذ فى الشىء و يدخل فى جوهره فالداخل محمول و مستور فيه و المدخول فيه حامل له و ظاهره.

«فالتخلل اسم فاعل محجوب بالتخلل اسم مفعول فاسم المفعول هو الظاهر و اسم الفاعل هو الباطن المستور و هو غذاء له كالماء يتخلل الصوفيه فتربو به و تتسع فان كان الحق هو الظاهر فالخلق مستور فيه فيكون الخلق جميع اسماء الحق سمعه و بصره و جميع نسبه و ادراكاته و إن كان الخلق هو الظاهر فالحق مستور باطن فيه فالحق سمع الخلق و بصره و يده و رجله و جميع قواه كما ورد فى الخبر الصحيح».

قال القيصرى أى ما دخل شىء فى شىء إلا كان الداخل مستورا فى المدخول فيه، فالتخلل الذى هو اسم الفاعل أى الداخل محجوب مستور فى المتخلل الذى هو اسم المفعول أى المدخول فيه فالمدخول فيه هو الظاهر و الداخل هو الباطن، و الظاهر إنما يغتذى من الباطن لأن الفيض عليه لا يحصل إلا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده.

و إذا كان الأمر كذلك لا يخلو إما أن يكون الحق ظاهرا و الخلق باطنا أو بالعكس، فان كان الحق ظاهرا أى محسوسا بتجليه فى مرتبه من مراتب الاسم الظاهر فالخلق مستور فيه و باطنه فيكون الخلق جميع أسماء الحق و صفاته من

السَّمْعَ والبصرَ والارادةَ وغيرها وجميعَ النِّسَبِ الَّتِي هِيَ تلحقه بالحقِّ شرعا وإن كان الخلق هو الظاهر في مرآت الحقِّ فالحقُّ مستور فيه وباطنه فالحقُّ سَمِعَ الخلقَ وبصره وجميعَ قواه الباطنه، وهذا نتيجة قرب النوافل، والأول نتيجة قرب الفرائض وإنَّما جاء باليد والرَّجلين اللَّمَّذِين من الظَّاهر مع أنَّ كلامه في الباطن لورود الخبر الصَّحيح كذلك وفي الحديث دليل على أنَّ الحقَّ عين باطن العبد وعين ظاهره، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و محصِّل ما قالاه كما ترى: كون الخلق حجابا للخالق والخالق حجابا للخلق، و كون كلِّ منهما عين الآخر و محجوبا به، قد أبطله أمير المؤمنين عليه السَّلام بقوله: لا تحجبه السَّواتر، معلَّلا بافتراق الصَّانع والمصنوع والحادث والمحدود والرَّبِّ والمربوب، والمفترقان كيف يكون أحدهما عين الآخر على ما توهمه هؤلاء الجهله.

و العجب أنَّ الكتاب والسَّنة بل جميع الأنبياء والمرسلين ينادون بأعلى أصواتهم و جهوريِّ أقوالهم بتوحيد الخالق والتَّفريق بينه وبين خلقه، وهؤلاء الملاحده وقفوا في قبالهم وبالغوا في مقام الانكار والمكابره والمعارضه، وأصرُّوا في جعله عينه زاعمين أنَّ ذلك عين التوحيد مع أنَّه عين الالحاد والجحود والتَّشريك، هذا.

مع ما يتوجَّه على ما قالاه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

أمَّا أولا- فلأنَّ نسبه إبراهيم عليه السَّلام ليس من أجل تخلُّه في وجود الحقِّ و تخلُّل الحقِّ فيه، بل لأجل كماله في مقام الخلَّة و هي المودَّة والصِّداقه، والخلُّ والخليل الصِّديق المختص، فلأجل مزيد اختصاصه به و كرامته لديه سمِّي خليلا، ولو كان تسميه الخليل بهذا الاسم من أجل التخلُّل في الوجود لما صحَّ إطلاقه على سائر الأخلاء إلَّا بالمجاز، لأنَّ المعنى الحقيقي أعنى تخلُّل كلِّ من الخليين في وجود الآخر غير متصوِّر، فلا بدَّ من ارتكاب المجاز والمصير إلى أنَّ مودَّه كلِّ منهما بلغت الغايه بحيث تخلَّلت القلب و صارت خلاله و باطنه، و بعد البناء على المجاز

ففيما نحن فيه أيضا كذلك، فيراد به مزيد الاختصاص لاستلزام كمال المودّة ذلك و أمّا ثانيا فلأنّ البيت لا شاهد فيه على ما ادّعاه، إذ المراد به المبالغه في تخلّل محبّه محبوبه في قلبه بتشبيهها بتخلّل الرّوح، و ليس المراد تخلّل نفس المحبوب في ذاته كما قال: و بذلك السبب سمّى الخليل خليلا لكون محبّته داخله في قلب خليله، مضافا إلى أنّه لا دلالة في البيت على أنّه أراد بالخليل إبراهيم حتّى يستشهد به على المدّعا.

و أمّا ثالثا فلأنّ وجه التسميه لو كان ما زعم لما اختصّ الخليل عليه السّلام بالخله إذ على أصله الفاسد جميع المخلوقات متخلّله فيه و هو متخلّل فيها لكونها جميعا مجاليه و مظاهره، و قد صرّح بذلك أيضا أخيرا بقوله: فالمتخلّل محبوب بالمتخلّل إلى آخر كلامه، و على ذلك فيكون الله سبحانه و تعالى خليل جميع الموجودات من الانسان و الحيوان و غيرهما بجميع أنواعها و أصنافها، و كذلك جميع الموجودات حتّى الكلاب و الخنازير و العياذ بالله ثمّ العياذ بالله خليلا له، أفيرضى السّفيه بهذا الاعتقاد فضلا عن العاقل؟! و قد صرّح بالعموم أيضا في الفصّ الاسماعيلي بقوله:

«فلا تنظر إلى الحقّ فتعريه عن الخلق و لا تنظر إلى الخلق و تكسوه سوى الحقّ»

قال القيصرى: أى لا- تنظر إلى الحقّ بأن تجعله موجودا خارجيا مجرّدا عن الأكوان منزّها عن المظاهر الخلقية عاريا عنها و عن صفاتها، و لا- تنظر إلى الخلق بأن تجعله مجرّدا عن الحقّ مغايرا له من كلّ الوجوه و تكسوه لباس الغيريه و قد قال تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»، بل انظر إلى الحقّ في الخلق لترى الوحده الذاتيه في الكثره الخلقية و ترى الكثره الخلقية في الوحده الذاتيه.

و أمّا رابعا فلأنّ قوله: فاسم المفعول هو الظاهر و اسم الفاعل هو الباطن المستور و هو غذاء له، فيه إنّا لم نر إلى الان في آيه و لا روايه و لا في كلام حكيم أو متكلم أو محدّث أو فقيه و لا عاقل و لا سفيه غير هذا المعنوه اطلاق أنّ الله غذاء للخلق و الخلق غذاء الله، مضافا إلى فساده في نفسه لأنّ الغذاء بالمعنى الحقيقي

مستحيل ارادته، و إن اريد به المجاز على وجه الاستعاره حسبما تمحله القيصرى و أشار إليه فى قوله: و الظاهر أنّما يغتذى من الباطن لأنّ الفيض عليه لا يحصل إلّا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده، فبعد تسليم صحّه هذا التّجوّز و الغصّ عن استكراه الذوق السّليم له و استهجانته عنده، فيه أنّه إنّما يستقيم إذا كان الباطن المستور هو الحقّ لا الخلق، و إلّا فيلزم افتقار الحقّ سبحانه و تعالى إلى الخلق فى قوامه و وجوده و هو محال كما هو ظاهر.

و قد فضّلا غذائيه كلّ منهما للآخر فى الفصّ اللقمانى قال فى المتن:

«إذا شاء الاله يريد رزقا له فالكون أجمعه غذاء»

«و إن شاء الاله يريد رزقا لنا فهو الغذاء كما يشاء»

قال الشّارح: أى إذا تعلقت مشيئته بأن يريد له رزقا فالكون بأجمعه غذاء له، و قد تقدّم أنّ الحقّ من حيث أسمائه و صفاته لا يظهر فى الشّهاده إلّا- بأعيان الأكوان، و إن كان من حيث ذاته مع قطع النظر عن الظهور و البطون و الأسماء و الصّيفات غيّبا عن العالمين، فالأعيان غذاء له من حيث إظهارها إيّاه و من حيث فنائها و اختفائها فيه ليظهر بوحدته الحقيقيه كفناء الغذاء و انعدامها و اختفائها فى المغتذى و إن كان باعتبار آخر هو غذاء للأعيان.

و إليه أشار بالبيت الثانى و ذلك لأنّ الغذاء هو ما يغتذى فى عين المغتذى و يظهر على صورته ليقوم به و الهويّه الالهيه هى التى تختفى فى أعيان الخلايق و تصير ظاهره بصورتها مقومه لها، فهى غذاء للأعيان و نسبه الاغتذاء و الرّزق إليه مع أنّه يطعم و لا يطعم و نسبه كونه غذاء لنا بعينها كنسبه بعض الصّيفات الكونيّه إليه بقوله: من ذا اللّذى يقرض الله قرضا حسنا، و مرضت فلم تعدنى، و أمثال ذلك ممّا جاء فى الشّرع.

و هذه النسبه أيضا من باطن الشّرع فإنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أعطى الكتاب و أمر باخراجه إلى الخلق فلا ينبغى أن يسىء أحد ظنّه من المؤمنين فى حقّ الأولياء و الكاملين فى أمثال هذه الأشياء، انتهى.

و مقتضى ما ذكره من كون الكون بأجمعه غذاء له و بالعكس أنّ الكلاب و الخنازير و الميته و نحوها غذاء له سبحانه و هو غذاء لها إن هو إلا كفر صريح و إلحاد صحيح.

و ما اعتذر به الشارح من ورود أمثال ذلك فى الشرع فيه إنّنا تابعون للشرع فاذا ورد فى الشرع وصفه ببعض الصفات الكونية فنحن أيضا نصفه به لثبوت الاذن فيه من الشارع و تؤوله على وفق الاصول الشرعية، و أمّا ما لم يثبت الاذن فيه فنضربه على الجدار فضلا عما علم بطلانه و فسادة من العقل و الشرع.

و أمّا قوله: و هذه النسبه أيضا من باطن الشرع فإنّ النبى اعطى الكتاب و امر باخراجه إلى الخلق، فأشار به إلى ما ذكره فى ديباجه الفصوص بقوله:

فأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى مبشره اريتها فى العشر الاخر من المحرم لسنة سبع و عشرين و ستّمأه بمحروسة دمشق و بيده كتاب فقال لى: هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى الناس ينتفعون به، انتهى.

و لعمري إنّ هذه الرؤيا إمّا إفك و افتراء لا أصل لها أصلا و إنّما نسجتها من تلقاء نفسه لتفتين مردته الحمقاء و ترويح كتاب ضلاله، أو أضغاث أحلام نفتها الشيطان فى روعه و ألفاها فى اميته و كيف يمكن أن يؤتية النبى كتابا فيه هدم أساس دينه و تخريب بنیان مذهبه و ملّته.

و أما خامسا فلأنّ قوله: فالحقّ سمع الخلق و بصره و يده و رجله و جميع قواء كما ورد فى الخبر الصحيح فيه إنّ هذا الخبر الذى استند إليه هنا و جعله سند مذهبه الفاسد فى مقامات كثيره من كتابه قد قدّمنا روايته فى ذيل الدليل العقلى و أوردنا فى تأويله وجوها عديدة موافقه لأصول المذهب و نقلنا عن المحدث العلامة المجلسى هناك أنّ حملة على ظاهره كما ذهب إليه هذه الطائفة المبتدعه كفر صريح و شرك قبيح.

و أقول هنا: إنّ أظهر الوجوه المحتمله فى معناه هو الوجه الأخير المتقدم ثمه و محصّيه أنّ العبد إذا تقرب إلى ربّه بالفرايض و التوافل صار مقربا له

و محبوبا إليه، فيفاض عليه التّوفيقات الرّبانيّة و يحيط به الألفاف الالهية فلا يشاء إلّا أن يشاء الله، و لا يصرف حواسه و مشاعره إلّا بما فيه رضا مولاه، و بازاء ذلك من انهمك في الشّهوات و غمر في بحر السيئات و الخطيئات فيحيط به الخذلان و يكون قلبه عشّ الشّيطان فلا يصرف مشاعره و قواه إلّا بما فيه رضاه فيشركه في سلطانه و ينطق بالباطل على لسانه.

و الحاصل أنّ مساق هذه الرّوايه في حقّ عباد الله المقرّبين مساق قول أمير المؤمنين عليه السّلام في حقّ عبيد الشّيطان المبعدين حيث قال في المختار السّابع:

اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً و اتّخذهم له أشراكا فباض و فرّخ في صدورهم و دبّ و درج في حجورهم فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم فركب بهم الزّلل و زين لهم الخطل فعل من قد شرّكه الشّيطان في سلطانه و نطق بالباطل على لسانه.

فكما أنّ المراد بهذا الكلام المجاز و الاستعاره قطعاً لا الحقيقة، فكذلك الحديث المذكور كما هو غير خفيّ على ذوى البصائر إلّا أنّ من لم يجعل الله له نورا فما له من نور، هذا.

و ممّا وقع التصريح فيه أيضاً في كلام ابن العربي بأنّ الحقّ مستور في الخلق و الخلق سائر له ما صريح عبارته في الفصّ العيسوي، فإنّه بعد ما ذكر كيفيه إحياء عيسى عليه السّلام للموتى و مشاهده القوم ذلك منه و تحيّرهم فيه في إحيائه لكونه من الخصائص الالهية قال:

«فأدّى بعضهم إلى القول بالحلول و انه هو الله بما أحيى به من الموتى و لذلك نسبوا إلى الكفر و هو السّتر لأنّهم ستروا الله الذي أحيى الموتى بصوره بشريّه عيسى» قال القيصري: أى فأدّى نظر بعضهم فيه إلى القول بالحلول فقال: إنّ الله حلّ في صورهِ عيسى فأحيى الموتى، و قال بعضهم: إنّ المسيح هو الله، و لما ستروا الله بالصورهِ العيسويه المقيده فقط نسبوا إلى الكفر.

«فقال الله تعالى «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» فجمعوا بين الخطاء و بين الكفر في تمام الكلام كلّ» أى جمعوا بين الكفر و هو ستر الحقّ بالصورهِ

العيسويّه و بين الخطاء و هو حصر هويّه الله في كلمه العيسويّه، و المراد بقوله في تمام الكلام أى بمجموع قولهم إنّ الله هو المسيح بن مريم، جمعوا بين الكفر و الخطاء.

«لا- بقولهم هو الله و لا- بقولهم ابن مريم» لأنّ قولهم هو الله أو الله هو صادق من حيث إنّ هويّه الحقّ هى التى تعيّنت و ظهرت بالصورة العيسويّه كما ظهرت بصورة العالم كلّ و قولهم: المسيح بن مريم أيضا صادق، لأنّه ابن مريم بلا شك لكن تمام الكلام و مجموعه غير صحيح لأنّه يفيد حسر الحقّ فى صورته عيسى فقط و هو الباطل لأنّ العالم كلّ غيبا و شهادته صورته لا عيسى فقط، انتهى.

و محصل كلامهما أنّ النصارى القائلين بالحلول إنّما أرادوا بذلك أنّ لاهوتيه الاله تغيّبت بناسوتيه عيسى فاستتر الحقّ بالصورة العيسويّه كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ»، فإنّ المراد بالكفر هنا معناه اللّغوى و هو السّتر لا الاصطلاحى، فيكون معنى الايه: إنّ الذين قالوا إنّ الله هو المسيح قد ستروه به و هم كانوا مصييين فى ذلك القول و الاعتقاد لكون الهويّه الالهيه مختفيه فيه و ظهورها بصورته كاختفائها فى أعيان الخلايق كلّها و ظهورها بصورها، لكنهم أخطئوا فى حصرهم الحقّ فى صورته عيسى فقط و جعله مظهرها له دون غيره مع أنّ العالم كلّ مظهره لا عيسى فقط.

و الحاصل أنّ النصارى إنّما أخطئوا حيث قالوا: إنّ الله هو المسيح بن مريم و لم يقولوا إنّ الله هو العالم كله، فلو قالوا كذلك ارتفع عنهم الخطاء و العاييه بالمّرّه.

أقول: هذا ملخص مراد هذا الملحد الضّليل الّذى أضلّ كثيرا و ضلّ عن سواء السبيل، فانظر الى أنّه كيف يبدّل كلمه الكفر بالاسلام و كلمه الاسلام بالكفر و يؤوّل كلام الله الظاهر بل النصّ فى تكفير النصارى إلى معنى يشمئزّ منه الطباع و تنفرّ عنه الأسماع.

فيا عجا عجا و مالى لا أعجب من أنّ الله سبحانه و تعالى إنّما حكم بكفر النصارى و لعنهم و طردهم و ابعادهم من أجل قولهم بحلوله فى عيسى فقط فكيف بمن يقول بحلوله

فى جميع الأعيان و الأكوان حتّى الكلاب و الخنازير نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من هذا الاعتقاد الفاسد و لعن الله المعتقدين به و عذبهم عذابا أليما لا يعدّبه أحدا من العالمين.

الوجه الثانى من وجوه الدّالة قوله عليه السّلام: الظاهر لا برؤيه و الباطن لا بلطافه

يعنى أنّه ظاهر بلا اقتراب و باطن بلا حجاب و بعباره اخرى أنّه عزّ و جلّ ظاهر بآياته و محتجب بذاته و ليس ظهوره كظهور سائر الأشياء بأن يكون مرئيا بحاسّه البصر، و لا بطونه بلطافه قوامه كالهواء و الرّوح و نحوهما حسبما عرفت تفصيلا فى مقامه و اليه أشار سبحانه بقوله: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

و قال الرضا عليه التّحيّه و الثنا فى الحديث العذّى رواه فى البحار من التوحيد و العيون عن الحسين بن خالد عنه عليه السّلام فى تفسير أسمائه سبحانه و تعالى و بيان أنّ اطلاقها عليه عزّ و جلّ ليس على الوجه الذى يطلق على غيره و أنّ المعنى الذى يراد عند إطلاق اسم عليه سبحانه مخالف للمعنى المراد عند إطلاقه على غيره قال عليه السّلام:

و أمّا الظاهر فليس من أجل أنّه على الأشياء بركوب فوقها و قعود عليها و تسنّم لذراها، و لكن ذلك لقهره و لغلبته الأشياء و قدرته عليها «الى أن قال:» و وجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده لا يخفى عليه شىء و أنّه مدبّر لكلّ ما يرى فأىّ ظاهر أظهر و أوضح أمرا من الله تبارك و تعالى فانك لا تعدم صنعته حيثما توجّهت و فيك من آثاره ما يغنيك و الظاهر ممّا البارز بنفسه و المعلوم بحدّه فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى.

و أمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها و لكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما و حفظا و تدبيرا كقول القائل: بطنته أى خبرته و علمت مكتوم سرّه، و الباطن ممّا بمعنى الغائر فى الشىء المستتر فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى، الحديث.

فقد علم بذلك كلّ بطلان ما زعمه الصّوّفيه، فإنّهم يقولون: إنّ ظهوره عبارته عن ظهوره بصور الموجودات كما حكينا عن القيصرى فيما سبق من قوله: إنّ حقيقه

الوجود إذا اخذت بشرط الصّور الحسيّ الشهادتيّ فهي مرتبه الاسم الظّاهر المطلق، و أنّ بطونه عبارته عن تخلّله واحتجابه بالخلق حسبما عرفت قريبا، و على قولهم فيكون ظهوره برؤيه البصر له في مجاله و مظهره و بطونه للطافته و سرايه هويّته في الموجودات و اختفائه فيها.

و قد أشار إلى تفصيل ذلك ابن العربي في الفصّ الهودي حيث قال:

«فالعالم صورته و هو روح العالم المدبّر له، فالعالم هو الانسان الكبير، فالعالم من حيث إنّّه عالم صورته الحقّ و الحقّ روحه المدبّر له، فالعالم هو الانسان الكبير فهو الكون كلّ و هو الواحد العذّي قام كوني بكونه و لذا قلت يغتذى فوجودى غذاؤه و به نحن نغتذى» قال القيصرى: أى الحقّ هو الوجود كلّ و هو الواحد بحسب الذات و الحقيقة و القيتوم الذى قام وجودى و وجود العالم كلّ بوجوده و ذاته، و قوله: و لذا إشارته إلى قوله قام كوني بكونه أى و لأجل أنّ وجودى قائم بوجوده و وجوده ظاهر بوجودى نسبت الغذاء اليه فغذاؤه وجود العالم و غذاء العالم وجوده و أسماؤه لأنّ الغذاء عبارته عمّا به بقاء المغتذى فى الخارج و ذلك باختفائه و ظهوره على صورته من يغتذى، و لا شك أنّ وجودنا يحصل باختفاء هويّته فينا و ظهوره بصورنا و بقائنا أيضا يحصل بايصال الفيض الدائم إلينا كذلك أعيان العالم يختفى فى ذاته و يظهر وجوده و أسماؤه و أحكامها فى الخارج.

إلى أن قال بعد جملة من ترّاهاتهما:

«إذ هو الظاهر و هو باطنها إذ هو الباطن» لأنّ الحقّ هو الظاهر و ظاهرّيته بصور العالم و الحقّ باطنها، لأنّه هو الباطن كما أنّه هو الظاهر «و هو الأوّل إذ كان و لا-هى» أى الحقّ هو الأوّل لأنّه كان و ليس صور العالم موجوده كما قال عليه السّلام كان و لا شىء معه «و هو الآخر إذ كان عينها عند ظهورها» أى هو الآخر لأنّه عين أعيان العالم و صورها عند ظهورها فى الخارج «فالاخر عين الظاهر و الباطن عين الأوّل».

قال القيصرى: الآخر يطلق على معنيين:

أحدهما ما ذكره هنا و هو كون الحقّ عين الأعيان الخارجيّة الموجوده في الخارج لأنّه آخر المراتب.

و ثانيهما كون الأعيان مستهلكه في الحقّ بالفناء فيه، فعلى الأول الآخر عين الظاهر و الباطن عين الأوّل لكون الحقّ باطنا أوّلا و لا ظهور للأشياء إلى أن قالوا:

«و إذا كان الحقّ وقايه للعبد بوجه» و هو كون الحقّ ظاهر العبد «و العبد وقايه للحقّ بوجه» و هو كون العبد ظاهر الحقّ «فقل في الكون ما شئت إن شئت قلت هو الخلق» كما يقول المحجوبون باعتبار صفات النقص «و إن شئت قلت هو الحقّ» كما يقول الموحّدون باعتبار صفات الكمال «و إن شئت قلت هو الحقّ و الخلق» باعتبار الجمع بين الكمال و النقصان «و إن شئت قلت لا حقّ من كلّ وجه و لا خلق من كلّ وجه» كما يقول المحقّقون الجامعون بين المراتب الالهيه و العبوديه «و إن شئت قلت بالحيثه في ذلك» كما قيل: العجز عن درك الادراك إدراك.

«فقد بانت تبعيتك المراتب و لو لا التحديد ما أخبرت الرسل بتحوّل الحقّ في الصّور و لا وصفته بخلق الصّور عن نفسه فلا تنظر العين إلّا إليه و لا يقع الحكم إلّا عليه».

قال القيصرى: لما كان كون الحقّ عين الأشياء يوجب التحديد قال: و لو لا التحديد واقعا في نفس الأمر ما أخبرت الرّسل بأنّ الحقّ يتحوّل في الصّور كما جاء في الحديث الصحيح: إنّ الحقّ يتجلّى يوم القيامة للخلق في صورته منكره فيقول:

أنا ربّكم الأعلى فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلّى في صورته عقايدهم فيسجدون له و الصّور كلّها محدوده، فاذ كان الحقّ يظهر بالصّور المحدوده و نطق الكتاب بأنّه هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شىء عليم، حصل العلم للعارف أنّ الظاهر بهذه الصّوره أيضا ليس إلّا- هو فلا- تنظر العين إلّا- إليه و لا- يقع الحكم إلّا- عليه إذ لا- موجود سواه ليكون مشاهدا إياه بل هو الشاهد و المشهود عليه و الحاكم و المحكوم عليه، انتهى.

و يتوجّه عليهما أوّلا أنّ البراهين المحكمه من العقل و النقل قد قامت على

استحاله رؤيته سبحانه بحسّ البصر، وقد تقدّم ذكرها مكرّرا في تضاعيف الكتاب وقد قال تعالى صريحا: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»، فنصّ كلام الحقّ سبحانه وتعالى ناطق بأنّ ما قالاه إفكك وبهت وافتراء.

و أمّا ثانيا فقد عرفت سابقا وستعرف أيضا مباينه الحقّ للخلق ومفارقة الصّيانع والمصنوع والربّ والمربوب والحادث والمحدود، ومع ذلك فكيف يمكن أن يكون الحقّ وقايه للعبد والعبد وقايه للحقّ ويتفرّع على ذلك بطلان الوجوه الأربعة جميعا لكونها كلّها خلاف ما قاله الأنبياء والرّسل والحجج المعصومون سلام الله عليهم أجمعين، نعم الحيره في ادراك ذاته حقّ من جهه تنزّهه عن التحديد لا- بالمعنى الذى توهمه هذا الجاهل، فإنّ حجج الله المعصومين مع كونهم عالمين بحقائق الأشياء على ما هي عليها بالعلم اللدنى قد اعترفوا بالعجز عن إدراك ذاته وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما عرفناك حقّ معرفتك، فعلم أنّ عجزهم ليس من جهه استتاره فى الخلق واستتار الخلق فيه كما زعمه هذا الضليل.

و أمّا ثالثا فإنّ ما نسبته إلى الرّسل كذب فاحش والحديث الذى استدلّ به من أنّ الحقّ يتجلّى للعبد يوم القيامة اه موضوع مجعول لكونه مخالفا للعقل والنقل والضروره.

ومثله فى الجعل ما رواه الغزالى فى آخر كتاب احياء العلوم عن جرير بن عبد الله البجليّ قال: كنّا جلوسا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فرأى القمر ليله البدر فقال: إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته.

و روى عن صحيح مسلم عن صهيب قال: قرء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله تعالى:

«لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ»، قال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار نادى مناد يا أهل الجنّة إنّ لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، قالوا:

ما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنّة ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عزّ وجلّ فما اعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى وجه الله.

قال الغزالي: وقد روى حديث الرؤيه جماعه من الصحابه.

أقول: و لو روى ألف صحابه حديثا مفيدا لرؤيته سبحانه بحاسه البصر لطحناه لكونه مخالفا لنصّ الكتاب فضلا عن البراهين الساطعه، نعم لو كان حديثا معتبرا قابلا للتأويل أولناه كما نوّول قوله تعالى: «وَجُودُهُ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ»، وقوله: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ»، و نحوهما بما لا يخالف اصول المذهب و الله هو الهادي.

الوجه الثالث من وجوه الدلاله قوله عليه السلام: بان من الأشياء بالقهر لها و القدره

عليها و بانّت الأشياء منه بالخضوع له و الرجوع إليه.

فأنّه صريح في مباينته للأشياء بغلبته و استيلائه عليها و قدرته على ايجادها و إعدامها كما هو شأن الواجب تعالى و بخضوع الأشياء و ذلّها في قيد الامكان و رجوعها و افتقارها في وجودها و كمالاتها إليه عزّ و جلّ كما هو مقتضى حال الممكن و مع ذلك فكيف يمكن جعل أحدهما عين الاخر على ما ذهب إليه المتصوّفه.

الوجه الرابع قوله عليه السلام: من وصفه فقد حدّه إلى قوله: فقد أبطل أزلّه

و هو صريح في تنزّهه سبحانه عن الأوصاف و الحدود الامكانيه فيبطل القول بظهوره في صور الموجودات و اتّصافه بأوصافها و حدودها و تشكّله بأشكال المختلفه كما هو مذهب الصوفيّه خذلهم الله تعالى.

و منه

أكثر فقرات الخطبه المأه و الثانيه و السّتين:

فمنها قوله عليه السلام فيها: حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانته له من شبهها

أى أنّه تعالى جعل للأشياء عند ايجاده إيّاها أجزاء و ذاتيات إن كان الحدّ بمعناه المنطقي أو حدودا و نهايات إن كان بمعناه اللّغوي و محصّله أنّه تعالى جعلها محدوده مشخصه بحدود معيّنه تقف عندها و لا يتجاوز عنها إلى غيرها.

و إنّما جعلها كذلك لتمييز بعضها عن بعض و يفترق أحدها عن الاخر، لأنّ الشخص ما لم يتشخّص لم يوجد، و الوقوف إلى حدّ معيّن لا بدّ له من علّه محدّده إذ ماهيه الشىء لو كانت مقتضيه للانتهاء إلى ذلك الحدّ المخصوص لكان

جميع افراد تلك الماهية كذلك و ليس فليس و العله المحدده لا بد أن يكون منزها عن الحد و الآ- فيحتاج إلى عله اخرى فيتسلسل.

و بعباره اخرى الأشياء لكونها ذى ماهيه مركبه من الجنس و الفصل محدوده بالحد المنطقى و لكونها منتهيه إلى حد معين و مقدار مشخّص محدوده بالحد اللغوى. و هو من لواحق الكم المتصل و المنفصل اللذين هما من أقسام العرض، و الواجب تعالى لكونه منزها عن التركيب المستلزم للافتقار لا يكون محدودا بالحد المنطقى، و لعدم كونه عرضا امتنع أن يكون محدودا بالحد اللغوى فيكون مباينا لمخلوقاته منزها عن مشابهتها بنفس ذاتة.

و قال عليه السلام فى هذه الخطبه أيضا بعد جملة كلام له:

تعالى عما ينحله المتحدّدون من صفات الأقدار و نهايات الأقطار و تأثّل المساكن و تمكّن الأماكن فالحدّ لخلقه مضروب و إلى غيره منسوب.

و اوضح منهما ما فى البحار من التوحيد للصدوق باسناده عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد الله عن أمير المؤمنين فى خطبه طويله له عليه السلام قال: لما شبّهه العادلون بالخلق المبعوض فى صفاته ذوى الأقطار و النواحي المختلفه فى طبقاته و كان عزّ و جلّ الموجود بنفسه لا- بأداته انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدره فقال تنزيها لنفسه عن مشاركته الأنداد و ارتفاعا عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفره العباد: «و ما قدّروا الله حقّ قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يُشْرِكُونَ» و مثل هذه فى الدلالة على تنزهه سبحانه من التحديد و التشبيه أخبار كثيره قريبه من التواتر بل متواتره.

مثل ما رواه فى البحار من توحيد الصدوق عن إبراهيم بن محمّد الهمدانى قال:

كتبت إلى الرّجل يعنى أبا الحسن عليه السلام إنّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا فى التوحيد: فمنهم من يقول: جسم، و منهم من يقول: صوره، فكتب عليه السلام بخطه:

سبحان من لا يحدّ و لا يوصف ليس كمثله شيء و هو السميع العليم أو قال البصير.

و فيه أيضا عن الصادق عليه السلام أنّه قال لهشام: إنّ الله تعالى لا يشبه شيئا و لا

يشبهه شيء و كلما وقع في الوهم فهو بخلافه.

قال و روى عنه عليه السّلام أيضا أنّه قال: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلّا هو ليس كمثله شيء و هو السميع البصير لا يحدّ و لا يحسّ و لا يدركه الأبصار و لا يحيط به شيء و لا هو جسم و لا صورته و لا بذى تخطيط و لا تحديد.

و فيه من التوحيد عن هشام بن إبراهيم العباسي قال: قلت له يعنى أبا الحسن عليه السّلام: جعلت فداك أمرنى بعض مواليك أن أسألك عن مسأله قال عليه السّلام: و من هو؟ قلت: الحسن بن سهل، قال: و فى أى شيء المسأله؟ قال: قلت: فى التوحيد قال: و أى شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن الله جسم أولا جسم، فقال عليه السّلام لى: إنّ للناس فى التوحيد ثلاثه مذاهب: إثبات بتشبيه، و مذهب النفى، و مذهب إثبات بلا- تشبيه، فمذهب الاثبات بتشبيه لا- يجوز، و مذهب النفى لا- يجوز، و الطريق فى المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه.

و فيه من التوحيد عن المفضل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك إنّ الله تبارك و تعالى لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء و كلما وقع فى الوهم فهو بخلافه.

و فيه من العقائد باسناده عن محمّد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول:

دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام فقلت له: إنّ هشام بن الحكم يقول قولا عظيما إلّا أنّى أختصر لك منه أحرفا يزعم أنّ الله جسم لأنّ الأشياء شيئات، جسم و فعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصّانع بمعنى الفعل و يجوز أن يكون بمعنى الفاعل، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: و يله أما علم أنّ الجسم محدود متناه و الصوره محدوده متناهيه فاذا احتمل الحدّ احتمل الزّيادة و النقصان و إذا احتمل الزّيادة و النقصان كان مخلوقا، قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم و لا صورته و هو مجسم الأجسام و مصوّر الصور، و لم يتجزأ و لم يتناه و لم يتزايد و لم يتناقص لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق و المخلوق فرق، و لا بين المنشئ و المنشأ، لكن هو المنشئ فرق بين من جسّمه

و صوره و أنشأه إذا كان لا يشبهه شيء و لا يشبه هو شيئا.

قال المحدث العلامة المجلسي بعد روايته ذلك:

استدلّ عليه السلام على نفى جسميته تعالى بأنّه لو كان جسما لكان محدودا بحدود متناهيا إليها لاستحاله لا تنهى الأبعاد، و كلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام بأجزاء متشاركه في الاسم و الحدّ، فله حقيقه كليّه غير متشخصه بذاتها و لا موجوده بذاتها إذ هو مركّب من أجزاء حال كلّ واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقا، أو بأنّ كلّ قابل للحدّ و النّهايه قابل للزياده و النقصان لا يتأبى عنهما في حدّ ذاته و إن استقرّ على حدّ معيّن فأنما استقرّ عليه من جهه جاعل.

ثمّ استدلّ عليه السلام بوجه آخر و هو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنًا و أرفع قدرا من الموجد، و عدم المشابهه و المشاركه بينهما و إلّا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّه دون الآخر، و كيف صار هذا موجدا بدون العكس، و يحتمل أن يكون عدم المشاركه و المشابهه فيما يحتاج إلى العلّه فيحتاج إلى علّه اخرى، انتهى.

فقد علم بذلك كلّ كونه سبحانه منزّها عن الحدّ و الشّبه و أنّه يجب تنزيهه عن التحديد و التشبيه، و أنّ القائل بهما كافر مشرك.

و ذهب محيي الدّين على أصله الفاسد إلى أنّ القول بهما عين التّوحيد.

و القائل بهما مؤمن موحّد كامل، و النافي لهما عنه تعالى جاهل، و تبعه على ذلك القيصرى.

قال فى الفصوص فى الفصّ النّوحى:

«اعلم أنّ التّنزيه عند أهل الحقائق فى الجنب الالهى عين التحديد و التّقييد و المنزّه إمّا جاهل و إمّا صاحب سوء أدب».

قال القيصرى: اعلم أنّ التّنزيه إمّا أن يكون عن النقائص الامكانيّه فقط أو منها و من الكمالات الانسانيه أيضا و كلّ منهما عند أهل الكشف و الشهود تحديد للجنب الالهى و تقييد له، لأنّه يميّز الحقّ عن جميع الموجودات و يجعل ظهوره فى بعض

مراتبه و هو ما يقتضى التنزيه دون البعض و هو ما يقتضى التشبيه كالحياه و العلم و القدره و الاراده و السمع و البصر و غير ذلك، و ليس الأمر كذلك فإن الموجودات بذواتهم و وجوداتهم و كمالاتهم كلها مظاهر للحقّ و هو ظاهر فيهم و متجلى لهم و هو معهم أينما كانوا فيه ذواتهم و وجودهم و بقاؤهم و جميع صفاتهم، بل هو الذى ظهر بهذه الصور كلها فهى للحقّ بالأصالة و للخلق بالتبعيه، فالمنزّه إما جاهل بالأمر على ما هو عليه أو عالم بأنّ العالم كلّ مظهره، فان كان جاهلا و حكم بجهله على الله و قيده فى بعض مراتبه فهو جاهل و صاحب سوء أدب، و إن كان عالما به فقد أساء الأدب مع الله تعالى و رسله بنفيه عنه ما أثبتته هو لنفسه فى مقامى جمعه و تفصيله.

هذا فى مقام الالهيه، و أما فى مقام الأحديّه الذاتيه فلا تشبيه و لا تنزيه إذ لا تعدّد فيه بوجه أصلا قال الشيخ يعنى محيى الدين فى عنقاء المغرب مخاطبا للمنزّه و غايه معرفتك به أن تسلب عنه نقايص الكون و سلب العبد عن ربّه ما لا يجوز عليه راجع إليه، و فى هذا المقام قال من قال: سبحانى دون التّوانى هيهات و هل يعرى من شىء إلّا من لبسه أو يؤخذ شىء إلّا من حبسه و متى لبس الحقّ صفات النقص حتّى تسلبها عنه أو تعريه و الله ما هذه حاله التّنزيه فالتّنزيه راجع إلى تطهير محلّك لا إلى ذاته و هو من جمله منحه لك و هباته و البارى منزّه عن التّنزيه فكيف عن التشبيه.

قال الماتن «و لكن إذا اطلاقه و قالا به فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزّه و وقف عند التّنزيه و لم ير غير ذلك فقد أساء الأدب و أكذب الحقّ و الرسل صلوات الله عليهم و هو لا يشعر و يتخيّل أنّه فى الحاصل و هو فى الفايه و هو كمن آمن ببعض و كفر ببعض».

قال الشارح: أى الجاهل و صاحب سوء الأدب إذا اطلقا التّنزيه و قالا به كلّ منهما إمّا أن يكون مؤمنا بالشرائع و الكتب الالهيه أو غير مؤمن، فالمؤمن إذا نزّه الحقّ و وقف عنده و لم يشبّه فى مقام التشبيه و لم يثبت تلك الصفات الّتى هى

كمالات في العالم فقد أساء الأدب و كذب الرسل و الكتب الالهيه فيما أخبر به عن نفسه بأنه الحي القيوم السميع البصير و لا يشعر بهذا التكذيب الصادر منه و يتخيل أن له حصلا من العلوم و المعارف و أنه مؤمن و مؤحد و ما يعلم أنه فئت منه و هو كمن آمن ببعض و هو مقام التنزيه و كفر ببعض و هو مقام التشبيه، و غير المؤمن سواء كان قائلا- بعقله كالفلاسفه أو لم يكن كمقلديهم المتفلسفه فقد ضلّ و أضلّ، لأنه ما علم الأمر على ما هو عليه و ما اهتدى بنور الايمان الرافع للحجب و إنما ترك هذا القسم لظهور بطلانه، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و محصّيه أن اللازم على المؤمن الموحّد أن يكون جامعا بين مرتبتى التنزيه و التشبيه، بأن ينزّهه في مقام التنزيه من النقايس الامكانيه، و يشبّهه في مقام التشبيه بأن يثبت له صفات الكمال التي في المخلوقات من السمع و البصر و الاراده و الحياه و نحوها، لأنّ المخلوقات كلّها مظاهر له و كمالها كماله بل ليس في الوجود خلق تشاهده العين إلّا و عينه و ذاته عين الحقّ الظاهر في تلك الصوره.

كما قال في الفصّ الهودي «و ما خلق تراه العين إلّا عينه حقّ» و قال في الفصّ الاسماعيلي ما هذه عبارته:

«فلا تنظر إلى الحقّ فتعريه عن الخلق و لا تنظر إلى الخلق و تكسوه سوى الحقّ

و نزّهه و شبّهه و قم في مقعد الصدق»

قال القيصرى: أى لا- تنظر إلى الحقّ فتجعله موجودا خارجيا مجرّدا عن الأ-كوان منزّها عن المظاهر الخلقية عاريا عنها و عن صفاتها، و لا تنظر إلى الخلق بأن تجعل الخلق مجرّدا عن الحقّ مغايرا له من كلّ الوجوه و تكسوه لباس الغيريه، بل انظر الى الحقّ في الخلق لترى الوحده الذاتيه في الكثره الخلقية و ترى الكثره الخلقية في الوحده الذاتيه، و نزّه الحقّ المذى في الخلق بحسب مقام أحديته عن كلّ ما فيه شاييه الكثره و الامكانيه و النقصان، و شبّهه أيضا بكلّ صفات كماله كالسمع و البصر و الاراده و قدره، فانك إذا جمعت بين التشبيه

و التنزيه كما هو عادة الكاملين فقد قمت مقام الصدق و هو مقام الجمع بين الكاملين.

و أوضح ذلك فى الفصّ الالىاسى و شرحه بقوله:

«و إذا أعطاه الله المعرفة بالتجلى كملت معرفته بالله فنزه فى موضع و شبه فى موضع» أى نزه فى موضع التنزيه تنزيها حقانيا و شبه فى موضع التشبيه تشبيها عيانيا فيكون تنزيهه تنزيه الحقّ و تشبيهه تشبيه الحقّ «و رأى سريان الحقّ بالوجود فى الصّور الطبيعىّ و العنصريه فما بقيت له صوره إلا- و يرى عين الحقّ عينها و هذه المعرفة التّامه فلا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه و لا تشبيه عن تنزيه».

و ذلك لأنّ كلّ ما نزهته عنه من النقائص فهو ثابت له عند ظهوره فى المراتب الكونيه و هو التشبيه، و كلّ ما شبّهته به و أثبتّ له من الكمالات فهو منقضى عنه فى مرتبه أحدىّته و هو التنزيه، و على ذلك فلا يجوز للمؤمن أن يقتصر فى مقام التوحيد على التنزيه فقط.

أمّا أولا فلاّنّ التنزيه عن التحديد و التشبيه عين التحديد لأنّ التّمييز عن كلّ شىء محدود بتمايزه عنها.

و أمّا ثانيا فلاّنّ جهل بالله الكريم حيث إنّّه قيده فى بعض مراتبه و ميّزه عن ساير مجاليه و مظاهره.

و أمّا ثالثا فلاّنّ أساء الأدب مع الله و مع رسوله حيث لم يثبت له صفات الكمال التى له فى مجاليه.

و أمّا رابعا فلاّنّ كذب الله و رسوله فيما أخبرا به من اتّصافه بصفات الكمال، هذا.

و أنت خير بتدليس هذا الجاهل الضّليل و تلبيسه الباطل بصوره الحقّ و الحقّ بصوره الباطل غير خفىّ على الفطن العارف لأنّ العقل و النقل و الأنبياء و الرسل جميعا متّفقون على تنزهه سبحانه عن النقائص الامكانيه و عن اتّصافه بصفات المحدثات و عن مشابهه المخلوقات و قد نزه ذاته و هو أعلم به من غيره فى كتابه

الكریم بقوله: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» وقال أيضا: «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا»، وقال: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ»، وقال: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ»، وقال: «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» إلى غير هذه من الايات البينات.

و أما الوجوه التي استند إليها في عدم جواز الاقتصار على التنزيه فكلها فاسده.

أما الوجه الأول فلمنع كون التنزيه موجبا للتحديد إذ معنى التنزيه هو ابداء المغايره بين الحقّ و الخلق من أجل اتّصاف الخلق بصفات النقصان و عوارض الامكان، و كون الحقّ بريئا منها من حيث وجوب وجوده و كونه تاما فوق التمام.

و بعبارة اخرى جعله سبحانه خلوا من خلقه و خلقه خلوا منه من أجل كون الخلق محدودا و الحقّ منزها عن الحدّ، فحقيقه التنزيه هو إظهار كونه مبينا لمخلوقاته مفارقا لها بنفس ذاته الأقدس الأعلى من أجل اتّصافها بالحدود و النهايات، و ذلك لا يوجب كونه محدودا بوجه أصلا لا بالحدّ الاصطلاحي و لا بالحدّ اللغوي.

و إن أراد بقوله إنّه عين التحديد إنّ فيه تميز الحقّ عن كلّ ما سواه لما فيها من القصور و النقصان و المحدوديه بحدود الامكان، فهذا هو محض الايمان المطلوب عقلا و شرعا فلا معنى للاستناد إليه في عدم الجواز.

بل أقول: إنّ عمده الغرض من التنزيهات الوارده في الكتاب المبين و الصادره عن ألسنه الأنبياء و المرسلين و الملائكة المقربين و الحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ليس إلّا- تنزيهه سبحانه و تقدسه تعالى عَمَّا نسبته إليه عزّ و جلّ هذه الطائفة المضلّة الضالة من ظهوره في صور الموجودات و اتّصافه بصفات المحدثات فتعالى الله عما يقول الظالمون و سبحانه الله ربّ العرش عَمَّا يصفون.

و أما الوجه الثاني فلمنع كونه جهلا بل هو محض العلم و العرفان و التوحيد

و الايمان، و إنما الجاهل من قال بتجليّه في مخلوقاته و بظهوره في صور مصنوعاته.

و أما الوجه الثالث فلأن سَيَّء الأدب من قال: سبحانى ما أعظم شانى، لا من قال سبحان الله و سبحان ربّى، و من قال: إني أنا الله و ليس فى جَبْتى سوى الله لا من قال: لا إله إلا الله.

و أمّا الوجه الرابع فلأنّ المكذّب للأنبياء و الرّسل أمثال هذا الجاهل القائل بتجليّه في مخلوقاته و اتّصافه بصفات محدثاته لا القائل بتنزّهه عن مجانسه مخلوقاته و اتّصافه بنعوت العظمه و الجلال و صفات العزّه و الجمال بذاته، و بعبارة اخرى المكذّب للرسل و الأنبياء من نزّه و شبه و قال: إنه كلّ الأشياء لا من قدّس و نزّه و قال: إنه ليس كمثله شيء و إنه شيء لا كالأشياء.

و الحاصل أنا ننزّهه من مشابهه غيره فى ذاته و صفاته و نصفه بصفات الكمال بذاته و نقول: إنه حىّ قيوم عالم سميع بصير قادر خبير بمعنى أجلّ و أعلى على ما نبّه عليه الحجج المعصومون فى شرح الأسماء الحسنى، و نقدّسه من صفات المخلوق مطلقا سواء كانت صفه نقصان كالعجز و الحاجة و الافتقار أو صفه كمال كالعلم و الاراده و القدره و الاختيار، فإنّ هذه الصفات و ان كانت كمالات للمخلوق إلاّ أنّ اثباتها للخالق بالاعتبار الثابت للمخلوق موجب لاّتّصافه بصفات المحدثات فتكون بالنسبه إليه تعالى نقصا لا كمالا.

و هذا هو الذى دلّ عليه السنّه و الكتاب، و صرّح به الأئمة الأطياب، و حقّقه العلماء الراسخون و اولو الألباب.

و أما ما قاله هؤلاء الجهال: من أنّ صفات كماله هو عين صفات الكمال فى مخلوقاته لكونها مجاليه و مظاهره، فمما لم يرد به كتاب و لا سنه، بل هو افك و فريه بينه، و قد قال سبحانه: «أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

و بالجملة فحالنا و حال هؤلاء كمال قال تعالى فى كتابه، فنحن نقول:

«رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى»

و قد علم بذلك كله أنّ التنزيه ينافى التشبيه و التشبيه ينافى التنزيه بل ليس الغرض من التنزيه إلاّ التنزيه من التشبيه.

فظهر به أنّ ما قاله ابن العربي من أنه لا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيهه و لا تشبيه عن تنزيه غلط صرف و خبط واضح.

و أفحش من ذلك غلطا و شططا كلامه الذي حكاه القيصري عن كتابه المسمّى بعنقاء المغرب.

فإنّ قوله: إنّ تنزيه العبد لربّه راجع إلى تنزيهه لنفسه، و إنّ معنى سبحان الله سبحانى لأنّ الله سبحانه لم يكن متّصفا بصفات النقص حتّى ينزّه عنها و لا- متلبسا بها حتّى تسلب عنه و يعرى منها، و أنّما المتّصف بها هو المنزّه بنفسه فهو المحتاج إلى التنزيه دون ربّه فقول باطل و كلام فاسد و من الفساد بمكان.

أمّا أولا فلا أنّ تنزيه الرّب من النّقايص لا يستلزم اتّصافه بها فى الواقع أولا ثمّ يسلب لأنّ القضيّه السلبيه لا يستلزم الايجاب و إلاّ لم يصحّ قوله تعالى: وَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ»، و بعد التّنزل نقول: إنّ المراد به تنزيهه عما وصفه به أهل الكفر و الضلال و نسبه اليه السفهاء و الجهال من المشبّهه و المجسّمه و الايصاتيه و المتصوّفه و غيرها من الجهال، و لذلك قال تعالى فى كتابه: سبحانه: و تعالى عمّا يقول الظّالمون، و قال:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ»، و قد قال: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ».

و أمّا ثانيا فلا أنّ قوله: تنزيه الرّب راجع إلى تنزيه نفس المنزّه و تطهير محلّه لا يقوله إلاّ سفيه أو مجنون لأنّ العيب و النقصان من لوازم ذات الممكن فكيف ينزّه المنزّه نفسه عنهما.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى بقيه كلامه الذي نقلناه عن الفصّ النوحى.

قال بعد جملة من ترّهاته: «فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبه الرّوح المدبّر

للصورة فيؤخذ في حدّ الانسان مثلا باطنه و ظاهره و كذلك كلّ محدود فالحقّ محدود بكلّ حدّ.

قال القيصري: أى إذا كان العالم صورته الحقّ و هو روحه فنسبته الحقّ إلى كلّ ما ظهر من صور العالم نسبه الروح الجزئى المدبّر للصورة المعيّنه إليها فى كونه مدبّرا، و لمّا كان ظاهر العالم ظاهر الحقّ و باطنه باطن الحقّ و الباطن و الظاهر مأخوذ فى تعريف الانسان و تحديده لأنّه معرف بالحيوان الناطق و الناطق باطنه و الحيوان ظاهره و الهيئه الاجتماعيه الحاصله من الجنس و الفصل ظاهره الذى به سرى الأحديّه فيه و حقايقهما المشتركه و المميّزه باطنه و الحقّ مأخوذ فى حدّه، و كذلك كلّ محدود إذ لا بدّ فى كلّ من المحدودات من أمر عامّ مشترك و أمر خاصّ مميّز و كلاهما ينتهيان إلى الحقّ الذى هو باطن كلّ شىء فالحقّ محدود بكلّ حدّ لأنّ كلّما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره ظاهره من اسمه الظاهر و باطنه من اسمه الباطن و المظهر عين الظاهر باعتبار الأحديّه فالحقّ هو المحدود.

قال الماتن: «و صور العالم لا ينضبط و لا يحاط بها و لا يعلم حدود كلّ صورته منها إلّا على قدر ما حصل لكلّ عالم من صورته فلذلك يجهل حدّ الحقّ فأنّه لا يعلم حدّه إلّا و يعلم حدّ كلّ صورته و هذا محال حصوله فحدّ الحقّ محال».

قال الشّارح: أى صور العالم و جزئياته مفصلا غير منضبطه و لا منحصره و الحدود لا تعلم إلّا بعد الاحاطه بصور الأشياء و حقايقها، فالعلم بحدودها محال، فحدّ الحقّ من حيث مظاهره أيضا محال.

قال الماتن: «و كذلك من شبّهه و ما نرّاه فقد قيّده و حدّده و ما عرّفه و من جمع فى معرفته بين التنزيه و التشبيه و وصفه بالوصفين على الاجمال لأنّه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطه بما فى العالم من الصور فقد عرّفه مجملا- لا على التفصيل» انتهى.

و محصله أنّ الحقّ محدود بحدود غير متناهيه لا يمكن معرفتها تفصيلا بل اجمالا و ذلك لأنّه باطن العالم و صور العالم الذى هو مظهره غير متناهيه و لا- منضبطه، و حدودها كذلك لأنّ كلّ صورته فلها حدّ معيّن فيعدّد الحدود بتعين الصّور و بتعدّد حدودها يتعدّد حدود الحقّ فلا يمكن معرفتها إلّا اجمالا كما لا يمكن معرفه صور

العالم و حدود تلك الصور إلا كذلك.

و قوله: و كذلك من شبهه آه عطف على ما سبق أى كما أنّ التنزيه بدون التشبيه عين التحديد و التقييد و مستلزم للجهل، فكذلك العكس فمن شبهه و لم ينزهه فقد قيد به بما يقتضيه التشبيه و حدّده بحدود المظاهر، فلم يعرفه حقّ المعرفة لخلوّ معرفته من التنزيه، فالعارف من جمع بين التنزيه و التشبيه و وصفه بهما على الاجمال لأنّ معرفه صور العالم التى نقيضها التشبيه غير ممكنه تفصيلا حسبما عرفت، هذا محضّ كلامه و قد عرفت فساد به بما لا مزيد عليه.

و قال- فى الفصّ الهودى و شرحه: «و ما رأينا قطّ من عند الله تعالى فى حقّه تعالى فى آيه أنزلها أو اخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا- بالتحديد تنزيها كان أو غير تنزيه أولها العماء الذى ما فوقه هواء و لا تحته هواء و كان الحقّ فيه قبل أن يخلق الخلق».

أى أول ذلك التحديد هو المرتبه العمائيه التى أشار إليها النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عند سؤال الأعرابى أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء، و انما كان العماء أول التحديدات لأنه لغه عبارته عن الضباب و فى اصطلاح أهل الله عبارته عن أول تعيين ظهر للحقّ بحسب اسمه الجامع الالهى، و كلاهما محدودان، و هذه المرتبه هى مرتبه الانسان الكامل فانه أول ما تعيّن ظهر بالصورة المحمّديه صلّى الله عليه و آله و سلّم ثمّ فصّلها فخلق منها أعيان العالم علما و خارجا.

«ثمّ ذكر انه استوى على العرش فهذا تحديد أيضا» لأنّ الاستواء عليه ظهور الاسم الرّحمانى فى صورته العرشية و هو أيضا تحديد لأنّه يتعيّن فيظهر فيها.

«ثمّ ذكر أنّه ينزل إلى السماء الدّنيا فهذا تحديد» أى ذكر الحقّ بلسان نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم انّ الله ينزل كلّ ليلة إلى السماء الدّنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر. فأغفر له و التّزول إلى المقام المعيّن تحديد.

«ثمّ ذكر أنّه فى السّماء و أنّه فى الأرض» كما قال: «وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ»، و كونه فى السّماء و فى الأرض تحديد.

«وأنه معنا أينما كنّا» أى و ذكر أنّه معنا كما قال: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ».

«إلى أن أخبرنا أنّه عيننا» أى حدّد نفسه إلى أن جعله أعيننا كما قال: كنت سمه و بصره الحديث.

«و نحن محدودون فما وصف نفسه إلّا بالحدّ و قوله ليس كمثله شيء حدّ أيضا إن أخذنا الكاف زائده لغير الصفه» أى لا تكون للتشبيه ليفيد ليس مثل مثله شيء.

«و من تميّز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود فالإطلاق من التقييد تقييد و المطلق مقيد بالإطلاق لمن فهم و إن جعلنا الكاف للّصّيه فقد حدّدناه» أى على التقديرين يلزم التحديد، أمّا على الأوّل فلأنّ الممتاز عن المحدود لا يكون إلّا محدودا بكونه ممتازا عنه كما أنّ الإطلاق المقابل للتقييد أيضا تقييد بعدم التقييد و المطلق مقيد بالإطلاق، و أمّا على الثانى فلأنّ نفى مثل المثل اثبات للمثل و هو محدود فما يماثله أيضا محدود.

«و ان أخذنا ليس كمثله شيء على نفى المثل تحقّقنا بالمفهوم و بالآخبار الصحيح أنّه عين الأشياء و الأشياء محدوده و ان اختلفت حدودها» أى و إن حملنا على نفى المثليه مطلقا سواء كان زائدا أو غير زائد مع عدم القصد بوجود المثل بل المقصود المبالغه فى التّنزيه كما يقال: مثلك لا يغضب، و الغرض نفى الغضب منه يلزم التحديد أيضا، لأنّ ما يمتاز عن الشيء محدود بامتيازته عنه فسلب المثليه تحدّده، و هو المراد بقوله: تحقّقنا بالمفهوم أى علمنا حقيقته بالمفهوم من الايه أنه محدود و كذلك تحديده بالخبر الصحيح و هو: كنت سمعه و بصره الحديث، لأنّه صار عين الأشياء و الأشياء محدوده بحدود مختلفه و أن فى قوله: و إن اختلفت حدودها للمبالغه.

«فهو محدود بحدّ كلّ محدود فما يحدّ شيء إلّا و هو حدّ للحقّ» لما كان الحدّ عبارته عن التعيين و الحدّ الاصطلاحى انما يسمى بالحدّ لأنه أيضا يعيّن الشيء و يميّزه عن غيره نقل الكلام إلى الحدّ الاصطلاحى الموجب لتعيّن الأشياء فى العقل و انما جعله محدودا بحدّ كلّ محدود لأنه عين لكلّ محدود فحدّه حدّ الحقّ و قوله و هو عايد إلى الحدّ الذى يدلّ عليه قوله فما يحدّ، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

أقول: فيالله لهذا الرجل من سوء الاعتقاد و الزيف عن نهج الرشاد و الاصرار فى ترويح الزندقه و الالحاد، و صرف الايات المحكمات عن ظواهرها إلى تصحيح عباده الطاغوت و الاستناد إلى المتشابهات فى اثبات مذهب هو أو هن من بيت العنكبوت، و قد قال عز من قائل: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ».

فهل يحكم العاقل بدليل متشابه على أنّ الحقّ بكل حدّ محدود؟ أم هل يسلم القول بوحده الوجود الذى هو فى معنى الكفر و الجحود بمجرد الاستناد إلى كشف و شهود؟ و قد عرفت بطلان التشبيه و التحديد ببرهان متين و بيان لا عليه مزيد.

و الأدلّه التى استند اليها هنا فى اثبات تلك الدّعوه غير خفيه الفساد على ذوى العقل و النهى.

أما الدليل الأول و هو حديث العماء فيه أنه من مجعولات العامه و يدلّ عليه الأخبار النافيه للزمان و المكان عنه تعالى و قد تقدّم كثير منها فى تضاعيف الشرح مضافا إلى قيام الدليل العقلى أيضا على ذلك كما أشار اليه الأئمه عليهم السّلام فى أخبارهم.

مثل ما رواه المحدث العلامة المجلسى «قد» فى البحار من كتاب روضه الواعظين قال: روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال له رجل: أين المعبود؟ فقال: لا- يقال له أين لأنه أين الأيتيه، و لا يقال له كيف لأنه كيف الكيفيه، و لا يقال له ما هو لأنه خلق الماهيته، سبحانه من عظيم تاهت الفطن فى تيار أمواج عظمته، و حصرت الأبواب عند ذكر أزليته، و تحيرت العقول فى أفلاك ملكوته.

و فيه من كتاب التوحيد للصدوق قال: و روى أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السّلام أين كان ربنا قبل أن يخلق سماء و أرضا؟ فقال: أين سؤال عن مكان كان الله و لا مكان.

و فيه منه باسناده عن المفضل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: من زعم أنّ الله فى شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، لو كان عزّ و جلّ على شيء لكان محمولا، و لو كان فى شيء لكان محصورا، و لو كان من شيء لكان محدثا.

قال العلامة المجلسى: قوله: لكان محمولا أى محتاجا إلى ما يحمله، و قوله:

محصورا أى عاجزا ممنوعا عن الخروج من المكان أو محصورا بذلك الشيء و محويا به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود و أجزاء.

و فيه منه باسناده عن حمّاد بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كذب من زعم أنّ الله عزّ و جلّ في شيء أو من شيء أو على شيء.

قال الصدوق: الدليل على أنّ الله عزّ و جلّ لا في مكان أنّ الأماكن كلّها حادثه و قد قام الدليل على أنّ الله قديم سابق للأماكن، و ليس يجوز أن يحتاج الغنى القديم إلى ما كان غنيا عنه، و لا أن يتغير عمّا لم يزل موجودا عليه فصَحّ اليوم أنّه لا في مكان كما أنّه لم يزل كذلك.

و تصديق ذلك ما حدّثنا به القطان عن ابن زكريّا القطّان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن سليمان المروزي عن سليمان بن مهران قال قلت لجعفر ابن محمّد عليهما السلام: هل يجوز أن تقول إنّ الله عزّ و جلّ في مكان؟ فقال عليه السلام: سبحان الله و تعالى عن ذلك أنّه لو كان في مكان لكان محدثا لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان و الاحتياج من صفات الحديث لا القديم.

و أمّا الدليل الثانی فقد عرفت الجواب عنه في شرح الفصل الخامس من الخطبة الاولى و قلنا هناك: إنّ المراد بالاستواء في الایه هو الاستیلاء و السلطنة.

و قال أمير المؤمنين في روايه الاحتجاج عنه عليه السلام في جواب أسئله الزنديق المنكر للقرآن: يعنى استوى أمره و علا تدبيره.

و أمّا الدليل الثالث فهو من مجعولات العامّة أيضا.

و يدل على ذلك صريحا ما رواه في البحار من الأمالی و التوحيد و العيون عن الدّقاق عن الصّوفی عن الزّوياني عن عبد العظيم الحسني عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرّضا عليه السّلام يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذى يروى النّاس عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: إنّ الله تبارك و تعالى ينزل كلّ ليلة إلى السّماء الدّنيا؟ فقال عليه السّلام: لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه، و الله ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كذلك إنّما قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله تبارك و تعالى ينزل ملكا إلى السّماء الدّنيا كلّ ليلة

فى الثلث الأخير و ليله الجمعة فى أول الليل فىأمره فىنادى هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأستغفر له، يا طالب الخير أقبل و يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادى هذا إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء، حدثنى بذلك أبى عن جدى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و فيه من الاحتجاج عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبى إبراهيم موسى عليه السلام قال:

ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك و تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال عليه السلام:

إن الله لا- ينزل و لا- يحتاج إلى أن ينزل إنما منظره فى القرب و البعد سواء لم يبعد منه قريب و لم يقرب منه بعيد، و لم يحتاج إلى شىء بل يحتاج إليه، و هو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم، أما قول الواصفين إنه ينزل تبارك و تعالى عن ذلك فأنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زياده، و كل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يحرك به، فمن ظن بالله الظنون فقد هلك و أهلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حد من نقص أو زياده أو تحريك أو تحرك أو زوال أو استئزال أو نهوض أو قعود، فإن الله عز و جل عن صفه الواصفين و نعت الناعتين، و توهم المتوهمين.

فانظر إلى هذا الحديث الشريف كيف أبطل ما يقوله الملاحده بالدليل العقلى، فإن قوله: فأنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زياده، يريد به أن النزول المكانى إنما يتصور فى حق المتحيز و كل متحيز موصوف بالتقدير و كل متقدر متصف بالنقص عما هو زايد منه و بالزيادة على ما هو أنقص منه أو يكون فى نفسه قابلا للزيادة و النقصان، و الوجوب الذاتى ينافى ذلك لاستلزامه التجزى و الانقسام المستلزمين للامكان.

و أيضا كل متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به لأن المتحرك إما جسم أو متعلق بالجسم و الجسم المتحرك لا بد له من محرك لأنه ليس يتحرك بجسميته، و المتعلق بالجسم لا- بد له فى تحركه من جسم يتحرك به و هو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرك و عن التغير بمغير و عن التعلق بجسم يتحرك به.

و أما الدليل الرابع فأن معنى الایه الشریفه لیس ما توهمه هذا الجاهل بسوء فهمه و اعتقاده، بل معنى آخر.

كما نبه عليه الصيادق عليه السلام في الزوايه المرويه في البحار من التوحيد عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال قال أبو شاکر الديصاني: إن في القرآن آیه هی قولنا، قلت: و ما هی؟ فقال: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ»، فلم أدر بما اجيبه فحجت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفه، فإنه يقول فلان، فقل ما اسمك بالبصره، فإنه يقول فلان، فقل كذلك ربنا في السماء إله و في الأرض إله و في كل مكان إله، قال: قدمت فأتيت أبا شاکر فأخبرته فقال هذه نقلت من الحجاز.

و محصل جوابه عليه السلام أنه تعالى مسمى بهذا الاسم في السماء و في الأرض، و قال اكثر المفسرين: إن الظرف متعلق بالإله لكونه بمعنى المعبود، و قال البيضاوي في تفسير قوله: «هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ»: هو الله الضمير لله و الله خبره و في السماوات و في الأرض متعلق باسم الله، و المعنى هو المستحق للعباده فيهما لا غير كقوله: «هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ».

و روى في البحار من التوحيد باسناده عن مثني الحنط عن أبي جعفر أظنه محمد بن النعمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل: «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ»، قال: كذلك هو في كل مكان، قلت: بذاته؟ قال: ويحك إن الأماكن أقدار فاذا قلت في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار و غير ذلك و لكن هو باين من خلقه محيط بما خلق علما و قدره و احاطه و سلطانا، و ليس علمه بما في الأرض بأقل مما في السماء لا يبعد منه شيء، و الأشياء له سواء علما و قدره و سلطانا و ملكا و احاطه.

و أما الدليل الخامس فالجواب عنه بمثل الجواب عن سابقه، فإن المراد به كونه معنا بالعلم و الاحاطه و القيوميه.

و أجاب عنها أمير المؤمنين عليه السلام بجواب آخر رواه في البحار من الاحتجاج

فى جواب أسئلته الزنديق المنكر للقرآن قال عليه السلام: وقوله: «وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ»، وقوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»، وقوله: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ»، فأنما أراد بذلك استيلاء امناؤه بالقدره التى ركبها فيهم على جميع خلقه و أن فعلهم فعله الحديث.

و أما الدليل السادس فقد مرّ جوابه بما لا مزيد عليه قبل أوراق.

و أمّا الدليل السابع فأوهن من الجميع، لأنّ المراد بالايه هو التنزيه فقط و نفى المثل من جميع الجهات، إمّا بجعل الكاف زايده أو بمعناها الأصلى قصدا للمبالغه فى نفى المثل على حدّ قولهم: مثلك لا يبخل.

روى فى الصّافى من مصباح المتهجّد فى خطبه لأمر المؤمنين عليه السلام ليس كمثله شيء إذ كان شيء الشيء من مشيئته فكان لا يشبه مكوّنه.

و روى فى البحار من روضه الواعظين عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا أنّه قال:

اتّقوا أن تمثّلوا بالرّبّ الذى لا مثل له أو تشبّهوه من خلقه أو تلقوا إليه الأوهام أو تعلموا «تعملوا ظ» فيه الفكر و تضربوا له الأمثال أو تنعتوه بنعوت المخلوقين، فإنّ لمن فعل ذلك نارا.

و أما ما قاله من استلزام التنزيه للتقييد و التحديد معللا بأنّ الاطلاق من التقييد تقييد و المطلق بالاطلاق مقيد، فقد عرفت فيما سبق ضعفه و أنّه غير مستلزم له.

و نزيد توضيحا و نقول: محصّل مراده إنّ الايه محتمله لوجوه ثلاثة.

احدها كون الكاف زايده و المراد بها نفى المثل.

و الثانى كونها للتشبيه و المراد بها نفى مثل المثل.

و الثالث كونها للتشبيه أيضا لكن المراد نفى المثل مبالغه و على جميع الوجوه فهى مفيدة للتحديد.

أما على الوجه الأوّل فلأنّ المعنى أنّه ليس شيء من الأشياء مثله و شبهه، و الأشياء كلّها محدوده بالحدود فاذا نفيت مشابهته بها و ميّزته عنها فقد أثبتّ له الحدّ

بتنزيهك إذ المتميز عن المحدود محدود بأنه غيره و المغايره لا تكون إلا بالحدود فيكون محدودا بتمايزه عن المحدودات و هو معنى قوله: فالإطلاق من التقييد تقييد آه.

و أما على الوجه الثانى فلأنه يفيد اثبات المثل حيث إنّ المنفى مثل المثل لا نفس المثل و المثل محدود فمثله و هو الله تعالى عن ذلك أيضا محدود.

و أما على الوجه الثالث فلأنه كالوجه الأول يفيد التحديد بتميزه عن المحدود فعلى جميع الوجوه يثبت كونه محدودا، و أنت خبير بأنّ هذا كلّه ناش من قلّه الفهم إذ قد عرفت أنّ المراد بالـ"يه" هو نفى المثل على الوجه الأول أو على الوجه الثالث و المقصود بها التنزيه من التشبيه.

و ما توهمه من استلزام التنزيه للتقييد و التحديد، فهو ظاهر فى أنّه لم يفهم معنى التنزيه و التمييز و لم يميّز بين تمايز الموجودات بعضها عن بعض و بين تمايز الواجب تعالى عنها و افتراقه لها.

فنقول: إنّ التميّز على قسمين:

أحدهما التميّز بالحدّ و هو الذى بين الموجودات فإنّها جميعا لكونها محدوده مركّبه من الأجناس و الفصول و مشتمله على الأقدار و النهايات يكون تميّز كلّ منها عن الآخر بالحدّ المخصوص به.

و ثانيهما التميّز عن المحدود و هو تميّز الواجب عن غيره كائنا ما كان، فإنّ الممكنات بأسرها لما كانت محدوده يكون تميّز الواجب عنها بتنزيهه عن الحدّ و هو عبارته اخرى عن وجوب الوجود، فإنّه سبحانه لكونه صرف الوجود و كون وجوده عين ذاته و كون تعينه بذاته يكون متميّا عما تعينه و تحصّله بالحدود فافهم و اغتنم و على الصّراط المستقيم فاستقم.

و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذكوره أيضا: لا تقدّره الأوهام بالحدود

و الحركات و لا بالجوارح و الأدوات.

فإنّ الفقرة الاولى تدلّ على تنزيهه من الحدود حسبما عرفت آنفا و على

تنزّه من التّحوّل في الصّور كما قال في الفصّ الالياسي «يتجلّى في القيامه بصوره فيعرف ثمّ يتحوّل في صوره فينكر ثمّ يتحوّل عنها في صوره فيعرف و هو هو المتجلّى في كلّ صوره ليس غيره» انتهى.

و تدلّ أيضا على تنزّهه من النزول إلى السّماء الدّنيا و من التّنزّل إلى مرتبه الممكنات و سرايه هويّته فيها حسبما قدّمنا حكاية ذلك كلّه عن هذه الطّائفة الضّالّه.

و الفقرة الثّانيه تدلّ على تنزّهه من الجوارح و الأعضاء فتدلّ على بطلان اتّصافه بها و كون أعضاء الانسان أعضاء له كما قال محيي الدّين في غير موضع من الفصوص.

و صرّح به في الفصّ الهودي اجمالا بقوله «فالغير يقول: السّمع سمع زيد و العارف يقول: السّمع عين الحقّ و هكذا ما بقي من القوى و الأعضاء فما كلّ أحد عرف الحقّ فتفاضل النّاس و تميّزت المراتب» أي تفاضل النّاس في العلم بالحقّ و تميّزت مراتبهم فبان الفاضل و المفضول في الخلاق.

و في الفصّ السّليمانى تفصيلا بقوله «و العمل ينقسم على ثمانية أعضاء من الانسان».

قال القيصرى: و هى اليدان و الرّجلان و السّمع و البصر و الجبهه و اللّسان إذ باليدين يتمكّن من التّوضّى و التّطهر، و على الرّجلين يقوم فى الصّلاه و يسعى و يحجّ، و بالسمع يتمكّن من سماع كلام الله و كلام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و بالبصر يتمكّن من المشاهده فى جميع أعماله، و بالّلسان يثنى على الله تعالى و يسبحه و يقرأ كلامه، و بالجبهه يسجد فى صلاته.

«و قد أخبر الحقّ تعالى أنّه هويّه كلّ عضو منها فلم يكن العامل فيها غير الحقّ و الصّوره للعبد و الهويّه مندرجه فيه أى فى اسمه لا غير».

قال القيصرى: أى أخبر الحقّ بأنّه عين كلّ عضو بقوله: كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التى يبطش بها و رجله التى يمشى بها، و العامل بحسب الظّاهر

الشخص و أعضاؤه، و الحقّ عينها فلا يكون العامل غير الحقّ غير أنّ الصّوره صورهِ العبد و الهويّهِ الالهيّهِ مندرجه في العبد، و لما كانت الهويّهِ إنّما تندرج في أسمائه فسّير بقوله: أى في اسمه، ليعلم أنّ عين العبد هو أيضا اسم من أسمائه لا غير ليلزم اندراج الحقّ في غيره مطلقا فيتّوهم منه الحلول، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و قد عرفت فيما تقدّم أنّ المراد بحديث كنت سمعه و بصره معنى آخر لا ما توهمّا، فيبطل جميع ما فرّعا عليه.

و منها قوله عليه السّلام في الخطبه المذكوره أيضا: الظاهر لا يقال ممّا و الباطن

لا يقال فيما، لا شبح فيتقضى و لا محجوب فيحوى.

فأنّه يدلّ على أنّ اتّصافه بالظهور و البطون ليس بالمعنى المتبادر منهما في غيره، و على أنّه لا يتشخص بتشخص الممكنات و صور الموجودات كما هو مذهب هذه الفرقة الضّالّه حسبما عرفت تفصيلا، و على أنّه لا يكون محجوبا بالحجاب فيدلّ على بطلان ما ذهبوا إليه أيضا من كونه محتجبا بالخلق على ما عرفت تفصيلا و أشار عليه السّلام إلى دليل بطلان الاحتجاب بقوله: فيحوى، يعنى أنّه لو كان محجوبا لكان محويا و كان حجابهِ حاويا له محيطا به فيكون له انقطاع و انتهاء و يكون ذا حدود و أجزاء و هو باطل.

و مثله ما رواه عنه عليه السّلام في البحار من الارشاد و الاحتجاج عن الشّعبي روى أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السّلام رجلا يقول: و الذى احتجب بسبع طباق، فعلاه عليه السّلام بالدّرهِ ثمّ قال: يا ويلك إنّ الله أجّل من أن يحتجب من شىء أو يحتجب عنه شىء، سبحان الذى لا يحويه مكان و لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السّماء فقال الرّجل: أفأكفر عن يمينى يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السّلام: لا لم تحلف بالله فيلزمك الكفّاره و إنّما حلفت بغيره.

و منه

قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الثامن و السبعين

حين سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أ فأعبد ما لا أرى؟ قال: و كيف

تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهده العيان و لكن رأته القلوب بحقايق الايمان فان قوله عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهده العيان يبطل القول بالكشف و الشهود و أنّ الحقّ بكلّ صوره مشهود كما قال محيي الدّين فى الفصّ الهودى:

«و ما خلق تراه العين إلّا عينه حقّ و لكن مودع فيه لهذا صوره حقّ»

قال القيصرى: أى ليس خلق فى الوجود تشاهده العين إلّا و عينه و ذاته عين الحقّ الظاهر فى تلك الصوره، فالحقّ هو المشهود و الخلق موهوم، و لذلك يسمّى به، فانّ الخلق فى اللغة الافك و التقدير و قال تعالى: «إِنَّ هَذَا إِلَّا خِتْلَاقٌ»، أى إفك و تقدير من عندكم ما أنزل الله بها من سلطان، و قوله: و لكن مودع آه أى صور الخلق حقّ له بضّم الحاء و هو جمع كالحقاق شبه صور الخلايق بالحقاق(١) و الحق بما فيها و الصور جمع صوره سكن الواو لضروره.

و قال فى ذلك الفصّ أيضا «فالقرب الالهى من العبد لا- خفاء به فى الاخبار الالهى فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد و قواه و ليس العبد سوى هذه الأعضاء و القوى فهو أى العبد حقّ مشهود فى خلق متوهم».

قال الشارح القيصرى: أى ظاهر فى صوره خلق متوهم و هى الصوره الظليه، و قد مرّ غير مرّه أنّ كلّ ما يدرك و يشهد فهو حقّ و الخلق متوهم لأنّ الحقّ هو الذى تجلّى فى مرايا الأعيان فظهر بحسبها فى هذه الصوره فالظاهر هو الحقّ لا غير.

«فالخلق معقول و الحقّ محسوس مشهود عند المؤمنين و أهل الكشف و الوجود و ما عدا هذين الصنفين فالحقّ عندهم معقول و الخلق مشهود» و هم المحجوبون كالحكماء و المتكلّمين و الفقهاء و عامه الخلايق سوى المؤمنين بالأولياء و أهل الكشف لأنهم أيضا يجدون فى بواطنهم حقيقه ما ذهب إليه الأولياء و إلّا ما آمن.

و قال فيه أيضا «فلا تنظر العين إلّا إليه و لا يقع الحكم إلّا عليه» قال

ص: ٢١١

الشارح: إذ لا موجود سواه ليكون مشاهدا إياه بل هو الشاهد و المشهود و الحاكم و المحكوم عليه إلى أن قال «فمن رأى الحقّ منه فيه بعينه فذلك العارف» أى فمن رأى الحقّ الظاهر على صورته من الحقّ المطلق فى عين الحقّ بعين الحقّ فهو العارف أو من رأى الحقّ من نفسه فى نفسه بعين الحقّ فهو العارف «و من رأى الحقّ منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف» أى من رأى الحقّ من نفسه بنفسه بعين نفسه فذلك غير العارف مع أنه صاحب الشهود لعدم اطلاعه على أنه لا يمكن ادراك الحقّ بعين غيره «و من لم ير الحقّ منه و لا فيه و انتظر أن يراه بعين نفسه فذلك الجاهل» أى من لم ير الحقّ من نفسه و لا فى نفسه و انتظر أن يراه فى الآخره بعين نفسه فهو الجاهل، لأنه من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخره أعمى و أضلّ سبيلا.

إلى غير هذه من ترهاتهم و مزخرفاتهم التى لا طائل فيها و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا المختار و غيره مما مرّ و سيأتى دليل على بطلانها جميعا.

و اصرح من كلماته عليه السّلام كلّها ما رواه فى البحار من التوحيد و العيون عن الرضا عليه السّلام فى خطبه طويله له خطب بها فى مجلس المأمون فى توحيد الله سبحانه و تمجيده و تنزيهه قال عليه السّلام فيها: ظاهر لا بتأويل المباشرة متجلّى لا باستهلال رؤيه.

التجلّى الانكشاف و الظهور يقال: استهلّ الهلال بصيغه المعلوم و المجهول أى ظهر و تبين أى ظاهر ليس ظهوره بأن يباشره حاسه من الحواس بل ظاهر بأماره غالب على كلّ شىء بقدرته و ظاهر أيضا لا بظهور من جهه الرؤيه كما هو زعم هذه الجهله.

و منه

قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الرابع و الثمانين:

الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد و لا تراه النواظر و لا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده و باشتباههم على أن لا شبه له.

فإنّ كلا من هذه الفقرات دليل على بطلان مقالاتهم الزيفه المتقدّمه كما لا يخفى على من أحاط خبرا بما قدّمناه من ذوى الفطن الثاقبه.

و قال عليه السّلام فى هذا المختار أيضا: تلقاه الاذهان لا بمشاعره، و تشهد له المرائى لا بمحاضره.

و قد عرفت معناهما فى مقامهما و أقول هنا: إنّ الفقره الثانيه دليل على بطلان قولهم بأنّ أعيان الممكنات مرايا للحقّ لظهوره فيها كما أنّ الحقّ مرآه لها باعتبار آخر و يستفاد من تقريراتهم أن مرآيتها بعنوان المحاضره بل العيّيّه و أشار إلى ذلك محيى الدين فى الفصّ اليوسفى اجمالا و شرحه القيصرى تفصيلا قالا:

«فكلّ ما تدركه فهو وجود الحقّ الظاهر فى مرايا أعيان الممكنات» أى كلّ ما تدركه بالمدركات العقليّه و القوى الحسيّه فهو عين وجود الحقّ الظاهر فى مرايا أعيان الممكنات، و قد علمت أنّ الأعيان مرايا للحقّ و أسمائه كما أنّ وجود الحقّ مرآه للأعيان، فبالاعتبار الأول جميع الموجودات عين ذات الحقّ و الأعيان على حالها فى العدم لأنّ حامل صور الأعيان هو النفس الرّحمانى، و النفس الرّحمانى إشاره الى ما قالاه فى الفصّ الهودى و شرحه.

قال الماتن «و لهذا الكرب تنفس فنسب النفس إلى الرّحمن» قال الشّارح أى لكون الحقّ ذواته مشتملا على حقايق العالم و صورها و طلب ملك الحقائق ظهورها حصل الكرب فى الباطن و لهذا الكرب تنفس الحقّ أى تجلّى لظهار ما فى الباطن من أعيان العالم فى الخارج فنسب أى الحقّ النفس الى الرّحمن أى إلى الاسم الرّحمانى بلسان نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى قوله: إنّى أجد نفس الرّحمان من قبل اليمن، و النفس عباره عن الوجود المنبسط على الأعيان عينا و عن الهوى الحامل لصور الموجودات و الأوّل مرتّب على الثّانى.

«لأنّه رحم ما طلبته النسب الالهيه من ايجاد صور العالم التى قلنا هى ظاهر الحقّ» أى نسب النفس إلى الرّحمن لأنّ الحقّ بالنفس الرّحمانى رحم الأعيان فاعطى ما طلبته النسب الالهيه التى هى الأسماء و الصّيفات من وجود صور العالم التى هى ظاهر الحقّ انتهى.

و هو أى النفس الرّحمانى عين وجود الحقّ و الوجود الاضافى الفايز عليها

أيضا عين الحقّ فليس المدرك و الموجود إلّا عين الحقّ و الأعيان على حالها في العلم، و هذا مشرب الموحّد، و بالاعتبار الثاني الأعيان هي الظاهره الموجوده في مرايا الوجود و الوجود معقول محض، و هذا مشرب المحجوبين عن الحقّ و مشرب المحقّق الجامع بين المراتب العالم بهما في هذا المقام الجمع بين الحقّ و الخلق بحيث شهود أحدهما لا تحجبه عن شهود الآخر، و ذلك لجمعه بين المرآتين، لأنّ المرايا إذا تقابلت تظهر منها عكس جامع لما فيها، فيتحد ما في المرايا المتعدّده بحكم اتحاد انعكاس أشعتها و إلى هذا الاعتبار أشار بقوله:

«فمن حيث هويّه الحقّ هو وجوده» أى فكلّ ما تدركه من حيث هويّه الحقّ الظاهره فيه هو عين وجوده «و من حيث اختلاف الصور فيه» أى في كلّ ما تدركه «هو أعيان الممكنات» انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و أنت قد عرفت فساد ذلك كلّ مضافا إلى قوله عليه السّلام هنا بما حققناه سابقا من أنّ وجود الحقّ بذاته مبين لمخلوقاته فكيف يكون أحدهما مرآتا للآخر على أنّ مرآتيه الأعيان تستلزم التحديد و الحوايه للحقّ و عرفت منافاتهما لوجوب الوجود.

و منه

أكثر فقرات الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين

التي تجمع من اصول علم التوحيد ما لا تجمعه خطبه حسبما يعرفه المتدبّر الخبير

فمن جمله هذه الفقرات قوله عليه السّلام: و لا حقيقته أصاب من مثله و لا آياه عنى

من شبهه.

فانه صريح في التنزيه من التمثيل و التشبيه، و قد عرفت أنّ هؤلاء يقولون بالجمع بين التنزيه و التشبيه كما قال في الفصّ النوحى:

«فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا و ان قلت بالتشبيه كنت محددا»

«و ان قلت بالأمرين كنت مسددا و كنت إماما في المعارف سيدا»

و عرفت فساد به لا مزيد عليه.

و منها قوله عليه السّلام: كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم في سواه معلول

فانه مبطل لقولهم بتجلى وجود الحق فى العالم و ظهوره فى مرايا الأعيان كما قال فى الفصّ الابراهيمى «و يعطيك الكشف أنّ العالم ليس إلّا- تجلّيه فى صور اعيانهم الثابته التى يستحيل وجودها بدونها و انه يتنوّع و يتصوّر بحسب حقايق هذه الأعيان و أحوالها».

قال القيصرى: أى يعطيك الكشف أنّ الحقّ هو الذى ظهر فى صور العالم و تنوّع بحسب أنواع الأعيان و تصوّر بصور هذه الحقائق و أحوالها، فالأعيان باقيه على عدمها و المشهود هو الوجود الحقّ لا غير، انتهى.

و هو عبارته اخرى عن قولهم بأنّ وجود الحقّ سار فى المخلوقات و أنه متخلّل فيها مثل تخلل اللون المتلوّن حسبما قدّمنا حكايته عنهما من الفصّ الابراهيمى و بيّنا فساد هناك.

و منها قوله عليه السلام: غنى لا باستفاده

يعنى أنّ غناه بذاته لا تصافه بالوجوب لا كساير الأغنياء مستفيدا للغنى من الغير، و إلّا لزم أن يكون ناقصا بذاته مستكملا لغيره و هو محال، و هذا دليل على بطلان قولهم بأنّ الحقّ سبحانه من حيث ذاته الأحديّه غنىّ عن العالمين، و لكن من حيث الالهيه و الربوبيه و القادريه و غيرها من الأسماء و الصفات محتاج اليها و قد صرّحنا بذلك فى مواضع من الفصوص و شرحه.

قال القيصرى فى شرح الفصّ العيسوى: قد مرّ فى أوّل الكتاب أنّ الذات الالهيه من حيث أحديتها موصوفه بالغنى عن العالمين و من حيث إلهيتها و أسمائها موصوفه بالافتقار حيث قال: فالكلّ مفتقر ما لكل مستغن.

و قال محيى الدين فى الفصّ الابراهيمى «ثمّ إنّ الذات لو تعرّت عن هذه النسب لم تكن إلها».

قال القيصرى: و اعلم أنّ الاله اسم الذات من حيث هى مع قطع النظر عن الأسماء و الصفات باعتبار، و اسم الذات مع جميع الأسماء و الصفات باعتبار آخر، و المراد هنا الاعتبار الثانى، و الالهيه اسم مرتبه حضره الأسماء و الصفات التى

هى النسب المتكثّر باعتبارات و وجوه تحصل للذّات بالنظر إلى الأعيان الثابته المتكثّره الثابته فى أنفسها و استعداداتها، لأنّ المرتبه كما يستدعى من يقوم بها كذلك يستدعى من يجرى عليها أحكامها كالسلطنه و القضاء، فلو لم يعتبر هذه النسب لم يبق إلاّ الذّات الالهيه لا يشار إليها بوجه من الوجوه و لا يوصف بنعت من النّعوت، و هو مقام الهويّه الأحديّه التى تستهلك النسب كلّها فيه فيكون الحقّ تعالى إلها أى فى مرتبه حضره الأسماء و النسب الالهيه باعتبار أعياننا كما أنّ السّيلطان سلطان بالنظر إلى الرّعيّه و القاضى قاض بالنظر إلى أهل المدينه فتلحق هذه النسب إليه بنا.

«و هذه النسب أحدثتها أعياننا فنحن جعلناه بمألوهيتنا إلها».

قال القيصرى أى هذه الصّيفات إنّما ظهرت بأعيانها إذ لو لم يكن لما كان يظهر الخالق و الرّازق و القادر و لا السميع و البصير و غير ذلك من الأسماء و الصّيفات الاضافيه، و ليس المراد بالجعل الاحداث و الايجاد لأنّنا مجعولون و موجودون فبجعل الحقّ و ايجاده إيانا تظهر تلك الصّيفات، و المراد بالمألوهيه عند هذه الطائيفه مرتبه العبوديه و بالمألوه العبد لا المعبود لا كما يقول المفسيرون من أنّ الاله بمعنى المألوه و هو المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب، و معناه نحن أظهرنا بعبوديتنا معبوديته و بأعياننا إلهيته إذ لو لم يوجد موجود قطّ ما كان يظهر أنه تعالى إله كما نطق به: كنت كنزا مخفيا، الحديث فالجعل ليس على معناه الحقيقى بل على معناه المجازى و هذا ليس بلسان أهل الصّبح و فيه نوع من الشطح لما فيه من الرّعونه الغير اللايقه للمتأويين بين يدى الرحمن و نظيره كما يقول لسان الرّعيّه و المريد و التلميذ: إنّ السّيلطان بوجدى صار سلطانا و بإرادتى و قراءتى عليه صار الشيخ شيخا و الاستاد استادا.

و قال- فى الفصّ الشيعيى و شرحه: «و أمّا الاشاره من لسان الخصوص فإنّ الله وصف نفسه بالنفس بفتح الفاء و هو من باب التنفيس» أى وصف بلسان نبيّه فى قوله إنّى أجد نفس الرّحمان من قبل اليمن نفسه بأنّ له النّفس و هو مأخوذ من التنفّس لأنّه إرسال الهواء الحارّ من الباطن و ايراد الهواء البارد لترويح المتنفّس عن

الكرب، فالمتنفس أنما يتنفس دفعا للكرب فنسبه النفس الالهى بالنفس الانسانى و أضاف الكرب اليه لا من حيث إنه غنى عن العالمين بل من حيث إنه ربّ لهم و كربه طلب الأسماء الالهيه الباقية فى الذات الأحديه بالقوّه ظهورها و أعيانها فتنفس و اوجد أعيان تلك الأسماء فظهرت الالهيه.

«و أنّ أسماء الالهيه عين المسمّى» أى من حيث الوجود واحديه الذات و ان كانت غيرا باعتبار كثرتها «و ليس إلّا هو» أى و ليس المسمى إلّا- عين هويه الحقّ «و انها طالبه ما تعطيه الحقائق» اى و أنّ الأسماء طالبه وجود ما تعطى الحقائق الكونيه للحقّ من الأحكام و الصفات الكونيه «و ليست الحقائق التى يطلبها الأسماء إلّا العالم فالالوهيه تطلب المألوه» و الربوبيه تطلب المربوب لأنّ كلّ واحد من أسماء الصفات و الأفعال يقتضى محلّ ولايته ليظهر به، كالقادر للمقدور و الخالق للمخلوق و الرازق للمرزوق و هكذا غيرها، و الفرق بين الالوهيه و الربوبيه أنّ الالهيه حضره الأسماء كلّها اسم الذات و الصفات و الأفعال، و الربوبيه حضره أسماء الصفات و الأفعال، و لذا تأخرت عن المرتبه الالهيه قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«و إلّا» اى و إن لم يكن الالوهيه و الربوبيه طالبه للمألوه و المربوب لا يكون شىء منها متحققا كما لا يتحقّق الابوّه إلّا بالابن و البنوّه إلّا- بالأب لانهما من قبيل المتضايفين «فلا عين لها إلّا به وجودا و تقديرا فلا عين للالوهيه و الربوبيه إلّا بالعالم» سواء كان موجودا بالوجود الحقيقى أو مقدرا «و الحقّ من حيث ذاته غنى عن العالمين و الربوبيه ما لها هذا الحكم» إذ لا- غناء لها عن المربوب «فبقى الأمر بين ما تطلبه الربوبيّه ما لها هذا الحكم» إذ لا- غناء لها عن المربوب «فبقى الأمر بين ما تطلبه الربوبيّه و ما يستحقّه الذات من الغنى عن العالم» أى بقى الشأن بين الغنى الذاتى و الافتقار الأسمائى فيجب أن ينزل كل منهما على مقامه فنقول: الغنى من حيث الذات لأنّ العالم كان أو لم يكن لا يحصل التغيّر فى الذات أصلا بل هى على حالها أزلا و أبدا عند وجود العالم و عدمه، و الافتقار من حيث الربوبيه و الالوهيه.

و لما كانت الربوبيّه صفه الذات الغنيه و الصّفه عين الموصوف فى الأحديّه قال:

«و ليست الربوبيّه على الحقيقه و الاتّصاف إلّا عين هذه الذات» فللذات الغنى عن

العالمين من وجه و هو وجه الأحديّه المتعالیه عن النسب و الاضافات و لها الافتقار إليهم من وجه و هو وجه الواحدیه الطالبه للنسب و مظاهرها، انتهى كلامهما هبط مقامهما و هو كما ترى صريح فى افتقاره تعالى فى صفاته المضافه إليه سبحانه سواء كانت صفه ذات كالعالم و الالوهيّه و القدره و الربوبيّه و غيرها أو صفه فعل كالخلق و الرزق و الاراده و الاماته و الاحياء و نحوها ممّا هو معانى أسمائه الحسنی إلى غيره و إن كان غنيّا من حيث ذاته الأحديه العاريه عن النسب و الاضافات.

و هذا زعم فاسد و وهم باطل لما قدّمنا فى المقدّمه التى مهّناها سابقا للدليل العقلى من أنّ الواجب تعالى تامّ فوق التّمَام، و قلنا إنّ المراد بتماميّته كونه جامعاً للصّفات الكمالیّه كلّها و كونها جميعاً حاصله له بالفعل بنفسه من دون حاجه إلى الغير، لأنّ الكمالات كلّها وجود و هو تعالى عين الوجود فكيف يكون ناقصاً فى ذاته مستكملاً بغيره و مفتقراً بذاته مستغنياً بمخلوقات.

و هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السّلام: غنى لا باستفاده، و قول الحكماء الالهيين:

واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات.

و الحاصل إنّنا نقول: إنّ عزّ و جلّ إله و معبود عالم قادر قاهر غالب ربّ رحيم سمیع بصير خالق رازق غير مفتقر فى اتّصافه بهذه الصّفات إلى مألوه و عابد و معلوم و مقدور و هكذا بل كان هذه الصّفات ثابتة له فى الأزل قبل وجود المخلوقات.

و يدلّ على ذلك صريحا قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه التى رويها عنه من الكافى فى شرح المختار المأه و الثامن و السبعين حيث قال فيها: كان ربّاً إذ لا مربوب، و إلها إذ لا مألوه و عالماً إذ لا معلوم و سميعاً إذ لا مسموع.

و مثله بل أصرح منه قول الرّضا فى الحديث الا ترى روايته تماماً المروى عنه عليه السّلام فى البحار من التوحيد و العيون حيث قال فيه: له معنى الربوبيّه إذ لا- مربوب و حقيقه الالهيه إذ لا- مألوه و معنى العالم إذ لا- معلوم و معنى الخالق إذ لا مخلوق و تأويل السمع و لا مسموع ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق و لا باحداثه البرايا استفاد

قال المحدث العلامة المجلسي: قوله عليه السلام: له معنى الربوبيه أى القدره على التربه إذ هى الكمال، وقوله: إذ لا مألوه، أى من له الا- له أى كان مستحقاً للمعبوديه إذ لا- عابد، و إنما قال و تأويل السمع، لأنه ليس فيه تعالى حقيقه بل يؤول بعلمه بالمسموعات، وقوله: ليس مذ خلق استحق معنى الخالق، إذ الخالقته التى هى كماله هى القدره على خلق كل ما علم أنه أصلح، و نفس الخلق من آثار تلك الصفه الكماليه و لا يتوقف كماله عليه و البرائيه، بالتشديد الخلاقه.

فقد علم بذلك أن قول محبى الدين: إن الذات لو تعزت عن هذه النسب لم تكن إلها، وقوله: هذه النسب هى التى أحدثتها أعياننا، باطل جداً، و ما أعظم جسارته و أقبح هجره فى قوله: و نحن جعلناه بمألوهيتنا إلها، و الشارح القيصرى لما رأى فرط شناعته و فظاعته أراد إصلاحه بصرفه عن ظاهره و لن يصلح العطار ما أفسد الدهر.

و بالجملة فالقول بافتقار الله سبحانه فى ذاته أو صفاته أو أفعاله إلى مصنوعات و نقصانه بذاته و التماسه التمام بمخلوقاته إلحاد و جحود و إنكار لوجوب الوجود.

فان قلت: لعلّ غرض هؤلاء إن الحق سبحانه كان متّصفاً بتلك الصفات فى الأزل من دون حاجه إلى غيره، و لكن ظهور اتّصافه بها كان موقوفاً على وجود المخلوق و محتاجاً اليه، و بعبارة اخرى انه مستغن فى ذاته و صفاته عن غيره و لكن فى اظهار هذه الصفات و تلك النسب و الاضافات كان مفتقراً إلى ايجاد الموجودات.

قلت: نسبه الافتقار إلى الله تعالى شأنه بأى اعتبار كان غلط بين، نعم إن قلنا إنه عزّ و جلّ كان متّصفاً بصفات العظمه و الكمال غتياً فى ذاته و صفاته عن غيره، ثم اقتضى العلم الأصلح و الحكمه البالغه ابداع الموجودات و ايجاد الممكنات فخلقهم و أبدعهم على ما شاء و أراد، و لما أفاض الوجود علينا و صرنا موجودين ظهر لنا بما أرانا فى الافاق و الأنفس من عجائب قدرته و بدايع صنعته وجوده و علمه و قدرته و حكمته و ارادته و ساير صفاته الكماليه و علمنا علماً يقينا جامعيتته لجميع الكمالات التى هى

معنى إلهيته، كان قولاً حقاً دلّنا عليه الكتاب المبين، و أدلاء الحق من الأنبياء والمرسلين، والحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وهذا هو الاعتقاد الصواب الذى نطق به السنه و الكتاب فيجب أن يدان به و يرفض غيره و الله الهادى الى سواء السبيل الحق.

و منها قوله عليه السلام: يخبر لا بلسان و لهوات، و يسمع لا بخروق و أدوات، يقول

و لا يلفظ.

و هو مبطل لقولهم بأنّ الربّ يتكلّم و ينطق بلسان العبد و يسمع بسمعه لتجليه فيه و فى جوارحه عموماً، و قد مرّ بيان ذلك تفصيلاً.

و صرح محيي الدين بذلك أى بأنّ كلامه كلامه خصوصاً فى الفصّ العيسوى حيث قال فى تأويل قوله تعالى على رأيه الفاسد خطاباً لعيسى: «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، ما نصّ عبارته: «فقال و قدم التنزيه سبحانه فحدّد بالكاف التى تقتضى المواجهه و الخطاب».

قال القيصرى: أى نزّه الحقّ أولاً- عن مقام فيه و هو العبوديه المنعوتيه بالامكان و نقايصه اللازمه له، و ميّز بين مقام الالوهيه و العبوديه بكاف الخطاب و المواجهه كما خاطبه الحقّ بضمير الخطاب، و ذلك التنزيه و التميز هو التحديد كما مرّ فى الفصّ التّوحى.

لذلك قال فحدّد بالكاف «ما يكون لى من حيث أنا لنفسى دونك أن أقول ما ليس لى بحقّ أى ما يقتضيه هويّتى و لا ذاتى» قد مرّ مراراً أنّ لكلّ موجود جهتين: جهه الربوبيّه و جهه العبوديه، و الثانى متحقّق بالأوّل فقوله: ما يكون لى أى لنفسى من جهه العبوديه و الانانيه مجرّده من جهه الربوبيّه و الهويه الالهيه، أن أقول ما ليس لى بحقّ ثابت فى نفس الأمر، و قوله: أى ما يقتضيه هويّتى و لا ذاتى تفسير لقوله: ما يكون لى، و معناه ما يقتضيه عيني و هويّتى أن يظهر بدعوى الالوهيه من حيث نفسها المتعيّنه كالفراعنه و إلّا ما كنت نبياً و لا من المرسلين.

«ان كنت قلته فقد علمته لأنك أنت القائل فى صورتى و من قال أمراً فقد علم

ما قال و أنت اللسان الذى أ تكلم به» أى أنت القائل فى صورتى و أنت اللسان الذى أتكلم به بحكم أنك متجلى فى هويتى و عينى، و محل لها بتلك الكمالات «الكلمات ظ»، فهى لك فى الحقيقة و مالى إلا العدم، فان قلت ذلك تكون أنت القائل و القائل لا بد أن يعلم القول الذى صدر منه.

فان قلت: قوله: لأنك أنت القائل، يدل على أن الحق هو المتكلم، و قوله:

و أنت اللسان الذى أتكلم به، يدل على أن العبد هو المتكلم لا الحق فينبهما منافاه.

قلت: الأول إشاره الى نتيجة قرب الفرائض، و الثانى إلى نتيجة قرب النوافل و فى الأول المتكلم هو الحق بلسان العبد، و فى الثانى المتكلم هو العبد بلسان الحق، فتغايرت الجهتان.

و لما فسّره بما هو مناسب الحديث الربانى قال «كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن ربّه فى الخبر الالهى فقال: كنت لسانه الذى يتكلم به فجعل هويته عين لسان المتكلم و نسب الكلام الى عبده» أى قال الله فى حق عبده، فاذا أحببته كنت سمعه و بصره و لسانه فبى ينطق و بى يبصر و بى يسمع فالتكلم و السميع و البصير هو العبد لكن بالحق و ذلك لأن هذا المقام أى مقام الفناء فى الصفات مقام نتيجة النوافل لا مقام الفناء فى الذات مقام نتيجة الفرائض.

«ثم تمم العبد الصالح الجواب بقوله: تعلم ما فى نفسى» أى تعلم ما فى نفسى من هويتك و كمالاتك المستتره فى هويتى و ما يخطر فى خاطرى «و المتكلم الحق» أى و الحال أن المتكلم بهذا الكلم هو الحق من مقام تفصيله بلسان عيسى، و التاء للخطاب إلى مقام جمعه فهو السامع كما أنه هو المتكلم «و لا أعلم ما فيها فنفى العلم عن هويه عيسى من هويته لا من حيث هو قائل و ذو أثر» أى نفى الحق المتكلم بلسان عيسى العلم عن هويه عيسى حتى لا يكون العلم بها، و ذلك النفى من حيث هويته العدميه لا من حيث قائل أو قادر فانه من هذه الحيثيه حق لا غير، و إنما قال و لا أعلم ما فيها و لم

يقول ما فى نفسك كما فى القرآن تنبيها على أنّ نفسه عين نفس الحقّ فى الحقيقة و إنّ كان غيره بالتّعين، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

أقول: فى الله و لهذين الجاهلين الضّليلين كيف يحرفون كلام الله و كلام رسوله عن مواضعه ثمّ يقولون هذا من عند الله و ما هو من عند الله، و يؤوّلون آيات الكتاب المجيد الوارده فى التوحيد و التمجيد و التنزيه من التشبيه و التحديد إلى كلمه الكفر و الشّرك و الضّلال زعما منهم أنّ هذا عين الاخلاص و التّوحيد الذى غاب عن غيرهم، و اختصّوا بعرفانه بالكشف و الشهود مع أنّه عين الشّرك و الالحاد و الجحود، و ويل لمن كفره نمرود.

قال قطب الدّين بن محيى الدّين الكوشكتارى و هو من أجلّ مشايخ الصّوفيه أيّما رجل من أهل الكشف وجدنا اسلوبه فى عبارته عن مكاشفاته يغاير اسلوب صاحب الوحي علما أنّه مدخول و كشفه معلول، و أنّ الحرص و العجله دعتاه إلى تركيب ما قذف فى قلبه من النّور البسيط و التصرّف فيه و التخليط، ثمّ إنّ هذا الاسلوب الذى انتشر فى الأرض من صاحبي الفصوص و النّصوص اسلوب هو عن المناسبه و المشابهه باسلوب صاحب الوحي بمعزل بالكليّه، فيحصل لنا بمقتضى ذلك القانون العلم بأنّهما معلولان و فى كشفهما مدخولان، فيكون سيّلنا مع كلامهما و كتبهما الهجران، انتهى.

و لنعم ما قال الفاضل الفيض ملاّ محسن القاسانى فى أواخر كتابه المسمّى بشارات الشّيعه ما عبارته:

هذا شيخهم الاكبر محيى الدّين ابن العربى و هو من أئمّه صوفيتهم و من رؤساء أهل معرفتهم يقول فى فتوحاته: إنّى لم أسأل الله أن يعرّفنى امام زمانى، و لو كنت سألته لعرّفنى، فاعتبروا يا اولى الأبصار.

فانه لما استغنى عن هذه المعرفه مع سماعه حديث من لا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهليه المشهور بين العلماء كافه كيف خذله الله و تركه و نفسه، فاستهوته الشّياطين فى أرض العلوم حيران، فصار مع وفور علمه و دقّه نظره و سيره فى أرض

الحقائق و فهمه للأسرار و الدقائق لم يستقم فى علم من علوم الشرائع، و لم يعرض على حدودها بضرر قاطع، و فى كلامه من مخالقات الشرع الفاضحه و مناقضات العقل الواضحه ما يضحك منه الصبيان و تستهزئ به النسوان كما لا يخفى على من تتبع تصانيفه و لا سيما الفتوحات خصوصا ما ذكره فى أبواب أسرار العبادات.

ثم مع دعاويه الطويله العريضه فى معرفه الله و مشاهدته المعبود و ملازمته فى عين الشهود و تطوافه بالعرش المجيد و فناءه فى التوحيد تراه ذا شطح و طامات، و صلف و رعونات فى تخليط و تناقضات تجمع الأضداد، و فى حيره محيره تقطع الأكباد، يأتى تاره بكلام ذى ثبات و ثبوت، و اخرى بما هو أوهن من بيت العنكبوت و فى كتبه و تصانيفه من سوء أدبه مع الله فى الأقوال ما لا يرضى به مسلم بحال، فى جملة كلمات مزخرفه مخبطه تشوش القلوب و تدهش العقول و تحير الأذهان، و كأنه كان يرى فى نفسه من الصور المجردة ما يظهر للمتخلى فى العزله فيظن أنّ لها حقيقه و هى له، فكان يتلقاها بالقبول و يزعم أنها حقيقه الوصول، و لعله ربما يخلّ عقله لشده الرياضه و الجوع، فيكتب ما يأتى بقلمه مما يخطر بباله من غير رجوع، انتهى.

و لعمري أنه كلام فى شرح حال ابن العربى ليس فوقه كلام، و هذا أيضا حال من حذا حذوه من تلامذته و متابعيه، و مع هذا كله فالعجب كلّ العجب من ادّعائهم أنهم العارفون بالله و أنّ غيرهم لمحجوبون مع أنهم الجاهلون الضالون المكذبون للأنبياء و المرسلين، فويل لهم ثم ويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون.

و لو أردت البسط من مزخرفاتهم لخرجنا عن وضع الكتاب، و فيما أوردناه من أحاديث الأئمة الأطهار و الأطياب و نقلنا من خطب أمير المؤمنين عليه السلام الواردة فى هذا الباب كفايه فى تسفيه أحلامهم، و ابطال مقالهم لاولى الألباب.

و أكثر الخطب تضمنا لهذا الغرض الخطبه المأه و الخامسه و الثمانون التى نقلنا منها هنا أخيرا عدّه فقرات، و من أراد زياده البصيره فليراجع أصل الخطبه.

و تتلوها خطبه اخرى لأبى الحسن الرضا عليه السّلام و أكثر فقراتها و مضامينها مطابقه لخطبه جدّه سلام الله عليه و آله، و لما كانت خطبته عليه السّلام متضمنه لزيادات نفيسه و نكات بديعه خلت عنها خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام أحببت روايتها.

و الناقد المتوقّد الخبير المحيط خبرا بما قدّمناه من الأدلّه الثّقليه فى إبطال مقال هؤلاء الجهّال من أهل الضّلال إن لاحظ هذه الخطبه بنظر الدّقّه و الاعتبار، و وصل إلى فحويها و عمق فى معناها عرف أنّها فى الحقيقه فذلكه تلك الأدلّه، و أنّها قاله لأساس بنیان مذهب الصّوفيّه أصابهم حاصب و لا بقى منهم آبر حتّى لا يذكر من هذا المذهب ذاكر، و لا يسمر فيه سامر، فأقول و بالله التّوفيق:

روى المحدث العلامة المجلسى فى البحار من التّوحيد و العيون قال:

حدّثنا محمّد بن الحسن بن الوليد رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن عمرو الكاتب عن محمّد بن أبى زياد القلزمى عن محمّد بن أبى زياد الجدّى صاحب الصّيلاه بجدّه، قال: حدّثنى محمّد بن يحيى بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السّلام قال: سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون فى التّوحيد.

قال ابن زياد: و رواه لى أيضا أحمد بن عبد الله العلوى مولى لهم و خالا لبعضهم، عن القاسم بن أيوب العلوى أنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرّضا عليه السّلام جمع بنى هاشم فقال: إننى اريد أن أستعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدى فحسده بنو هاشم و قالوا تولّى رجلا- جاهلا- ليس له بصر بتدبير الخلافه فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر و انصب لنا نعبد الله عليه.

فصعد عليه السّلام المنبر فقعد مليّا لا يتكلّم مطرقا ثمّ انتفض انتفاضه و استوى قائما و حمد الله و أثنى عليه و صلّى على نبيّه و أهل بيته ثمّ قال:

أولّ عباد الله معرفته، و أصل معرفه الله توحيده، و نظام توحيد الله نفى الصّيفات عنه، لشهادته العقول أنّ كلّ صفه و موصوف مخلوق، و شهادته كلّ موصوف

أنّ له خالقاً ليس بصفه ولا موصوف، وشهادته كلّ صفه و موصوف بالاقتران، وشهادته الاقتران بالحدث، وشهادته الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث فليس الله من عرّف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحدّ من اكتنّته، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهّاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شَبَّهه، ولا له تذللّ من بَعَّضه، ولا إياه أراد من توَهَّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول تعتقد معرفته وبالفطره تثبت حجّته، خلقه الله الخلق حجاب بينه وبينهم، ومباينته إياهم مفارقتة أينيتهم «ايتيتهم» وابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له، لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره، وأروه إياهم دليلهم على أن لا أداه فيه، لشهادته الأدوات بفاقه المادّين، فأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقه، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنّته، ومن قال كيف فقد شَبَّهه، ومن قال لم فقد علّله، ومن قال متى فقد وقّته، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال إلى م فقد نهّاه، ومن قال حتّى م فقد غيّاه، ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد وصفه، ومن وصفه فقد الحد فيه، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق كما لا يتحدّد بتحديد المحدود أحد لا بتأويل عدد، وظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّى لا باستهلال رؤيه، باطن لا بمزايله، مباين لا بمسافه، قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بجول فكره، مدبّر لا بحركه، مريد لا بهمامه، شاء لا بهمه، مدرك لا بمجسّمه، سميع لا باله، بصير لا بأداه، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنوات، ولا تحدّه الصفات، ولا تفيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزاله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الامور عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمه، والجلاليه بالبهيم، والجسوء بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعدّياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها

على مفزقها، وبتأليفها على مؤلفها ذلك قوله عز وجل «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ففرق بها بين قبل و بعد
ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهده بغرايزها أن لا غريزه لمغرزها، داله بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبره بتوقيتها أن لا وقت
لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، و حقيقه الالهيه إذ لا مألوه،
و معنى العالم ولا- معلوم، و معنى الخالق ولا مخلوق و تأويل السمع ولا مسموع، و ليس مذ خلق استحق معنى الخالق، و لا
باحداثه البرايا استفاد معنى البرائيه، كيف و لا تغييه مذ، و لا تدنيه قد، و لا يحجبه لعل، و لا يوقته متى، و لا يشتمله حين، و لا
تقارنه مع، إنما تحدّ الأدوات أنفسها، و تشير الاله إلى نظايرها و فى الأشياء يوجد فعالها، منعته مذ القدمه، و حمتها قد الازليه، و
جنبته لو لا- التكملة، افرقت فدلت على مفزقها، و تباينت فاعربت عن مابينها، بها تجلّى صانعها للعقول، و بها احتجب عن
الرؤيه، و إليها تتحكم الأوهام، و فيها اثبت غيره، و منها انيط الدليل، و بها عزفها الاقرار، بالعقول يعتقد التصديق بالله، و بالاقرار
يكمل الايمان به، لا ديانته إلا بعد معرفه، و لا معرفه إلا باخلاص. و لا إخلاص مع التشبيه، و لا نفى مع إثبات الصّيفات للتشبيه
«بالتشبيه خ ل» فكلما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، و كلما يمكن فيه يمتنع فى صانعه، لا تجرى عليه الحركه و السكون، و كيف
يجرى عليه ما هو أجراه، و يعود فيه ما هو ابتداه، إذا لتفاوتت ذاته، و لتجزء كهنه، و لامتنع من الأزل معناه، و لما كان للبارى
معنى غير المبرء، و لو حدّ له وراء إذا حدّ له أمام، و لو التمس له التمام إذا لزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من
الحدث، و كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء، إذا لقامت فيه آيه المصنوع، و لتحول دليلا بعد أن كان مدلولاً عليه،
ليس فى محال القول حجّه، و لا فى المسأله عنه جواب، و لا فى معناه له تعظيم، و لا فى إباتته من الخلق ضميم إلا بامتناع الأزلى
ان يثنى، و ما لا بدء له أن يبدء، لا إله إلا الله العلى العظيم، كذب العادلون بالله و ضلّوا ضلالاً بعيداً، و خسروا خسراناً مبيناً، و
صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين.

و رواه فى البحار أيضا من الاحتجاج مرسلًا من قوله عليه السّلام: و كان المأمون لما أراد أن يستعمل الرّضا عليه السّلام إلى آخر الخبر.

و من أمانى الشّيخ عن المفيد عن الحسن بن حمزه العلوى عن محمّد الحميرى عن أبيه عن ابن عيسى عن مروك بن عبيد عن محمّد بن زيد الطوسى الطبرى قال: سمعت الرّضا عليه السّلام يتكلّم فى توحيد الله فقال: أوّل عباده الله معرفته إلى آخر الخطبه.

و من المجالس عن الحسن بن حمزه مثله بتغيير ما.

بيان

قال المحدث العلامة المجلسىّ قد «ملئنا» أى طويلا و «الانتفاض» شبه الارتعاد و الاقشعرار.

قوله «أوّل عباده الله معرفته» نظير قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه الاولى: أوّل الدّين معرفته، أى أشرف عبادته و أقدمها زمانا و رتبه، لأنّ طاعه المعبود بعد معرفه نفس المعبود، و قال بعض المحقّقين: المراد بالعباده هنا العبوديه أن كون العبد عبدا، فإنّه موقوف على معرفه المولى، و أصل المعرفه التوحيد إذ مع اثبات الشريك أو القول بتركّب الدّات، أو زياده الصّيفات يلزم القول بالامكان المنافى للوجوب، فالمشرك القائل بالتعدد لم يعرف الواجب.

قوله «و نظام توحيد الله نفى الصّيفات عنه» قد عرفت معناه فى شرح الخطبه الاولى و نقول هنا إنّّه عليه السّلام استدلّ على نفى الصّفات الزائده بقوله «لشهادته العقول» إلى قوله «من الحدث».

قال فى البحار: و يمكن تقريره بوجه:

الأوّل أن يكون إشاره إلى دليلين:

الأوّل أن كلّ صفه و موصوف لا بدّ أن يكونا مخلوقين لأنّ الصفه محتاجه إلى الموصوف لقيامها به و هو ظاهر، و الموصوف محتاج إلى الصفه فى كماله و الصفه غيره و كلّ محتاج إلى الغير ممكن، فلا يكون شىء منهما واجبا و لا المركب منهما، فثبت احتياجهما إلى علّه ثالثه ليس بموصوف و لا صفه و إلّا

الثانى أنَّ الصانع لا بدَّ أن يكون كاملاً أزلاً و أبداً، لشهادته جميع العقول به، فلا بدَّ أن تكون الصِّفات الزائده مقارنه له غير منفكه عنه، و لا يجوز قدم الجميع لبطلان تعدّد القدماء، فيلزم حدوث الدَّات و الصِّفات معا، فلا يكون شىء منهما واجبا، فالمراد بقوله: شهادته كلِّ صفه و موصوف شهادته كلِّ موصوف فرض صانعا و صفته أو الصِّفات اللازمه للدَّوات.

الوجه الثانى أن يكون إشاره إلى دليلين على وجه آخر:

الأوّل أنّه لو كانت له صفات زائده لكانت ممكنه لامتناع تعدّد الواجب، و لا يجوز أن يكون الواجب موجدا لها إمّا لامتناع كون الشىء قابلا و فاعلا لشىء واحد، أو لأنَّ تأثير الواجب فيها يتوقّف على اتّصافه بتلك الصِّفات إذ لو لم يتوقف التأثير فى تلك الصِّفات الّتى هى منشأ صدور جميع الممكنات عليها لم يتوقّف التّأثير فى شىء عليها، فلا يثبت له تعالى شىء من الصِّفات، فيكون معلوله لغيره تعالى، و من كانت جميع صفاته الكماليه من غيره لا يكون واجبا صانعا لجميع الموجودات بالضروره الثانى أنّ التّوصيف اقتران خاصّ يوجب الاحتياج من الجانبين كما مرّ، و الاحتياج موجب للحدوث المنافى للأزليّه.

الوجه الثالث أن يكون راجعا إلى دليل واحد.

و تقريره أنّه لو كانت الصِّفات زائده لكانت الدَّات و الصِّفات مخلوقه، و هذا خلف، و بين الملازمه بقوله: و شهادته كلِّ صفه و موصوف بالاقتران بنحو ما مرّ من الاحتياج المستلزم للامكان.

و قد يقرّر بوجه آخر و هو أنّ العقل مستقلّ بأنّ الموصوف و الصفه مخلوقان، لأنّ الدَّات لو كانت عين الوجود و لم تكن محدوده بحدّ معيّن لم تكن فاقده لجهه من جهات الكمال الطاريه عليها، و لم يتميّز الموصوف عن الصِّفه حينئذ، و كلّ محدود محتاج إلى محدّد غيره، و ذلك الغير لا بدَّ أن يكون أحدى

قوله عليه السَّلام «فليس الله من عَرَّفَ بالتَّشبيه ذاته» أى ليس من عَرَّفَ ذاته بالتَّشبيه بالممكنات واجبا، لأنَّه يكون ممكنا مثلها.

قوله «ولا- إيَّاه عنى من اكتنَّه» أى من بين كنهه ذاته أو أراد الوصول إلى كنهه، إذ لو كان يعرف كنهه لكان شريكا مع الممكنات فى التَّركيب و الصفات الامكانيه و هو ينافى التَّوحيد، و بعبارة اخرى معرفه الكنه إنَّما تحصل بالاحاطه بالحدود من الأجناس و الفصول، و قد عرفت أنَّه سبحانه منزَّه عن الحدِّ، فغايه معرفته تعالى أنا لا نعرفه بل نقول: إنَّ الاحاطه بأنواع الممكنات على كثرتها و الاطلاع على شؤناتها الغير المتناهيه غير ممكنه، مع أنَّها محدوده فكيف بالذات المنزَّهه عن الحدِّ.

قوله «ولا- حقيقته أصاب من مثله» أى جعل له شخصا و مثالا- قال الفيروز آبادى: مثله تمثيلا صوره له حتَّى كأنَّه ينظر إليه، أو المراد من مثله فى ذهنه و جعل الصَّوره الذهنيه مثالا له، أو المراد أثبت له مثلا و شبَّهه بغيره، و قد تقدَّم فى شرح الخطبه المأه و الخامسة و الثمانين تحقيق تنزَّهه من الشَّبه و المثل.

قوله «من نَهاه» بالتَّشديد أى جعل له حدًا و نهايه، و من جعله كذلك لم يصدِّق بوجوده بل بممكن غيره.

قوله «ولا صمد صمده» أى قصد نحوه «من أشار إليه» و قد مرَّ تحقيق ذلك أيضا فى شرح الخطبه المذكوره.

قوله «ولا له تذلل من بَعْضه» أى من أثبت أجزاء و أبعاضا فهو فى عبادته و عبوديته لم يتذلل للحقِّ المنزَّه عن ذلك، بل عرفه و هو غيره.

و قوله «ولا إيَّاه أراد من توهمه» أى من تخيل له فى نفسه صوره أو هيئه و شكلا، فإنَّ ما ميَّزه بوهمه مخلوق له مصنوع مثله.

و قوله «كلَّ معروف بنفسه مصنوع و كلَّ قائم فى سواه معلول» قد تقدَّم تحقيقه فى شرح الخطبه المذكوره، و لما ذكر عدم إمكان معرفته بنفسه اتبعه

بقوله «بصنع الله يستدلّ عليه» إشاره إلى أنّ طريق معرفته هو الاستدلال عليه باثاره و صناعيه فقط.

و قوله «بالفطره تثبت حجّته» أى بأن فطرهم و خلقهم خلقه قابله للتصديق و الاذعان و المعرفه و الاستدلال، أو بتعريفهم فى الميثاق و فطرهم على ذلك التعريف.

و قوله «خلق الله الخلق حجاب بينه و بينهم» أى كونه خالقا و أنّ الخالق لا يكون بصفه المخلوق و يكون مباينا له فى الصّيفات صار سببا لاحتجا به عن الخلق فلا يدركونه بحواسّهم و عقولهم و الحاصل أنّ كماله و نقص مخلوقه حجاب بينه و بينهم، و بتقرير آخر لما خلق الله الخلق محدودا و كان سبحانه منزّها عن الحدّ حسبما عرفت سابقا أوجب تحدّدهم و تنزّهه لاحتجاب.

و الحاصل أنّ المخلوقيه علّه تامّه للاحتجاب، لأنّ الاشتمال على الحدّ من لوازم ذات المخلوق فيستحيل إلقاؤه للحدّ و وصوله إلى مرتبه الواجب أو اشتمال الواجب على الحدّ و تنزّله على مرتبه الممكن، فيبطل ما قاله الصوفيه من ترقّى المخلوق إلى مرتبه الخالق، و تنزّل الخالق إلى مرتبه المخلوق فى قوس الصعود و النزول و احتجاب كلّ منهما بالآخر حسبما قدّمنا حكايته عن كلام محيى الدين فى الفصّ الابراهيمى و غيره.

و قوله «و مباينته إيّاهم مفارقتها إيّيتهم» أى مباينته تعالى ليس بحسب المكان حتّى يكون فى مكان و غيره فى مكان آخر بل إنّما هى بأن فارق أيّيتهم فليس له أين و مكان و هم محبوسون فى مطموره المكان، أو المعنى أنّ مباينته لمخلوقيه فى الصّيفات صار سببا لأن ليس له مكان.

و رواه بعض مشايخنا المعاصرين: مفارقتها إيّيتهم أى تحقّقهم و وجودهم يعنى أنّ مفارقه الخالق للمخلوقات ليس كافتراق المخلوقات بعضها عن بعض، لأنّ مفارقتها إنّما هو بالحدود المميّزه و إنّما هو بمعنى أجلّ و أعلى و هو مفارقه وجوده

من حيث تنزّهه عن الحدّ لوجودها من حيث اشتمالها على الحدود، وهذا أيضا مبطل لقولهم: بأنّ الخلق عين الحقّ و الحقّ عين الخلق كما عرفت سابقا.

قوله «و أدوه إيّاهم دليل على أن لا أداه فيه» أى جعلهم ذوى أدوات يحتاجون إليها فى الأعمال من الأعضاء و الجوارح و القوى دليل على أنّه ليس فيه شىء منها، لشهاده الأدوات فيما يشاهد فى المادّين بفاقتهم و احتياجهم إليها، و هو منزّه عن الاحتياج، أو المعنى أنّ الأدوات الّتى هى أجزاء للمادّين تشهد بفاقتهم إلى موجد لكون كلّ ذى جزء محتاجا ممكنا فكيف تكون فيه تعالى.

قوله «فأسماؤه تعبير» أى ليست عين ذاته و صفاته حسبما يزعمه الصوفيه على ما عرفت بل هى معبّرات عنها «و أفعاله تفهيم» ليعرفوه و يستدلوا بها على وجوده و علمه و قدرته و حكمته و رحمته.

قوله «و ذاته حقيقه» أى حقيقه مكنونه عاليه لا- تصل إليها العقول، بأن يكون التنوين للتفخيم أو جديره بأن تتّصف بالكمالات دون غيرها أو ثابتة واجبه لا يعتريها التغيّر و الزوال.

قوله «و كنهه تفريق بينه و بين خلقه» لعلّ الغرض بيان أنه لا- يشترك فى ذاتى مع الممكنات بأبلغ وجه، أى كنهه يفرق بينه و بينهم لعدم اشتراكه معهم فى شىء، هكذا قال فى البحار، و الأظهر أنّ المراد به هو المراد بقوله المتقدّم: مباينته إيّاهم مفارقتها إيّيتهم أى انه سبحانه بذاته مفارق لهم لأن كنهه هو التنزّه من الحدّ و كنه المخلوق الاكتناف بالحدود.

و يؤيّد ذلك قوله «و غيوره تحديد لما سواه» أى مغايرته له أوجب التحديد، يعنى أنّ مغايرته لما سواه ليس كمغايره ما سواه من المخلوقات بعضها ببعض، فإنّ مغايرتها بالحدود الذاتيه و مغايره الحقّ لها إنّما هو بالتنزّه من الحدّ لا غير.

و قوله «من استوصفه» أى طلب وصف كنهه أو سأل عن الأوصاف و الكيفيات الجسمانيه فقد جهل عظمته.

و قوله «و قد تعدّاه من اشتمله» أى تجاوز عنه و لم يعرفه من توهمه شاملا

لنفسه، فيكون ردًا على القول بالحلول والاتحاد كما هو مذهب الصوفيّة، و في بعض النسخ أشمله أى جعله شاملا أو مشمولا و على التقديرين ففيه أيضا دلالة على بطلان مذهبهم.

قوله «و قد أخطأه من اكتبه» أى من توهم أنّه عرف كنهه فقد أخطأ خطأ عظيما.

قوله «و من قال كيف فقد شبهه» أى من سأل عن الكيفيات الجسمانيّة فقد شبهه بخلقه فى التكيف بالكيفيّة «و من قال لم فقد علّله» أى لم صار قادرا و عالما أو لم صار موجودا فقد علّل ذاته و صفاته، و ليس لذاته و صفاته علّ و إنّما هو تعالى علّه العلل «و من قال متى فقد وقّته» لأنّ متى سؤال عن نسبه الشىء إلى الزّمان فمن قال متى كان فقد وقّت أوّل وجوده و ليس له أوّل «و من قال فيم فقد ضمّنه» أى من سأل أنّه فى أى شىء فقد جعله فى ضمن ذلك الشىء و جعل ذلك الشىء متضمّنا له و هو من خواص الأجسام و الله سبحانه منزّه عن ذلك «و من قال إلى م فقد نهّاه» أى إلى أى شىء ينتهى شخصه فقد جعله ذا نهاية و انقطاع «و من قال حتّى م» يكون وجوده «فقد غيّاه» أى جعل لبقائه غاية و نهاية «و من غيّاه فقد غيابه» أى من جعل له غاية فقد حكم باشتراكه مع المخلوقين فى الفناء فيصحّ أن يقال غايته قبل غايه فلان أو بعده «و من غيابه فقد جزّاه» أى من حكم باشتراكه مع المخلوقين و لو فى الجملة فقد جزّاه، لأنّ ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فلا بدّ أن يكون ذا أجزاء بعضها جهه امتياز و بعضها جهه اشتراك.

و يحتمل أن يكون المراد أنّ السائل عنه تعالى بحثّام توهم فى حقّه الغايه و النهايه و المتوهم فى حقّه الغايه جعله ذا نهاية ينتهى إليها و الجاعل له النهايه جعله مركبا من الأجزاء، إذ النهايه من لوازم الكم المتصل و المنفصل و المتكّم المشتمل على الأجزاء، و بعبارة اخرى الغايه و النهايه من عوارض الأجسام و ذات الأوضاع و المقادير و الأجزاء.

«و من جزّاه» أى أثبت له الجزء «فقد وصفه» بصفه الامكان و أثبت له صفات

الممكنات المتجذّرة و من حكم بذلك فقد ألحد في ذاته.

و قوله «لا يتغير الله بانغيار المخلوق كما لا ينحد بتحديد المحدود» أى ليس التغيرات التى تكون فى مخلوقاته موجهة للتغير فى ذاته و صفاته الحقيقية، بل انما التغير فى الاضافات الاعتبارية كما أنّ خلقه للمحدودين حدودا لا يوجب كونه متحددا بحدود مثلهم.

و يحتمل أن يكون المراد أنه لا يتغير كتغير المخلوقين و لا ينحد كتحدّد المصنوعين المحدودين، أى لا يتغير بمثل تغيرهم و لا ينحد بمثل تحدّدهم، و المعنى الأول أظهر و يؤيده ما فى روايه المجالس: لا- يتغير الله بتغير المخلوق و لا- يتحدّد بتحدّد المحدود.

و قال بعض مشايخنا المحققين دام تأييده من الله: إنّ المراد به أنّ مغايره المخلوق للخالق و قبوله للغايره و انفعاله بذلك لا يوجب التغير فيه أصلا إذ لم يحدث فيه جهه موجه لمغايرته لمخلوقه، بل كان كما كان و إنما حصلت الغايره فى المخلوق و تميز عن الخالق من أجل اتّصافه بالحدود و تحدّد كلّ نوع منه بحدّ مخصوص، و الواجب لم يخصّص بحدّ يوجب المغايره و التميّز به عن المخلوق و قوله كما لا ينحد آه بمنزله الدليل على ذلك، لأنّ التغير بانغيار المخلوق إنما ينتزع من الاختصاص بحدّ مخصوص فى قبال الحدّ الذى فى المخلوق، كما أنّ تغاير المخلوقات بعضها ببعض على ذلك الوجه أى من جهه أنّ لكلّ منها حدّا مخصوصا ليس فى الآخر، و الله سبحانه لمّا كان منزّها عن الحدّ لا يوجب انغيار المخلوق الحاصل له من الاكتناف بالحدود تغيره البتّه.

و محصّله ما قاله أمير المؤمنين فى الخطبه المأه و الخامسة و الثمانين: و خرج بسلطان الامتناع من يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره.

و قوله «أحد لا بتأويل عدد» يعنى أنّه أحدى الذات بسيط الحقيقة لا جزء له ذهنا و عقلا و خارجا، أو أنه واحد ليس كمثله شىء و ليست وحدته وحده عدديّه لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد.

و قوله «ظاهر لا بتأويل المباشرة» أى ليس ظهوره بأن يباشره حاسّه من الحواسّ

أو ليس ظهوره بأن يكون فوق جسم يباشره كما يقال: ظهر على السطح، بل هو ظاهر باثاره غالب على كل شيء بقدرته.

و قوله «متجلى لا باستهلال رؤيه» أى ظاهر ليس ظهوره من جهة الرؤيه.

و قوله «باطن لا بمزايله» أى ليس بطونه بمفارقة مكان بأن انتقل من مكان إلى مكان فخفى عنهم، أو بأن دخل فى بواطنهم حتى عرفها بل لخفاء كنهه عن عقولهم و علمه ببواطنهم و أسرارهم.

و قوله «مباين لا- بمسافه» أى ليس مباينته لبعده بحسب المسافه عنهم بل لغايه كماله و تمامه و نقصانهم و افتقارهم باينهم فى الذات و الصفات.

و قوله «قريب لا بمداناه» أى ليس قربه قربا مكانيا بالدنو من الأشياء، بل بالعلم و الغلبه و التريه و الرحمه.

و قوله «لطيف لا- بتجسم» أى ليس لطفه بكونه جسما له قوام رقيق أو حجم لطيف أو تركيب غريب و صنع عجيب، بل لخلقه الأشياء اللطيفه و علمه بها أو لتجرد ذاته.

و قوله «فاعل لا باضطرار» أى هو فاعل مختار ليس بموجب.

قوله «مقدر لا بجول فكره» أى ليس فى تقديره للأشياء محتاجا إلى جولان الفكر.

قوله «مدبر لا بحركه» أى ليس فى تدبيره محتاجا إلى حركه ذهنيه أو بدنيه قوله «مريد لا بهمامه» أى بعزم و اهتمام.

قوله «شاء لا بهمه» أى ذو مشيه لا بهمه و قصد و عزم.

قوله «مدرك لا بمجسه» أى ليس إدراكه بحس اليد و لمسها أو بالتجسس و التفحص.

قوله «لا تصحبه الأوقات» لكونه منزها من الزمان.

و قوله «لا تضمنه» بحذف إحدى التائين.

قوله «و لا تأخذه السّنات» كما قال تعالى «لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ»، لأنهما من خواص الطبيعیه الحيوانیه.

قوله «و لا- تحدّه الصّيفات» أى لا تحدّه صفات الواصفين كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون.

قوله «و لا تفيدہ الأدوات» أى لا ينتفع بها و لا يحتاج فى صنعه إلى الاستفادة منها كما هو شأن المخلوق.

و قوله «سبق الأوقات كونه» إلى قوله «لا مشعر له» قد مضى تحقيق ذلك كله فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين فليراجع ثمه.

و قوله «بتجهيره الجواهر عرف أن لا- جوهر له» أى بتحقيق حقايقها و ايجاد مهياتها عرف أنها ممكنه و كل ممكن محتاج إلى مبدء فمبدأ المبادئ لا يكون حقيقه من هذه الحقائق.

و قوله «و بمضادته بين الأشياء» إلى قوله «لا قرين له» قد تقدم تحقيقه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره و لا حاجه إلى الاعداده و كذا تقدم هناك معنى قوله «ضاد الثور بالظلمه و الجلايه بالبهيم» إلا أن هناك و الوضوح بالبهيمه، بدله.

و قوله «و الجسوء بالبلل» قال الفيروز آبادى: جسا جسوء صلب و جسئت الأرض فهى مجسوءه من الجساء و هو الجلد الخشن و الماء الجامد و فى الخطبه المذكوره:

و الجمود بالبلل، بدله.

و قوله «و الصرد بالحرور» الصرد بفتح الزاء و سكونها البرد فارسى معرب و الحرور بضم الحاء الحراره و بفتحها الریح الحارّه.

و قوله «مؤلف بين متعدياتها» إلى قوله «على مؤلفها» قد تقدم تحقيقه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره.

و قوله: «ذلك قوله عز و جل: «و من كُمل شئ ۚ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» استشهدا لكون التأليف و التفريق، دالين على الصانع بالتقريب الذى قدمناه فى شرح الخطبه المذكوره و قال بعض المفسرين: المراد بالشئ الجنس و أقل ما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كل جنس نوعان كالجوهر فمنه المادى و المجرد، و من المادى الجماد و النامى و من النامى النبات و المدرک الصامت و الناطق، و كل ذلك دليل على أنه واحد لا كثره فيه و قيل: كل موجود دون الله ففيه زوجان اثنان:

كالمهيئه و الوجود، و الوجوب و الامكان، و الماده و الصوره، و الجنس و الفصل،

و أيضا كل ما عداه يوصف بالمتضايفين كالعليه و المعلوليه و القرب و البعد و المقارنه و المباينه و التألف و التفريق و المعاداه و الموافقه و غيرها من الامور الاضافيه فقله:

«لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أى تعرفون من اتّصاف كل مخلوق بصفه التركيب و الزوجيه و التّضاييف أنّ خالقها واحد أحد لا يوصف بصفاتها.

و قوله «ليعلم ان لا قبل له و لا بعد» يدلّ على عدم كونه تعالى زمانيا، و يحتمل أن يكون المعنى عرفهم معنى القبله و البعديّه ليحكموا أن ليس شيء قبله و لا بعده.

و قوله «شاهده بغائرها أن لا- غريزه لمغزّرها» أى شاهده بطبايعها على أن لا طبيعه لموجد طبائعها و مفيضها عليها، و يمكن حملها و أمثالها على الجعل البسيط «و المفاوت» بصيغه الفاعل من جعلها بينها التّفاوت «و توقيتها» تخصيص حدوث كل منها بوقت معيّن و بقائها إلى وقت معيّن.

و قوله «حجب بعضها عن بعض» أى بالحجب الجسمانيّ أو الأعمّ ليعلم أنّ ذلك نقص و عجز و هو منزّه عن ذلك، بل ليس لهم حجاب عن الرّب إلّا أنفسهم لامكانهم و نقصهم و قال بعض المحقّقين: المراد أنّه قد قرّر لكلّ واحد من الممكنات حدا معيّنا لا يتعدّاه، فلا- يمكن أن يكون أحدها عين الاخر، و بذلك يعلم أن لا حجاب بين المخلوق و بين الخالق إلّا نفس المخلوق، لأنّ المخلوق محدود و الخالق منزّه عن الحدّ فالحجاب فى جهه المخلوق لا فى جهه الخالق.

قوله «له معنى الرّبوبيّه» إلى قوله «معنى البرائيّه» قد تقدّم معناها قريبا فى أواخر ذكر الأدله التّقليّه.

و قوله «كيف و لا- تغيّبه مذ» أى كيف لا- يكون مستحقّا لهذه الأوصاف و الأسماء فى الأزل و الحال أنّه لا- يصير كلمه مذ الموضوعه لأوّل الزّمان سببا لأن يغيب عنه شيء، فإنّ الممكن إذا كان قبل ذلك المبدأ أو بعده يغيب هذا عنه، و الله تعالى جميع الأشياء مع أزمنتها حاضره فى علمه فى الأزل، أو أنّه ليس لوجوده زمان حتّى يغيب عن غيره فيقال مذ كان موجودا كان كذا.

«و» لما لم يكن زمانيا «لا تدنيه كلمه قد» التى هى لتقريب الماضى إلى الحال

أو ليس فى علمه شدّه و ضعف حتّى تقر به كلمه قد التّى للتّحقيق الى العلم بحصول شىء «و لا- تحجبه كلمه لعلّ» التّى هى لترجى أمر فى المستقبل، أى لا يخفى عليه الامور المستقبله «و ليس له أوّل» وقت «حتّى يقال له متى» وجد أو متى علم أو متى قدر و هكذا «و لا يشتمله حين و لا زمان» لأنّه خالق الحين و الزّمان فكيف يكونان شاملين له و محيطين به «و لا تقارنه مع» أى لا يوجب كلمه مع المفيده للمصاحبه اقترانه بالأشياء زمانا أو مكانا، و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: فى الخطبه الاولى:

مع كلّ شىء لا بمقارنه، أى معيّته للأشياء ليست بعنوان المقارنه التّى فى المخلوقات بل بالعلم و الاحاطه و القيوميّه و التّرييه.

و قوله «إنّما تحدّد الأدوات أنفسها» إلى قوله «لو لا- التّكمله» قد تقدّم شرح هذه الفقرات و تحقيقها فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثّمانين بما لا مزيد عليه.

و قوله «افترقت فدلت على مفروقها» أى افترقت الأدوات و الالات باختصاص إدراك كلّ منها بنوع خاصّ من المدركات، او اختصاص كلّ منها بحدّ مخصوص، فدلت على مفروق فرقها و خصّصها بحدّ مخصوص.

و قوله «و تباينت فاعربت عن مباينها» أى تباينت بعضها مع بعض لاختصاص كلّ منها بوضع خاصّ فأظهرت عن صانعها الموجد للمباينه بينها أو عن صانعها المباين لها فى الصّيفات و فى التّنزه عن الحدّ كما قال تعالى: «و مِنْ آيَاتِهِ ...» «إِخْتِلَافُ السَّيِّئَاتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ».

و قوله «بها تجلّى صانعها للعقول و بها احتجب عن الرّؤيه» قد تقدّم معناهما أيضا فى شرح الخطبه المذكوره، و قال علامه المجلسيّ: أى بالعقول احتجب عن الرّؤيه لأنّ الحاكم بامتناع رؤيته هو العقل، و إلى العقل تتحكم الأوهام عند اختلافها.

قوله «و فيها أثبت غيره» أى كلّما يثبت و يرتسم فى العقول أو فى المشاعر فهو غيره، و يحتمل أن يكون غيره مصدرا بمعنى المغايره أى بالعقول يثبت مغايرته

تعالى للممكنات، و يمكن إرجاع الضمير إلى الأوهام أى القول بالشريك له تعالى فعل الوهم لا العقل لكن فيه تفكيك.

و قوله «و منها انيط الدليل» أى من العقول يستنبط الدليل على الخالق «و بها عرّفها الاقرار» أى بالعقول عرّف الله العقول أو ذويها الاقرار به عزّ و جلّ.

و قوله «لا ديانة إلا بعد معرفه» مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام فى الخطبه الاولى: أوّل الدّين معرفته، أى لا تدّين بدين لله إلا بعد معرفه الله «و لا- معرفه إلا- باخلاص» أى باخلاص الحقّ مما لا يليق بذاته المقدّسه من نقايص الامكان «و لا إخلاص مع التشبيه» له بمخلوقاته فى الذات و الصفات «و لا نفى» للتشبيه «مع إثبات الصفات» الزائده على الذات.

فقوله «للتشبيه» متعلّق بالنفى أى لم ينف التشبيه من أثبت له الصّيفات الزّائده، و فى بعض النسخ بالتشبيه بدل قوله للتشبيه أى بنفى التشبيه المستفاد من قوله: و لا- إخلاص مع التشبيه، فالمراد أن لا- نفى له مطلقا بنفى التشبيه أى لا- يلزم النفى المطلق مع إثبات الصّيفات الكمالّيه له على وجه لا يستلزم النقص بنفى تشبيهه لغيره كما نقول: شىء لا كالأشياء و عالم لا كعلم المخلوق و قادر لا كقدرتنا و هكذا، فيكون إشاره إلى وجوب إخراجه عن حدّ النفى و حدّ التشبيه.

و قوله «فكلّما فى الخلق لا يوجد فى خالقه و كلّما يمكن فيه يتمتع فى صانعه» تفرّيع على ما سبق و تصريح بتنزّهه عن مشابهه مخلوقاته و نصّ فى ابطال مقال الصوفيه القائلين بأنّ جميع ما للمخلوقات من الصّيفات فهى صفات الخالق، لأنهم مظاهر الحقّ و مجاله حسبما عرفت فيما سبق.

و قوله «و لا يجرى عليه الحركه و السكون» إلى قوله «لزمه النقصان» قد تقدّم تحقيق معانى هذه الفقرات فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين أيضا.

و قوله «كيف يستحقّ الأزل من لا- يتمتع من الحدث» استفهام فى معرض الانكار أى لو التمس التّمام و الاستكمال بالغير لزم اتّصافه بالكمالات الحادثه و عدم امتناعه من أن يحدث فيه تلك الحوادث، و من كان كذلك و كان محلاً للحوادث

لا يكون أزليا واجب الوجود.

و قوله «و كيف ينشئ الأشياء من لا- يمتنع من الانشاء» و هو أيضا في معرض الإنكار، أى لو التمس التمام لاحتاج في تماميته إلى غيره لينشئ له صفات الكمال الموجبه لتمامه و كماله، و من كان كذلك كان ممكنا فلا يمكن أن يكون منشئا للأشياء أى الممكنات جميعا لأنّ إنشاءها من شأن الواجب.

ثم استدللّ عليه السّلام على جميع ما تقدّم بقوله «إذا لقامت فيه آية المصنوع و لتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه» أى لو كانت فيه تلك الحوادث و التغيّرات و إمكان الحدوث لقامت فيه علامه المصنوع و لكان دليلا على وجود صانع آخر غيره كساير الممكنات لا شراكه معهم فى صفات الامكان و ما يوجب الحاجة إلى العلّه لا مدلولا عليه بأنّه صانع.

و قوله «ليس فى محال القول حجّه» أى ليس فى إثبات هذا القول المحال أى إثبات الحوادث و الصّيفات الزايدة له حجّه «و لا فى المسأله عنه» أى فى السّؤال عن هذا القول لظهور خطائه و بطلانه «جواب و لا فى معناه له تعظيم» أى فى إثبات معنى هذا القول له تعالى و توصيفه بصفات الممكنات تعظيم له بل هو نقص فى حقّه حسبما عرفت «و لا فى ابانته من الخلق» و تنزيهه من صفاتهم «ضيم» أى نقص و ظلم فى حقّه تعالى شأنه «إلاّ بامتناع الأزلى أن يثنى و ما لا بدء له أن يبدء (1)» أى لا- نقص له فى ابانته من خلقه إلاّ بأنّ الأزلى يمتنع من الاثنيّيه و بأنّ ما لا بدء أى لا مبدء له يمتنع من أن يبدء و يكون له مبدء، و ما نسبوه إليه تعالى ممّا مرّ مستلزم لكونه تعالى ذا مبدء و علّه.

و الحاصل أنّه لا- يتصوّر فى تفريقه تعالى من خلقه و من صفاتهم ظلم و نقص له تعالى إلاّ بهذا الوجه و الحال أنّه ليس بظلم أصلا و لا نقص، بل هو عين الكمال، و الاستثناء فى قوله عليه السّلام كما فى قول الشاعر:

ص: ٢٣٩

و لا عيب فيهم غير أنّ سيفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

و هو من قبيل إخراج المدح بما يشبه الذمّ و قوله «كذب العادلون بالله» أى الجاعلون له عديلا و شبيها و تعالى الله سبحانه عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا.

و أقول: يا اولى الألباب و الضمائر و ذوى الأبصار و البصائر إن تدبّرتم فى معانى هذه الخطبه الشّريفه حقّ التدبّر وجدتموها كنزا مشحونا بأنواع الدّر و الجواهر، و بحرا مّوّاجا فى علم التّوحيد ليس له ساحل، و لو استقصيتم فيها النّظر و بذلتهم عميقات الفكر عرفتم أنّ كلّ فقره من فقراتها دليل مستقلّ فى بطلان مقالات أولياء الشيطان و اخوان عبده الأوثان الزّاعمين أنهم أهل اليقين و العرفان، و الخّصون فى التّوحيد و المعرفه و الايمان لقولهم بوحده الوجود، و أن ليس غيره فى الحقيقه بـوجود، و ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النّار.

ثمّ أقول: أنت إذا أحطت خبرا بما قدّمنا علمت فساد القول بوحده الوجود و سخافه ما يترتب على تلك الشّجره الملعونه من الثّمرات الخبيثه، و عرفت أنّ وجوده سبحانه وجود خاصّ به قائم بذاته ممتاز عن ساير الموجودات بنفس ذاته و بكونه مبدء الكلّ و هو أيضا نفس ذاته و ممتاز عن المهيّات بكونه وجودا خاصّا بخلاف شىء من المهيّات، فأنّه ليس وجودا أصلا لا خاصا و لا- مطلقا، فليس له تعالى مهيه و حقيقه يشارك بها شيئا من الممكنات، فلا- يحتاج إلى مميّز ذاتي يميّزه عمّا به المشاركه الذاتيه مع غيره، فحقيقته هوّه بسيطه و وجود خاصّ ممتاز عن كلّ ما سواه بتجرّده و تنزّهه من الحدود، و يكون كلّ ما سواه محدودا، و لنقتصر فى هذه المسأله على ذلك و لنعد إنشاء الله تعالى إلى ذكر ساير عقايدهم الفاسده، فأقول و بالله التوفيق و الاعتماد.

قولهم: بأنّ الكفار غير مخلّدين في النار.

و هو خلاف اجماع المسلمين، و خلاف ما دلّت عليه آيات الكتاب المبين و أخبار الحجج المعصومين.

قال ابن العربى فى الفصّ الیونسی من الفصوص «و أمّا أهل النار فمالهم إلى النعيم و لكن فى النار إذ لا بدّ لصوره النار بعد انتهاء مدّه العقاب أن يكون بردا و سلاما على من فيها و هذا نعيمهم فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حينلقى فى النار».

قال القيصرى: أى و مال أهل النار إلى النعيم المناسب لأهل الجحيم إمّا بالخلاص من العذاب أو الالتذاذ به بالتعود أو تجلّى الحقّ فى صورته اللطف فى عين النار كما جعل النار بردا و سلاما على إبراهيم، و لكن ذلك بعد انتهاء مدّه العقاب كما جاء نبت فى قعر جهنّم الجرجير(1) و ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود فى النار و لا يلزم منه خلود العذاب.

و قال القيصرى أيضا فى شرح الفصّ الهوى: و اعلم أنّ كلّ من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أنّ العالم بأسره عباد الله و ليس لهم وجود و صفه و فعل إلّا بالله و حوله و قوّته، و كلّهم محتاجون إلى رحمته و هو الرحمن الرحيم و من شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذب أحدا عذابا أبدا و ليس ذلك المقدار من العذاب أيضا إلّا لأجل ايصالهم إلى كمالاتهم المقدّره لهم كما يذهب الذهب و الفضة فى النار لأجل الخلاص ممّا يكدره و ينقص عياره، فهو متضمّن لعين اللطف و الرحمة كما قيل:

و تعذيبكم عدل و سخطكم رضى و قطعكم وصل و جوركم عدل

أقول: فلينظر العاقل إلى هذين الضّمليين كيف يخالفان اجماع المسلمين و ينبذان آيات الكتاب المبين وراء ظهورهما بارائهم الفاسده و الاستحسانات الكاسده

ص: ٢٤١

و يعتمدان في ذلك على أخبارهم المجهول و أحاديثهم الموضوعه.

و قد تبعهما في حديثهم المرسل المجهول المتصوّف الجامي في شرح منتخب الفصوص حيث نقل عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنّ بعض أهل النار يتلاعبون بالنار، و نقل عنه صلى الله عليه و آله و سلم أيضا أنّه قال: سيأتي على جهنم زمان ينبت من قعرها أو من قعرها الجرجير.

و هذه الأحاديث مضافا إلى مخالفتها لصريح الايات و روايات المتواتره قد نصّ في أخبارنا بأنّها مجهوله كاذبه كما نصّ على ردّ ما توهموه من انقطاع العذاب و إنفاذ العقاب.

فقد روى عن الكليني في الكافي باسناده عن أبي بصير مولى أبي عبد الله عليه السلام عن موفق مولى أبي الحسن عليه السلام قال: كان مولاي أبو الحسن عليه السلام إذا أمر بشراء البقل يأمر بالاكثار منه و من الجرجير فيشري له و كان يقول عليه السلام: ما أحقّ بعض الناس يقولون: إنّهُ ينبت في وادي جهنم، و الله عزّ و جلّ يقول: «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ»، فكيف ينبت البقل.

و روى عن البرقي في المحاسن عن العبيدي عن الأهوازي عن النضر بن سويد عن درست عن الأحول عن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّهُ بلغنا أنّه يأتي على جهنم حين يصطفق(١) أبوابها فقال: لا و الله إنه الخلود قلت:

خالدين فيها ما دامت السموات و الأرض إلّا ما شاء ربّك، فقال عليه السلام هذه في الذين يخرجون من النار.

و أما ما قاله القيصري: من أنّه ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود في النار و لا يلزم منه خلود العذاب فنأش من جهله بايات الكتاب فقد قال تعالى: «كُلَّمَا نَضَا جُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ»، و أمثال هذه الايه كثيره في القرآن غير عزبزه.

و هل هذه الدّعوى الباطله و المقاله الفاسده في مقابله النصوص الصريحه

ص: ٢٤٢

١- (١) - اصطفت الاشجار اهترت بالريح و هو كناية عن الخلو من الناس (منه)

المستفيضه بل المتواتره إلا الملاحه بالدين و التكذيب للأنبياء و المرسلين.

و أعظم من ذلك جرئتهم على تأويل الايات الوارده فى النقمه و العقاب للكفار و أهل العذاب بالرحمه و الثواب، مثل ما تمحله ابن العربى فى الفصص الهودى فى الايات الوارده فى عاد قوم هود و هى قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ»، قال ما لفظه «ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا هذا عارض ممطرنا فظنوا خيرا بالله» قال القيسرى: أى ألا ترى أن قوم هود كيف قالوا لما تجلّى عليهم الحقّ فى صورهِ السحاب ان هذا عارض أى سحاب ممطرنا و ينفعنا فظنوا أنّ الله تجلّى لهم بالحقّ و الرحمة «و هو عند ظنّ عبده به فاضرب لهم الحقّ عن هذا القول فأخبرهم بما هو أتمّ و أعلى فى القرب» أى أضرب بقوله بل هو ما استعجلتم به أى هو مطلوبكم الذى يوصلكم إلى كمالكم و يعطيكم الخلاص من اتياتكم و يخرجكم من عالم التضاد و الظلمه إلى عالم الوفاق و الرحمة.

و أنّما كان هذا المعنى أتمّ و أعلى «فأنّه إذا أمطرهم فذلك حظّ الأرض و سقى الحبه» المزروعه فيها «فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر إلاّ عن بعد لأنّ المطر إذا سقى الحبه المزروعه لا بدّ ان يمضى عليها زمان طويل و مدّه كثيره حتّى تحصل نتيجته و يحصل منها الغذاء الجسمانى و هو من حظوظ أنفسهم المبعّده لهم عن الحقّ و هذا الاهلاك يوصلهم فى الحال إلى ربّهم و يقربهم منه فقال لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب» و أنّما كان استعجالهم فى وصولهم إلى كمالهم و قربهم من غايه مرتبتهم.

و لما كان هذا المطلوب لا يمكن إلاّ بفنائهم فى الحقّ أهلكهم الله عن أنفسهم و أفناهم عن هياكلهم و هى أبدانهم الجسمانيه الحاجبه لهم عن إدراك الحقائق «فجعل» أى الحقّ «الريح» إشاره إلى ما فيها من الرّاحه فإنّ بهذا الرّيح أراحهم من هذه الهياكل المظلمه و المسالك الوعره و فى هذه الرّيح عذاب أى أمر يستعذبونه

إذا ذا قوه إلاّ- أنّه يوجعهم لفرقه المألوفات» أى الرّيح المهلكه وإن كانت فى الظاهر مولمه موجهه لهم لا-خراجهم عن العالم الجسمانى المتألفه قلوبهم به لكن فيها لطف مستور، لأنّ فى كلّ قهر لله تعالى ألطافا خفيّه يستعذبونه إذا وصلوا إليه عقيب الوجد «فباشروهم العذاب» أى اهلكهم «فكان الأمر إليهم أقرب ممّا تخيلوه» أى الأمر الذى كان مطلوبهم بالحقيقه كان أقرب إليهم من المطلوب المتخيّل لهم و هو ما يحصل من المزروعات «فدمّرت كلّ شىء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم أى جثثهم الّتى عمرتها أرواحهم الحقيقه».

و محصل كلامهما أنّ قوم هود عليه السّلام مع العتوّ والكفر والانكار لم يكونوا من المعذّبين بل صاروا بذلك من المقربّين المنعمين و أوصلهم الكفر والضّلال إلى درجه الفضل والكمال، واستحقّوا بالجحود عظيم الزّلفى و حسن المال.

و الايات وإن كانت ظاهره فى الاهلاك والتعذيب لكن الطّواهر غير مراده بل المراد معنى آخر يعرفه أهل الكشف والشّهود لا أهل الحجاب.

و هو أنّ الرّيح فى الايه مأخوذه من الرّوح و الرّاحه و العذاب من العذوبه و الحلاوه و الغرض من إهلاكهم بالرّيح التعجيل فى إراحتهم من العلايق البدنيه و إخراجهم من الهياكل الجسمانيه و ايصالهم إلى مرتبه القرب و الزلفى و البقاء بالفناء، و قد أعطاهم الله خيرا ممّا يرجون و أفضل ممّا يأملون، فإنّهم لمّا رأوه عارضا ممطرا حسبوا أنّه ينزل منه المطر ينتفع به و يسقى به الحرث و الزّرع فقال تعالى: «يَلْهُوْاْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ»، أى ليس هذا ما ذهبت إليه ظنونكم بل هو خير منه، فإنّ العارض الممطر فيه منفعه مؤجله دنيويّه، و فى الرّيح منفعه معجله أخرويّه و الاولى قليله فانيه و الاخرى كثيره باقيه هذا حاصل مراد هذين الملحدين.

أقول يا أهل المروّه و الانصاف المجانبين للهوى و الاعتساف انشدكم بالله العظيم هل يرتضى ذو شعور أن يكون مراده تعالى من تلك الايات ما قاله هذا الجاهل الزّنيم.

ثم أقول: يا قائد الجهال و قطب أهل الضلال هب أنك خالفت اجماع المسلمين بل اتفاق جميع المليين و نابذت آيات الكتاب المبين فى مسأله تخليد الكفار و المشركين، و زعمت عدم كونهم فى النار مخلصين معذبين، فهلا استحييت من الله رب العالمين أن جعلت آيات كتابه لعبه اللاعبين و مسخره المستهزئين؟! فما أقل حياؤك فى هتك ناموس الاسلام، و أعظم جرءتك فى هدم أساس مله سيد الأنام.

أفيجوز الجاهل السيفيه فضلا عن العاقل النبيه أن مراد الحق من هذه الايات الشريفة هذه التأويلات السخيفه؟ أم يتوهم أن هذه الألفاظ و الكلمات قوالب تلك المعانى الترهات؟ أفيبقى بعد البناء على أمثال هذه المزخرفات اعتماد بالكتاب عند الضروره و الاحتياج؟ أو يمكن به الاستدلال فى الاصول و الفروع فى مقام الاحتجاج؟ ثم كيف يزعم من دان بكلمه الاسلام أن قوم عاد و ثمود و قوم نوح و لوط أقرب إلى الله من المؤمنين الموحدين، حيث عجل فى إفناء الأولين ايصالا لهم إلى مراتب الزلفى و حبس الآخرين فى سجن الدنيا، و حرّمهم من تلك النعمه العظمى حاشا ثم حاشا.

و العجب مع هذا كله أنه اشتبه فى حق نفسه و زعم أنه محيى الدين و خاتم ولايه المحمديين، و لعمرى أنه ما حى الدين بل مبطل أساس جميع شرايع النيين.

ثم العجب من القيصرى فأنه بعد ذكر ما قدّمناه قال: و الشيخ يعنى ابن العربى إنما يشير فى أمثال هذه المواضع إلى ما فيها من الرّحمه الحقائقه، و هى من المطلعات المدركه بالكشف، لا أنه ينكر وجود العذاب و ما جاء به الرّسل من أحوال جهنم فأن من يبصر بعينه أنواع التعذيب فى النشأه الدنياويه بسبب الأعمال القبيحه كيف ينكره فى النشأه الأخرأويه و هو من أكبر ورثه الرّسل صلوات الله عليهم أجمعين، فلا ينبغى أن يسىء أحد ظنّه فى الأولياء الكاشفين لأسرار الحق بأمره، انتهى.

أقول: هذا مقام أن يقال:

يا ناعى الاسلام قم فانه قد مات عرف و بدا المنكر

فانك خير بانه مع هذا الاصرار المؤكد كله من الشيخ فى نشر كلمات الضلال، لم يبق للحمل على الصيحه مجال، فهذا ليس موضع سوء الظن بل مقام علم اليقين، و كيف يكون المكذب للأنبياء و المرسلين من أكبر ورثه النبیین؟ أم كيف يكون حامى الكفار و المشركين من الأولياء الكاشفين؟ لعن الله المضلين و المبطلين، و عذبهم عذابا لا يعذب به أحدا من العالمين.

و أعظم من ذلك ما قاله فى حق أشقى الأولين و الآخرين المعارض الصريح فى سلطان رب العالمين، المعلن بقول أنا ربكم الأعلى فى قبال ديان الدين أعنى فرعون المتمرد عن طاعه الرحمن المتماذى فى العتو و الكفر و الطغيان، حيث قال:

إنه تاب فطاب و ندم و أناب و طهر و صار من أهل الايمان مع أن كونه من المخلفين نص آيات الكتاب المبين، و كونه من أهل التابوت و أشد الناس عذابا صريح أخبار سيد المرسلين، و سقوط ايمانه من درجه الاعتبار مفاد: «الآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ».

فيا لله ما أجزء هذين الضالين على الله، و كاين لهما من يد طولى فى تغيير معانى كتاب الله و تأويل الايات البينات على المذاهب الفاسده، و تطبيق النصوص المحكمات بالمقالات الباطله.

فقد قال فى الفص الموسوى و شرحه «فقلت لفرعون فى حق موسى أنه قره عين لى و لك فيه» اى فى موسى «قره عينها بالكمال الذى حصل لها و كان قره عين لفرعون بالايمان الذى أعطاه الله عند الغرق» و ذلك لأن الحق تكلم بلسانها من غير اختيارها و أخبر بانه قره عين لها و لفرعون فوجب أن يكون كذلك فى نفس الأمر «فقبضه» أى الحق «طاهرا مطهرا ليس فيه شىء من الخبث لأنه قبضه عند ايمانه قبل أن يكتسب شيئا من الاثام و الاسلام يجب ما قبله و جعله آيه على عنايته سبحانه بمن شاء حتى لا يئأس أحد من رحمه الله فانه لا يئأس من رحمه الله إلا القوم الكافرون فلو كان فرعون ممن يئأس ما بادر إلى الايمان».

قال الشارح: لما كان ايمان فرعون فى البحر حيث رأى طريقا واضحا عبر عليه بنو اسرائيل قبل التفرغ و قبل ظهور أحكام الدار الآخرة مما يشاهدونه عند الغرغره، جعل ايمانه صحيحا معتدًا به، فانه ايمان بالغيب لأنه كان قبل الغرغره و هو بعينه كايمن من يؤمن عند القتل من الكفار، و هو صحيح من غير خلاف و انما كان ايمان المتفرغ غير صحيح لظهور أحكام الدار الآخرة له من النعيم و الجحيم و الثواب و العقاب، و جعله طاهرا مطهرا من الخبث الاعتقادي أى من الشرك و دعوى الربوبية لأن الاسلام يجب ما قبله كما ورد فى الخبر الصحيح، و لم يكتسب بعد الايمان شيئا من الاثام و العصيان، و قوله تعالى: «الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»، نوع من العتاب عند التوجه إلى الحق و الايمان به، و هو لا ينافى صحه ايمانه، إلى ان قال بعد تأويل جملة من الايات الداله على خلوده و تعذيبه على (١) زعمه الفاسد:

و فايده ايمانه على تقدير التعذيب عدم الخلود فى النار، و التعذيب بالمظالم و حقوق العباد مما لا يرتفع بالاسلام لا ينافى أيضا الاسلام و الطهاره من الشرك و خبث العقيدة، فلا ينكر على الشيخ ما قاله مع أنه مأمور بهذا القول إذ جميع ما فى الكتاب مسطور بأمر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فهو معذور كما أن المنكر المغرور معذور، و قوله:

و جعله آيه على عنايته، إشاره إلى قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً»، و هذا أيضا صريح فى نجاته لأن الكاف خطاب له أى ننجيك مع بدنك من العذاب لوجود الايمان الصادر منك بعد العصيان، و الله أعلم بالسرائر من كل مؤمن و كافر، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و يتوجه عليهما وجوه من الكلام و ضروب من الملام.

الأول أن قوله تعالى: «وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَمْ يَكُنْ لِي وَلَدٌ فَاطْمَعْتُ فِي الْوَلَدِ بِهَذَا الْكَلَامِ»، مع أن المروى عن ابن عباس فى تفسير الايه نقض صريح لقول ابن العربى.

ص: ٢٤٧

فقد روى فى مجمع البيان وغيره إنّ أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليقتلوه فمنعتهم، و قالت لفرعون: قرّه عين لى و لك لا تقتلوه، قال فرعون: قرّه عين لك، فأما لى فلا، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: و الذى يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قرّه عين كما أقرت امرأته لهدها به كما هداها، و لكنّه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه.

الثانى إنّ كفر فرعون محقق و إيمانه لم يقم عليه دليل بل الدليل إنّما قام على عدمه، و ذلك لأنّه إنّما آمن حيث لم ينفعه الايمان لكونه ايمان إلجاء لا- يستحقّ به الثواب و لا- ينجيه من العقاب لوقوعه حال الغرق و عند الاياس من الحياه و اليقين بالهلاك كما يشهد به قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، فأنكره عزّ و جلّ عليه و قال:

«الآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»، أى أ تؤمن الان حين لا ينفع الايمان و لا يقبل، لأنّه حال الالجاء و قد عصيت بترك الايمان فى حال ينفعك فهلا آمنت قبل ذلك، فلو كان ايمانه صحيحا مقبولا لما استحقّ التوبيخ و التقرير و الانكار.

و يشهد بذلك صريحا أى بعدم منفعة الايمان فى تلك الحال قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ حُدَّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ».

روى فى الصّيافى من العيون عن الرضا عليه السّلام أنّه سئل لأىّ علّه غرق الله فرعون و قد آمن به و أقر بتوحيده؟ قال عليه السّلام: لأنّه آمن عند رؤيه البأس، و الايمان عند رؤيه البأس غير مقبول، و ذلك حكم الله تعالى ذكره فى السلف و الخلف قال الله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا»، الايتين.

و فيه من الكافى قدّم إلى المتوكّل رجل نصرانى فجر بامرأه مسلمه فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم، فقيل: قد هدم ايمانه شرکه و فعله، و قيل: يضرب ثلاثه حدود، و قيل غير ذلك، فأرسل المتوكّل إلى الهادى عليه السّلام و سأله عن ذلك، فكتب عليه السّلام: يضرب حتّى يموت، فأنكروا ذلك و قالوا: هذا شىء لم ينطق به كتاب و لم

تجىء به سنّه، فسألوه ثانيا البيان فكتب هاتين الايتين بعد البسملة، فأمر المتوكّل فضرب حتّى مات.

و بهذا الحديث علم أيضا أنّ ايمان الكافر حين القتل ليس بصحيح مطلقا كما قاله القيصرى، و إنّما يصحّ ايمان من اريد قتله لأجل كفره مثل الكافر الحربى فأنّه لو آمن حين القتل قبل ايمانه و يدرء عنه القتل بسبب الايمان.

الثالث أنّ قوله: حتّى لا يئأس أحد من رحمه الله فأنّه لا يئأس أحد من رحمه الله إلّا القوم الكافرون، فيه إنّ الفرعون داخل فى المستثنى أعنى الكافرون الايسين، لا فى المستثنى منه كما يدلّ عليه صريح قوله تعالى: «فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فأنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَ أَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ»، أى أردفناهم لعنه بعد لعنه و هى البعد عن الرّحمه و الخيرات.

و بالجملة رحمه الله سبحانه قريب من المحسنين دون الكافرين، و هو سبحانه أرحم الرّاحمين فى موضع العفو و الرّحمه، و أشدّ المعاقبين فى موضع النّكال و النّقمه، و أعظم المتجبرين فى موضع الكبرياء و العظمه.

الرابع أنّ قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ نُنجِيكَ بِبَدْنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً»، ليس المراد بالنّجاه فيه النّجاه من العذاب كما زعمه القيصرى، و لا- من كونه آيه أنّه آيه عنايته كما توهمه ابن العربى، بل معناه نلقيك على نجوه من الأرض و هى المكان المرتفع ليراك بنو إسرائيل لتكون لمن وراءك و هم بنو إسرائيل آيه أى علامه يظهر لهم عبوديتك و مهانتك و أنّ ما كنت تدّعيه من الرّبوبيّه محال و كان فى أنفسهم أنّ فرعون أجلّ شأننا من أن يغرق.

و عن تفسير على بن إبراهيم أنّ موسى أخبر بنى إسرائيل أنّ الله قد أغرق فرعون، فلم يصدّقوه فأمر الله عزّ و جلّ البحر فلفظه به على ساحل البحر حتّى رأوه ميّتا.

و فى الصافى من العيون عن الرّضا عليه السّلام فى حديث غرقه و قد كان فرعون من

قرنه إلى قدمه في الحديد و قد لبسه على بدنه، فلما غرق ألقاه الله تعالى على نجوه على الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامه فيرونه مع تثقله بالحديد على مرتفع من الأرض، و سبيل الثقل أن يرسب و لا يرتفع فكان ذلك آيه و علامه - إلى أن قال - و لئلا يشك أحد في إهلاكه أنهم كانوا قوما اتخذوه رباً فأراهم الله عز و جل إياه جيفه ملقاه بالساحل ليكون لمن خلفه عبره و عظه، هذا.

و العجب من القيصري، فإنه بعد مشاهدته لهذا الخط العظيم كله من ابن العربي لم يرفع يده عن العصبية له و يقول إنه مأمور بهذا القول من جانب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كما أنه مأمور من جانبه بجميع ما يقوله في الفصوص فهو معذور.

أقول: و لقاتل أن يقول له: يا أحمق الرجال و مفتن الجهال أ يأمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بنشر الافك و الضلال؟ أ فهذا من أسرار الرب المتعال؟ أم يأذن بتحريف آيات القرآن و العصبية في حق فرعون و هامان أ هذا من مقتضيات رحمه الرحمن؟ لا. و الله بل هو من امتيات الشيطان، و كيف يسوغ عباده يغوث و يعوق و اللاه و العزى بزعم أن عبادتها عين عباده العلوي الأعلى و إن الحق تعالى فيها تجلى إن هذا الاختلاق و افتراء، و قد نطق الكتاب المبين على رغم ابن العربي ما حى الدين و رغم سائر الصوفيين القائلين بوحده الوجود و بأن عبادته يحصل لعباده كل معبود:

«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ».

أبقى بعد هذا التفكيك الصريح، و البيان الفصيح، و التبيان النصيح ريب في بطلان القول بالوحده و الاتحاد أو معتذر للقائلين به في عتبي رب العباد أم لا؟ فأنى يؤفكون أم أين يصرفون تعالى الله عما يقول الظالمون، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين هذا.

و لنعد إلى ما كنا فيه من مسأله تعذيب الكفار و خلودهم في النار فأقول:

إن ما ذهب إليه ابن العربي من نفيه العذاب في حق قوم عاد و فرعون ذى الأوتاد و سائر الكفار و المشركين مبنى على أصل فاسد أسسه في الفصص الاسماعيلى،

و هو أنّ خلف الوعد من الله غير جازٍ بخلاف خلف الوعد قال:

«الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الالهيه تطلب الثناء بالذات المحموده فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل التجاوز فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله و لم يقل و وعيده بل قال و يتجاوز عن سيئاتهم مع أنّه توعد على ذلك فأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد و قد زال الامكان في حقّ الحقّ لما فيه من طلب المرجح».

قال القيصرى: أى قد زال في حقّ الحقّ إمكان وقوع الوعيد إذ لا شك أنّ الحقّ تعالى وعد بالتجاوز فقال: «وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ»، و قال: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً»، و قال: «وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» من السيئات و أمثال ذلك، و وقوع وعده واجب و هو التجاوز و العفو و الغفران، فزال امكان وقوع الوعيد، لأنّ وقوع أحد طرفى الممكن لا يمكن إلاّ بمخرج، و ما ثم ما يطلب الوعيد إلاّ الذنب، و هو يرتفع بالتجاوز فزال سبب وقوع الوعيد و عدم العله موجب لعدم المعلول:

فلم يبق إلاّ صادق الوعد وعده و ما لوعيد الحقّ عين تعين

أى إذا زال سبب الوعيد فلم يبق إلاّ-تحقق وعده وحده، لأنّه صادق فى وعده و ما بقى لوعيد الحقّ عين تعين على البناء للمفعول لزوالها بالمغفره و العفو فى حقّ العصيين، و أمّا فى حق الكافرين و المنافقين لانقلاب عذابهم بنعيم يناسبهم كما قال:

و إن دخلوا دار الشقاء فإنّهم على لذّه فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد و بينهما عند التجلّى تباين

أى مباين لنعيم جنّات الخلد، قوله: فالأمر واحد، إشاره إلى أنّ التجلّى الالهى على السّعداء و الأشقياء ليس إلاّ واحدا. و التباين إنّما يقع بحسب القوابل، و كلّ منها يأخذ بحسب استعدادة و قابليّته كماء واحد نزل من السماء فصار فى موضع سكرا و فى موضع حنظلا.

يسمى عذابا من عذوبه طعمه و ذاك له كالقشر و القشر صائن

أى يسمّى ذلك النعيم الذى لأهل الشقاء عذاباً لعذوبه طعمه بالنسبه إليهم فإنّ العذاب مأخوذ من العذب فى الأصل، و ذاك أى لفظ العذاب له أى للعذب كالقشر و القشر صائن لله من الافات، فلفظ العذاب يصون معناه عن إدراك المحجوبين الغافلين عن حقايق الأشياء، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و محصل ما استدلاً به وجوه:

الأول إنّ الله سبحانه يحمد و يثنى بالعفو و الغفران لا بالتعذيب و الانتقام، و هو طالب للحمد و الثناء، فيجب الصدق فى الوعد بالثواب لا الوعيد بالعقاب.

الثانى إنّ الله تعالى قال: «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ»، و لم يقل و وعيده فالخلف فى الوعيد جازى.

الثالث إنّ الله تعالى قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعِدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ»، فلا بدّ من وقوع التجاوز عن السيئات لأنّه وعد الصدق، و ليس بمخلف وعده.

الرابع أنّه إذا كان التجاوز عن السيئات و الذنوب لازم الوقوع فلا يمكن وقوع الوعيد لأنّ بقاء المعلول من دون علته محال، و قد كانت عله الذنوب ارتفعت بالتجاوز.

أقول: و أنت خبير بأنّ هذا كلّه ممّا نسجه عدوّ الله الشيطان اللعين على لسان وليه عدوّ رسول الله ماحى الدين، إغراء للكفار على الكفر و العدوان، و للعصاة على التمرد و العصيان كما قال تعالى: «و كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ وَ لَتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لَيُرْضَوْنَهُ وَ لَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ» و يبطل ما ذكره كلّ قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»، و قول أمير المؤمنين عليه السلام فى الخطبه المأه و الخماسه و السبعين: ألا- و إنّ الظلم ثلاثه: فظلم لا- يغفر، و ظلم لا يترك، و ظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك

بالله قال الله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»، و أما الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، و أما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا.

فإن هذه الايه و الحديث يخصّان التجاوز عن السيئات فى الايه السابقه بالمؤمنين و بغير مظالم العباد، فيبقى الوعيدات الوارده فى حقّ الكفّار و فى حقوق الناس على حالها لعدم ارتفاع عللها.

و يستفاد هذا التخصيص من صدر الايه السابقه أيضا، فإنّ قوله تعالى:

«نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا»، يدلّ على أنّ المراد بالايه المؤمنون خاصّه، إذ الكافر ليس له عمل صالح حسن مقبول.

و أيضا لو أبقينا التجاوز عن السيئات على عمومه لكان الوعيدات الالهيه كلّها لغوا و عبثا، لاستحاله وقوعها بعد ارتفاع عللها، بل يلزم أن يكون الله سبحانه فى أخباره المتضمّنه للوعيد كاذبا، و من أصدق من الله قيلا، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثمّ إنّ صدور أمثال هذه المقالات من هذه الطائفه و قبول أمثالهم تلك الخيالات منهم صار سببا لغلط أعظم من غلطهم المتقدّم، و هو إثباتهم للمتصلّيين من الكفّار مزيه و فضيله بقدر تصلّبه و إصراره على الكفر و الجهالة حتّى أنّ بعضهم سمّى إبليس رئيس الموحّدين، مثل أحمد الغزالى فقد قال الشارح المعتزلى فى شرح الفصل الثانى عشر من الخطبه الاولى: و كان فى المسلمين مميّن يرمى بالزندقه من ذهب إلى تصويب إبليس فى الامتناع من السجود و يفضّله على آدم عليه السلام و هو بشار بن برد المرغث و من الشعر المنسوب إليه:

النار مشرقه و الأرض مظلمه و النار معبوده مذ كانت النار

و كان أبو الفتوح أحمد بن محمّد الغزالى الواعظ أخو أبى حامد الغزالى الفقيه الشافعى قاصّا لطيفا و واعظا مفوّها، و هو من خراسان من مدينه طوس و قدم إلى بغداد و وعظ بها و سلك فى وعظه مسلكا منكرا، لأنّه كان يتعصّب لابليس و يقول إنه سيّد الموحّدين.

و قال يوما على المنبر: من لم يتعلّم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيّده فأبى.

و لست بضارع إلّا إليكم و أمّا غيركم حاشا و كلّا

و قال مرّه اخرى لمّا قال له موسى عليه السّلام: أرني، فقال: لن، قال: هذا شغلّك تصطفى آدم ثمّ تسوّد وجهه و تخرجه من الجنّه و تدعوني إلى الطور ثمّ تشمت بى الأعداء هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء.

و قال مرّه اخرى و قد ذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أنّ أظافير القضاء إذا حكّت أدمت، و أنّ قسّى القدر إذا رمت أصمّت، ثمّ قال لسان حال آدم عليه السّلام ينشد فى قصّته و قصّه إبليس:

و كنت دليلى فى صعود من الهوى فلمّا توافينا ثبتّ و زلت

و قال مرّه اخرى: التقى موسى و ابليس عند عقبه الطور فقال موسى: يا إبليس لم لم تسجد لادم عليه السّلام؟ فقال: كلّا ما كنت لأسجد لبشر كيف أوخّده ثمّ ألّفت إلى غيره، و لكنّك أنت يا موسى سألت رؤيته ثمّ نظرت إلى الجبل فأنا أصدق منك فى التوحيد.

و كان هذا التّمط من كلامه ينفق على أهل بغداد و صار له بينهم صيت مشهور و اسم كبير و حكى ابن الجوزى فى التّاريخ أنّه قال على المنبر: معاشر المسلمين كنت دائما أدعوكم إلى الله و أنا اليوم أحذّركم منه، و الله ما شدّت الزّنانير إلّا فى حبّه و لا أدّيت الجزية إلّا فى عشقه.

و قال أيضا إنّ رجلا يهوديّاً أدخل عليه ليسلم على يده، فقال له: لا تسلّم فقال له الناس: كيف يمنعهم من الاسلام، فقال: احملوه إلى أبى حامد يعنى أخاه ليعلمه، لا- إلى المنافقين ثمّ قال: ويحكم أظنّون أنّ قوله لا إله إلّا الله منشور ولايته ذا منشور عزله، و هذا نوع يعرفه الصوفيّه بالغلوّ و الشّطح.

و يروى عن أبى يزيد البسطامى منه كثير، فمّمّا يتعلّق بقصّه ابليس ما روه

بعض من مردته عنه من قوله:

فمن آدم في البين و من ابليس لولا كما فتنت الكل و الكل مع الفتنة يهوا كما

انتهى و قال عبد الرزاق الكاشي في شرح الفصّ النوحى من الفصوص: كلّما كان المدعوّ أصلب في دينه و أشدّ إباء للدّاعى إلى ضدّ مقامه كان أشدّ طاعه و قبولاً لأمر ربّه و حكمه، حتّى أنّ إباء ابليس عن السجود و عصيانه و استكباره بحسب ظاهر الأمر عين سجوده و طاعته و خدمته و تواضع لربه باعتبار الاراده، انتهى.

و نقل بعضهم عن سهل بن عبد الله التستري من مشاهير مشايخهم أنّه رأى إبليس فتكلّم معه و وبّخه على عدم إطاعته في سجده آدم و ابعاد نفسه عن تناول الرّحمه، فقال له إبليس: كيف تبعدنى عن رحمته هلاًّ قرأت في القرآن: «و رَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»؟ و أنا داخل في كلّ شيء فرحمته تسعنى بمقتضى وعده، فافحم الشيخ بذلك فسكت و فارقه ثمّ رجع إلى القرآن فوجد الايه مقيّده بقوله: «فَسَأْ كُتِبَها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ»، فدخلت الحسره عليه بعدم تذكّر هذا القيد حتّى يجيبه و يلزمه به، و كان يتمنى أن يراه مرّه اخرى فاتفق ذلك و استبشر برؤيته فقال له: إنّ الايه التى تمسّكت به مقيّده بقيد، فقرأ تمام الايه و ظنّ أنّه غلب عليه و أفحمه بالحجّه من أجل خروجه بالقيد، فضحك إبليس و نظر إليه نظر تعجّب من عقله و عرفانه و قال له: إنّ ثقتى بعرفانك كانت أكثر من ذلك، قال الشيخ: و كيف؟ قال ابليس اللّعين: إنّى كنت معتقدا بمعرفتك بأنّه ليس في طرف الحقّ قيد بل هناك الاطلاق كلّ و إنّما التقييد من جهتك فتبين لى خلاف اعتقادى فى حقّك، فاعترف الشيخ بغلظه و اعتذر منه لما رأى أنّه يتكلّم على اصطلاحهم و يستعمل الألفاظ الدائره بينهم و علم أنّه أعرف بمقاصدهم و مطالبهم منه.

و نقل عن المتصوّف الجامى فى بعض حواشيه على كتاب نقد النصوص فى شرح نقش الفصوص نقل هذه القصّه بوجه إجمالى.

قال: إنّ سهلاً التستري رأى إبليس فقال له: هل ترجو رحمه من عند الله؟ قال: نعم لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء، فقال سهل: لكنّه قيدها بقوله: «فَسَأْ كُتِبَها»

«لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ»، الایه فقال ابلیس: مه یا سهل فأنَّ التَّقید صفتک لا صفته، انتهى.

و أعجب من هذه أنَّ الجامی قد نظم فی مبحثه مباحثه بین موسی علیه السَّلام و بین إبلیس من هذا القبیل و هذه منظومته:

پور عمران بدل آن غرقه نور می شد از بهر مناجات بطور

دید در راه سر دوران را قائد لشکر مهجوران را

گفت گز سجده آدم بچه روی تافتی روی رضا راست بگوی

گفت عاشق که بود کامل سیر پیش جانان نبرد سجده غیر

گفت موسی که بفرموده دوست سر نهد هر که بجان بنده اوست

گفت مقصود از آن گفت و شنود امتحان است محب را نه سجود

گفت موسی که اگر حال اینست لعن و طعن تو چراش آیین است

بر تو چون از غضب سلطانی شد لباس ملکی شیطانی

گفت کاین هر دو صفت عاریتند مانده از ذات بیک ناحیتند

گر بیاید صد از این یا برود حال ذاتم متغیر نشود

ذات من بر صفت خویشتن است عشق او لازمه ذات منست

تا کنون عشق من آمیخته بود در غرضهای من آویخته بود

داشت بخت سیه و روز سفید هر دم دست خوش بیم امید

این دم از کشمکش آن رستم پس زانوی وفا بنشستم

لطف و قهرم همه یکرنگ شده کوه و کاهم همه همسنگ شده

عشق شست از دل من نقش هوس عشق با عشق همی بازم و بس

و ترجمه ما نظمه: إنَّ موسی بن عمران ذهب إلى الطور للمناجاة فرأى له إبلیس اللّعين فی أثناء الطریق فقال علیه السَّلام له: لم أبيت عن السَّجده لادم أجبني صدقا، قال إبلیس: العاشق الکامل فی السَّیر و السلوک لا یسجد غیر معشوقه، فقال علیه السَّلام: نعم و لكن العاشق الصَّادق یطیع معشوقه فی کلِّ ما یأمر و یرید، قال إبلیس:

لم يكن المطلوب بالذات من الأمر إلا الامتحان لا السجود، فقال عليه السلام: لو كان

ص: ٢٥٦

الأمر على ما زعمت لم صرت رجيمًا واستوجبت اللعن والطرده والابعاد ولم انتزعت منك كسوه الملكيه و تلبست بلباس الشيطنة؟ قال إبليس: كل من هذين الوصفين لباس العاريه لا مدخلية لهما في اتحاد الذات والتغير في الصفات بالغه ما بلغت لا يوجب التغير في الذات والذات باقيه بحالها في جميع الصور المتبدله وعشقه لازم لذاتي و كان عشقي غير ممحض و أمرى دائرا بين الخوف والرجا حتى إذ أبيت السجود تمحضت في مقام التوحيد و عبوديه المعبود، فلم يبق فرق بالنسبه إلى بين القهر والرحمه ولا بين الجحيم والجنة.

أقول: الظاهر أنّ راوى هذه المناظره هو نفس إبليس اللعين رواها لأوليائه المتصوفين و أثبت فيه غلبته على موسى عليه السلام و تسليم موسى عليه السلام له كما قال تعالى:

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا»... «وَلِتَضِيغِي إِلَيْهِ أَفِيدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ».

و يظهر من ولعهم بروايته و نظمهم له في أشعارهم ابتهاجهم بتلك المحاجه و امتنانهم من إبليس، لكونه صوفي المذاق، بل يظهر من ذلك أنّ أصل المؤسس لمذهبهم هو إبليس حيث أسس الأصل في مسأله وحده الوجود فأوحى بذلك إلى أوليائه الملحدين فأطاعوه و اتخذوه لهم دينا و جعلوا أنفسهم للشيطان قرينا فساء قرينا، لعن الله الضالين و المضلين و الهادين و المهديين و المرادين و المريرين و عذبهم عذابا أليما.

و منها

قولهم بالجبر

كالأشاعره:

و هو لازم القول بوحده الوجود، فإنّ الخلق إذا كان عين الحق و كان سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و جميع جوارحه على زعمهم حسبما عرفت فيما تقدّم فيكون جميع ما يصدر منه مستندا إليه تعالى كما تقدّم التصريح بذلك

ص: ٢٥٧

فيما حكيناه عن فصوص ابن العربي من الفصّ العيسوي، حيث قال هناك في تأويل قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السّلام: «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ»، لأنّك أنت القائل في صورتى و من قال أمرا فقد علم ما قال، و أنت اللسان الّذى أتكلّم به كما أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم عن ربّه فى الخبر الالهى، فقال: كنت لسانه الّذى يتكلّم به فجعل هويته عين لسان المتكلّم، و نسب الكلام إلى عبده، و قد صرّح بمثل ذلك فى غير موضع من الفصوص، و تكرّر فى كلامه و كلام غيره أن لا فاعل إلّا هو.

و قال شيخهم الشّيخ محمود الشّبستري فى كتاب گلشن راز:

هر آن كس را كه مذهب غير جبر است نبى فرمود كو مانند گبر است

أقول: لَمّا كان مذهب الجبر فسّر الخبر المروى عن النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم و هو قوله صلّى الله عليه وآله و سلّم: القدريّة مجوس هذه الامة، بما فسّر و لا يخفى أنّ الجبريّة يقولون إنّ القدريّة هم المفوّضه لانكارهم قضاء الله و قدره فى أفعال العباد، و المفوّضه يقولون إنّ القدريّة هم الجبريه لقولهم بالقضاء الحتم و القدر اللازم فى أفعال العباد و الذى يستفاد من عدّه أحاديث أنّهم المفوّضه، و يستفاد من بعض الأخبار أنّهم الجبريه، و هو المستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام الذى يأتى ذكره فى شرح أوائل باب الحكم عند شرح قوله و من كلام له عليه السّلام لما سأله سائل: أ كان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله و قدره آه، فإنّا إن ساعدنا التّوفيق انشاء الله نروى هناك من الكافى و غيره عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال بعد إبطال الجبر: تلك مقالته إخوان عبده الأوثان و خصماء الرّحمن و حزب الشيطان و قدريّة هذه الامة و مجوسها.

قال بعض الأفاضل: و الجمع بين الأحاديث يقتضى أن يكون الجبريه و المفوضه كلّهم قدريه و مجوس هذه الامة، و المؤمن المحقّ من قال بالأمر بين الأمرين.

و الحاصل أنّ الصوفيه متّحدون مع الأشاعره فى القول بالجبر إلّا أنّ مشربهم فيه مختلف، فإنّ مسلك كلّ من الطائفتين يخالف مسلك الآخر فى ذلك.

قال السيد حيدر بن عليّ العبيدي الحسيني و هو من صوفيه الشيعة كما في مجالس المؤمنين في محكيّ كلامه من كتابه المسمّى
بجامع الأسرار و من شرحه على الفصوص:

إنّ بعض الناس توهم أنّ الأشاعره الذين نسبوا أفعال العباد حسنا و قبحا إلى الله و القائلين بأنه لا فاعل إلاّ هو موافقون في توحيد
الأفعال مع أهل الكشف و الحال، مع أنّ ما قاله الأشاعره خطأ محض، و ذلك لأنهم و إن كان بحسب ظاهر كلامهم و عبارتهم
يقولون: لا- فاعل إلاّ- هو، كما يقوله أهل الكشف و لكن بحسب الباطن و المعنى بينهما بون بعيد، لأنّ الأشاعره مختفيه في
الظلمات محجوبه بالحجاب مشركه بالشرك الخفيّ، لأنهم لم يخلصوا بعد من رؤيه الغير، و لم يصلوا إلى مرتبه التوحيد
الوجودي الذي هو مشاهده وجود الحقّ من دون ملاحظه وجود الغير، و أما أهل الكشف و الحال فانهم قد تكلموا بهذا الكلام و
قالوا هذا القول بعد الفناء في الحقّ و الفراغ عن رؤيه الخلق قال شاعرهم:

قومي نه ز ظاهر نه ز باطن آگاه و آنکه ز جهالت بضالت گمراه

مستغرق شر کند حقيقت گویند لا فاعل أصلا أبدا غير الله

هذا و أنت بعد ما عرفت بطلان القول بوحده الوجود من أصله تعرف بطلان القول بالجبر الذي يقوله الصوفيه، لكون هذه
المسأله من فروع تلك المسأله، و مثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

و أما بطلانه على ما يقوله الأشاعره فستعرفه بما لا مزيد عليه إنشاء الله تعالى في باب المختار من الحكم إن ساعدنا التوفيق و
المجال، و وفقنا الله العزيز المتعال و الله هو الموفق و المعين على كلّ حال.

و منها

اعتقادهم بأنّ السالك إذا عبد الله و بلغ إلى مرتبه الوصول و اليقين سقطت

عنه العبادات

و لا يبقى له حاجه إليها لقوله تعالى: «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»،

ص: ٢٥٩

و اليقين عندهم هو العلم و العرفان و عند أهل البيت عليهم السّلام اليقين هو الموت و يشهد بأنّ اعتقادهم ذلك ما قاله علامه الحليّ قدّس الله روحه في كتاب نهج الحقّ حيث قال:

شاهدت جماعه من الصوفيه في حضره مولينا الحسين عليه السّلام و قد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالسا و لم يصلّ، ثم صلّوا بعد ساعه العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك ذلك الشخص لصلاته فقال: و ما حاجته هذا إلى الصلاه و قد وصل أ يجوز أن يجعل بينه و بين الله حاجبا، فقلت: لا فقال: الصلاه حاجب بين العبد و الربّ.

قال «قد»: فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء و عقايدهم في الله تعالى كما تقدّم و عبادتهم كما سبق و اعتذارهم في ترك الصلاه كما مرّ، و مع هذا فانهم عندهم الأبدال، فهؤلاء اسم أجهل الجهال، انتهى كلامه رفع مقامه.

و روى بعض أصحابنا عن ابن أبي جمهور الاحسائي في كتابه الموسوم: مجلى مرآه المنجى قال: قال في أواسط الكتاب المذكور:

من هذا التقرير علم أنّ التكليف البدني لا- يتم بدون التكليف العقلي، و أنه متى خلا- منه كان غير صحيح فالتوجّه و الاقبال و دوام الفكر شرط في صحه العباده البدنيه، و لا يكفي حصولها من البدن من دون ذلك التوجّه و الاقبال المستلزمين لدوام الفكر و الحضور المعنوي عند المعبود على ما تحقّق عند أهل هذه الطريقه ردّا على أهل الظاهر.

و علم أيضا أنّ التوجّه و الاقبال و الحضور المعنوي من دون الأعمال الصّوريه الظّاهره بالقوى البدني غير كاف، و لا مخرج من عهده التّكليف العقلي، خلافا للاباحيه القائلين بأنّ العارف الواصل لا يحتاج إلى هذه الصّوره الظاهره لانقطاعه عنها و وصوله إلى ما ورائها، فتكون حاجبه له، و هو عند التحقيق و أهل الله من الأوهام الشّيطانيه، فإنّ ملاحظه الصّور كما لا يتم بدون المعاني كذا لا يتم المعاني بدون الصّور، و الأعمال مظاهر هذه المعاني، فلا يتم حصولها بدون مظاهرها،

و المقصود من الوصول ترك ملاحظه العمل لا ترك العمل فتدبره فأنه به تمّ هذا الموضع، و ما أحسنه من سرّ لا يطلع عليه إلا بفكره صادقه.

و به ينحلّ ما يرد من الشكوك من جماعه الاباحيه كما قد وقع لى مع بعض الاباحيه من المباحثه فأجبت به هذا الجواب فانقطع.
و ذلك أنه قد ذكر لى و أنا يومئذ مقيم بأرض نجد ببلاد يقال لها الدرعيه إنّ فى جبل بها رجلا منقطعا عن الناس معتزلا بنفسه عن مخالطه أحد من بنى نوعه و أنه فى الأصل رجل من أهل اليمن ورد غريبا و انقطع إلى هذا الجبل.
فجئت إلى موضعه و سلّمت عليه فردّ السّلام فرأيت رجلا نبیلا حسن المنطق عليه أثر الصلاح، فحدثته فى فنون العلم فرأيت له ذوقا جيّدا.

فقلت له: ما أحسن ما أنت فيه من هذا الانقطاع إلا أنّى سمعت أنّك لا تصلّى الصّلاه الشرعيه بالصّوره الظاهره التى جاء بها الشرع المحمّدى، أفلمست على ملّته؟ فقال: بلى و لكن ما أعمل بهذه الصّوره الظاهره أنّها حجاب للواصل مرتبه الحضور المنقطع عن هذه الصّور المشاهد الحقّانى الذى لم يفارق باب الملك، أو لا تعلم أنّ الصّلاه مشتقّه من الصّيله و بها يتوصّل المحجوب بالصّور إذ لاحظ بها القرب المعنوى؟ قلت: بلى فقال: فما احتياج الواصل إلى ما به يتوصّل إنّ قد استغنى بالوصول عن الموصول و ما يعمل الحاجّ بالراحله إذا وصل إلى مكّه و تمّ نسكه و قصده المجاوره فأنه حينئذ لغنى عنها فقلت: و أنت من أهل الوصول و الاتصال بحضره ذى الجلال؟ فقال: نعم.

فقلت: على تقدير تسليم وصولك فهل وصولك أتمّ من وصول نبيك محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ و هل اتّصالك أعلى من اتّصاله؟

فقال: حاشا و كلاً- بل الواصل الحقيقي هو لا- غيره و به يتصل الكلّ و جميع الخاصّه و خاصّه الخاصّه عنه أخذوا مراتبهم و مقاماتهم فى النشاطين.

فقلت: فكيف هو مع ذلك الوصول التام و الاتصال الكامل لم يترك هذه الصور الظاهره و لا العبادات الشرعيه، بل كان دايماً المواظبه عليها شديد العناية بها.

فقال: إنه صلى الله عليه و آله و سلم وصل و ردّ و أنا وصلت و ما رددت.

فعجبت من كلامه و فهمت منه ظاهره و خفى علىّ فى بادى الحال باطنه، فقلت: إذا يلزمك أن تكون أفضل منه إذ لا يشكّ كل عاقل أنّ غير المردود أفضل من المردود.

فضحك عن تهافت فهمى عن إدراك ما أراد من معنى الردّ.

فقال لى: و هذا منك ضمّ جهل إلى جهل.

فقلت له: أبن لى عن مقصودك و افهمنى مرادك لأقوم لك بالعدر.

فقال: إنه ردّ إلى تكميل الخلق و ايصالهم إلى بارئهم و منشئهم على الطريقه المرضيه لما علم الله فيه من القوّه المملكه و النفس القدسيه البالغه فى حدّ الكمال إلى مرتبه قدره على التكميل و الارشاد لهذا الخلق و الجمع بين الجانبين، فلا يمنعها الاشتغال بتكميل الخلق عن الحضور بين يديه فى أغلب أوقاته و أخذ ما يحتاج إليه الخلق منه، و لا يمنعها الحضور بين يديه و الاشتغال بخدمته عن هدايه الأنام و تكميلهم لما فيه من القوّه الجامعه بين الأمرين، و أنا المسكين لما لم أكن فى هذه المرتبه بل و لا قريباً من بعض البعض منها لم أكن من أهل الردّ و لا من المستحقين له، بل شأنى و منتهى ما تقتضيه قوّتى لزوم باب الملك و الحضور بين يديه و التلقى لنفحات و ارداته، فأنا فى مرتبه قولهم: لو نطق العارف هلك، فهذا معنى قولى: إنه صلى الله عليه و آله و سلم وصل و ردّ و أنا وصلت و ما رددت، لا كما ذهب إليه وهمك الردى و فهمك القاصر.

ثمّ قال: فاذا علمت أنه صلى الله عليه و آله و سلم من المردودين لتكميل الخلق و ايصالهم إليه بطريق الشريعه و الطريقه و الحقيقه على مراتبهم لم يحسن منه بل و لم يجز له ترك

الصورة الظاهره و لا- رفض الأعمال البدنيه لأنه المقتدى به و المتبوع اثره فصلاته و عباداته لا للتوصل و التقرب بها، لأنه فى الحقيقه و اصل قريب بل هو الأقرب الذى ليس وراء قربه قرب و لا بعد وصوله وصول، بل لتقتدى به العامه و يتوصل باثاره و أطواره الخاصه، و أما أنا فلا حاجه لى إلى هذه الصورة لانقطاعى عنها بمشاهده الحقائق.

فسحرنى بكلامه و بهر عقلى بزخارف تقريراته حتى غلب على الوهم أنه محقّ أو قريب من التحقيق، ثم أيدنى الله بمنه فرجعت إلى نفسى و ثاب إلى عقلى و قلت له فى الحال بلا إمهال: ليس بالوصول ينقطع العمل، و لا لأجله يترك الأوامر الشرعيه، فإنّ ذلك وهم شيطانيّ مهلك، و خيال إبليسيّ مرد، بل الوصول عند أهل الوصول ترك ملاحظه العمل لا ترك العمل.

فسكت و انقطع عن الجواب و بقى ساعه متفكرا ثم قال: يا هذا قد أشغلتنى عما أنا فيه فلا تكثر على الكلام و لا تعاودنى بشيء من الخطاب. فقم عنيّ عجلا و دعنى و شغلى فما انقطعت فى هذه المفازة إلاّ خوفا من أمثالك.

فخرجت عنه و انقطعت حجّته و بان عجزه و علمت أنّ الوهم المردى هو الذى أهلكه، فعلم أنّ انقطاع حجج الاباحيه إنّما يكون بملاحظه هذا السرّ فلا تغفل عن تدبّره، انتهى.

أقول يا أهل البصيره و البصر و اولى الاربه و الفكر انظروا بنظر الدقه و العبر إلى عقيدته هذا الصوفى الذى عن الخلق اعتزل، و بزعمه إلى مقام الزلفى وصل، و الحال أنّه تاه و ضلّ، و هو بمعزل عن الحقّ عزّ و جلّ، فليكشفك من العيان السّماع، و من الغيب الخبر، فقس على اعتقاده عقيدته من مضى منهم و من غبر، تعرف بذلك أنّ من دان بهذه العقيدته كالأنعام، بل أضلّ سبيلا، فلعن الله المتدينّ بها بكره و أصيلا، و عذبهم عذابا أليما و بيلا.

و العجب من ابن أبى الجمهور كيف سلّم لهذا الجاهل هذه التّرهات، و لم يردعه من تلك السقطات، و لم يكفره فى أوّل الأمر و لم يقل إنّ دعواك الوصول

نفخ بغير ضرم، و مشى بلا قدم. كنت تدعى أنك من المسلمين مع أنك من المشركين، و تزعم أنك على ملة سيد المرسلين و أنت فى تلك الدعوى من المبطلين.

لأنّ الواجب على المتدينّ بدين الاسلام، و المستنّ بسنه سيّد الأنام أن يطيع الله و رسوله و أولياء أمره الكرام، فى جميع ما جاء به الكتاب و السنه من التكليف و الأحكام.

و أعظم تلك التكليف الصلاه التى هى عمود الدين، و معراج المؤمنين، و كم من آيه متضمنه لخطاب أقيموا الصلاه، و كآين من روايه قائمه على وجوب إقامتها فى الأوقات الموظفات، بل ضروره الدين قاضيه بعدم جواز تركها فى شىء من الحالات، حتى حاله الاشراف على الموت و الاياس من الحياه، فما هذا شأنها كيف يمكن سقوطها فى حاله الوصول، مع أنّ الوصول بالمعنى الذى تقول غلط غير مقبول.

و بالجملة فاللازم على ابن أبى الجمهور أن يجيب هذا الجاهل السفيه المعتوه بمجرّد اعترافه بأنّه من المسلمين بأنّ وجوب الصلاه فى جميع الحالات من ضروريات الدين، فأى دليل دلّ على سقوطها من الواصلين، بل لما جعلها سيّد المرسلين بمنزله عمود الفسطاط كان تاركها هادما لفسطاط دينه مترديا فى أسفل السافلين.

و لكنّه لما كان صوفى المذاق و لذلك سلك فى كتبه مسلك الملاحده اللّثام و المتصوّفه العوام أصغى إلى طول مقال هذا الجاهل، و أطال فى سؤاله و جوابه بلا طائل، ثمّ أجاب بمصطلحات الصّوفيه على مقتضى مذاقه و سليقته، و لم يجبه بالأصول الشرعيه الممهّده حسبما أجبناه، لأنّ الأرواح جنود مجنّده، و إنّما الفيّل يألف الفيلا.

فو الله العظيم جلّ جلاله إنّ الاباحيه من الصوفيه بل جميع المدّعين للوصول لناكبون عن طريق السداد، و زائغون عن نهج الرشاد، مستحقّون اللعن و الطرد و الابعاد، محجوبون عن حضره ربّ العباد، و من أضلّ الله فما له من هاد،

و لنكتف من ذكر عقايدهم الفاسده بما أوردناه و نعطف عنان القلم إلى ما سواه فأقول و بالله التوفيق:

و أما الافعال و الاعمال

التي انحرفوا فيها عن النهج المقرره فى الشريعة و استبدوا فيها بآرائهم الفاسده و عقولهم السخيفه فأكثر من أن تحصي و لنشر إلى بعضها فأقول:

منها

اعتمادهم على الأحاديث المجهوله و تأويلهم على الأخبار المجهوله

كما يظهر ذلك لمن راجع إلى كتبهم، بل يجوز بعضهم وضع الأحاديث الكاذبه مع ما سمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى الحديث المتفق عليه بين الفريقين: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار حسبما يأتى فى المختار الآتى.

و يشهد بتجويزهم للوضع ما قاله قاضى القضاة أحمد بن على بن حجر العسقلانى القاهرى الشافعى فى شرح رساله كتبها فى علم الدرايه و سماها بنخبه فى مصطلح أهل الأثر بعد ما ذكر بعضا من القران التى يدرك بها الوضع:

و الحامل للوضع على الوضع إما عدم الدين كالزنادقه أو غلبه الجهل كـ بعض المتعبدين، أو فرط العصبية كـ بعض المقلدين، أو اتباع هوى بعض الرؤساء أو الأحزاب بقصد الاشتهار و كل ذلك حرام باجماع من يعتد به.

إلا أن بعض الكراميه و بعض الصوفيه نقل عنهم إباحه الوضع فى الترغيب و التهيب، و هو خطأ من فاعله نشأ من جهل، لأن الترغيب و التهيب من جمله الأحكام الشرعيه و اتفقوا على أن تعمد الكذب على النبى صلى الله عليه و آله و سلم من الكبائر.

و بالغ أبو محمد الجوينى فكفر من تعمد الكذب على النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و اتفقوا على تحريم روايه الموضوع إلا مقرونا ببيانه لقوله صلى الله عليه و آله و سلم: من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين، أخرجه مسلم، انتهى.

و قال السيد نظام الدين أحمد بن إسحاق من كتاب الأربعين المسمى بنظم اللئالى الملاح فى الأحاديث العوالى الصّاح:

لا- فرق فى تحريم الكذب عليه صلى الله عليه وآله وسلم بين ما كان فى الأحكام و فيما لا حكم فيه كالترغيب و التهيب و المواعظ و غير ذلك، فكلّه حرام من أكبر الكبائر و أقبح القبائح باجماع المسلمين الذين يعتدّ بهم.

خلافًا للكراميه المبتدعه فى زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحديث فى الترغيب و التهيب، و تابعهم على هذا كثير من الجهله المنتسبين إلى الزهد، و شبهه زعمهم الباطل أنه جاء فى روايه من كذب على متعمدا ليضلّ به الناس فليتبوّأ مقعده من النار.

و قد أجاب العلماء عنه بأجوبه أحسنها و أخصرها أنّ قوله: ليضلّ به الناس زياده باطله باتّفاق الحفاظ على إبطالها و أنها لا تعرف صحيحه بحال.

الثانى جواب أبى جعفر الطحاوى أنها لو صحّت لكانت للتأكيد كقوله تعالى «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ».

الثالث أنّ اللام فى ليضلّ ليست لام التعليل بل هى لام الصيروره و العاقبه معناه أنّ عاقبه كذبه و مصيره إلى الاضلال كما فى قوله تعالى: «فَالْتَفَتُهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا»، و نظائره فى القرآن و كلام العرب أكثر من أن تحصى و على هذا يكون معناه فقد يصير أمر كذبه إضلالا.

و نقل الجامى فى شرحه على منتخب الفصوص: إنّ سلطان العارفين أبا يزيد البسطامى قال لبعض علماء الرسوم و نقله الأحكام و الاثار و الأخبار: أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت و أخذنا علما من الحيّ الذى لا يموت.

أقول: و هذا تعريض منه على المحدّثين و رواه أحاديث المعصومين عليهم السّلام بل هو تصريح بنقصهم و انحطاط درجتهم سلام الله عليهم.

و نقل مثل ذلك الجزايرى فى الأنوار النعمانيه قال: و قد كان فى زماننا رجل من الصوفيّه يزعم أنّه من علماء الشّيعه و كان يخطب أصحابه يوما فقال و هو على

المنبر: إنني كتبت الاصول الأربعة يعنى الكافى و التهذيب و الاستبصار و الفقيه و قرأتها و صحّحتها و لمّا رأيتها عديم الفائدة بعثتها بدرهم واحد و رميت ذلك الدرهم بالماء، فانظر إلى ايمان هذا الرجل عليه لعنه الله و الملائكة و الناس أجمعين.

فقد علم بذلك أنّ الصّوفيه ستيّا كانت أو شيعة لا جريحه لهم فى أمر الدّين، و لا مبالاه فى ملاحظه مدارك الشّرع المبين، فتاره يجرّون وضع الأحاديث، و تاره يعتمدون على الأخبار المرسله و المجهوله، بل على الموضوعه و المجهوله فى إثبات مطالبهم الفاسده، و ثالثه يستخفون الأخبار المعتره و يستحقرون روايتها و يستهزءون لنقله الأحاديث و الأخبار، و ذلك كلّه لبعدهم عن قوانين الشّريعه، و مع ذلك يزعمون أنّهم وصلوا الحقيقه، و الحال أنّهم لم يعرفوا الشّريعه فضلا عن الطريقه و الحقيقه.

و منها

التزامهم بكون ورودهم و صدورهم فى مقام السير و السلوك بدلاله المرشد

زعمّا منهم أنّه أعرف بطرق السير و متابعتة أسرع فى الايصال و الوصول، و ذكروا فى آداب السالك انه:

يجب أن يكون كامل الاعتقاد فى حقّ الشيخ بحيث لا يرى أكمل منه فى عصره من حيث الارشاد و الترييه و التهذيب و التأديب، إذ لو كان ضعيف الاعتقاد لم يكن له وقع عنده فلا يؤثر فيه أقواله و أفعاله، و كلما كان اعتقاده به أشدّ كان تأثير أقواله و أفعاله فيه أكّد.

و يجب أيضا أن يقوم فى مقام التسليم و الازعان حتى لو رأى منه منكرا لا ينكره و لا يطعن به عليه و يذكر فى ذلك قصه موسى و الخضر عليهما السّلام.

و يجب أيضا أن يسلب عن نفسه بكليّته الاختيار و يكون مطيعا له فى كلّ ما يأمر و ينهى من الأمور الدّنيويّه كالأكل و الشّرب و النّوم و اللّباس و القيام و القعود و الحرّكه و السّكون و غيرها، أو الأمور الدّينيّه حتّى العبادات المندوبه

من الصّوم والافطار والاكثر من النّوافل والاقتصار على الفرائض والذكر والتلاوه والمراقبه وغيرها، فلا يقدم على شىء منها إلا باذنه ولو رأى أنّه يكرهها لا يجوز إقدامه عليها.

و يجب أيضا أن ينتظر و يترصّد ما يصدر عن لسان الشّيخ فيتبعه لكونه واسطه كلام الحقّ إلى غير ذلك ممّا ذكروه فى آداب السّالك و محصّل ذلك كلّه أن يشرب المريد قلبه حبّ الشّيخ و يكون راسخ الاعتقاد فى حقّه و يأخذ معالم دينه عنه، لأنّه صاحب الولاية الجزئيه، و من مجالى الولاية الكليه و للولّى أن يكون نافذ التّصرف فى حقّ المولّى عليه.

و أوّل من أسّس هذا الأصل الفاسد و ادّعى لنفسه الولاية و تلقّاه أتباعه منه بالقبول هو الرّجس الخبيث ابن العربى، فإنّه لكونه ستيّا ضالّا منحرفا عن أولياء الدّين و الحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ادّعى أنّه خاتم الأولياء ثمّ سرى ذلك الوهم الباطل و الغلط الفضيح منه إلى الأعقاب حتّى جهّال الشيعة المتصوّفه فسّموا مرشديهم بالأولياء.

و ينبغى إشباع الكلام فى المقام لأنّه ممّا زلّت فيه أقدام أقوام من العوام فأقول:

زعم ابن العربى ما حى الدّين و هادم أساس الشّرع المبين أنّه خاتم الولاية المحمّديه، وقد أشار إلى ذلك فى مواضع من الفصوص و الفتوحات و لنشر إلى موضع واحد.

قال فى الفصوص فى الفصّ الشّيشى «و لما مثل النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم النّبوه بالحائط من اللّبن و قد كمل سوى موضع لبنة واحده فكان صلّى الله عليه و آله و سلّم تلك اللبنة غير أنّه لا يراها إلاّ كما قال لبنة واحده و أمّا خاتم الأولياء فلا بدّ له من هذه الرّؤيا فيرى ما مثله به رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و يرى فى الحائط موضع لبنتين و اللبتان من ذهب و فضّه فيرى اللبتين اللتين ينقص الحائط عنهما و يكمل الحائط بهما لبنة ذهب و لبنة فضّه فلا بدّ أن يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبتين فيكمل الحائط»

قال القيصرى: أى لَمَّا مثل خاتم الرّسل النّبوّ بالحايط و رأى نفسه تنطبع فيه لا بدّ أن يرى خاتم الولاية نفسه كذلك لما بينهما من المناسبه و الاشتراك فى مقام الولاية.

«و السبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرّسل فى الظاهر و هو» أى كونه تابعا «موضع اللبنة الفضيّه و هو ظاهر و ما يتبعه فيه من الأحكام» أى موضع اللبنة الفضيّه صورته متابعه خاتم الأولياء لخاتم الرّسل عن الأحكام و صورته ما يتبعه فيه و انطباعه موضع اللبنة يكمل المتابعه و لا يبقى بعده متابع آخر كما لا يبقى بعده ولى آخر.

«كما هو آخذ عن الله فى السرّ ما هو بصوره الظاهره متّبع فيه» أى خاتم الولاية تابع للشرع ظاهرا كما أنه آخذ عن الله باطنا لما هو متّبع فيه للصوره الظاهره «لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بدّ أن يراها هكذا» أى لأنه مطلع على ما فى العلم من الأحكام الالهيه و مشاهد له و إلّا لم يكن خاتما «و هو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن» أى كونه رائيا للأمر الالهى على ما هو عليه فى الغيب هو موضع اللبنة الذهبية «فأنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرّسول» و هو الحق تعالى، هذا.

و نقل القيصرى عنه فى شرح هذا الفصل أنّه قال فى فتوحاته:

أنّه رأى حائطا من ذهب و فضّه و قد كمل إلّا موضع لبنتين إحداهما من فضّه و الاخرى من ذهب، فانطبع موضع تلك اللّبتين و قال فيه و أنا لا اشكّ أنّى أنا الرّائى و لا أشكّ أنّى أنا المنطبع موضعهما و بى كمل الحائط، ثم عبّرت الرّؤيا بانختام الولاية بى و ذكرت المنام للمشايخ الذين كنت فى عصرهم و ما قلت من الرّائى فعبروا بما عبّرت به.

و الظاهر ممّا وجدت فى كلامه فى هذا المعنى أنّه خاتم الولاية المقيّده المحمّديه لا الولاية المطلقه التى لرتبته الكلّيه.

و لذلك قال فى أوّل الفتوحات فى المشاهده: فرآنى أى رسول الله و رأى الختم لاشتراك بينى و بينه فى الحكم فقال له السيد هذا عدلك و ابنك و خليلك و العدل هو المساوى.

قال فى الفصل الثالث عشر من أجوبه الامام محمد بن على الترمذى: الختم ختمان ختم الله به الولاية مطلقا، و ختم يختم الله به الولاية المحمديه.

فأما ختم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوه المطلقة فى زمان هذه الامه و قد حيل بينه و بين نبوه التشريع و الرساله فينزل فى آخر الزمان وارثا خاتما لاولي بعده فكان أوّل هذا الأمر نبى و هو آدم عليه السلام و آخره نبى و هو عيسى عليه السلام أعنى نبوه الاختصاص فيكون له حشران حشر معنا و حشر مع الأنبياء و الرسل.

و أما ختم الولاية المحمديه فهو لرجل من العرب أكرمها أصلا و بدءا و هو فى زماننا اليوم موجود عرفت به سنه خمس و تسعين و خمسمائه و رأيت علامه التى قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده و كشفها لى بمدينة فامن حتى رأيت خاتم الولاية منه و هى الولاية الخاصه لا يعلمه كثير من الناس و قد ابتلاه الله بأهل الانكار عليه فيما تحقّق به من الحق فى سرّه.

و كما أنّ الله ختم بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم نبوه التشريع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التى تحصل من الوارث المحمدي لا التى تحصل من ساير الأنبياء فإنّ من الأولياء من يرث إبراهيم و موسى و عيسى و هؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي، هذا ختم الولاية المحمديه و أما ختم الولاية العامه الذى لا يوجد بعده ولي فهو عيسى.

و قال فى الفصل الخامس عشر منها: فانزل فى الدنيا من مقام اختصاصه استحقّ أن يكون لولايته الخاصه ختم يواطى (1) اسمه اسمه صلى الله عليه و آله و سلم و يجوز خلقه و ما هو بالمهدى المسمى المعروف المنتظر فهو ذلك من عترته و سلالة الحسين و الختم ليس من سلالة الحسين و لكن من سلالة أعرافه و أخلاقه و الكلّ إشاره إلى

ص: ٢٧٠

١- (١) يشير إلى نفسه لأن اسمه محمد بن على العربى الاندلسى منه ()

نفسه، انتهى ما نقله القيصري.

فقد علم بذلك كله أنّ هذا الخبيث الملحد قد ادّعى دعوى أعظم من فيه حيث إنّهُ ادّعى تارهُ أنّه خاتم الولاية، و أخرى أنّه عدل النبوة و مساو له صلى الله عليه و آله و سلم في الرتبة، و ثالثه أنّه أفضل من الأنبياء و الرسل لتلقيه الوحي بلا واسطه من الحقّ و تلقى الرسل له بواسطه الملك كما قال في آخر كلامه: فأنّه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسل و هو الحقّ تعالى و لما سمع أصحابه منه هذه الهذيانات سلموا له ذلك لما استحوذ عليهم الشيطان اللعين و أضلّهم عن السبيل و سرى ذلك الفساد و الضلال إلى الأعقاب و إلى أتباع كلّ ناعق من متصوّفه العامه فسّموا مرشدهم بالشيخ و الولي و وصفوهم بالولاية.

ثمّ تعدّى عنهم إلى جهال الخاصه المتصوّفه فاحتذوا حذوهم و اتخذ كلّ سلسله منهم مرشدا مخصوصا و وصفوه بالولاية و فوّضوا عليه زمام امورهم الدنيويّه و الدّينيّه و عنه أخذوا الاذكار المخترعه و الأوراد المبتدعه، و وقّروه و عظّموه و مخرّجوه و زاروه، بل ربما ينقشون صورته المنحوسه في قرطاس أو لوح و يجعلونه في مصلاهم يزورن تلك الصورة و يقبلونها و يضعونها على رؤوسهم في الغدوّ و الرّواح يلتمسون بذلك الخير و البركه و التقرب إلى الله تعالى، زعما منهم أنّ تقربّه موجب لتقربّه عزّ و جلّ كما قال عبده الأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

و لم يدروا أنّ ذلك كله بدعه و ضلاله لكونه مخالفا للأصول الشرعيّه و لقواعد مذهب الاماميه.

و ذلك لأنّ الولاية الكلّيه و السلطنه الالهيه و وجوب الاطاعه بنصّ آيه: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ» و آيه: «أَطِيعُوا اللَّهَ» الايه و غيرها من آيات الكتاب و أحاديث الأئمه الأطياب منحصره في الله سبحانه و في رسوله و اولى الأمر من ذريته أعني الأئمه الهداه و القاده الدّعاه و الساده الولاه سلام الله عليهم أجمعين، فيجب طاعتهم و الرجوع إليهم و أخذ معالم الدّين عنهم في زمان حضورهم.

و أما في زمان الغيبه الكبرى و الطامه العظمى فيجب الرجوع إلى من

أرجعنا أولياء الأمر عليهم السّلام إليه و فرضوا علينا أخذ التكالييف الشرعيه منه و أوجبوا علينا متابعته و طاعته، و هم المجتهدون الجامعون لشرائط الافتاء و القابلون لنيابه الامام فقط.

فلقد قال صاحب الأمر عبّجّل الله فرجه في حقّهم: و أما الحوادث الواقعه فارجعوا فيها إلى رواه أحاديثنا فانهم حجّتي عليكم و أنا حجّج الله.

و قال الصادق عليه السّلام في مقبوله عمر بن حنظله الطويله الوارده في حق المتخاصمين:

ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما فاني قد جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخفّ بحكم الله و علينا ردّ و الرّاد علينا كافر رادّ على الله و هو على حدّ الشرك بالله.

و نحوهما أخبار لا حاجة إليها فبمقتضى هذه الأخبار و ساير الأدلّه التي ذكرها أصحابنا رضى الله عنهم في كتب الاصول لا يجوز التعويل و الاعتماد على غير هؤلاء.

فالصوفيه الذين يتّخذون لهم مرشدا و دليلا و يسمّونه شيخا و وليا و يأخذون آداب السير و السلوك إلى الله منه مع كونه جاهلا ضالّا- عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى مثلهم إنما مثلهم كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، بل مثل من أسّس بنيانه على شفا جرف هارفا نهار به في نار جهنم.

و ذلك لأنهم قد سلكوا الطريق بغير دلاله الدليل الواجب الاتباع و هو المجتهد الجامع لشرائط الافتاء، بل قلّدوا جاهلا لا يعرف الباطل و الحقّ و لا يفرّق بين النعق و النهق، و لئن قلت لهم: أنتم قلّدمتم هذا الجاهل فيستوحشون منه و ينكرون غايه الانكار مع أنّ التقليد ليس عبارته إلّا عن أخذ قول الغير من غير مطالبه الدليل و هذا حالهم مع هذا الضليل.

و قد أشير إلى بطلان مثل هذه المتابعه و التقليد و إلى النهى عنها في آيات

و أخبار كثيره.

مثل ما رواه فى الوسائل عن الكلينى باسناده عن محمد بن عبيد قال: قال لى أبو الحسن عليه السلام: يا محمد أنتم أشد تقليدا أم المرجئه؟ (١) قال: قلت: قلدنا و قلدوا فقال عليه السلام: لم أسألك عن هذا، فلم يكن عندى جواب أكثر من الجواب الأول فقال أبو الحسن عليه السلام: إن المرجئه نصبت رجلا لم تفترض طاعته و قلدوه و أنتم نصبت رجلا و فرضتم طاعته ثم لم تقلدوه فهم أشد منكم تقليدا.

و باسناده عن أبى بصير (٢) عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له: اتخذوا أخبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله، فقال عليه السلام: أما و الله ما دعوهم إلى عباده أنفسهم و لو دعوهم ما أجابوهم و لكن أحلوا لهم حراما و حرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

و باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ و جلّ: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» فقال عليه السلام: و الله ما صاموا لهم و لا صلّوا لهم و لكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا عليهم حلالا فاتّبعوهم.

و باسناده عن عبد الله بن مسكان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اياكم و هؤلاء الرؤساء الذين يتراسون فو الله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك و أهلك.

و باسناده عن أبى حمزه الثمالى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إياك و الرياسه و إياك أن تطاء أعقاب الرجال، قلت: جعلت فداك أما الرياسه فقد عرفتها و أما أن أطاء أعقاب الرجال فما نلت ما فى يدى إلا ممّا وطئت أعقاب الرجال، فقال عليه السلام

ص: ٢٧٣

١- (١) - و فى الأحاديث المرجىء يقول من لم يصل و لم يصم و لم يغتسل من الجنابه و هدم الكعبه و نكح امه فهو على ايمان جبرئيل و ميكائيل قال بعض أهل المعرفه بالملل: المرجئه هم الجبريه سميت مرجئه لانهم يؤخرون أمر الله و يرتكبون الكبائر، و ذكر فى مجمع البحرين له معانى اخر. منه.

٢- (٢) - يعنى المرادى

لى: ليس حيث تذهب اياك أن تنصب رجلا دون الحجة فتصدقته فى كل ما قال.

و فى الوسائل من الاحتجاج فى حديث طويل عن الحسن العسكرى عليه السلام قال: و كذلك عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر و العصبية الشديدة و التكالب على الدنيا و حرامها فمن قلّد مثل هؤلاء فهو مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقه علمائهم، فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لمولاه فللعوام أن يقلّدوه، و ذلك لا يكون إلا- بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإنّ من ركب من القبائح و الفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا و لا كرامه، و إنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنا أهل البيت لذلك لأنّ الفسقة يتحمّلون عنا فيحرّفونه بأسره لجهلهم و يضعون الأشياء على غير وجهها لقلّة معرفتهم، و آخرون يتعمّدون الكذب علينا، إلى غير هذه ممّا لا نطيل بروايتها.

و الحديث الأخير و إن كان فى حقّ العلماء السوء و مقلّديهم إلاّ أنه يشمل كلّ من يأخذ أمر دينه ممن ليس له قابلية لأن يؤخذ منه مثل ذلك إما لجهله أو لفسقه كالصوفية و مشايخهم الفسقة الجهال.

و أى فسق أعظم من تجويز التصفيق و الرقص و الغناء و اختراع الأذكار و الأوراد المبتدعة بكيفيات خاصه و شرايط مقرّره عندهم من حيث العدد و الوقت و الزّمان و المكان و غيرها مما ليس منها فى الكتاب و السنه عين و لا أثر.

ثمّ العجب أنّ أتباع هؤلاء الفسقة يقصدون بالتقرّب إليهم و بتوقيرهم و تمجيدهم و تعظيمهم التقرب إلى الله، و هكذا كانت حال عبده الأصنام كما قال الله تعالى فى وصفهم: «و الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ».

و الضمير فى يختلفون للكفره و مقابلهم أولهم و لمعبودهم، فانهم يرجون شفاعتهم و هم يلعنونهم.

و أعجب من ذلك تبرّكهم بتمثال المرشد و تعظيمهم و تقييلهم و زيارتهم له

وقد قال إبراهيم عليه السلام لعبده الأصنام: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم و آباؤكم في ضلال مبين».

ومنها

الغناء و الرقص و التصفيق

، و هو أعظم عباداتهم يقومون بها في الأوقات الشريفة المخصوصه و قد عاتب الله أهل الجاهليه الكفار بذلك فقال: «و ما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء و تصديه»، أى يقيمون الصغير و التصفيق مكان الصلاه.

قال الصوفيه فى أسباب حصول الجذبه و حاله التى تحصل للمريد يلزم سماع الغنا.

قال الغزالي: اعلم أن السماع أول الأمر و يثمر السماع حاله فى القلب تسمى الوجد و يثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركه غير موزونه فتسمى الاضطراب و إما موزونه فتسمى التصفيق و الرقص.

قال أبو طالب المكي: لم يزل الحجازيون عندنا بمكه يسمعون السماع فى أفضل أيام السنه و هى الأيام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق، و لم يزل أهل المدينه مواظبين كأهل المكه على السماع إلى زماننا، فأدركنا أبا مروان القاضى و له جوار يسمعن الناس التلحين و قد أعدهن للصوفيه.

قال: و قال الجنيد: ينزل الرحمه على هذه الطايفه فى ثلاثه مواضع: عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقه، و عند المذاكره لأنهم لا يتحاورون إلا فى مقامات الصديقين، و عند السماع لأنهم يسمعون بوجد و يشهدون حقا.

قال بعد الاستدلال على حليته بالقياس و الاستحسانات العقلية الفاسده و بالأخبار الموضوعه و بعد تفصيل الموارد التى يتغنى فيها مثل الغناء لتهيج الحجيح و تشويقهم إلى الحج و لتحريض الغزاه على الجهاد و فى أيام السيرور و العيد و نحوها و استقصاها إلى سبعة ما لفظه:

السابع سماع من أحب الله و عشقه و اشتاق إلى لقائه، فلا ينظر إلى شىء

ص: ٢٧٥

إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه، فالسمع في حقه مهيج لشوقه و مؤكد لعشقه و مور زناد قلبه، و مستخرج منه أحوالا- من المكاشفات و الملاحظات لا- يحيط بها الوصف يعرفها من ذاقها و ينكرها من كل حسه عن ذوقها و تسمى تلك الأحوال بلسان الصوفيه و جدا مأخوذ من الوجود و المصادفه أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف و تتابع لها تحرق القلب بنيرانها و تنقيه من الكدورات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مكاشفات و مشاهدات و هى غاية مطالب المحبين لله فالمفضى إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي و المباحات.

ثم ذكر آداب مجلس السماع للغناء إلى أن قال:

الأدب الرابع أن لا يقوم و لا يرفع صوته بالبكاء و هو يقدر على ضبط نفسه و لكن إن رقص و تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المرآه لأن التباكى استجلاب للحزن و الرقص سبب فى تحريك السرور و النشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه إلى أن قال:

و الأدب الخامس موافقه القوم فى القيام إذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء و تكلف أو قام باختيار من غير إظهار و جد و قامت له الجماعه، فلا بد من الموافقه فذلك من آداب الصيحه و كذلك إن جرت عادته طائفه بتنحيه العمامه على موافقه صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافق فى هذه الامور من حسن الصبحه و العشره إذ المخالفه موحشه و لكل قوم رسم و لا- بد من مخالفه الناس بأخلاقهم، و قول القائل: إن ذلك بدعه لم يكن فى الصحابه، فليس كل ما يحكم باباحته منقولا من الصحابه و إنما المحذورات ارتكاب بدعه تراغم سنه مأثوره إلى أن قال:

و من الأدب أن لا- يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه و لا- يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح و المتواجد هو الذى يلوح

للجمع منه أثر التكلف و من يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كان من أرباب القلوب محك للصدق إلى أن قال:

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أنَّ السماع قد يكون حراما محضاً، و قد يكون مباحاً، و قد يكون مكروهاً، و قد يكون مستحجاً.

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان و من غلبت عليهم شهوة الدنيا، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة.

و أما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورته المخلوقين و لكن يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو.

و أما المباح فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن.

و أمّا المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله و لم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة، انتهى ما أهتمنا نقله من لغويات كلامه.

و إنما أطنبنا بنقله تنبيها لك على سوء أعمالهم و أفعالهم و استباحتهم لما ثبت حرمة بالكتاب و السنة بل حكمهم باستحبابه بمقتضا قياساتهم الفاسده و الاستحسانات الساقطة عن درجه الاعتبار، و كفانا مؤنه أدله التحريم ذكر أصحابنا رضوان الله عليهم لها في كتاب المكاسب من الفقه و في كتب الأخلاق و غيرها، و لنعم ما قيل في حق هؤلاء:

أيا جيل التصوف شرّ جيل لقد جئتم بشيء مستحيل

أفى القرآن قال لكم إلهى كلوا مثل البهايم و ارقصوا لى

و إذا عرفت أقوالهم فى جواز التغنى و السماع و الرقص فلنذكر مواظبتهم بأعمالها فى مجالس ذكرهم لأنّ إلحاق ذكر الفعل بالقول و إقران العمل بالعلم أكمل و أبلغ فى إيضاح مذاق هؤلاء الفساق فأقول:

قال هبه الله بن محمد فى شرح الحديث الخامس من رساله المسماه بالأحاديث الخمسين المرويه عن آل يس: سمعت من قطب الأولياء و السالكين ظهير المله و الدين حكاية أبيه الشيخ الربانى نجيب الدين على بن يزعش الفارسى أنّه قد حضر

سماعاً في دار شيخ مشايخ الاسلام شهاب المله و الدين السهروردي و كان الشيخ على أعلى السطح، فلما شرع المطرب القول و الضرب اقتصر الاصحاب على السماع المجرد و هو بلا حركه مبرّد، فصاح الشيخ من فوق و قال يا أصحابي:

السماع بلا كشكش كبستان بلا مشمش.

فتواجد القوم كلّهم و أنشد مطربهم هذا:

أيا جبلى نعمان بالله خلياً نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

فإن الصباريح إذا ما تنسّمت على قلب محزون تجلّت همومها

أجد بردها أو تشف منى حراره على كبد لم يبق إلا صميمها

ألا إن أو دائي بليلى قديمه و أقتل داء العاشقين قديمها

و كان هناك فقير قاعد في الحاشيه عند مواقف الحاشيه إذ اقرء المطرب هذه الأبيات وقع في الاضطراب على أعجب الحالات و تلاّلا منه نور و حرقه بحيث أدهش جماعه الفرقه، فأخذوا في الدّوق و البكاء و الجزع و الغلق إلى آخر المجلس فما أفاقوا.

قال ذلك الفقير: أ تدرون يا صحبي ما معنى جبلى نعمان و أى شىء وقع في خاطرى من المناسبه و ما المراد للفقراء عند إطلاق هذا اللفظ؟ فقال بعضهم الخوف و الأمل، و قال بعضهم: النّفس الحيوانيه و الطبيعيه، و قال: بعضهم الملك و الشيطان، و قال بعضهم: الامّاره و اللّوامه، و هو ما التفت إلى هذه الأجوبه فقالوا قد رضينا بجوابك و سيرك فمرنا بأمرك فقال: ما أقول إلا بحضور الشيخ، فاستحضروا خدمه شيخهم و جلس و قال: أجب لهم يستفيدون منك فقال: إنهما محمّد و إبراهيم صلوات الله عليهما و شرايعهما ما يخليان أن يهب نسيم الزّوج إلى العشاق و قد سدّ طرق الانبساط و الأذواق و وضعاً سلاسل الأحكام على أيدي الخواص و العوام، و رسماً مراتب العبادات و وسماً كلّ شخص بسمه في الدّرجات و الدّركات، فاستحسنه الشيخ و أصحابه، و فتحوا للعيش أبوابه، و اشتغلوا بالسماع إلى الصباح من المصباح، و أمر الشيخ بأنّ السماع عند من له قلب و سمع من أشرف الطاعات بعيداً عن أرباب العادات انتهى.

و هذا المجلس أنموذج ساير مجالسهم و به عرف أنّ الغناء الذى استحّلوه لأجل كونه مهّيجا للوجد و المكاشفات على زعمهم لم يكن مهّيجا له بل منتجاً للأقوال و الأباطيل و الهزل و الهذيان، و محصّياً لإعلان عداوه النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و عداوه خليل الرّحمن، حيث قيّداهم بقيد الشريعة و لم يخلّياهم و أنفسهم كالبهائم المرسله و الانعام المهمله يرتعون ما يشتهون و يعملون ما يشاءون تبعاً لولّيتهم الشيطان، و ذلك لأنّهم فى تحليل الغناء به اقتدوا و من بحرّه استقوا، و على منهاجه جروا.

كما يدلّ عليه ما عن العياشى فى تفسيره عن جابر عن النّبي صلّى الله عليه و آله قال:

كان إبليس أوّل من ناح و أوّل من تغنى و أوّل من حدا، قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لمّا أكل آدم من الشّجره تغنى، فلمّا اهبط حدا به، فلمّا استقرّ على الأرض ناح فاذاكره ما فى الجنّه الحديث، هذا.

و العجب كلّ العجب من متصوّفه الاماميّه أنّهم مع اذعانهم بأئمّه الدّين و اعتقادهم بولايه الحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين قد أخذوا فى مقام العمل مسلك العامّه العميا المنحرفين عن أئمه الهدى و التّاركين للحنيفيّه البيضاء، فاحتذوا حذوهم فى أصل التّصوف و تشييد بنيانه، ثمّ فى الأخذ بفروعه و أغصانه، و أوردوا فى مؤلفاتهم نظماً و نثراً ما هو مفيد لحسن السّماع و الرّقص، مع أنّه خلاف الاجماع و الكتاب و النّص، حسبما تعرفه فى ضمن الأخبار الاتيه إنشاء الله قال بعض أقطابهم:

و حين يسمع ذكر الله سامعهم فى لحن داود عهد الله يذكّر

طوبى لهم يا جبال أوّى معهم و الطير عن ذكره للسمع يبتدر

و حين يسمع الأشعار منصتهم من نظم امجاد أهل الله يبتدر

يتلو بنغمه حسن الصوت مطربهم نظماً بديعا به يصّعد الحجر

كلامهم من جنود الله يأخذ من هو الأسير لدى الدنيا و ينتصر

يكاد يندكّ من ألحانه طرباً شمّ الجبال و منها يخضع الخدر

هم كالمجانين عند الغافلين و هم مسافرون و فى الرّجعى لهم سفر

و روى قطبهم الآخر فى كتابه أنه أنشد بحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعر مشتمل على ذكر الحبيب فطفق صلى الله عليه وآله وسلم يهتزّ و يهرول و يكرّر قول: يا حبيب يا حبيب، فقال معاويه: ما أحسن لعبك يا رسول الله، فقال: مه يا معاويه ليس بكريم من لم يهتزّ بذكر الحبيب.

و لعلّه نقله من كتب العامّه و الأ فليس الاهتزاز و الهرولة و اللعب بسماع الشعر لايقا به صلى الله عليه وآله وسلم و بمنصب النبوه.

و قد روى مثله فى كتب العامّه قالوا: و قد انشد شخص بحضرته:

لست حيه الهوى كبدى فلا طبيب و لا راق

إلا الحبيب الذى كلفت به فانه منيتى و ترياقى

فتمايل عليه و سقط رداؤه من أعلاه فتقاطعه تبركا فوا عجباً من ركون قوم على الافك و الأباطيل، و عكوفهم على ترّهات الأقاويل، و من اعتمادهم فى الاصول و الفروع على الاخبار الموضوعه المجهوله، و إعراضهم عن الصحاح و موثقات المقبوله، و اتّخاذهم ثقات العلماء و المحدثين حرباً، و الأفّاكين من الشياطين حزبا، و من إقبالهم على النوافل و المندوبات، و إدبارهم عن الواجبات و المفروضات، و عنايتهم بالعبادات المبتدعه، و العادات المخترعه، و توقّيهم عن المكروهات، و تقحّمهم فى الشبهات و المحرّمات، إن سألت أحدهم عن أشعارهم الجاهليّه و غزليات الصوفيّه ينسبط و يجيب بلا مهل، و إذا سألت عن حدود الصلاه المفروضه من الأجزاء و الأركان و السهو و الشكّ و الطمأنينه ينقبض و يرتطم ارتطام الحمار فى الوحل، يتركون الأدعيه المأثوره بالاسناد المعتبره، و يداومون بالأذكار الجليّه و الخفيّه المتلقاه من مشايخهم الفجره، و لو قرءوا القرآن فى بعض الأحيان من باب التقيه يتغنّون فى تلاوته بجميع النغمات الموسيقيّه.

فما أشبه حالهم بحال مولا جاريه حكاها الزّمخشرى فى ربيع الأبرار عن أبى العيناء قال: رأيت جاريه فى النّخاس تحلف لا ترجع إلى مولاها فقلت: لم؟ قالت:

يواقعنى من قيام، و يصلّى من قعود، و يشتمنى باعراب، و يلحن فى القرآن،

و يصوم الاثنين و الخميس و يفطر في رمضان، و يصلّي الصّحى و يترك الفجر، هذا.

و أما ما ورد في الأخبار العامية من قوله عليه السّلام: ما أذن الله لشيء كاذنه لنبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم يتغنّى بالقرآن.

فالجواب عنه بعد الغضّ عن سنده ما أجاب به الشّريف الرّضى رضى الله عنه حيث قال في محكّي كلامه من كتابه الموسوم بمجازات الآثار النبوية: و من ذلك قوله عليه السّلام ما أذن الله لشيء كاذنه لنبيّ يتغنّى بالقرآن، و هذا القول مجاز و المراد ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يدوام تلاوه القرآن فيجعله دأبه و ديدنه و هجيرانه و شغله كما يجعل غيره الغناء متروّح حزنه و مستفسح قلبه ليس هناك غناء به على الحقيقة، و هذا كما يقول القائل: قد جعل فلان الصّوم لذّته و الصّلاه طربه إذا أقامهما مقام شغل غيره باللذات و طربه إلى المستحسنات و قد قيل إنّ المراد بذلك تحزين القراء ليكون أشجى للسامع و أخذ بقلب العارف، فسمّى هذه الطريقة غناء على الاتّساع لأنّها يقوّد زَيْنُوا أصواتكم بالقرآن في حديث آخر، و ليس المراد بذلك تلحين القراء و تطريبها، فإنّ الأخبار قد وردت بدمّ هذه الطريقة حتّى ذكر عليه السّلام في أشراف السّاعة امورا عدّدها ثم قال:

و أن يتخذ القرآن مزامير.

و قال بعضهم: معنى يتغنّى بالقرآن إى يذكر القرآن، من قولهم تغنّى فلان بفلان إذا ذكره في شعره إمّا هجوا و إمّا مدحا.

فأما الحديث الاخر و هو قوله صلى الله عليه و آله و سلّم: ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن، فليس المراد به هذا المعنى، و إنّما أراد صلى الله عليه و آله و سلّم ليس منّا من لم يستغن بالقرآن عمّا سواه، و تغنّى ههنا بمعنى استغنى و هو تفعل من الاستغناء لا من الغناء، قال العجاج:

أرى الغوانى قد غنين عنى و قلن لى عليك بالتغنّى

أى استغنين عنى و قلن لى استغن عنا كما استغينا عنك، و هذا عند موت الشّباب و انقضاء الارباب، و يؤكّد ذلك الحديث الاخر و هو قوله عليه السّلام: من قرء

القرآن فرأى أنَّ أحدا أعطى أفضل ممَّا أعطى فقد عَظُم صغيرا و صَغُرَ عظيما، و لو كان المراد بالتغنّي في هذا الخبر ترجيع الصوت بالقرآن لكان من لم يقصد هذه في تلاوته و يعتمدها في صلاته داخلا تحت الدّم و مقارفا للذنب، لأنّه عليه السّلام قال:

ليس منّا من لم يثغنّ بالقرآن، فبان أنَّ المراد به الاستغناء لا الغناء، انتهى كلامه رفع مقامه.

و لبعض الأعلام كلام في المقام ليس فوقه كلام في إيضاح المرام في ابطال ديدن الصوفيّه في مسأله الغناء و كشف سائر سوآتهم و بيان نكته سرايه التّصوف من العامّه إلى الخاصّه، يعجبني نقله تنبيها للمتصوّفه الخاصه من نومه الغفله و الجهاله، و ايقاظا لهم من رقدته الضلاله فأقول:

قال الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد العاملی في محكّي كلامه من كتاب الدّر المنثور من المأثور و غير المأثور عند شرحه الحديث السابع في الغناء نقلا من الكافي ما هذه عبارته:

و من ذلك ما روى عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: اقرءوا القرآن بألحان العرب و أصواتها و إيّاكم و لحون أهل الفسوق و أهل الكباير فإنّه سيجىء من بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء و النّوح و الرّهباتيه لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبه و قلوب من يعجبه شأنهم.

أقول: هذا الحديث يدلّ صريحا على أنّ الغناء يحصل بترجيع القرآن على النحو المتعارف في هذا الزّمان، و يدلّ على تفسير الغناء بالترجيع المطرب و الطرب خفه تصيب الانسان لشده حزن أو سرور كما ذكره أهل اللّغه، و في كون فعلهم كفعل أهل الفسوق و الكباير و عدم جوازه التراقي و قلب قلوبهم و قلوب من يعجبه ذلك ما هو ظاهر لمن عقله كيف لا؟ و هو كلام سيّد البشر صلوات الله و سلامه عليه و آله، و هل سمعت أو رأيت أحدا يقرأ القرآن بالمثاني و الطنبور و الأوتار و نحوها حتّى تخصّ الغناء بمثل ذلك و يسهل طريق سماع ما صار متعارفا شايعا بعد ما ظهر أنّه عناء في غير القرآن أيضا لصدق الغناء عليه بما عرفت، و سنوضحه

فيما بعد و هل لذلك وجه غير إجابته الشيطان و ميل الطبع.

و قد سرى ذلك من صوفيه المخالفين و ملاحدتهم ميلا إلى طريقتهم و اعتقادهم و كراهه لما ورد من طرقنا من النّهي عن مثله.

و قد خصّ المحرّم منه مثل الغزالي و أحزابه بما يستعمل في مجالس الشرب و أهل الفسوق، فقلّده في ذلك من أعجبه و أحسن الظّن به مع إساءه ظنّه بالأئمه عليهم السّلام و علماء شيعتهم، و لم ينظر إلى نصبه و عداوته للأئمه عليهم السّلام و علمائهم، فالغناء إن كان هو الترجيع الذي ذكره علماءنا فهو صادق على مثل ذلك، و إن كان راجعا إلى العرف كما قيل كان صادقا أيضا فإنّا لم نعرف في عرف بلاد العرب إذا سمعوا من ينشد الشعر و غيره على الطريق المعهود إلّا أنّهم يقولون هذا يغنى و هذا مغنّ و قد ذكر الصوفيّه في أسباب حصول الجذبه و حاله التي تحصل للمريد أنّه يلازم سماع الغناء، و تاره يقولون: إنّ من أسبابها سماع الغناء، فهذا اعتراف منهم بأنّ مثل ما يفعلونه و يسمعون غناء، فان قلت بالعرف فقد اعترفوا به، و ان رجعت إلى الترجيع المطرب فكونه كذلك بديهي، و إذا ثبت ما يتحقّق معه الغناء كان حراما على مذهب الاماميّه للأدله الوارده في الكتاب و السنّه و اتّفاق علمائنا.

فظهر أنّ تقسيم الغناء إلى المحرّم و غيره لا يجامع مذهب الاماميّه بوجه، و قد استثنا أهل شرعنا من الغناء الحدى للابل بدليل خاصّ، فليت شعري كون الحدى من الغناء عرفا و ما يدّعى أنّه ليس منه هل هو إلّا من حبّك الشّيء يعمى و يصمّ.

و ما ورد من لفظ الألحان كما في هذا الحديث و فهم المعنى المنهى عنه منه ناش من ضيق الفطن عن معرفه مواقع الألفاظ و مقامات استعمالها، و ذلك لتألف طبيعه أهل الغناء بكون مثل النغمه و الألحان تنصرف إلى المعنى المتعارف بينهم، كما يحمل بعض الحكمه في مثل قوله تعالى: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا»

«كثيراً»، على حكمتهم فيتوهمون أنه قد يفارق الغناء فيكون الحاناً ولا يكون غناءً وإلاً فالألحان والنغمات والأصوات معانٍ متقاربه تختلف معانيها باختلاف مقاماتها فتصدق من الغناء وغيره والكلام في لحن يصدق عليه الغناء أو لا يصدق ومما يثبت من له قلب ما في هذا الحديث من التعبير بالحن العرب ولحن أهل الفسوق.

وبالجملة فميل النفس إلى شيء مع مساعدته الشيطان يزينان للانسان ارتكاب ما لا يحسن ولا يليق، وهذا شأن صاحب كل شيمه ركبت في ذهنه وطبعه وكره النزوع عنها، فإنه يتشبث لاثباتها بمثل هذه التمحلات لئلا يغلب هواه على ما استقرّ عنده و دعاه.

ولو فرض عدم تحقق كون مثل هذا غناءً فاحتماله راجح أو مساوٍ ومن يميل إلى تقوى الله هل اللائق بحاله اجتناب مثله أم لا، كيف وما ذكر سابقاً من الحديث وغيره شاهد عدل على كون مثله غناءً وقد سرى هذا وما هو أعظم منه من معاشره أهل الخلاف ومن ضارعههم ومطالعه كتبهم وعدم تميز الغث منها من السمين والميل إلى طريقتهم لما فيها من التساهل وغير ذلك، نسأل الله الهداية ونعوذ به من الخذلان والاملاء والغواية إنه جواد كريم.

واعلم أنّ هذا الاسم هو التصوّف كان مستعملاً في فرقه من الحكماء الزائغين عن طريق الصواب، ثم من بعدهم كان يستعمل في جماعه من الزنادقة وجماعه من أهل الخلاف بعد حصول الاسلام وكان أعداء آل محمد كالحسن البصري وسفيان الثوري وأبي هاشم الكوفي ونحوهم ومن أعظم رؤسائهم حسين بن منصور الحلاج، وله قصص منقوله في كتب أصحابنا ككتاب الغيبة والاقتصاد للشيخ الطوسي وغيرهما، وأدعى الإلهية ورد التوقيع من صاحب الأمر بلعنه كما في كتاب الاحتجاج وغيره، وصنّف الشيخ المفيد كتاباً في الردّ عليه وعلى متابعيه.

ولم يستعمل هذا الاسم أحد من الإمامية لا في زمن الأئمة عليهم السلام ولا بعد غيبه

ثم لما انتهى الأمر إلى هذا الزمان و ما قاربه طالع بعض الاماميّه كتب الصّوفيّه فمنهم من أعجبه منها ما يليق و لا منافاه له لقواعد الشّريعه فأعجبه ذلك لكن كان متمسّكا بقوانين الشّرع فلم يتجاوز ما هو موافق و لم يلتفت إلى ما سوى ذلك.

ثم سرى الأمر إلى تعلّق بعض بجميع طريقتهم و رأوا أنّ من تبع بعض مسالكهم كان من هذه الفرقة فصار لهم كالمستند في ذلك فانتهدت الحال إلى جعل الرقص و الصّيف و الغناء من العباد، بل صارت أفضلها و أكملها عندهم، و نسوا أو تناسوا ما ورد ممّن ينتسبون إليهم ظاهرا من النّهي عن ذلك، و صار اعتقادهم في النّواصب و الزّنادقه أنّهم على الحقّ فتركوا امور الشّريعه و أظهروا لضعيفي العقول و العوام حسن هذه الطريقه، و موهوا عليهم أشياء يدّعون أنّها من باب الكشف و الكرامات، و استخفّوهم لذلك فأطاعوهم و ساعدتهم على ذلك رفع المشاق التّكاليف الشّريعه و ميل الطبع إلى ما فيه لذّه النّفس حتّى النظر إلى صورته الذّكور الحسنه، و ادّعوا أنّهم تنكشف عليهم الامور من غير واسطه بشر أو غيره، فتبعهم رعاء النّياس و غشاؤهم، و اتّبعوا أنفسهم في الرّياضات المنهيّ عن مثلها في شرعنا لعلّ أذهانهم تصفو بذلك.

و ليت شعري لو حصل من هذا شيء ممّا يدّعون فأى فرق بين المؤمن و الكافر و المسلم و الزّنديق، فأنّه قد شاع و ذاع أنّ كفار الهند و غيرهم لكثرت ما يرتاضون ربّما أخبروا بمثل ما يدّعون بل بما هو أبلغ، و أهل التّسخير و الشّعبده و السّحر ربّما ظهر منهم أشياء فوق ما يدّعيه هؤلاء من غير صحه لمن تفحص و تحقّق ذلك.

و أهل الكرامات و المعجزات هم الذين كانت تظهر لهم هذه الامور من غير الرياضه و لم يكونوا من أهل التّسخير و الشّعبده و السّحر و نحو ذلك، و أهل التّقوى الذين هم محلّ لأن تظهر منهم الكرامات لم يدّعوا و لا ادّعى لهم شيء من ذلك، و كانت

تريدهم الدّنيا فيفترّون منها فرارك من الاسد.

و ترى هؤلاء يضيّعون العمر فيما يلبسونه لغايه انقياد العوام إليهم ليلبغ ذلك الأكابر و الحكام و يشيع خبرهم فيصلون بهم و بخدمتهم و يجعلون ذلك وسيله إلى التقرب إليهم و جلبا لقلوبهم و سببا إلى التردّد إليهم، و مع ذلك يتوقّعون منهم و يأخذون منهم الأموال و ربّما تعزّز بعضهم بعدم قبول اليسير شركا لوقوع الكثير أو حبّا لثبات الجاه و بقاء الميل إليهم.

و لو كان تركهم الدّنيا لله و للاخره لم يكن شيء من ذلك و لعملوا:

بقول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا يستكمل العبد الايمان حتّى يكون قلبه الشيء أحب إليه من كثرته و حتى يكون أن لا يعرف أحبّ إليه من أن يعرف.

و بقول الباقر عليه السّلام فى وصيّته لجابر: اغتنم من أهل زمانك خمسا: إن حضرت لم تعرف، و إن غبت لم تفتقد، و إن شهدت لم تشاور، و ان قلت لم يقبل قولك، و إن خطبت لم تزوّج الحديث و هو طويل و هذا و أمثاله هو الزّهد و التقوى كما قيل:

هذى المكارم لا قعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

ثمّ وصل الأمر إلى أن صار التّصوف غير مشروط بالعلم و لو بعلمهم الذى يدّعون، بل بمجرد تغيير اللباس المتعارف عند أكثر النّاس، و تلبس الظاهر بذلك و ترك الباطن إمّا فارغا ممّا ينبغى أو مملوا ممّا يعلمه الله و صار من زهده و صلاحه بطريق الشّريعه ممقوتا عندهم و ما ذاك إلاّ أنّه لو سئل لقال قال رسول الله و قال أمير المؤمنين و غيرهما، و هم يدّعون أنّهم يقولون قال الله من غير واسطه، و قد يقول بعضهم قال الرّسول و لكن بدعوى مشافهته له و ان كان بينهما ألف سنه فما زاد فليلبس أنّه رآه فى صوره المثل و كذلك الأئمه عليهم السّلام و أنّهم يسألونهم عن كلّ ما يريدون و نحو ذلك من الخرافات التى لا تقبلها عقول المجانين.

نعم لا يبعد أنّ الشّياطين تتراى لهم فى صور مختلفه أو أنّه يحصل لهم خبط و تغير مزاج بحيث يرون ما يوهم مثل ما يدّعون و قد ينضمّ إلى ذلك استعمال بعض المغيّرات للمزاج الباعثه على مثل ذلك

و انى لأعجب مَن يدّعون ذلك على اختلاف مذاهبهم فكلّ يدّعى كشفًا يوافق اعتقاده، فالغزالي مع دعواه الوصول إلى هذه المرتبة انكشف له فضل أبى بكر على على بن أبى طالب عليه السّلام بمراتب كما هو ظاهر على من طالع إحياءه الذى هو إحياء الباطل.

و كما انكشف له عدم جواز سبّ يزيد لعنه الله لأنه رجل مسلم و لو كان قاتلا للحسين عليه السّلام لم يجر ذلك، لأنّ غايه هذا أنّه فعل كبيره و ذلك لا يجوز سبّه.

و انكشف له بطلان مذهب الاماميه بعد أن ترك التدريس و انقطع فى دمشق و مكّه المشرفه نحو عشر سنين ملازما للخلوه فى آخر عمره، فصنف كتابا سمّاه المنقذ من الضلال، يتضمّن الرد على من يدّعى العصمه و ابطال مذاهبهم و سمّاهم أهل التعليم، و ضرب لهم مثلا- بأخذهم عن المعصوم بمن تلوث بجميع النجاسات ثمّ طلب ماء يتطهر به منها و سعى فى ذلك، فلما انتهى إلى ذلك الماء لم يجده ماء يطهره و يزيل عنه الاخبار فبقى مرتكسا فى النجاسات طول عمره و تكرر منه فى الاحياء و غيره: قالت الزوافض خذلهم الله.

و قال فيه: إنه لو جاء إلينا رافضى و ادّعى أنّ له طلب دم عند أحد قلنا له:

دمك هدر، لأنّ استيفاء مشروط بحضور إمامك فاحضره حتّى يستوفى لك، و مثل ذلك كثير و ما نقلته مضمون كلامه و معناه كان بخاطرى و لم يحضرنى عين ألفاظه و عباراته و إن لم تصدق فعليك بالمراجعة.

و قد صرّح فى كتابه المنقذ أنّه كان يستفيد من الأنبياء و الملائكه مع مشاهدتهم على وجه القطع كلّما يريد.

نعم ينسب إليه كتاب يسمّى سرّ العالمين فيه مقاله (1) يظهر منها ميله إلى الحقّ أو نطقه به ليكون حجّه عليه، فان كان سابقا فقد ضلّ بعده عن الحقّ،

ص: ٢٨٧

١- (١) - و قد تقدّم لك مقاله فى أواخر المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه فليراجع هناك (منه)

و ظاهر المنقذ أنّه كتب في أواخر عمره حتّى أنّ بعضهم ينكر كون سرّ العالمين له أو أنّ مقاله المذكوره تلحقه من غيره، فإنّ بقيه الكتاب ليس فيها شيء من هذا القبيل.

و لو فرض كونه له و أنّه كتبه آخر جميع ما كتب صار يستحقّ بذلك جميع ما يذكر في شأنه، و كان ممّن قد صرفوا أعمارهم في حفظ شريعته النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و خاطروا بأنفسهم حتّى بلغت لذلك أمرهم على غير الحقّ بسبب سلوكهم غير هذا الطريق المظلم الذي لا يستضاء فيه بمصابيح الدّنيا.

و حكى الشّرخ محيى الدّين في فتوحاته: أنّه أسرى به مرارا أظنّها سبعا أو تسعا في كلام طويل يتضمّن صورته الاسراء و ذكر في هذا المقام أو ما يناسبه أنّه رأى أبا بكر الصّدّيق لمّا وصل إلى العرش بعد أن كان يرى في كلّ سماء واحدا من الأنبياء مثل نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم و موسى و عيسى و إبراهيم صلوات الله عليهم، فكانت مرتبته أعلى من مرتبتهم و مساويه لمرتبته تعالى أو مقاربه لها.

و ادّعى في أوّل الفصوص أنّه من إملاء رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أمره له بعين ما كتبه، و سمّى نفسه خاتم الولاية لمنام رآه و غير ذلك له و لغيره مما يتعجب منه.

فيا لله العجب من مكاشفات يظهر منها للناصبي أنّه على الحقّ و للملحد أنّه على الحقّ و لعابد الوثن، أنّه على الحقّ، و للامامى أنّه على الحقّ و كذا غيرهم فما أدرى أىّ حق و أىّ دين هذا؟ و أىّ مكاشفه هذه؟ و ما وجه الجمع و التوفيق في ذلك؟ فلو كانت هذه المكاشفات للغزالي و نحوه حقا كان للامامى أن يعتقد بطلان مذهب الاماميه إن قلّدهم و إن انكشف ذلك له كما انكشف لهم كان أظهر في البطلان.

و من العجب الاعتقاد في مثل هؤلاء و الشّهاده لهم بالتحقيق و التّكفير أجلاء علماء الاماميه بل كلّهم بكنائيات أبلغ من التّصريح كتسميتهم: انا وجدنا، يكون إشاره إلى قوله تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ»، و مثل

«يَا بُنَيَّ اِزْكَبْ مَعَنَا»، أى ولا تكن من الكافرين بعد التشنيع عليهم بالخصوص كالسيد المرتضى و الشيخ المفيد و أمثالهما، و بما يقتضى شمول الجميع باستلزامه ذلك من حيث ثبوت ذلك لكل من خالف طريقته التى اخترعها، و لم يوجد من الاماميه عالم سلك هذا الطريق و حاصل بعضه انه سلك طريقا لا يفضى إلى الاختلاف فى شيء كدعوى الغزالي فى كتابه المنقذ من الضلال و الاختلاف جعله من أسباب التكفير.

و قد جعل الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويل القرآن فى قوله تعالى «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّايسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»، الصوفيه و فى هذا رد على من خصهم بالرسول و الأئمه عليهم السلام كما هو مذكور فى باب من الكافى و غيره مشتمل على أحاديث عنهم عليهم السلام تدل على اختصاصهم بذلك.

و هذا سبيل من يدعى العلم منهم و الكشف بسبب تحصيل هذا العلم و الرياضه فما ظنك بأقوام منهم و هم أكثرهم فى هذا الزمان فأنك لو فتشت عن حالهم و اختبرت حقيقه مقالهم وجدتهم كالبهائم الهائمه لا يعرفون مسأله من دين الله و لا حراما و لا حلالا، و لا يجدون لهم إلى حسن التكلم مجالا، و ترى الناس يقبلون عليهم و يهرعون إليهم و يكادون يسجدون لهم كفعل الكفار بأصنامهم و مال اعتقادهم فيهم إلى ما قيل فى أبى بكر انه أفضل الصحابه لأمر و قر فى نفسه، و حاش البهايم أن يشبه بها مثل هؤلاء فانها ليست مكلفه و تركت ما كلفت به بل منقادها لما سخرت له مسبحه بحمد ربها منزّهه عن مثل هذه الرذائل.

و لقد شاهدت بعض هؤلاء و تفحصت عمّن لم أره منهم فانكشف إليّ من حالهم ما ليس من باب الكشف الذى يدعونه أو يدعى لهم، و قلّ تعجّبي ممّن يعبد الخشب و الحجر و زاد يقينى فى هوان الدنيا و سوء أحوالها.

و من تأمل أحوال الدنيا و حسنتها قديما و حديثا رأى لهذا نظائر و أشباهها، و ليس من أعطاه الله العقل مع ارسال الرسل و انزال الكتب و الأمر باتباعهم بمعذور فى ترك التأمل و المتابعه و المجاهده، فإنّ كلا ميسر لما خلق له و لا تكليف

و اعلم أنه لما سرت سيره الصوفيه إلى الاماميه كان في أول الأمر من يفرّق بين القشر و اللباب و الذهب و التراب، فكان من يميل إلى طرف من مقالاتهم يختار منه اللباب و يترك القشر إذا كان اللباب حسنا إما مأخوذا من كلام الأنبياء و الأوصياء أو من يحذو حذوهم من العلماء و الأتقياء، فانهم كانوا يدخلون مثل ذلك في كتبهم و مؤلفاتهم ليحسن الظنّ بهم لكونه مثل كلام أمير المؤمنين و نحوه.

ثمّ بعد ذلك يترقّون إلى تأويله تدريجا بما يوافق مطالبهم و يناسب ما ربهم، و كان من يختار و ينتخب ما ذكر بجعله وسيله إلى تطهير النفس و تزكيتها و ابعادها عن الرذائل، و مع ذلك فالمطلب الأسنى عنده و الخلل الحسنى لديه سلوك طريق الشرع و إنفاذ العمر فيه كما يراه من عرف حال مثل جدّى الشهيد الثانى و غيره من علماء الفرقه المحقه.

ثمّ تلاشى الأمر و وصل إلى ارتكاب ما سلكوه و الاعتماد على ما قالوه و لو بسماع بعضه من غير تميز و فرق إلى أن وصل الأمر إلى التنفّر من الشرع و أهله و دخل تحت هذا الاسم و هو الصوفيّه من يسمّى به، و ينتسب إليه فقط، فاقصر المدعى على ذلك و اكتفى المرید به فصار الملحوظ محض الاسم فى الغالب و إلا فلا مشاحه فى التسميه إذا كان المسمّى مبنا على أساس صحيح ثابت.

و هذا من مفسد هذا الاسم المشتمل على ما ذكرناه، و لو بقى ما هو متعارف سابقا من الزهد و الصّلاح و التقوى و الورع و أمثال ذلك و هو الحذى كان شايعا بين أهل الايمان و ورد به القرآن و الأخبار لم يتطرق إليه هذا الغشّ و لم يترتب عليه هذه المفسدات التى ترتبت على لفظ التّصوّف و معناه.

فدخل الغشّ فيهما و التبس على غير المميّز أمرهما بل على المميّز أيضا إذا لم يعمل بعقله و تميزه، و محك الفرق و التميز الميل إلى جانب الشرع و أهله و التّفنر منه و من أهله. و علامه التّفنر منه التّفنر من أهله و ربّما اظهروا التّفنر من أهله متعلّلين بتقصير يدّعون فيه، و هذه خدعه

إبليس، لأنّ التّنفر عن الشرع ليس لهم فيه مصلحة و لا صرفه فأبطنوه و أخروه إلى وقت يمكنهم اظهاره، و تعلّلوا بالقدرح في أهله فلو كان تقصير من حاملي الشرع لا يلزم منه القدرح منه في الشريعة و عدم متابعتها.

و كأن هذا الزّمان الذي ذكره سيّد المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و آله في وصايا طويله لأبي ذرّ رضی الله عنه حيث قال من جملتها:

يا أبا ذرّ يكون في آخر الزّمان قوم يلبسون الصّوف في صيفهم و شتائهم يرون الفضل بذلك لهم على غيرهم اولئك تلعنهم ملائكة السماء و الأرض نقل ذلك ورام ابن أبي فراس و غيره بالسند المذكور في محلّه و هي مشهوره في كتب أصحابنا.

و من مواعظ عيسى عليه السّلام و حكمه من الانجيل و غيره و هي مشهوره مكرّره في كتب أصحابنا أيضا:

بحقّ أقول لكم إنّ شرّ الثّماس لرجل عالم أثر دنياه على علمه فأحبّها و طلبها و جهد عليها حتّى لو استطاع أن يجعل الناس في حيره و ما ذا يغني عن الأعمى سعه نور الشّمس و هو لا يبصرها، و كذلك لا يغني من العالم علمه إذا هو لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشجر و ليس كلّها تنفع و لا يؤكل، و ما أكثر العلماء و ليس كلّهم ينتفع بما علم، و ما أوسع الأرض و ليس كلّها يسكن، و ما أكثر المتكلّمين و ليس كلّ كلامهم يصدق، فاحتفظوا من العلماء الكذّبه الذين عليهم ثياب الصّوف منكسوا رؤوسهم إلى الأرض يزوّرون بها الخطايا، يطرفون من تحت حواجبهم كما ترمق الذّئاب، و قولهم يخالف فعلهم، و هل يجتنى من العوسج العنب؟ و من الحنظل الثّين؟ و كذلك لا- يثمر قول العالم الكاذب إلّا- زورا و ليس كلّ من يقول يصدق، انتهى المنقول من كلامه صلوات الله عليه.

فان قيل: كلام عيسى يدخل تحته كلّ عالم غير عامل و ترى كثيرا من علماء الشرع من هذا القبيل.

قلت: قد ورد في شأن العالم بغير عمل في كلام غير عيسى أيضا من كلام الأنبياء و الأئمّه و الحديث القدسي ما يقصم الظهور كما هو معلوم لمن تتبّع،

و لكن علماء الشرع إن تساهلوا فى العمل و مالوا إلى حبّ الدّنيا و هم الأقلّون قبل هذا الزّمان فإنّهم مع تساهلهم فى العمل طريقهم و اعتقادهم فى العلم غير مستودع و إن كانوا ملومين غير معذورين بالنّسبة إلى العمل.

و هذا بخلاف ترك ما هو طريق العمل فإنّه مع عدم العلم أو مع عدم اعتقاد العلم يكون العمل مبنيًا على غير أساس إن حصل ما يسمّى عملا فى الجملة أو لم يكن عمل، على أنّ ما لا طريق له من العمل لا يستحقّ صدق اسم العمل عليه فالذى يفنى عمره فى مثل ذلك لا أرضا قطع، و لا ظهرا أتى و الأوّل يكون تاركا لأفبح القبيحين و الآخر تابع له و إن كان العلم مقرونا إلى العمل فان أجابه و الّا ارتحل عنه.

و احتجاج أبى عبد الله عليه السّلام على الصّوفيه لمّا دخلوا إليه فيما ينهون عنه من طلب الرّزق بما يتعلّق بسفیان الثورى و غيره مشهور فى الكافى و غيره، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول هذا كلام جيّد فى توضيح المقام و رفع الحجاب عن وجه المرام لكنّه ينبغى أن نفصّل بعض ما أجمله و ننبّه على ما أهمله من خبط الغزالى و ابن العربى و غلطهما، فأقول:

تذييل

أمّا محيى الدين فقد نقلنا فى إبطال القول بوحده الوجود فصلا وافيا من كلامه و أردفناه بالتّنبيه على هفواته و آثامه، و أمّا دعوياه الاسراء به إلى السماء فهو من ثمرات رياضاته و نتایج مجاهداته الّتى حصلت له مرض الخيالات الّتى نشأت منه أمثال تلك الخرافات، و يشهد بصحّه ما ادّعاه رؤيته أبا بكر فى أعلى الطبقات و الأنبياء فى أدناها، كدعوى الثعلب و الشاهد عليه ذنبها.

و أمّا الغزالى فما أشار إليه من أغاليطه و أباطيله و ترّهاته و هذياناته امور

الاول

عدم تجويز اللّعن على يزيد

.

و أنا أتقرب إلى الله و إلى رسوله بلعنهما كليهما و أقول: عليهما لعين الله و الملائكة و الناس أجمعين بما لا مزيد و على من حذا حذوهما من كل كفار عنيد و شيطان مرید.

و تفصيل ما قاله في ذلك العنوان ما ذكره في إحياء العلوم في باب آفات اللسان حيث قال:

الافه الثامنه اللعن و اللعن عباره عن الطرد و الابعاد من الله تعالى، و ذلك غير جائز إلا على ما يتّصف بصفه تبعده من الله تعالى و الصفات المقتضيه ثلاثه:

الكفر، و البدعه، و الفسق. و اللعن في كل واحد منها ثلاث مراتب.

الاولى اللعن بالوصف الأعمّ كقولك: لعنه الله على الكافرين و المبتدعين و الفسقه.

الثانيه اللعن بأوصاف أخصّ منه كقولك: لعنه الله على اليهود و النصارى و المجوس و على القدریه و الخوارج و الروافض.

الثالثه اللعن للشخص المعین، و هذا فيه خطر كقولك: زيد لعنه الله و هو كافر أو فاسق أو مبتدع.

و التفصيل فيه أنّ كل شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك:

فرعون لعنه الله و أبو جهل لعنه الله، لأنّه ثبت أنّ هؤلاء ماتوا على الكفر و عرف ذلك شرعا أمّا شخص بعينه في زماننا كقولك: زيد لعنه الله و هو يهوديّ مثلا فهذا فيه خطر لأنّه ربّما يسلم فيموت مقرّبا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا.

فان قلت: يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم: رحمه الله لكونه مسلما في الحال و إن كان يتصوّر أن يرتدّ.

فاعلم أنّ معنا قولنا: رحمه الله أى ثبتّ الله على الاسلام الذي هو سبب الرّحمه و على الطاعه، و لا- يمكن أن يقال: ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللّعنه، فإنّ هذا سؤال الكفر و هى في نفسه كفر بل الجايز أن يقال: لعنه الله إن مات على الكفر و لا لعنه الله إن مات على الاسلام، و ذلك غيب لا يدري، و المطلق تردّد بين الجهتين.

ففيه خطر.

و إذا عرفت هذا في الكافر ففي زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى إلى أن قال:

فلا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره.

فان قيل: هل يجوز لعنه يزيد لكونه قاتل الحسين أو أمراً به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنه، لأنه لا يجوز نسبه مسلم إلى كبيره من غير تحقيق.

فان قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الامر بقتله لعنه الله قلنا: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبه لعنه الله، لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبه، فإنّ وحشياً قاتل الحمزه قتله و هو كافر ثمّ تاب عن الكفر و القتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن و القتل كبيره و لا- تنتهي إلى رتبته الكفر فاذا لم يقيّد بالتوبه و اطلق كان فيه خطر و ليس في السكوت خطر و هو أولى انتهى كلامه لعنه الله تعالى و خذله و ضاعف في عذابه.

أقول: لما صادف نقل كلام هذا الناصب اللعين في ليله القدر و هي الليله الثالثه و العشرون من شهر الصّيام كما يستفاد من أكثر أخبار الأئمه عليهم السّلام و كان الناس مشغولين وقتئذ في المساجد الجامعه و المشاهد المشرفه بالعبادات و الطاعات، متقربين إليه تعالى بالتلاوه و التّسبيح و التّقدّيس و الدّعوات، مبتهلين متضرّعين إليه عزّ و جلّ في غفران الذّنوب و الزّلاّت، فرأيت اشتغالي بما يلوح من المطاعن على هذا النّاصب الملعون أهمّ و أخرى، و احتسب بذلك الأجر و الزّلفى لديه تعالى و أتقرّب به إلى أئمه الهدى تعصّيّاً لخامس آل العباء سلام الله عليه و عليهم تترى، و أستشفع بهم إلى الله سبحانه أن يثبت ما أكتبه هنا في صحايف حسناتي، و يجعله ممحاه سيّئاتي، و يحشرنى في زمرة موالى و ساداتي إنّه مجيب الدّعوات، و وليّ الخيرات و الحسنات، و هو الغفور الرّحيم و الشّكور الكريم.

فأقول: يتوجّه على هذا النّاصب وجوه من الكلام و ضروب من المثالب و الملام:

الاول أنّ اللعن في اللغه هو الطرد و الابعاد من الله و رحمته، و من الخلق طلب الطرد و الدعاء بالعذاب، فمعنى قولنا: لعن الله الكافرين و الظالمين و المبتدعه

و النَّوَاصِب و منهم الغزالي باعدهم الله من رحمته و ضاعف عليهم العذاب لاستحقاقهم له بما صدر عنهم من الكفر و الظلم و النصب و البدعه، و الكتاب و السنه مشحونه بلعن هؤلاء و قد ثبت الاذن و الترخيص لنا قولاً و فعلاً و تقريراً في لعنهم، و لا فرق فيه بين الأنواع و الأشخاص.

و التفرقه بين النوع و الشخص بتجويزه في الأول دون الثاني كما توهمه الناصب شطط من الكلام و غلط.

أمّا أولاً- فلأنّ احتمال توبه الشخص الكافر و جواز رجوعه إلى الاسلام لا يوجب رفع اليد عن لعنه المترتب على كفره المحقق كسائر الأحكام المترتبة على كفره، لأنّ اليقين لا تنقض إلّا بيقين مثله، و لو كان مجرد الاحتمال كافياً لجاز الصّلاه عليه و دفنه في مقابر المسلمين و تجهيزه و تكفينه مثل سائر المسلمين و ليس فليس.

و أمّا ثانياً فلأنّ معنى لعن أشخاص الكفار طلب العذاب في حقّهم لاستحقاقهم بالفعل له، و تجوز توبتهم لا يمتنع من جواز الدّعاء عليهم، لتبدّل الأحكام بتبدّل الموضوعات، ألا ترى أنّ الله يكره الفاسق و يبغضه حال فسقه و يحبه حال توبته مع أنّه عالم بما يؤل أمره.

و أمّا ثالثاً فلأنّ قوله: معنى قولنا رحمه الله أى ثبتته الله على الاسلام الذى هو سبب الرّحمه و لا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللّعه فيه أنّه لم يفهم معنى الرّحمه و اللّعه إذ ليس معناه طلب التثبيت على الاسلام و الكفر، بل طلب الثواب لمن كان ثابتاً على اسلامه، و طلب العقاب على من كان ثابتاً على كفره.

و أمّا رابعاً فلأنّه لا- فرق بين جواز اللعن على اليهود عموماً و بين جوازه على أشخاصهم، لأنّه إن كان معناه طلب الثبات و الاستمرار على الكفر على ما توهمه فلا- يجوز مطلقاً، و إن كان المراد منه الابعاد عن رحمه الله فالكلّ بعيد منها حاله اليهوديّة الأشخاص و الانواع، و جواز التوبه كما يمكن في حقّ الشخص يمكن

فى حقّ النوع، و القرب و البعد لا يتفاوت فى أحكام الشريعة، و بالجمله النوع ليس إلّا عبارته عن الأشخاص المجتمعه، و التفرقه بينهما سفسطه.

الثانى أنّ قوله: فلا خطر فى السّكوت عن لعن إبليس فضلا عن غيره، يظهر منه أنّ بينه و بين إبليس محابّه و اخوّه لا يرضى بلعنه، و لا غرو فى ذلك لأنّه قائد الضّلال بوسوسته و هذا قائد الضلال بسفسطته، و هو كافر باللّه، و هذا كافر بولايه ولىّ الاله، فلهما اشتراك فى المذهب، و مشاركته فى المذاق و المشرب، و إلّا فلم لا يرضى بلعنه مع أنّ استحقاق الكفّار و الظالمين للعن و الطرد و الابعاد إنّما هو لأجل الكفر و الظلم و هذا الملعون أوّل كافر باللّه كما يدلّ عليه قوله تعالى:

«أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

و أيضا فلنا برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اسوه حسنه، و كلّما جرى على لسانه الشّريف ذكر هذا الملعون أردفه بالطعن و اللعن فيجب لنا اتّباعه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى أقواله و أفعاله، و لو كان السّكوت عن لعنه حسنا لم يتّخذّه صلّى الله عليه و آله و سلّم، سنّه.

مع أنّ التّبرى من أولياء الضلال ظاهرا و باطنا بائى نحو كان واجب، و اللعن من جمله أنحاء التّبرى كالأهانه و الاذلال و التّوهين و السّبّ و الارزاء و نحوها.

الثالث ما قاله فى حقّ يزيد اللّعين ابن اللّعين من أنّه لم يثبت كونه آمرا بقتل الحسين عليه السّلام دليل على جهله بكتب التّواريخ و السّير التى صنفها علماؤهم فضلا عن علمائنا، إذ لم ينكر أحد منهم ذلك و لا خلاف بينهم فى أنّ يزيد ولىّ ابن زياد عليه اللعنه و العذاب على العراقيين لهذا الغرض، و أنّه أنهض العساكر و عبأ الجيوش و الكتائب لقتاله سلام الله عليه و أمره بالقتل أو البيعه فال الأمر إلى ما آل.

و قد قيل لبعض القضاة: كيف يستحقّ يزيد اللعن على قتل الحسين بن عليّ و كان فى الشام و قتل هو بالعراق؟ فأنشد:

سهم أصاب و راميه بذى سلّم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

فاذا ثبت أمره بقتله ثبت وجوب لعنه، لأنَّ فرط محبته رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم للحسين ولأخيه الحسن عليهما السلام ومزيد اختصاصهما به غنى عن البيان، مستغن عن البيّنه والبرهان.

وقوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فيهما: من أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله أصلاه جهنم وساءت مصيرا، رواه المحدثون فأوجب النار في بغضهما فكيف لقتلهما.

وقد روت الخاصه والعامة حتى الغزالي قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فيهما: هما وديعتي في امتي.

وروا أيضا قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم اللهم إني أستودعكما وصالح المؤمنين.

وقوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم أنا من حسين وحسين مني إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى ذكرها.

ويدل ذلك كله على أنه صَلَّى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذي الحسين عليه السلام فضلا عن قتله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم كما في آية التوبة، وفي آية الأحزاب «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» الرابع قوله: لا يجوز نسبة المسلم إلى كبريه من غير تحقيق.

أقول: هذا مسلم ولكن كفر يزيد وظلمه وارتكابه ما لم يرتكبه أحد من الكفار بلغت مبلغ اشتها الشمس في رابعة النهار، لأنَّ زمان ذلك الملعون كان كله ظلما وفتنه، فأنه بعد قتل الحسين عليه السلام وقتل من قتل معه جهز الجيوش إلى ابن الزبير وبعث بها إليه مع عقبه بن مسلم إلى مدينه الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم وهي حرمة الذي حرّمه كما أنّ إبراهيم حرّم مكّه ولعن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم من أحدث في المدينه حدثا فقتل أهلها، وأباح قتلهم ثلاثه أيام يقتل فيها الرجال ويسبي النساء وتنتهب الأموال، ثم سار إلى مكّه فمات في طريق مكّه لعنه الله تعالى فولى يزيد ابن الحصين مكانه، فانتهى إلى مكّه فأباحها وأضرّم النار في أستار الكعبه فاحترقت وأحرق سقفها وسقط جدارها وهي حرم الله الذي حرّمه وعظمه غايه التعظيم وقال في حقّه: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ».

و لم يقدم المشركون مع شركهم و لا أهل الجهالة على جهالتهم على أدنى شيء مما فعل تعظيما له و رعايه لحرمته، و من هذا شأنه فكيف يكون مسلما.

نعم هذا الملعون كأبيه و جدّه معاويه و أبى سفيان الملعونين أظهر الاسلام توسلا به إلى ارابه و أبطن الكفر و قد نقل أنه ذكر عنده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوما فقال الملعون:

تلاعب بالبرية هاشمي بلا وحي أتاه و لا كتاب

و هذا منه قدح قديح في النبوه و سندكر مثله منه في الأشعار الاتيه.

الخامس أنّ قوله: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبه لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبه فيه: أنّ مجرد الاحتمال غير كاف في ارتفاع اللعن و الطعن و الويل و النكال.

و كيف يكون تائبا و قد صدر منه بعد قتله سلام الله عليه ما هو أعظم خزيا من الحركات الشنيعه في حقّ العتره الهاشميه من سبي الحرير و النساء و أمره بأن يسار بهم في سكك الشام على أقتاب بغير وطاء سوق السبايا و الاماء ثم إحضارهم إلى مجلسه مكررا ابتهاجا به و فخرا و سرورا.

و يكشف عن عدم ندمه مضافا إلى هذا وضعه الرأس الشريف بين يديه و تمثله بقول ابن الزبيري:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخرج من وقع الاسل

لأهلوا و استهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لست من حندف إن لم انتقم من بنى أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحي نزل

أفي حقّ من بتلك الأشعار يتمثل يجوز الندم و يحتمل و لنعم ما قال ابن هانى المغربي:

بأسياف ذاك البغي أول سلها أصيب على لا بسيف ابن ملجم

و بالحق قد حقد الجاهليه أنه إلى الان لم يذهب و لم يتصرّم

فلعن الله تعالى على يزيد بن معاويه عدد الحجر و المدر و النبات و الشجر

و على المتعصّيين له من أمثال الغزالي اللعين ذوى الأنفس الخبيثه، و العقول المختله، و العقائد الفاسده، و الهمم الساقطه، و الأديان المدخوله، و الأحلام الطائشه، و الأقوال الواهيه، و القلوب التى لا تهتدى إلى رشاد، و العيون التى لا تنظر إلى سداد، و قد غطى عليها الغين، و فيهم يقال: أعمى القلب و العين، و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخره أعمى و أضلّ سبيلا.

الثانى من اغلاط الغزالي

دعويه أنه يستفيد من الملائكه و الأنبياء و مشاهدته لهم على وجه القطع

كلما يريد.

و على ذلك الغلط جرت سيره الصوفيه فانك ترى كثيرا منهم يستندون ما يافكون إلى الأنبياء و الرسل، و يدعون رؤيتهم إما بالكشف و الشهود، و إما فى المنام، بل ربما يترقى بعضهم و يدعى رؤيه الله تعالى ظاهرا بحسّ البصر، و لا بأس بنقل بعض خرافاتهم.

فأقول: من أعظم مشايخ هذه الفرقة محيى الدين الملحد و الغزالي الناصب و قد نقلنا من كلام الأول فيما سبق كثيرا.

و أعظم مما مرّ كلّ ما نقله أبو الفتح محمّد بن مظفر الدين المعروف بالشيخ المكي فى كتابه المسمى بالجانب الغربى فى حلّ مشكلات ابن العربى قال فى محكى كلامه من خاتمه الكتاب المذكور عند ذكر كراماته.

و منها أنّ الشيخ - يعنى محيى الدين - قال: كان محبوبى يتجسّد لى كما أنّ جبرئيل يكون مجسّدا لرسول الله و أنا لا أقدر على النظر إليه، و كان يتكلّم بى و أنا أسمع كلامه و أفهمه، و كان مشاهدته يمنعنى من الغذاء عدّه أيام، و كلما احضرت المائده كان يقف فى جانب منها و يقول بلسان أسمعته: تأكل و أنت تشاهدنى، و كان ذلك مانعا لى من الطعام، و ما كنت أجد ما كان بى من الجوع و كان النظر إليه عوضا عن الغذاء و الماء، و هكذا كان حالى فى أكثر الأيام لا أذوق فيها شيئا و لا يكون محبوبى غاييا عن نظرى، و كان يقوم لقيامى و يقعد

لقعودى، انتهى.

و هذه منه دعوى مشاهده الرب تعالى و تقدّس بالصورة الجسميه بعين الكشف و لا يبعد أنّ شيطانه تجسّد له ليحكم إغواءه و يشدّد إضلاله حسبما نشير الى تفصيله تحقيقا لإنشاء الله.

و أما رؤيته للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم فقد ادّعا في ديباجه الفصوص حيث قال:

أما بعد فاني رأيت رسول الله في مبشره (١) اريتها في العشر الاخر من المحرم لسنه سبع و عشرين و ستّمأه بمحروسه دمشق و بيده كتاب فقال لى: هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع و الطاعه لله و لرسوله و اولى الأمر منّا (٢).

و ادّعى أيضا رؤيته و رؤيه ساير الأنبياء جميعا في الفصّ الهودى قال هناك:

و اعلم أنه لما اطلعنى الحقّ و أشهدنى أعيان رسله و أنبيائه كلّهم البشريين من آدم إلى محمّد صلوات الله عليهم أجمعين في مشهد (٣) أقمت فيه بقرطبه (٤) سنه ستّ و ثمانين و خمسمائه ما كلّمنى أحد من تلك الطائيفه إلّا هود عليه السّلام فانه أخبرنى بسبب جمعيتهم و رأيته رجلا ضخما فى الرجال حسن الصورة لطيف المحاوره عارفا بالامور كاشفا لها.

قال القيصرى: قيل: كان سبب جمعيتهم إنزاله مقام القطيّه ليكون قطب الأقطاب فى زمانه و كلام هود عليه السّلام بشارته انه خاتم الولايه المحمديه و وارث الأنبياء و المرسلين كما ذكره من نفسه فى مواضع من فتوحاته تصريحاً و تلويحاً.

و أما رؤيه الغزالى للرسول صلى الله عليه و آله و سلّم فقد نقل عن شرح المثنوى انه قال:

إنّ الامام أبا حامد الغزالى المشهور قال لأخيه أحمد الغزالى يوما: نعم الفقيه أنت لو اجتهدت فى الشريعة أكثر من هذا، فقال له الشيخ أحمد: و نعم

ص: ٣٠٠

١- (١) - أى روى مبشره.

٢- (٢) - أى من جنسنا و أهل ديننا، شرح الفصوص

٣- (٣) - أى مقام حصل هذا الشهود فيه، قيصرى.

٤- (٤) - مدينه ببلاد المغرب

العالم أنت لو اهتممت فى الحقيقه أكثر من هذا، فقال الامام: ازمع أنّ لى السّيق فى مضمار الحقيقه، فقال الشّيخ: متاع التّصوّر و الحسبان ليس كثير رواج فى سوق الاسرار، فقال: و ليكن بيننا حكم، فقال الشّيخ: و حكم هذا الطريق رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال الامام: و كيف لنا به صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى نرى مكانه و نسمع بيانه، قال: و لما يجد حظًا من الحقيقه من لم يره حيث أراد و لم يسمع من أسرارهِ و حقايقهِ فاشتعل من أثر هذا الملام نائره الغيره فى باطن الامام.

ثمّ إنّهما جعللا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حكما لأنفسهما و افترقا، حتّى إذا جاء الليل أخذ كلّ منهما طريق تعبده.

فبالغ الامام فى التّضرّع و البكاء و التّوسّل إلى أن سخنت عيناه، فرأى أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم دخل عليه مع رجل من أصحابه و بشّره بشرف المعرفه بهذا الأمر و كان على يديّ ذلك الصحابى طبق من الرّطب، ففتح عن طرف منه و أعطاه من ذلك تميرات، فلما أفاق الامام رأى تلك التّميرات موجوده فى يده على خلاف ساير مناماته، فقام مبتهجا مسرورا إلى حجره أخيه، و جعل يدقّ الباب بقوّته فاذا هو يقول من وراء الباب: لا ينبغى مثل هذا العجب و الدّلال على تميرات معدوده.

فزاد تحيّر الامام من دهشه هذا القول: فلمّا دخل على أخيه فقال: و كيف علمت ما لحقنى من التشريف؟ فقال الشّيخ: و لم يعطك رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما أعطاك حتّى لم يعرضه علىّ سبع مرّات، و إن لم تصدّقنى فى ذلك فقم إلى رفّ الحجره و انظر ما ذا ترى.

فلما قام الامام رأى ذلك الطّبق العذى كان على يديّ الصّحابى هناك و قد نقص من طرف منه بمقدار تلك التّميرات، فعلم أنّ ما بلغه منه أيضا كان من بركات أنفاس الشّيخ.

ثمّ إنّّه أخذ فى طريقه السّير و السّلوک و استكشف أسرار الحقائق إلى أن صار مقتدى أصحاب الطريقه بلا كلام، انتهى.

أقول: هذه القصه إمّا مجعوله من ناقلها، أو من المنامات الشّيطانيه وإلا فكيف يتصوّر من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عنايته و موادّته لمن حادّ الله و رسوله؟ وقد منع الله سبحانه المؤمنين من موادّتهم وقال: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ».

و من أعظم محادّه لله تعالى و لرسوله من النّاصب المتعنّت؟ و قد علمت نصب أبى حامد الغزالي بما لا مزيد عليه و نصب أخيه أحمد يعلم ممّا ذكره القاضي نور الله فى مجالس المؤمنين عند ترجمه أخيه أبى حامد، بل قد علمت سابقا كفره و الحاده حيث حكينا عنه تعصّبه لابليس عليه اللّعنه و تسميته له: بسيد الموحّدين و غير ذلك من ترّهاته.

و كم للصّوفيه من دعوى أمثال تلك المكاشفات و ادّعاء مشاهده النّبى و الأئمه عليهم السّلام إمّا بالرّؤيه أو بالرّؤيا.

و أعظم من ذلك دعوى رؤساء كلّ طبقه و الكملين منهم على زعمهم تجلّى الرّب تقدّس و تعالى فيهم و معاينتهم له سبحانه بالكشف و الشهود، مع أنّ بعضهم مؤمن و بعضهم ملحد و بعضهم شيعى و بعضهم سنّى و الشيعى أيضا بعضهم إمامى و بعضهم غير إمامى، و السنّى بعضهم ناصبى و بعضهم غير ناصبى.

على أنّ كلّاً من هذه الفرق على اختلاف مذاهبهم و لعن بعضهم بعضا و تبرّى بعضهم من بعض مشاربهم فى السير و السلوك و الرّياضات و الأوراد و الأذكار و العبادات المبتدعه أيضا مختلفه.

فبعضهم جلالىّ، و بعضهم خاكسارىّ، و بعضهم نقشبندىّ، و بعضهم طيفورىّ و بعضهم نعمه اللهىّ، و بعضهم ذهبىّ، و بعضهم سفارىّ إلى غير هذه من سلاسلهم الكثيره، و كلّ سلسله يخطىء السلسله الاخرى، فلو كانت هذه المكاشفات التى يدّعيها الكلّ صحيحه صادقه لصحّت مذاهب هذه الفرق كلّها و لم تكن الناجيه

مع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى الحديث الذى رواه الكل: إنّ امه موسى افترقت بعده على احدى و سبعين فرقه فرقه منها ناجيه و سبعون فى النار، و افترقت امه عيسى بعده على اثنتين و سبعين فرقه فرقه منها ناجيه و احدى و سبعون فى النار و أنّ امتى ستفترق بعدى على ثلاث و سبعين فرقه فرقه منها ناجيه و اثنتان و سبعون فى النار.

فعلم بذلك كله أنّ ما يدّعون كله تدليس و تلبيس و تمويه و تخريق و تزويق(١) كسراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده فوقاه حسابه و الله سريع الحساب.

فان قيل: سلّمنا هذا كله و لكن يستبعد جدا اتفاق هؤلاء على كثرتهم على الكذب فى دعوى المعايينه.

قلت: هو كذلك و لكن مرجع تلك الدّعوى إلى أحد أمور:

الاول أنهم بما اعتادوه من تحمل المشاقّ و الرياضات المبتدعه و الجلوس فى بيت مظلم أربعين يوما و التزام ترك الحيوانى و نحو ذلك ربما يحصل لهم خبط و تغير مزاج مضافا إلى شرب بعضهم للبنج و نحوه من الأدوية المسبته، فيوجب ذلك الاختراعات الخياليه فيتوهم المتخيل محسوسا مع أنه لا أصل له كالسراب الذى يراه الناظر من بعد ماء.

و قد أشار الى ذلك النفيسى فى شرح الأسباب حيث قال: و قد يبلغ الفساد فى بعضهم إلى حدّ يظنّ أنه يعلم الغيب و كثيرا ما يخبر بما سيكون قبل كونه، و قد يبلغ الفساد فى بعضهم إلى حدّ يظنّ أنه صار ملكا، و قد يبلغ فى بعضهم إلى أعلا من ذلك فيظنّ أنه الحقّ تعالى عن ذلك، و اكثرهم يرون انهم يلزمون التقوى و حسن السيره بتوحيشهم و انصرافهم عن الناس، و قال بعد شطر من كلامه:

ص: ٣٠٣

١- (١) - موه الشىء طلاه بذهب أو فضه و تحته نحاس أو حديد، و التخريق كثره الكذب و التزويق التحسين و التزيين (منه).

قد عرض هذا المرض لكثير من الفلاسفه كأفلاطون و نظرائه.

و قال الطبرى: قد رأيت جماعه من الأفاضل تفرّدوا بأنفسهم و تركوا الاشتغال بغير العلوم و لزموا مجانبه الناس فاحترقت أخلاطهم و حدث بهم المالىخوليا، منهم الفارابى فانه كان لا يختلط بالناس و يتجنبهم و اذا عاب إنسانا عابه بأنه يجالس العامه و السوقه، فحدث به ضرب من المالىخوليا كان يخرج إلى السوق و يقعد و يهذى بالمنطقيات و يلعب به الصبيان و السوقه، انتهى مجملا.

الثانى أنهم لانحرافهم عن النهج القويم و عدولهم عن الصراط المستقيم و أخذهم بالبدعات و ركوبهم للضلالات، شملهم من الله الخذلان، و ترى لهم الشيطان و تجسّم فى نظرهم و حضر فى مجلسهم و تكلم معهم و خاطبهم، فأسمعهم و تلاطف بهم تثبيتا لما أسيسوه من بنیان الزّیغ و الضلال، و تشييدا لما أقاموه من أركان الوزر و الوبال و قد أشار إلى ذلك الشيخ على سبط الشهيد الثانى قدس الله روحهما فى محكى كلامه من كتابه المسمى بالسهام المارقه من أغراض الزّنادقه حيث قال: نعم لا يبعد أنّ الشّياطين تتراى لهم فى صور مختلفه فرّما يغويهم الشيطان و يقول لهم: أنا امامكم بل أنا إلهكم، و حضور الجنّ و الشّياطين عند أهل الرّياضيات و التسخير و غيرهم شایع مشهور و لا بعد فيه من جهه العقل و التّقل.

و فى الأحاديث تكررت تشكّل الجنّ بأشكال بنى آدم فاستبعاد هذا أو نفيه نفى و استبعاد لكمال قدرته تعالى و ردّ لأحاديث أهل بيت العصمه عليهم السّلام.

قال: و حكى فى بلادنا جماعه عن رجل قريب من هذا العصر أنّ أباه كان يخبر بأخبار البلاد المتباعده و ما يقع بها و يرسل كتابات يصل من مثل الشّام إلى مكّه فى أوقات يسيره يعلم ذلك من تاريخها، و كان الناس يتعجّبون من ذلك و نحوه، فلمّا توفّى الأب أخبر الولد أنّ بعد وفات أبيه جاء شخص بصوره عبد أسود طويل فقال له: أنا كنت خادما لأبيك فى حياته فان أردت أن أكون لك كما كنت لأبيك فعلت

إن تقوم بشرط كان بينى وبينه، و هو أنى شرطت عليه أن يسجد لى دون الله فقبل و فعل، فامتنع الولد من ذلك فانصرف و لم يره بعده نقل جماعه و أظن أن بعضهم حكى أنه أدرك ذلك الولد.

قال «ره» و لا بعد أيضا فى أنه يحصل لهم خبط و تغير مزاج بحيث يرون ما يوههم مثل ما يدعون، و قد ينضم إلى ذلك تناول كثير من التراكيب المغيره للمزاج الباعثه على مثل ذلك و نحوها من المغيرات، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: ما قاله قدس سره من ترائى الشياطين لهم فى صور مختلفه فهو نص الكتاب الكريم و الأخبار الكثيره الداله على ظهورهم و ترائيهم لأولياء الضلال قال سبحانه: «هَلْ أُتْبِئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ» أى تنزل الشياطين على كل كذاب فاجر كثير الاثم.

قال الطبرسى: يلقون السمع معناه أن الشياطين يلقون ما يسمعون به إلى الكهنة و الكذابين و يخلطون به كثيرا من الأكاذيب و يوحونه إليهم.

و فى الصيافى أى الأقاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا و امارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها، انتهى.

و لعمري أن الصوفيه هم أظهر مصاديق هذه الايه، و كذا الايه الاخرى فى سوره الجاثيه و هو قوله تعالى «وَيُلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ يَعْذَابُ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

و من أحاط خبرا بما قدمناه من افك ابن العربى و أباطيله الكثيره كدعويه رؤيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تجلّى الحق فيه و إسرائه الى السماء و تلقّيه الأحكام من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرسل، و ادّعائه أنه خاتم الولايه

و استهزائه بايات الله و تأويله لها على المعانى الباطله و تصحيحه لعباده من دون الله من الأصنام و الأوثان إلى غير ذلك مما قدمناه نقله منه، عرف أنّ ذلك الملحد أظهر أظهر مصاديق تلك الايه.

و أما الاخبار فمنها ما رواه فى الكافى عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام فى حديث طويل قال: ليس من يوم و ليله إلا و جميع الجنّ و الشياطين تزور أئمة الضّلال و يزور امام الهدى عددهم من الملائكة حتّى إذا أتت ليله القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر خلق الله أو قال قيض الله عزّ و جلّ من الشّياطين بعددهم، ثمّ زاروا اولى الضّلاله فأتوه بالافك و الكذب حتّى لعله يصبح فيقول: رأيت كذا و كذا فلو سئل ولى الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطانا اخبرك بكذا و كذا حتّى يفسّر له تفسيراً و يعلمه الضّلاله.

و منها أنّ الحسن البصرى و هو رئيسهم مرّ به أمير المؤمنين بعد حرب الجمل و هو يتوضّأ فقال عليه السّلام: يا حسن اسبغ الوضوء، فقال يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس اناسا يشهدون أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟ فقال: و الله صدّقك يا أمير المؤمنين لقد خرجت فى أوّل يوم فاغتسلت و تحنّطت و صبيت علىّ سلاحى و أنا لا أشكّ فى أنّ التخلّف عن امّ المؤمنين كفر فلما انتهيت إلى موضع من الخربه نادا مناديا حسن إلى أين ارجع فإنّ القاتل و المقتول فى النّار، قال علىّ عليه السّلام: صدقت، أفتدرى من ذلك المنادى؟ قال:

لا، قال عليه السّلام: أخوك ابليس و صدّقك أنّ القاتل و المقتول منهم فى النّار.

و قد مرّ روايه ذلك الحديث بتمامه من الاحتجاج عن ابن عبّاس فى شرح المختار الثالث عشر فليراجع هناك.

و يفهم منه أنّ الشياطين ربّما ينادون أولياءهم و يخاطبونهم من غير أن يظهروا لهم.

و يدل على ذلك ما قدّمنا روايته فى التّذييل الثّانى من شرح الفصل الثّانى

من فصول المختار الماء والحادي والثمانين عن أمير المؤمنين عليه السّلام في قصّه أصحاب الرّس بعد ما ذكر أنّه كانت لهم اثنتى عشره قريه و فى كلّ منها صنوبره يعبدونها.

قال عليه السّلام وقد جعلوا فى كلّ شهر من السّنه فى كلّ قريه عيداً يجتمع اليه أهلها فيضربون على الشّجره الثّى فيها كلّ من حرير فيها أنواع الصّور، ثمّ يأتون بشاه و بقر يذبحونها قرباناً للشّجره و يشعلون فيها النّيران بالحطب، فاذا سطع دخان تلك الذّبايح و قنارها فى الهواء و حال بينهم و بين النّظر إلى السّماء خرّوا سجّداً يبيكون و يتضرّعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشياطين يجرّونهم فيحرّك أغصانها و يصيح من ساقها صياح الصّبى أن قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً فيرفعون رؤوسهم عند ذلك إلى أن قال عليه السّلام: حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم و كبيرهم فضربوا عند الصنوبره و العين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصّور و جعلوا له اثنتى عشر باباً كلّ باب لأهل قريه منهم و يسجدون للصّنوبره خارجاً من السّرادق و يقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشّجره فى قريتهم، فيجرّونهم إلى عيسى عليه السّلام عند ذلك فيحرّك الصّنوبره تحريكاً شديداً و يتكلّم من جوفها كلاماً جهورياً، و يعدّهم و يمنيهم بأكثر ما وعدتهم و متّهم الشياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم عن السجود و لهم من الفرح و النشاط ما لا يفيقون و لا يتكلّمون الحديث، و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و لا حاجة إلى الإطاله.

الثالث تعمّد بعضهم فى الكذب و الافك و ادّعائه ما ليس له أصل أصلاً.

فانهم لانحرافهم عن جادّه الشريعه و ضلالهم عن الحقّ و اضلالهم كثيراً من العوام كالأنعام و الرّعاع الدين يصغون إلى كلّ ناعق بما أظهره من خوارق العادات التى نشير إلى منشئها إنشاء الله، نسبوا إلى أنفسهم ما لا أصل له من رؤيه الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام، تثبيتاً لمتابعيهم المفتتن بهم على ما اعتقدوه فى حقّهم من مقام القطبيه و الولايه.

و نظير ذلك ما نقل من أنّ أبا الطيب المتنبى الشاعر المعروف ادّعى لنفسه النّبوه بحبسه للمطر، فافتتن به كثير من أهل أطراف الشّام.

نقل عن الخطيب التبريزي أنه قال في شرح ديوان أبي الطيب، قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي، قدم المتنبّي اللاذقيّه في سنه يّيف و عشرين و ثلاثمأه، وضوى(١) إلى فأكرّمته و عظّمته لما رأيت من فصاحته و حسن سمته، فلما تمكّن الانس بيني و بينه و خلوت معه في المنزل اغتناما لمشاهدته و اقتباسا من أدبه و أعجبنى ما رأيت، قلت و الله إنك لشابّ خطر تصلح لمنادمه ملك كبير، فقال لى: ويحك أ تدرى ما نقول؟ أنا نبىّ مرسل، فظننت أنه يهزل، ثم ذكرت أنى لم احصل عليه كلمه هزل منذ عرفته، فقلت له: ما تقول؟ فقال: أنا نبىّ مرسل، فقلت له:

مرسل إلى من؟ قال: إلى هذه الامّه الضّالّه المضلّه، فقلت تفعل ما ذا؟ قال:

املئها عدلا كما قد ملئت جورا، فقلت: بماذا؟ قال: بإدراار الأرزاق و الثواب العاجل و الاجل لمن أطاع و أتى، و ضرب الأعناق و قطع الأرزاق لمن عصى و أبى فقلت: إنّ هذا أمر عظيم أخاف منه عليك و عدلته على قوله، فقال بديها:

أيا عبد الاله معاذ أنى خفىّ عنك فى الهيجا مقامى

القطعه، فقلت له: ذكرت أنّك نبىّ مرسل إلى هذه الامّه أفبوحى يوحى إليك؟ قال: نعم قلت: فاتل علىّ شيئا من الوحي إليك، فأتى بكلام ما مرّ بسمعى أحسن منه، فقلت: و كم اوحى عليك من هذا؟ فقال: مائة عبره و أربع عشر عبره، فقلت: و كم العبره؟ فأتى بمقدار أكبر الاى من كتاب الله تعالى، فقلت: ففى كم مدّه اوحى اليك؟ قال: جمله واحده، قلت: فاسمع فى هذه العبرات كلّ طاعه فى السيّماء فما هى قال: حبس المدرار لقطع أرزاق العصاه و الفجار قلت: أتحبس من السماء قطرها؟ قال: أى و الذى فطرها أفما هى معجزه؟ فقلت: بلى و الله، قال: فان حبست ذلك عن مكان تنظر اليه و لا تشكّ فيه هل تؤمن بى و تصدّقنى على ما أتيت به من ربّى؟ قلت: اى و الله، قال: سأفعل فلا تسألنى عن شىء بعدها حتّى آتيك بهذه المعجزه و لا تظهر شيئا من هذا الأمر حتّى يظهر، و انتظرت ما وعدنيه من غير أن أسأله.

فقال لى بعد أيام: أتحبّ أن تنظر الى المعجزه التى جرى ذكرها؟ فقلت:

ص: ٣٠٨

بلى و الله، فقال لى: إذا أرسلت احد العبيد فاركب معه و لا تؤخّر و لا يخرج معك أحد قلت: نعم.

فلما كان بعد أيام تغيّمت السماء فى يوم من أيام الشتاء و إذا عبده قد أقبل فقال: يقول اركب للوعد، فبادرت بالركوب معه و قلت أين ركب مولاك؟ قال:

إلى الصحراء، و لم يخرج معه أحد غيرى و اشتدّ وقع المطر فقال: بادرنا حتّى نستكّنّ معه من هذا المطر فأنّه ينتظرنا بأعلى تلّ لا يصيبه فيه المطر، قلت: و كيف عمل قال: أقبل ينظر إلى السماء أوّل ما بدء السحاب الأسود و هو يتكلّم بما لا أفهم ثمّ أخذ السّوط فأدار به فى موضع ستنظر اليه من التّل و هو يهمهم و المطر ممّا يليه و لا قطره منه عليه.

فبادرت معه حتّى نظرت اليه و اذا هو على تلّ على نصف فرسخ من البلد فأتيته و إذا هو قائم ما عليه من ذلك المطر قطره واحده و قد خضت فى الماء إلى ركبتي الدّابّه و المطر فى أشدّ ما يكون، و نظرت إلى مأتى ذراع فى مثلها من ذلك التّل يابس ما فيه ندى و لا قطره مطر، فسلمت عليه فردّ علىّ فقال لى: أ ترى؟ قلت:

ابسط يدك فانى اشهد أنّك رسول الله، فبسط يده فبايعته ببيعة الاقرار بنبوّته.

ثمّ قال لى: ما قال هذا الخبيث لما دعى بك يعنى عبده فشرحت له ما قال لى فى الطريق لما استخبرته، فقتل العبد و قال و قد جاوز حدّ الاساءه:

أى محلّ ارتقى أى عظيم اتقى.

و كلّ ما قد خلق الله و ما لم يخلق محتقر فى همّتى كشعره فى مفرقى

و أخذت بيعته لأهلى، ثمّ صبح بعد ذلك أنّ البيعه قد عمّت كلّ مدينه بالشّام، و ذلك بأصغر حيله تعلّمها من بعض العرب و هى صدحه المطر يصرفه بها عن أى مكان أحبّ بعد أن يحوى عليه بعضا و ينفث بالصّيدقه الّتى لهم و رأيت لهم كثيرا منهم بالصّيكون و حضرموت و السّاسك من اليمن يفعلون هذا و لا يتعاضمونه حتّى أنّ أحدهم يصدق عن غنمه و ابله و بقره و عن القرية من القرى، فلا يصيبها من المطر قطره و يكون المطر ممّا يلى الصّدقه، و هو ضرب من السحر،

و رأيت لهم من السيِّح ما هو أعظم من هذا و سألت المتنبى بعد ذلك هل دخلت السيِّكون؟ فقال: نعم و والدى منها أما سمعت قولى؟

أمنسى السكون و حضرموتاو والدتى و كنده و السبيعا

فقلت: و من ثم استفاد ما جوزه على طغام أهل الشام، و جرت له أشياء بعد ذلك من الحروب و الحبس و الانتقال من موضع إلى موضع حتى حصل عند سيف الدولة، انتهى.

أقول: و إلى مثل ذلك يرجع خرافات أكثر رؤساء الفرق الثلاث الضالَّة المضلَّة:

الصوفيَّة، و الشيعيَّة، و البايَّة خذلهم الله جميعا هذا كله تحقيق ما يتعلَّق بالمكاشفه بعنوان الشهود و الرؤيه و العيان.

و أمَّا الكشف بالرؤيا و المنام و عليه مدار أكثر دعاوى المتصوِّفه و أباطيلها حيث إنَّ أعظم بضاعتهم: اريت البارحه و قد جرت عادتهم على أنَّهم ينقلون ما يرون فى المنام إلى مرشديهم فيعبِّره على ما هو مناسب لمذاق التَّصوِّف.

فتحقيق الكلام فيه ما أفاده المفيد قدس الله سره.

فقد روى فى البحار من كنز الفوائد للكراچكى قال: وجدت لشيخنا المفيد رضى الله عنه فى بعض كتبه أنَّ الكلام فى باب رؤيا المنامات غزير، و تهاون أهل النَّظر به شديد، و البليَّة بذلك عظيمه، و صدق القول فيه أصل جليل.

و الرؤيا فى المنام تكون من أربع جهات:

إحداها حديث النفس بالشىء و الفكر فيه حتى يحصل كالمنطبع فى النفس فيخيَّل إلى النَّائم ذلك بعينه و أشكاله و نتائجها، و هذا معروف بالاعتبار.

و الوجه الثانى من الطباع و ما يكون من قهر بعضها لبعض، فيضطرب له المزاج و يتخيَّل لصاحبه ما يلايم ذلك الطبع الغالب من مأكول و مشروب و مرئى و منكوح و ملبوس و مبهج و مزعج، و قد ترى تأثير الطبع الغالب فى اليقظه و المشاهد حتى أنَّ من غلبت عليه الصفراء و يصعب عليه الصعود إلى المكان العالى يتخيَّل إليه وقوعه منه و يناله من الهلع و الزَّمع ما لا ينال غيره، و من غلبت عليه السوداء يتخيَّل به أنَّه

قد صعد في الهواء و ناجته الملائكه و يظنّ صحّه ذلك حتّى أنّه ربما اعتقد في نفسه النبّه و أنّ الوحي يأتيه من السّماء و ما أشبه ذلك.

و الجبهه الثالثه الطاف من الله عزّ و جلّ لبعض خلقه من تنبيه و تبشير و اعذار و انذار، فيلقى في روعه ما ينتج له تخیلات امور تدعوه إلى الطاعه و الشكر على النعمه و تزجره عن المعصيه و تخوّفه الاخره و يحصل له بها مصلحه و زياده فايده و فكر يحدث له معرفه.

و الجبهه الرابعه أسباب تأتي من الشيطان و وسوسته يفعلها الانسان يذكّره بها امورا تحزنه و أسبابا تغمّه و تطمعه فيما لا يناله أو تدعوه على ارتكاب محظور يكون فيه عطبه، أو تخيّل شبهه في دينه يكون منها هلا-كه، و ذلك مختصّ بمن عدم التوفيق لعصيانه و كثره تفريطه في طاعات الله، و لن ينجو من باطل المنامات و أحلامها إلاّ-الأنبياء و الأئمه صلوات الله عليهم و من رسخ في العلم من الصالحين.

و قد كان شيخى رضى الله عنه قال لى: كلّ من كثر علمه و اتّسع قلّه مناماته فان رأى مع ذلك منامات و كان جسمه من العوارض سليما فلا- يكون منامه إلاّ حقّا، و يريد بسلامه الجسم عدم الامراض المهيّجه للطّباع و غلبه بعضها على ما تقدّم به البيان، و السّكران أيضا لا يصحّ له منام و كذلك الممتلى من الطعام لأنّه كالسّكران.

و لذلك قيل: إنّ المنامات قلّ ما يصحّ في ليالى شهر رمضان، فأما منامات الأنبياء فلا يكون إلاّ صادقه و هى وحي في الحقيقه و منامات الأئمه جاريه مجرى الوحي و إن لم تسمّ وحيّا و لا تكون قطّ إلاّ حقّا و صدقا و إذا صحّ منام المؤمن لأنّه من قبل الله كما ذكرناه.

و قد جاء في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: رؤيا المؤمن جزء من سبعة و سبعين جزء من النبّه.

و روى عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: رؤيا المؤمن تجرى مجرى كلام تكلم به الرّب عنده فأما وسوسه شياطين الجنّ فقد ورد السّمع بذكرها، قال الله تعالى: «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» و قال: «وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ»

«لِيُوحُونَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ» و قال: «شَاطِطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا» و ما ورد به السَّمْع فلا طريق إلى دفعه.

فأما كَيْفِيَّتُهُ وسوسه الجَنِّي للانسى فهو إِنَّ الجَنَّ أجسام رقاق لطاف فيصَحُّ أن يتوصَّل أحدهم برقه جسمه و لطافته إلى غايه سمع الانسان و نهايته فيوقَّر فيه كلاما يلبس عليه إذا سمعه و يشبّه عليه بخواطره، لأنه لا يرد عليه ورود المحسوسات من ظاهر جوارحه و يصَحُّ أن يفعل هذا بالنائم و اليقظان جميعا و ليس هو فى العقل مستحيلا.

و روى جابر بن عبد الله أنه قال: بينا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم يخطب إذ قام اليه رجل فقال: يا رسول الله إني رأيت كأن رأسى قد قطع و هو متدحرج، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم:

لا تحدث بلعب الشيطان بك. ثم قال: إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدثنَّ به أحدا.

و أما رؤيه الانسان للنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم أو أحد الأئمه عليهم السَّلام فى المنام، فإنَّ ذلك عندى على ثلاثه أقسام:

قسم أقطع على صحَّته، و قسم أقطع على بطلانه، و قسم أجوِّز فيه الصحَّه و البطلان فلا أقطع فيه على حال.

فأما الذى أقطع على صحَّته فهو كلَّ منام رأى فيه النبي أو أحد الأئمه عليهم السَّلام و هو فاعل لطاعه أو آمر بها و ناه عن معصيه أو مبين بقبحها، و قائل لحقَّ أو داع اليه، و زاجر على باطل أو ذامَّ لمن هو عليه.

و أما الذى أقطع على بطلانه فهو كلُّما كان ضدَّ ذلك لعلمنا أنَّ النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و الامام صاحبا حقَّ و صاحب الحقَّ بعيد عن الباطل.

و أما الذى اجوِّز فيه الصحَّه و البطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبي و الامام و ليس هو آمرا و لا ناهيا، و لا على حال يختصَّ بالديانات مثل أن يراه راكبا أو ماشيا أو جالسا و نحو ذلك.

فاما الخبر الذى يروى عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم من قوله: من رءانى فقد رءانى فإنَّ

الشيطان لا يتشبه بى، فانه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون فى كل حال، و يكون المراد به القسم الأول من الأقسام الثلاثة لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم فى شىء من الحق و الطاعات.

و أما ما روى عنه من رءانى نائما فكأنما رءانى يقظانا، فإنه يحتمل الوجهين.

أحدهما أن يكون المراد به روى المنام، و يكون خاصا كالخبر الأول على القسم الأول الذى قدّمناه.

و الثانى أن يكون أراد رؤيه اليقظه دون المنام، و يكون قوله: نائما حالا للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و ليست حالا لمن رآه، فكأنه قال: من رآنى و أنا نائم فكأنما رآنى و أنا منتبه، و الفائدة فى هذا المقام أن يعلمهم بأنه يدرك فى الحالتين إدراكا واحدا فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده و هو نائم أن يغيظوا فيما لا يحسن أن يذكروه بحضرته و هو منتبه.

و قد روى عنه صلى الله عليه و آله و سلم أنه غفى ثم قام يصلى من غير تجديد وضوء، فسئل عن ذلك فقال: إنى لست كأحدكم تنام عيناى و لا ينام قلبى، و جميع هذه الروايات اخبار آحاد، فان سلمت فعلى هذا المنهاج.

و قد كان شيخى رضى الله عنه يقول: إذا جاز من بشر أن يدعى فى اليقظه أنه إله كفرعون و من جرى مجراه مع قلبه حيله البشر و زوال اللبس فى اليقظه فما المانع أن يدعى إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبي مع تمكن إبليس بما لا يتمكن عنه البشر و كثره اللبس المعترض فى المنام.

و مما يوضح لك أن من المنامات التى يتخيل للانسان أنه قد رأى فيها رسول الله و الأئمة صلوات الله عليهم ما هو حق و منها ما هو باطل:

أنك ترى الشيعى يقول: رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و معه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يأمرنى بالاعتداء به دون غيره و يعلمنى أنه خليفه من بعده و أن أبابكر و عمر و عثمان ظالموه و أعداؤه، و ينهانى من موالاتهم و يأمرنى بالبراءه منهم و نحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة.

ثم يرى الناصبي يقول: رأيت رسول الله في النوم و معه أبو بكر و عمر و عثمان و هو يأمرني بمحبتهم و ينهاني عن بغضهم و يعلمني أنهم أحقاء في الدنيا و الآخرة و أنه معهم في الجنة و نحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبي.

فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق و الآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت الدليل في اليقظة على صحه ما تضمنه، و الباطل ما أوضحت الحجج عن فساد و بطلانه، و ليس يمكن الشيعي أن يقول للناصري: إنك كذبت في قولك إنك رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه.

و قد شاهدنا ناصبيًا تشيع و أخبرنا في حال تشيعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه في حال نصبه، فبان بذلك أن أحد المنامين باطل و أنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسه إبليس و نحو ذلك، و أن المنام الصحيح هو لطف من الله سبحانه لعبده على المعنى المتقدم وصفه.

و قولنا في المنام الصحيح: إن الإنسان رأى في نومه النبي صلى الله عليه و آله و سلم إنما معناه انه كان قد رآه، و ليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أي بصر يدرك به حال نومه، و إنما هي معان تصوّرت في نفسه تخيل له فيها امر لطف الله تعالى له به قائم مقام العلم، و ليس هذا بمناف للخبر الذي روى من قوله صلى الله عليه و آله و سلم:

من رءاني فقد رءاني، لأن معناه فكأنما رءاني و ليس يغلط في هذا المكان إلا من ليس له من عقله اعتبار، انتهى كلامه رفع الله تعالى في أعلا عليين مقامه.

و انما نقلناه بطوله لاشتماله على فوايد جمه و فيه قلع أساس منامات الصوفيه حيث إنهم يستندون أكثر أباطيلهم إلى الرؤيا و المنام، فان كانوا صادقين في أصل الرؤيا فأنما هي من أضغاث الأحلام و عمل الشيطان.

و كفى بذلك شاهدا أن محيي الدين حسبما نقلناه عنه سابقا نسب كتاب الفصوص الذي هو من كتب الضلال يقينا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ذكر في أول الكتاب أنه رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في المنام بمحروسه دمشق و بيده كتاب فقال له: هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى الناس ينتفعون به، و قد ذكر في الكتاب المذكور

مضافه إلى سائر أباطيله منامات كلها مخالفه لدين الاسلام و شريعته سيد الأنام كما يعرفه من رجع إليه من ذوى البصائر و الأفهام.

و منها

منعهم من طلب الرزق

زعموا منهم أنه مناف للتوكل.

و قولهم بذلك إفراط حيث إنهم يحرمون ما أحل الله كما أن تجويزهم للغناء و الرقص و نحوهما تفريط و تحليل لما حرم الله.

قال آيه الله في العالمين العلامة الحلي قدس الله روحه و جعل مقامه في أعلا عليين في كتاب مناهج اليقين في اصول الدين:

منع الصوفيه من طلب الرزق لأنّ الحلال قد اختلط بالحرام بحيث لا يمكن تمييزه فيجب اجتنابه، و لأنّ فيه مساعده الظالمين لطلب الخروج و الضمان، و لأنه تعالى أمر بالتوكل و هو ينافى الطلب، و هذا خيال ضعيف، فإنّ المكلف إذا عرف الشئ المعين قد اختلط فيه الحلال بالحرام اجتنبه اما مع فقد العلم فلا، و المساعده ليست مقصوده بالذات، و التوكل لا ينافى الطلب.

و قال الشيخ مقداد في كتابه إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين عند شرح قول العلامة قدس الله روحه: و يجوز طلبه، يعنى الرزق لأنه يندفع به الضرر و لقوله تعالى: «فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» و غير ذلك من الايات ما لفظه:

اعلم أنّ الرزق يجوز طلبه بل قد يجب كما إذا لم يكن ثم وجه غيره، و قد يستحبّ، و قد يباح، و قد يحرم كما إذا اشتمل على وجه نهى الشارع عنه، و قد يكره كما إذا اشتمل على ما ينبغى التنزه عنه.

ثم إنّ الرزق قد يكون تفضلا منه تعالى بأن لا يكون للمكلف فيه لطف و قد يكون فيه لطف و ذلك فيما يجتهد في تحصيله، و وجه لطفيته أن يحصل للطالب عقيدته بأنّ المنافع الدنيويّه إنّما تحصل بالتعب و كذا الاخرويّه، و ذهبت الصوفيه إلى أنّه لا يجوز السعى في طلبه

و الدليل على ما قلناه من وجوه:

الأول أن طلب الرزق مما يدفع به الضرر عن النفس و دفع الضرر عن النفس واجب.

الثاني قوله تعالى: «فَاتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»، وقوله: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» وقال المفسرون: الابتغاء التّكسّب و الفضل الرزق و غير ذلك من الايات.

الثالث قوله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: سافروا تغنموا، وقوله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: الرزق عشرة أجزاء تسعة منها في التجارة، و غير ذلك من الأخبار.

و احتجّت الصوفيه بوجوه:

الأول أن الحلال مختلط بالحرام و لا يتميز فلا يجوز طلبه.

الثاني أن في الطلب مساعده للظالم باعطائه الطمغاء و غيرها و مساعده الظالم حرام فكذا ما يؤدى إليها.

الثالث قوله تعالى: لو توكلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو و خماسا و تروح بطانا، و إذا كان التوكل مأمورا به كان الطلب منهيّا عنه.

و الجواب عن الأول إن أردتم أن كلّ الحلال مختلط فهو ممنوع، و إن أردتم بعضه فمسلم لكن التكليف مشروط بالعلم فمع عدم العلم لا حرمه خصوصا و اليد ظاهره في الملك، و أورد عليهم شيخنا سالم بن محفوظ أنه يلزم من هذا أنه لا يجوز أكله كما لا يجوز طلبه، و لهم أن يقولوا إنا نأكل قدر ضروره لكن الواقع منهم بخلافه.

و عن الثاني أن المساعده ليست مقصوده و لا مراده بل تؤخذ قهرا.

و عن الثالث أن التوكل لا ينافي الطلب و المكتسب في حال طلبه متوكل أيضا و لهذا أردفه صَلَّى الله عليه و آله و سلّم بالغدوّ، مع أنه ليس في الحديث نهى عن الطلب الذي هو مناط البحث بل بين فيه أنكم لو اشتغلتم بالطاعة عن الطلب لرزقكم ما يقيم به أبدانكم كما يرزق الطير ما يقيم به أبدانها بتهيئ الأسباب، لكن أردفه بالغدوّ الذي

هو الطلب، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: و يرد على دليلهم الأوّل أيضا أنّ قولهم: الحلال مختلط بالحرام، إن أرادوا به الحلال و الحرام الواقعيين ففيه أنا لسنا مكلفين بتحصيل الحلال الواقعي و لا- بترك الحرام الواقعي لعدم السبيل إليهما، و إن أريد بهما ما هو حلال و حرام فى ظاهر الشرع فالاختلاط إنما هو فى بعضها لا الجميع و على ذلك فكلّ شيء فيه حلال و حرام فهو لنا حلال حتى نعرف الحرام منه بعينه فندعه، و لو كان جميع الحلال مختلطاً بالحرام لم يقل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: حلال بين و حرام بين و شبهات بين ذلك، و لا قال أمير المؤمنين عليه السلام مثل ذلك، فتقسيمهما الأشياء إلى ثلاثة أقسام دليل على وجودها جميعاً، و قد حققه الأصحاب فى كتب اصول الفقه بما لا مزيد عليه، نعم لو كان المختلط شبهه محصوره لوجب الاجتناب أيضاً و التفصيل فى محله.

و الأخبار فى طلب الرزق كثيرة:

منها ما رواه فى مجمع البيان عن عمرو بن زيد عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال إنى لأركب فى الحاجه التى كفاها الله ما أركب فيها إلا التماس أن يرانى الله اضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أرايت لو أنّ رجلاً دخل بيتاً و طين عليه بابه ثم قال:

رزقى ينزل علىّ كان يكون هذا؟ و نقل عن كتاب نور الحقيقه و نور الحديقہ لوالد شيخنا البهائى قدس سرهما قال: ذكر جماعه عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجلاً- بخير فقالوا يا رسول الله خرج معنا حاجاً فاذا انزلنا منزلاً لم يزل يصلّى حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله تعالى حتى ننزل، فقال، من كان يكفيه علف ناقته و صنع طعامه؟ فقالوا: كلنا، فقال صلى الله عليه و آله و سلم كلّكم خير منه.

و عن الكافى عن عدّه من أصحابنا عن البرقى عن محمّد بن علىّ عن هارون بن حمزه عن علىّ بن عبد العزيز قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العباده و ترك التجاره، فقال: ويحه أما علم أنّ

تارك الطلب لا- يستجاب له إِنَّ قوما من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم لما نزلت: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله تكفل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال:

إِنَّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره جداً لا حاجة إليها، و نعم ما قيل: الزهد في الدنيا قصر الأمل لا لبس العباد، و ليس الزاهد من لا يملك شيئاً و لكنّه الذي لا يملكه شيء، و إِنَّ الدّراهم مراهم لأنها تداوى كلّ جريح و يشتري بها الآخره كما يشتري بها الدنيا.

إذا عرفت ذلك فاستمع لما نحكيه عليك من عجيب مزخرفات ابن العربي في فتوحاته، قال في محكى كلامه من الباب التاسع و العشرين من الفتوحات.

كلّ عبد إلهي توجه لأحد عليه حقّ من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله سبحانه بقدر ذلك الحقّ فان ذلك المخلوق يطلبه بحقه و له عليه سلطان فلا يكون عبدا مخلصا لله، و هذا هو الذي يرجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق و لزومهم السيّاحات و لزومهم البرارى و السواحل و الفرار من الناس و الخروج من ملك الحيوان، فأنهم يريدون الحرّيه من جميع الأكوان و لقيت منهم جماعه كثيره في أيام سياحتي.

و من الزّمان الذي حصل لى هذا المقام ما ملكت حيوانا أصلا و لا الثوب الذي ألبسه فأنى لا ألبسه إلّا عاريه لشخص معيّن أذن لى فى التصرف فيه، و الزّمان الذي أتملك الشىء فيه أخرج عنه ذلك الوقت إمّا بالهبه أو بالعق إن كان ممّا يعتق.

و هذا حصل لى لما أراد التحقق بعبوديّه الاختصاص لله.

قيل لى: لا يصحّ ذلك حتّى لا يقوم لأحد عليك حجّه.

قلت: لا و الله و لا لله إنشاء الله.

قيل لى: و كيف يصحّ أن لا يقوم لله عليك حجّه؟

قلت: إنما يقوم الحجج على المنكرين لا على المعترفين، وعلى أهل الدعاوى وأصحاب الحظوظ لا على من قال ما لى حق ولا حظ، انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: ويتوجه على هذا الجاهل:

أولاً أن المخلص للعبودية لله سبحانه هو من يستن بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسلك مسلكه ويكون له في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوه حسنه، والزهبانيه والانقطاع عن الخلق والسياحه خلاف سنته، وقد قال عليه السلام: إن سياحه امتي و رهبانيتهم الجهاد و يأتي انشاء الله أخبار كثيره في هذا المعنى.

و ثانياً أن الخروج من ملك الحيوان وإرادته الحرّيه من جميع الأكوان محال عاده، وقد خلق الله سبحانه الانسان مدنيًا بالطبع و جعل كل فرد منه محتاجاً إلى غيره و لو في أقلّ ضروريات العيش، فكل من قام بحاجه غيره و هيأ أسباب معيشته و رفع عنه الضروره و الحاجه و لو في أقلّ مراتبها التي لا يمكن التّعيش و البقاء بدونه يكون له بقدر ما قام بمحاويجه حقاً عليه و إن كان الحقوق في الحقيقه كلّها لله سبحانه إلا أن من لم يشكر الخالق لم يشكر الخالق.

وقد ورد في الحديث: من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فاراده الحرّيه من جميع الأكوان و الخروج من ملك الحيوان لا يصدر إلا عن سفيه جاهل.

ثمّ الحقوق ليست منحصره في الحقوق المائيه، بل للوالد حقّ على الولد و للولد حقّ على الوالد، و للأرحام حقّ و للجار حقّ و للمعلّم حقّ و للمتعلم حقّ و للاخوان المؤمنين حقّ، بل لكلّ من أعضائك و جوارحك من قرنك إلى قدمك عليك حقّ كما أشار إليه الأئمه عليهم السّلام في أبواب الحقوق، فالانقطاع عن الخلق لا يبطل تلك الحقوق، ثمّ القيام بها من أجل أمره سبحانه و تعالى به من جمله العبادات فلا ينافى العبوديّة و الاخلاص كما توهم.

و ثالثاً أن قوله: فأنى لا ألبس الثوب إلا عاريه لا ملكا عجيب جدّا.

إذ لو كان المراد به أن للثوب المملوك حقاً على لابسه دون المستعار فهو

غلط بل يجب في العاريه من الحفظ و المواظبه و عدم التفريط ما ليس في الثوب الذي هو له، لأنه مال الغير و لا يجوز الخيانه فيه بخلاف ماله مع أن للعاريه حقا للمعير على المستعير حق الاسترداد و حق الضمان لو فرط، و ليس في الثوب المملوك له لأحد حق عليه.

و إن كان المراد به أنه كان يلبس العاريه دون الملك لزهد و تركه ملاذ الدنيا ففيه أن الملك و العاريه لا مدخلية لهما في الزهد و عدمه، و قد كان أزهد الزاهدين في الدنيا رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السلام و لم نسمع منهما إلى الآن أنهما يلبسان اللباس عاريه لا ملكا، و قد كان عليه السلام يشري لباسا و يلبسه و يقول: الحمد لله الذي ألبسني من الرياش ما أتجمل به في الناس و أوارى به عورتى و رابعا أن ادعاءه أن ليس لله حجه عليه لكونه من المعترفين لا من المنكرين فهو ناش من خبطه و سفهه و جهله و ضلاله و عجبه، فما أعظم جرئته و أشد جسارته حيث لم يدع هذا المقام أحد من الأنبياء و المرسلين و الحجج المعصومين على عصمتهم و جدّهم في مقام العمل و بلوغهم الغايه في معرفه.

و قد تقدّم في شرح الخطبه المأه و الثانيه و التسعين عند شرح قوله عليه السلام في وصف المؤمنين: و لا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون و من أعمالهم مشفقون أخبار نافعه في المقام.

منها قول أبى الحسن موسى عليه السلام لبعض ولده: يا بنى عليك بالجدّ و لا تخرجن نفسك من حدّ التقصير في عبادته الله عزّ و جلّ فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته.

و قول أبى جعفر عليه السلام ثلاث قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله و نسى ذنوبه و أعجب برأيه.

و قول أبى عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم في حديث: قال موسى بن عمران لابليس: أخبرنى بالذنّب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبتة نفسه و استكثر عمله و صغر فى عينه ذنبه إلى غير هذه ممّا لا نطيل باعادتها.

ثم أقول: لو لم يحتج الله عليه إلا بعدم معرفه إمام زمانه على ما اعترف به نفسه حسبما حكينا من فتوحاته فيما تقدّم و بادّعاء أنّه خاتم الولاية و أنّه يتلقّى الوحي بدون واسطه من الله عزّ و جلّ فضلا عن قوله بوحده الوجود و عن ساير أباطيله المتقدّمه حكايتها، لكان في ذلك الاحتجاج ما لا يقوم به السماوات و الأرض و لتدكدك من نكاله الجبال، نعوذ بالله من الضلال و سوء الخاتمه و المال و عظيم العقوبه و النكال، و الحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، و نصلى و نسلم على محمّد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و خلفائه الذين هم أولياء الله.

المقام الرابع

إشاره

في نبذ من صلائف الصوفيه

(١)

و واقعاتهم العجيبه و هذياناتهم المفرطه التي تضحك منها الثكلى و تعجب لها الصبيان، و الظاهر أنّ منشئها إفراط الخبط و شدّه الأمراض الخياليه.

فمنها

ما عن شيخهم برهان الدّين المالىقى و هو من أعاضم مرتاضيههم و أكابر مشايخهم و مشاهيرهم لا سيّما في بلاد الهند و نحن نذكر عنه من كتاب الوقعات له ثلاثا منها لتكون أنموذجا لما طوينا عن ذكرها، قال:

الواقعه الاولى

أمّا بعد حمد الله تعالى و الصلاه و السلام على حبيبه محمّد و آله:

لَمّا برزت الاشاره المولويه الشيخيه الرّبانيه أنّ كلما حدث من الوقعات في أثناء السّيلوك ينبغي أن تقتيد بالكتابه امثل هذا الحقير أوامره الشريفه و كتب ما بقى منها في خاطره بعد التّعوذ و الاستعانه بالله تعالى.

ص: ٣٢١

لما كان اليوم الثاني من أيام بعض الخلوات كنت في الذكر مستغرقا إذا رأيت كأني في البرّ و شخص واقع كأنّه ملك و ستر معلّق من السّماء إلى الأرض و كأنّ شخصا يقول لي: إلى أين تذهب؟ قلت: إلى الحقّ، فقال: بين الحقّ و العبد سبعون ألف حجابا بحمايه من تذهب إليه؟ فقلت: بحمايه الشيخ نور الدين عبد الرّحمن، فلمّا سمع كلام العبد لم يثن عليه القول و حضر الشيخ في الحال.

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ أمر المريد لا يتيسّر بدون شيخ مرشد و الشيخ المرشد لا بدّ له من ولايه الحمايه إذا توجّه إليه المريد حضر في الحال بالعنايه الرّبانيّه فلمّا توجّه العبد نحوه رآه حضر و بيده عصا و هو واقف.

و قد ظهر بهذا الحقير أنواع من الصّور الشيطانيّه المختلفه و غيره يقصده و الشيخ يدفعها عنه بعصاه، و في أثناء ذلك حضر شخص بخارى يقال له النّور البيمارستاني و كان لهذا الحقير به قديما يسير إرادته و قصد نحو هذا الحقير فحمل الشيخ بعصاه فهرب، ثمّ قصد هذا الحقير ثانيا فحمل الشيخ عليه ثانيا بعصاه فهرب فلمّا قصد نحو هذا الحقير ثالثا ضرب الشيخ بالعصا رأسه فكأنّه شجّه فرمى نفسه على أقدام الشيخ ثمّ هرب.

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ الله أظهر له ولايه الشيخ على هذه الصوره التجأ إليه سبحانه و تعالى أن يلهم الشيخ القعود حيث طال قيامه، فجلس الشيخ كمن جلس على صفه و ولّى برجليه الأرض مستنفذا، فلم يطمئنّ القلب لذلك حتى التجأ إليه سبحانه ثانيا و طلب سكون الشيخ و قراره بالقعود عنده، فتربّع الشيخ بعد ذلك عنده فالتجأ إليه سبحانه ثالثا أن يقرّ الشيخ عنده على صوره لا يهاب منها المخالفه فرأى كأن الشيخ دخل باطن هذا الحقير دخول لابس ثوب و يدا هذا الحقير كمّاه.

فلمّا لبس الشيخ هذا الحقير صار الشيخ هو و فنى هو في الشيخ بحيث لم يبق منه شيء سوى العلم بوجود الشيخ و فناء نفسه فيه.

ثمّ هذا الحقير سأل الشيخ بتوفيق الله إياه و قال: أيّها الشيخ ما سبب أن

صرت هذا الحقير؟ فأجاب و قال: لما لم يكن قوّه صيروره نفسك إياى صيّرت نفسى إياك لتصير إياى.

ثمّ بعد ذلك كان الله تعالى أظهر لهذا الحقير أنّ الشيخ قد جلس فى باطن هذا الحقير مربعا كما رأى ظاهرا أولا، و كلّما ذكر الله تعالى ذكر الشيخ أيضا فى باطنه، فاذا شرع فى ابتداء الذكر يقول الشيخ فى باطنه: اذكر فأنك حسن الذكر.

فلما استقرّ بفضل الله تعالى سرّ الشيخ فى باطن هذا الحقير تواترت عليه الالهامات الربّانيه الروحانيه ساعه فساعه، فلو حصل اذن الحقّ سبحانه و تعالى إلهاما بذكر الالهامات كلّها و تحقيق كونها ليست من الالهامات الروحانيه و الملكيه و غيرها بل هى ربّانيه حقّا لأمتثل انشاء الله تعالى.

الواقعہ الثانیہ

كان هذا الحقير فى أثناء الذكر ليله و الشيخ فى باطنه متمكّن إذا رأى كأنّه تولّد من باطنه من جانبه الأيسر ممّا يلى القلب جرو(١) كلب أبيض اذناه سود و فى ظهره عند ذنبه سواد و كان تاره يقعد و تاره ينام و لا يقترّ قلّقا من ذكر هذا الحقير.

فحصل لهذا الحقير من ذلك خوف فالتجأ إلى الحضرة الالهيه و استمدّ من باطن الشيخ خفاره(٢) الالتجاء، لأنّ كلّ دعاء و التجاء لا خفاره له لا وصول له إلى الحضرة، و لذلك صار الاخلاص خفير جميع العبادات قال الله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و لما لم يجد للالتجاء به اخلاصا استمدّ بالعباده الالهيه من باطن الشيخ خفاره ذلك الالتجاء، فنظر فى الحال إذا الشيخ قد مدّ يده و أخذ ذلك الجرو من باطن هذا الحقير و مضى، فتبعه الحقير فى اثره فرأى فى عنق الجرو حبلا أبيض و رأس

ص: ٣٢٣

١- (١) - الجرو بتثليث الجيم صغير كلّ شىء و غلب على ولد الكلب و الاسد، و العجب أنّ النسخه فى جميع المقامات بالدال. المصحح.

٢- (٢) - الخفاره شدة الحياء و خفوه و به و عليه خفرا اجاره و منعه و آمنه و الخفر المجار و المجير و تخفّر اشتدّ حياؤه و به التجأ و سأله ان يكون له خفيرا، ق.

فلما مشينا قليلا قتل الشيخ ذلك الجرو و مسح قدمه به و مع ذلك يخاف هذا الحقير أن يعيش ثانيا، فلما مسح الشيخ رجله به صار الجرو المقتول تحت رجله طينا، فلما رجع رجله عنه عاش ثانيا فأخذه الشيخ ثانيا ليقته فلم يمكنه من نفسه و كان حقيرا في العين قويا في نفسه، فوقع على هذا الحقير منه خوف فرأى كأن الشيخ قلع رأسه من بدنه و رمى به و خرق بطنه بسكين فرمى به أيضا إلى الأرض و وضع عليه حجرا ثقيلا و مع هذا كان مفتوح العين ينظر الى هذا الحقير سرا، فوضع الشيخ قدمه إليه فصار تحت قدمه طينا لكن الخوف غالب على هذا الحقير أن يعيش ثالثا فما التفّت إلا و قد رمى بالحجر عن نفسه و خرج من تحته فأخذه الشيخ ثالثا و قتله.

فقال هذا الحقير: ينبغي أن يحرق، فأخذ و جعل في تنور و كان كلما احترق يعود كما كان حيا، فأخذه الشيخ و أحرقه مره بعد اخرى إلى أن احترق و صار رمادا.

فقال الشيخ: ما ذا ينبغي أن يفعل بعد هذا؟ فقال هذا الحقير: ينبغي أن يرمى بالرّماد إلى الماء الجاري، فلما رمى صار الرّماد كله على رأس الماء و أمطرت السماء فقال هذا الحقير: أيها الشيخ ينبغي أن تتبع اثر هذا الماء كيلا يعيش هذا الجرو مره اخرى، فتقدم الشيخ و هذا الحقير في اثره فوصل ذلك الماء الجاري إلى بحر فقال الحقير للشيخ: نخاف أن يعيش هذا الجرو فليُنظر هذا البحر إلى أين ينتهي، فنزل الشيخ إلى البحر و هذا الحقير في أثره فرأى كان ماء البحر يدخل في شق فوقف الشيخ على رأس الشق و هذا الحقير في خدمته إلى أن دخل جميع ماء البحر ذلك الشق، فظهر في قعر البرء حوض و فيه ماء فابتلعت الأرض ماء البحر فظهر في أسفل الحوض سمكه صغيره فقتلها الشيخ.

و قال: ما ذا ينبغي أن يفعل بعد هذا؟ فالتمس الحقير من الشيخ أن يطلع الشمس حتى يبس طين البحر، فلما أن طلعت الشمس و يبس الطين.

قال الشيخ ما ذا ينبغي أن يفعل؟ فقال هذا الحقير: يمكن أن ينبت من هذا نبات ينبغي أن نحرقه فالتفت فإذا بالحشيش قد نبت.

فقال الشيخ: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: نحصد الحشيش و نحرقه فحصدناه و تركناه في الشمس حتى يبس ثم أحرقناه ثم قال الشيخ ما ذا ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغي أن يرمى برماد الحشيش إلى شقّ الجبل ثم قال الشيخ ما ذا ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغي أن نملأ الحوض بالحجاره ليعتدل من الأرض و نسدّ باب الشقّ بالحجاره فلمّا فعل الشيخ ذلك كلّ.

قال الشيخ: ما ذا ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: لو امطرت السماء بماء يغتسل فيه هذا الحقير و ابتلعت الأرض ذلك الماء كان حسنا كلّ ذلك من غلبه الخوف من ظهور آثار ذلك الجرو، فالتفت فإذا بالغيث قد نزل و سال و دخل جميعه في ثقب قد لا يسع انسانا من ضيقه فلمّا اغتسل الحقير و اذا به قد حضر عنده من العناية الالهيه ثوب أبيض فلبسه.

فقال الشيخ أيضا ما ينبغي أن يفعل؟ و في تكرار قول الشيخ ما ينبغي أن يفعل سرّ يعرفه الشيخ، فقال الحقير: نقصد الكعبه المعظمه، فتقدّم الشيخ و الحقير في أثره إلى أن وصلنا الكعبه و دخلنا الحرم الشريف، فاغتسل الحقير بماء زمزم و حضر ثوب أبيض فلبس الحقير بين يدي الشيخ و دخلنا الكعبه و صلينا فيه.

ثم قال الشيخ: ما ذا ينبغي أن يفعل؟ فقال هذا الحقير بالعنايه الالهيه ينبغي أن نذهب إلى التّور الذي أحرقنا فيه الجرو و الحجر الذي وضعناه على رأسه و الموضع الذي قتلناه فيه و نأخذ الجميع و نلقى في الثقب الذي كان الماء يدخله كيلا يبقى في هذا الموضع للجرو أثر، فتقدّم الشيخ و الحقير في أثره و جئنا و جمعنا كلّ ذلك فأراد الحقير أن يحمله فإذا بحبشي قد ظهر في الحال و جعلنا الكلّ في وعاء و حملناه إياه فلمّا دخلنا إلى الثقب الذي دخله تلك الماء العظيمه

ألقيناه فيه ثم قتل هذا الحقير بالعباده الالهيه ذلك الحبشى، و ألقيته فى الثقب أيضا.

ثم قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبه المعظمه، فتقدم الشيخ و الحقير فى أثره قد دخلنا الحرم الشريف و اغتسل الحقير ثانيا بماء زمزم و كان الشيخ يغسله ثم بعد الغسل حضر ثوب صوف أخضر فلبسه الحقير و صلينا فى مقام إبراهيم عليه السلام ثم دخلنا الكعبه فلما أن صلينا فيه.

قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نشدّ رأس الثقب الذى ألقينا فيه الحبشى المقتول و التّنور و الحجر كيلا يظهر منه أثر، فتقدم الشيخ و الحقير فى أثره فجئنا و شددنا رأس الثقب.

ثم قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبه المعظمه فتقدم الشيخ و الحقير فى أثره فدخلنا الحرم الشريف و جئنا إلى بئر زمزم فخلع الحقير ثوبه و وضعه على ميزاب الكعبه و اغتسل بماء زمزم و كان الشيخ يغسله.

ثم قال الحقير بالعباده الالهيه للشيخ: اقطع بطن الحقير و اغسل بهذا الماء قلبه و كبده و باطنه كيلا يكون قد بقى فى باطن هذا الحقير شىء من أثر الجرو، فقطع الشيخ بطن هذا الحقير بالسكين و غسل باطنه بالماء.

فبينما الشيخ كذلك إذ ألقى الله سبحانه فى نفسى منى نفره عظيمه فضربت عنقى بالعباده الالهيه و أخذت باحدى يدى شعر رأسى و بيدى الاخرى رجلى و رميت به خارج الحرم و لم أزل أضرب برأسى الذى بيدى عتبه الحرم إلى أن نفيت و رميت به خارج الحرم و دخلت الحرم و اغتسلت بماء زمزم بحضور الشيخ و حضر ثوب ازرق و عمامه بيضاء فلبستهما.

ثم قال: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نصعد سطح الكعبه، فتقدم الشيخ و الحقير فى أثره فصعدنا سطح الكعبه.

فقال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نصعد السماء، ففى أثناء هذا الكلام حضر فرسان بسرجهما فركب الشيخ أحدهما و الحقير الاخر، فلما وصلنا

إلى السَّيِّمَاءِ الأولى فإذا ملكان جالسان، فدخل الشَّيْخُ بلا اذن و الحقيِر في أثره فسأل أحد الملكين صاحبه من هذا؟ فقال له: الشَّيْخُ عبد الرحمن و مريده، و كان الشَّيْخُ أماما يخرق السَّماء و يصعد و الحقيِر في أثره ينظر فرآه كيلا يصل بنا أثر الجرو فيرى مواضع عروجنا يعود كما كان مسدودا فاطمئنْ لذلك باطنه.

فلما وصلنا إلى السَّيِّمَاءِ الثَّالثه كان الملائكه كانوا يمنعون الحقيِر و يأمرونه بالتَّجريد، و يعدهم الحقيِر بذلك، و كان الشَّيْخُ قد أخذ بعناق فرس الحقيِر و يمدّه، فلم يبق لهم إمكان منع الحقيِر.

و كان الشَّيْخُ كلَّما عرج إلى السَّيِّمَاءِ يقول: أين تذهب؟ فيقول الحقيِر إلى الجنّه، و لون السَّماء و كيفياتها كما ذكرها العلماء في كتبهم فلا حاجه إلى ذكرها.

و كان الشَّيْخُ كلَّما جاء إلى باب السَّيِّمَاءِ يدخل بلا اذن الملائكه و لا يلتفت إليهم و إن حصل في بعض أبواب السَّيِّمَاءِ تمناع يأخذ بعنان هذا الحقيِر و يمدّه و يدخل و كان سبعة و كلّ باب من أبواب السَّماوات أضيق من الذي قبله، و كان في اثناء العروج في السَّماوات السَّبع يأتي خيول مختلفه الألوان بسروجها غير الَّتِي قبلها.

فلما عرجنا إلى السَّماء السَّابعة و وصلنا إلى الجنّه الأولى و دخلناها جائتتنا خيول غير تلك الخيول بسروجها، و كانت الحور العين يتعلّق بالشَّيْخِ و فرسه و لم يلتفت اليهنّ أصلا، و كان كلَّما وصل إلى باب جنّه من الجنّات يستقبلنا خزنتها و يدخل الشَّيْخُ الجنّه بلا التفات إلى أحد منهم.

فلما وصلنا إلى جنّه الفردوس استقبلنا خزنتها بالاطباق أو بالطَّباق المغطاه الرُّؤوس و كان في طبق منها الفاكهه مكتوب فيها: الله، و في طبق منها فاكهه أيضا مكتوب فيها: الحقّ، فأكل هذا الحقيِر جميعها.

فلما قربنا من جنّه الفردوس دخل الشَّيْخُ و الحقيِر في أثره فلما أراد الشَّيْخُ أن يدخل جنّه الفردوس و كانت طبقتين ردّوا باب طبقه منها، فأخذ الشَّيْخُ

بيد الحقيير و أدخله إليها و هكذا إلى أن عبرنا ثمانى جنّات كلّما حصل تمناع من واحد منها إمّا أن يأخذ الشيخ بيد الحقيير و إمّا أن يأخذ بعنان فرسه و يدخله و ادخلنا إلى أربع جنّات منها ركباناً و الى أربع منها مشاه.

و كان فى أثناء عروجنا من هذه الجنّات الثمانيه تأتينا خيول مختلفه الألوان خضر و صفر و زرق بسروجها.

فلما عبرنا من الجنّات الثمانيه كلّها قال الشيخ: أين تذهب؟ قال الحقيير إلى العرش و الكرسي، و كنا نرى فى أثناء ذلك الملائكه عليهم السلام بعضهم فى القيام و بعضهم فى الركوع و بعضهم فى السجود و الشيخ و الحقيير راكبان يعبران.

و كلما حصل تمناع من الملائكه لهذا الحقيير كان أكثره من قبل التجريد و كان الحقيير يتقبل لهم به و الشيخ يدفعهم عنه بالعنايه الالهيه، حتى وصلنا إلى العرش.

فقال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقيير نصعد فوق العرش، فحضر طيران على شكل النعامه و عليها سرجان فركب الشيخ أحدهما و ركب الحقيير الاخر و كأنه كان كلما حركنا جناحهما قطعنا مسافه الشرقيه أقلّ و أكثر إلى أن عينا، و حضر طيران آخران على شكل الطاوس و عليهما سرجان و كان الخطاب يصل ساعه فساعه من الحقّ: تجرّد لتصير محفوظا بتجليّاتى و اجلسك على العرش فتجرّد الحقيير بالعنايه الالهيه و رمى بالمحقّر الذى كان معه من جيفه الدّنيا و مع حقارته و قلّته كان حجابا عظيما، سبحانه من هذا بعض مقدوراته تاره يجعل التجريد حجابا، و تاره يجعل عدم التجريد حجابا أعوذ باللّهِ من اللّهِ فى جميع الأحوال.

ثمّ بعد ذلك رقاہ الحقّ الى العرش الشيخ أمامه و الحقيير فى أثره فلما صعدنا العرش طلب من الحقّ سبحانه موضع نعلى الرّسول صلّى اللّهُ عليه و آله و سلّم فاشير إلى موضع معين و كان الحقيير يقبلّ الموضع و يعفّر خدّه فيه، ثمّ صلينا ركعتين فيه كان الشيخ إماما و الحقيير مأموما، و قرء فى الرّكعه الاولى إنا فتحنا و فى الثانيه الم نشرح و اذا جاء نصر اللّهِ، فان وقعت الاشاره من الحقّ سبحانه أن يذكر عبور بحر النارى

و سير دركات الجحيم طبقه بعد طبقه امتثلت بالتوفيق الالهي بالسمع و الطاعه انشاء الله تعالى.

الواقعہ الثالثہ

و هذه الواقعه انما كتبت باشاره الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و في أثناء الاشاره استخار الحقير من النبي صلوات الله و سلامه عليه في أنه يلقب نفسه المسكين أو الحقير فاختر لي الحقير و أشار به.

رأى هذا الحقير مرّه كأنه يأكل الكعبه المعظمه زادها الله شرفا و كان الكعبه تمطر من هذا الحقير و في أثناء ذلك صار الحقير الكعبه و بمقتضى الحكمه الربانيه ظهر هذا الحقير على سطحها و ظهر عند ذلك أيضا روح النبي صلى الله عليه و على آله و سلم مع أرواح جميع الأنبياء صلوات الله عليهم على سطح الكعبه المعظمه ثم إن الأرواح الشريفة النبويه نزلت كلها من السطح باذن الله تعالى سوى روح نبينا محمد صَلَّى الله عليه و على آله و سلم، ثم بعد ذلك أوحى الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام أن هذه كعبتى طوفوا حول كعبتى، فطاف الأنبياء كلهم عليهم السلام، ثم أوحى الله إليهم أن آمنوا به و اسجدوا فقالوا كلهم: آمنا بالله و سجدوا حول الكعبه و الكعبه فى الوسط.

ثم بعد ذلك رأى كأنّ الحقّ سبحانه و تعالى من التشبيه و التعطيل بيده عصا ضرب بها سطح الكعبه المعظمه، فصارت شجره كأنها تمطر منها كلمه لا إله إلا الله.

ثم ظهر من حيطان الكعبه أيد لا يعلم عددها إلا الله تعالى و قد التزم بكلّ يد منها نبيّ من الأنبياء و يقول: أنا النبيّ الفلانى حتّى أن نوحا عليه السلام ملتزم بيد منها يقول: أنا النوح النبيّ، و كلّ منهم يقول مشيرا نحوى يا برهان قد جعلك الله مشيرا فاعمل أعمال الأنبياء و الأولياء، و كذا الأولياء رحمهم الله على ما ذكرنا و هذه الأيدى باذن الله تعالى يجذب بعضها المتعلق بها إليها و بعضها يقطع رأس المتعلق بها و يرميه ثم بعد ذلك خرج هذا الحقير من تلك الصوره و ظهر باذن الله تعالى و هو سبحانه فوق رأسه كرحمته تعالى عن التكيف و التمثيل، و روح النبيّ صَلَّى الله عليه و على

آله جالس متمكن، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: يا أهل المعرفة و الإيمان و العلم و الأيقان و ذوى الفطن الثاقبه، انظروا إلى مقالات هذه الطائفة و عقايد اخوان عبده الأوثان و الصائبه كيف زين لهم أعمالهم الشيطان و صدّهم عن السبيل.

ثمّ انظروا إلى هذيانات هذا الجاهل السفيفه النجس المرتكس فى أحداثه و الملحد المغتذى من أرواثه، كيف ارتقى مرتقى صعبا دحضا، و ادّعى تاره رفعا و اخرى خفضا، و خبط خطه عشواء، و ركب ركاب الجاهليه الجهلاء.

فوا عجبا عجبا من تلبيسات ابليس و تدليسات النفس و طول باع الشيطان فى فنون الاغواء و الاضلال، و قوّه تصرّفه فى أوهام الجهال، و من شدّه تصاريّف قوّه المتخيّل و سعه مجال القوّه المتوهّمه كيف نسجت على ألسنتهم نسيجات العنكبوت و حيرتهم فى ظلمات الجهل و الغياهب، و اغرقتهم فى بحر لجّى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور، نعوذ بالله من فساد الاعتقاد و الانحراف عن السيّداد و الالحاد فى المبدأ و المعاد بمحمّد و آله الأمجاد.

المقام الخامس

فى كرامات الصوفيه و حماقاتهم

و ما نسبوه اليهم من الأفعال و الأحوال الخارقه للعاده و الكرامات التسلم «كذا» يتفق مثلها لاولى العزم من الرّسل، و فيما ادّعاه بعض متصّليهم و احموقيهم من الصّلف و الرّعونه و الشّطح الذى ليس منشأه الاّ الحمق و الجنون و السّفاهه.

قال القيصرى فى شرح الفصّ الهودى من الفصوص:

قال: - اى محيى الدّين فى فتوحاته - إنّ الله تجلّى لى مرارا و قال: انصح عبادى، و قال:

قال فى آخر الباب الثانى عشر من الفتوحات: وقد ورد أنّ المؤدّن يشهد له مدى صوته من رطب و يابس، و الشرائع و النبوات من هذا القليل مشحونه و نحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف، فقد سمعنا «رأينا خ ل» الأحجار تذكر الله رؤيه عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفين بجلال الله ممّا ليس يدركه كلّ انسان.

و قال فى شرح الفصّ النوحى: ظواهر العالم من الانسان و الحيوان و النبات و الجماد و غيرهم يشئى بألسنتهم و ألسنه قويهم الرّوحانيه و الجسمانيه على روحه الحقيقى الذى هو الحقّ و تسبّحه و تنزّهه عن النقائص اللازمه لهم اللاحقه بهم، و لكن لا يقصد هذا التّسييح و التّنزيه إلّا من تنور باطنه بنور الايمان أوّلا، ثمّ الأيقان ثانيا، ثمّ العيان ثالثا ثمّ يوجدان نفسه و روحه ساريا فى عين كلّ مرتبه و حقيقه كلّ موجود حالا و علما و شهودا فقط كسريان الحقّ فيها: فيدرك تسييح الموجودات بذلك الثّور و يسمعه إلى أن قال:

قال الشيخ فى آخر الباب الثانى عشر من الفتوحات: فإنّ المسما بالجماد و التّبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إيّاها فى العاده، فلا يحسّ بها مثل ما يحسّ بها من الحيوان، فالكلّ عند أهل الكشف حيوان ناطق غير أنّ هذا المزاج الخاص يسمّى إنسانا لا غير، و نحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف، فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤيه عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفين بجلال الله ممّا ليس يدركه كلّ إنسان قال:

و قال فى موضع آخر منه: و ليس هذا التّسييح بلسان الحال كما يقوله أهل النّظر ممّن لا كشف له، هذا شأن من تحقّق بالمراتب الثلاث الاول. و أمّا صاحب المقام الرّابع فهو مسبّح لربه بلسان تلك الحقائق و حامد له فى تلك المراتب، فهو العبد التّام لله يعبده فى كلّ موطن و مقام عباده جميع العالم، و يحمده حمدهم و يرى جميع ما يراه بالبصر و بالبصيره عند تحقّقه بمقام الجماديه و يسمع ما كان يسمع. و يعقل ما كان يعقل من غير خلل و نقصان، و فى هذا المقام

يطوى الزّمان و المكان، و يتصرّف فى جميع الأكوان تصرّف النفوس فى الأبدان و يظهر فى حاله الواحده فى مراتب الأرواح النّورانيه و النفوس القدسيه الروحانيه و الأجسام الكثيفه الظلمانيه، و لهذه المراتب أسرار غامضه جدّا يحرم كشفها، انتهى كلامه قاتله الله.

و هو كما ترى صريح فى أنّ هؤلاء الزّنادقه فضلا عن دعويهم سريان هويه الحقّ فى حقايق الأشياء ادّعوا سريان هويه المكاشفين منهم أيضا فى حقايقها.

فلم يبق بينهم و بينه سبحانه على زعمهم فصل و لا له عليهم فضل، قاتلهم الله فأنى يؤفكون.

و قد صرّح بذلك القيصرى فى الفصل الثامن من ديباجه شرح الفصل حيث قال فى تحقيق أن حقايق العالم فى العلم و العين كلّها مظاهر للحقيقه الانسانيه التى هى مظهر لاسم الله بعد جملة من الكلام ما لفظه:

و لذلك قيل: الانسان الكامل لا بدّ أن يسرى فى جميع الموجودات كسريان الحقّ فيها، و ذلك فى السفر الثالث من الحقّ إلى الخلق بالحقّ، و عند هذا السّيفر يتمّ كماله و به يحصل حقّ اليقين من المراتب الثلاث و قال الجامى فى رسالته التى كتبها فى تحقيق مذهب الصوفيّه و المتكلمين و الحكماء المتقدّمين، يروى عن قضيب البان الموصلى أنّه كان يرى فى زمان واحد فى مجالس متعدّده مشغلا فى كلّ بأمر غير ما فى الآخر، و لما لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغّلين فى الزّمان و المكان تلقّوه بالزّد و العناد و حكموا عليه بالبطلان و الفساد، و أمّا الذين منحوا التّوفيق للنّجاه من هذا المضيق فلما رأوه متعاليا عن الزّمان و المكان علموا أنّ نسبه جميع الأزمنه و الأمكنه إليه نسبه واحده متساويه، فجوّزوا ظهوره فى كلّ زمان و مكان بأى شأن شاء و بأى صوره أراد، انتهى كلامه خذله الله تعالى سبحانه و قال محيى الدين فى الفصّ العيسوى: إنّ أبا يزيد نفخ فى النّمله التى قتلها فحييت، فكان عيسوى المشهد.

و قال الغزالي فى احياء العلوم: قيل لبعض العارفين بلغنا أنّك ترى الخضر عليه السّلام؟ فتبسّم و قال: ليس العجب ممّن يرى الخضر و لكن العجب ممّن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه.

قال: و قيل لأبى يزيد البسطامى مرّه: حدّثنا عن مشاهدتك من الله تعالى، فصاح ثمّ قال: ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك، قيل: فحدّثنا بأشدّ مجاهدتك لنفسك فى الله تعالى فقال: هذا أيضا لا يجوز أن اطلعكم عليه، قيل: فحدّثنا عن رياضه نفسك فى بدايتك، فقال: نعم دعوت نفسى إلى الله فجمحت علىّ فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنه و لا أذوق النّوم سنه فوفت لى بذلك.

قال: و يحكى عن يحيى بن معاذ أنّه رأى أبا يزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلاه العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه، رافعا أخصيه مع عقبه عن الأرض، ضاربا بذقنه على صدره، شاخصه بعينه لا يطرف.

قال: ثمّ سجد عند السيّاح فأطاله، ثمّ قعد فقال: اللهم إنّ قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك و إنّى أعوذ بك من ذلك، و إنّ قوما طلبوك فأعطيتهم المشى فى الماء و المشى فى الهواء فرضوا بذلك و إنّى أعوذ بك من ذلك و أنّ قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك و أنّى أعوذ من ذلك حتّى عدّ نيفا و عشرين مقاما من كرامات الأولياء، ثمّ. التفت فرآنى فقال:

يحيى؟ فقلت: نعم يا سيّدى، فقال: مذ متى أنت ههنا؟ قلت: منذ حين، فسكت فقلت: يا سيّدى حدّثنى بشيء فقال: أحدّثك بما يصلح لك.

أدخلنى فى الفلك الأسفل فدوّرنى فى الملكوت السّفلّى و أرانى الأرضين و ما تحتها إلى الثرى ثمّ أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السماوات و أرانى ما فيها من الجنان إلى العرش، ثمّ أوقفنى بين يديه فقال: سلنى أى شيء رأيت حتّى أهبه لك، فقلت: يا سيّدى ما رأيت شيئا أستحسنه فأسألك إياه، فقال: أنت عبدى حقّا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلنّ بك و لأفعلنّ، فذكر أشياء.

قال يحيى: فهالنى ذلك و امتلأت به و عجت منه فقلت: يا سيّدى لم لا سألته

المعرفه به و قد قال لك ملك الملوك: سلني ما شئت، قال: فصاح بي صيحه و قال: اسكت ويلك غرت عليه مني حتى لا احب أن يعرفه سواه.

قال الغزالي: و حكى أن أبا تراب الخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه و يقوم بمصالحه و المريد مشغول بعبادته و مواجهته، فقال له أبو تراب يوما:

لو رأيت أبا يزيد فقال: إنني عنه مشغول، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج و جد المريد. فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله فأغنانني عن أبي يزيد.

قال أبو تراب: فهاج طبعي و لم أملك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز و جلّ لو رأيت أبا يزيد مرّه واحده كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرّه قال: فبهت الفتى من قوله و أنكره فقال: و كيف ذلك؟ قال له: ويلك أما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك و ترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره، فعرف ما قلت فقال:

احملني إليه فذكر قصه قال في آخرها فقال:

فوقفناه على تلّ نتظره ليخرج إلينا من الغيضة و كان يأوى إلى غيضة فيها سباع، قال: فمرّ بنا و قد قلب فروه على ظهره. فقلت للفتى: هذا أبو يزيد فانظر إليه، فنظر إليه الفتى، فصعق فحرّكناه فإذا هو ميت، فتعاوننا على دفنه فقلت لأبي يزيد: يا سيدي نظره إليك قتله، قال: لا و لكن صاحبكم صادقاً و استكنّ في قلبه سرّ لم ينكشف له بوصفه، فلما رأنا انكشف له سرّ قلبه فضاق عن حمله لأنّه في مقام الضّعفاء المريدين فقتله ذلك.

قال الغزالي: و لما دخل الزّنج البصره فقتلوا الأنفس و نهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا: لو سألت الله دفعهم، فسكت ثمّ قال: إنّ لله عباداً في هذه البلد لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليله واحده و لكن لا يفعلون، قيل: لم؟ قال: لأنهم لا يحبّون ما لا يحبّ، ثمّ ذكر من إجابته الله أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال و لو سألوه أن لا يقيم السّاعه لم يقمها، و هذه امور ممكنه في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو

عن التصديق و الايمان بامكانها، فإنَّ قدره واسطه و الفضل عميم، و عجائب الملك و الملكوت كثيره، و مقدورات الله تعالى لا نهايه لها، و فضله على عباده الذين اصطفى لا غايه له.

و لذلك كان أبو يزيد يقول: إن أعطاك مناجاه موسى و روحانيه عيسى و خلّه إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك أضعافا مضاعفه فان سكنت إلى ذلك حجت به، و هذا بلاء مثلهم و من هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل.

و قد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهنّ يتساعين في الهواء عليهنّ ثياب من ذهب و فضّه و جوهر يتخشخش و ينثنى معهنّ، فنظرت إليهنّ نظره فعوقت أربعين يوما، ثمّ كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهنّ في الحسن و الجمال، و قيل لى: انظر إليهنّ قال فسجدت و غمضت عيني في سجودي لئلا أنظر إليهنّ و قلت: أعوذ بك ممّا سواك لا حاجه لى بهذا، فلم أزل حتّى صرفهنّ الله عنى.

و فى كتاب قوائم الأنوار تأليف قطب السلسله الذّهبيّه المسمّى بميرزا أبو القاسم الشّهير ميرزا بابا الذّهبي ألفه بالفارسيّه قال فى الشّطر الثالث فى بيان حقيقه العشق الالهى ما ترجمته مخاطبا لابنه محمّد و هو رئيس السلسله الذّهبيّه و قطبهم فى زماننا هذا:

يا بنى إن شئت أن تطلع على سير السّلاّك و المجذوبين و العشاق الالهيين فاستمع قصّه سلطان العارفين الشيخ أبى يزيد البسطامى فى سير معراجّه قال الشيخ: إننى بعد ما خدمت مائه و ثلاثين شيخا من المشايخ الكملين، و لازمت الرّياضه و المجاهده ثمانين عاما آتاني الله تعالى عينا من نور وحدانيته و جناحين من آثار قدرته، فطرت ثلاثين ألف عام فى عالم الواحدانيه، و ثلاثين ألف عام فى مرتبه الفردانيه، و ثلاثين ألف عام فى مرتبه الصّمديه، فشاهدت قد بقيت بقيه من الاثنيّه فاهترنى غيره شوق الوحده فطرت أربعين ألف عام آخر فى الوحده فبلغت غايه ما يمكننى من السّير فشاهدت أنّ وجودى المتوّهم لم ينعدم بعد، فعجزت و قلت: إلهى أعلم أنّ

وجودى بوجودك شرك و أنا لا أقدر الوصول اليك بوجودى فكيف لى فى فناء وجودى قال سبحانه: ضع رأسك على عتبة باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو يزيد: فغلبنى شوقه فقلت أحالنى سبحانه إلى بابه فطرت بجناحي الهمة والعشق حتى وصلت أرواح الأنبياء عليهم السلام فسلمت على كل واحد منهم وسلموا علي حتى جاوزت من الأنبياء وسعيت فى الطيران إلى أن وصلت فناء حضرت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت مائة آلاف ألف بحر من نار لا بد من العبور منها، ثم نظرت فرأيت آلاف ألف حجاب من حجب النور وعلمت أنه ما لم أعبر من بحار النار لا يمكن لى الوصول إلى حجب النور، ولو أضع قدمى على أول بحر منها لاحتترقت وهلكت، ثم أمعنت النظر فرأيت أطناب سرادق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضروبه فى منتهى حجب النور، فقلت: هذا هو الذى قاله رؤساء الدين: إن الوصول إلى الله سهل وإلى الرسول صعب فلما يئست من الوصول إلى حضرته، فقلت: باب الرسول فى هذا العصر هو ابنه جعفر الصادق عليه السلام، فقدمت إلى حضرته فقلت: يا مولاي جعلت فداك إن الله تعالى بعد ثمانين عاما من المجاهدات والرياضات فى سلوك طريقه وخدمه مائة وثلاثين من الأولياء أحالنى إلى بابك وإنى بعد طول الرياضه فى هذه المدة والمواظبه على العباده والانقطاع من الخلق والعزله والتفريد والتجريد جئت إلى بابك غير معجب بشيء من ذلك، فهب أتنى مجوسى أو يهودى أو نصرانى جئت إلى حضرتك لطلب دين الحق فأدخلنى فى الاسلام، فقال عليه السلام: قل لا إله إلا الله.

قال أبو يزيد: فلما قلت لا إله كلمه التفتى فشاهدت المحو والفناء فى جميع العالم حتى فى وجودى، فلما قلت: إلا الله كلمه الاثبات فظهرت صورته الصادق عليه السلام فقلت: سبحانه الله الفناء والبقاء والمحو والاثبات الذى كنت أطلبه فى تسعين عاما مع طول الرياضات والمجاهدات وخدمه مائة وثلاثين من الأولياء وسير مائة وثلاثين ألف عام فى الوحده قد حصل لى فى دقيقه واحده بتلقينه عليه السلام كلمه لا إله إلا الله.

فلزمت حضره الصادق عليه السلام وسألت أن يفوض إلي بعض خدماته ففوض سقايه

بيته الشريف إلى فكنت سقاء في بيته سبع سنين، فقال الصادق عليه السلام لى يوما من الأيام:

يا طيفور هات الكتاب من الرّف، فقلت: جعلت فداك و أين الرّف؟ فقال: فوق رأسك و قد كنت منذ سنين عندنا فى هذه الدّار و البيت و ما رأيت الرّف فوق رأسك؟ فقلت: بالله الّذى أجلسك فى مسند الخلافه شغلى بك و بأنوارك منعنى عن هذا، فقال عليه السّلام: قد تمّ لك الأمر امض إلى بسطام و ادع النّاس إلى الله سبحانه و إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أوليائه، و أرسل معه بعض ولده فقدا متفقين إلى بسطام و دعى أهله إلى الصّيادق عليه السّلام، و كان يوم الجمعة مشغولا بارشاد الخلق و هدايتهم إلى السّير و السلوك و ساير أيّام الاسبوع مشغولا بالفتاوى و الأحكام، انتهى ما نقله بطوله.

أقول: هذه القصّه لم أجدها فى مؤلّفات أحد من المتصدّين لنقل كرامات الصّوفيه حتّى فى كتاب تذكره الأولياء لهم أيضا مع أنّ أصل مقصود صاحب التذكرة من تأليفه ليس إلّا ذكر أمثال ذلك، و العهد فى ذلك على ناقله، نعم كون أبى يزيد سقاء فى دار الصادق عليه السّلام قد ذكره صاحب التذكرة و غيره.

لكن ردّه الشيخ نور الدين المحدث كما حكاه القاضى نور الله فى مجالس المؤمنين عنه، فإنّه بعد ما حكى كونه سقاء فى داره عن جماعه قال:

و قال الشيخ نور الدين أبو الفتوح المحدث إنّّه صحّ عن علماء التاريخ أنّ وفاه مولينا الصادق عليه السّلام كانت فى سنه ثمان و أربعين و مائه و أنّ وفاه السلطان أبى يزيد المذكور فى سنه احدى و ستين و مأتين، و لم يختلف أحد من العلماء فى هذين التاريخين مع أنّ التفاوت ما بينهما مائه و ثلاثه عشر سنه، و لم يذكروا أيضا عمر أبى يزيد أكثر من الثمانين، فاحتمل أن يكون ملازمته فى الخدمه لباب مولينا على بن موسى بن جعفر الرضا عليهم السّلام و وافقه على ذلك المحقّق الشريف فى شرح المواقف حيث قال: و أما أبو يزيد فلم يدرك جعفرًا عليه السّلام بل هو متأخّر، و لكنّه استفاض من روحانيّه جعفر و لذا اشتهر انتسابه اليه انتهى.

و كيف كان فقد نسبت إلى أبى يزيد ذلك كرامات كثيره و قد أطروا فى حقّه

حتى قال جنيدهم البغدادي: إنه كان بين الأولياء كجبرئيل بين الملائكة.

و لكن هذا كله ينافي ما رواه غير واحد من العامة و الخاصه منه من قوله:

سبحاني ما أعظم شاني فإنه تنزيه يليق بالخالق و يختص به دون المخلوق.

و أعظم من ذلك ما رواه بعضهم عنه من قوله: ليس في جنتي سوى الله، و روى بعضهم ذلك من حسين بن منصور الحلاج، و الظاهر صدور هذا الهذيان من خبيث لسان كلا الرجلين بلا اختصاص له بأحدهما، لأنه مقتضى القول بوحده الوجود و من لوازمه، و العجب من بعض المتصوفه أنه بعد نقل هذه الخرافات عن الرجلين الجلفين جاء إلى مقام الاعتذار.

قال أبو حامد الغزالي في محكي كلامه من كتاب مشكاه الأنوار بعد ما ذكر فصلا طويلا في حال الحلاج: إن قوله: أنا الحق و ما في الجبه إلا الله من فرط المحبه و شدة الوجد، و هذا مثل قول القائل:

أنا من أهوى و من أهوى أنا فاذا أبصرتني أبصرتنا

و تبعه على ذلك قطب الذهبية في كتابه قوائم الأنوار، قال في ذكر الشرط الخامس من شرائط السلوك بعد جملة كلام له ما ترجمته: إن السالك بعد ترقيه إلى غايه مقام القرب من الحضرة الأحديّة لا يبقى له طريق الترقى إلى ما فوق ذلك و هو باب الولاية الالهية، و لا يمكن له دخول ذلك الباب بالرياضات و المجاهدات إلا بجذبه عنايه إلهية تفوح من مكن الغيب الذي هو باطن باب الولاية و تجذب السالك حتى تدخله في ذلك الباب و تجعله عارفا بأسرار الولاية العلوية روح العالمين فداه، و هذه الأسرار هي التي برزت من أولياء أهل العصمة كما أن السلطان با يزيد البسطامي الذي كان سقاء الصادق عليه السلام قال في خلساته و عند استغراقه في نور الولاية من غير اختيار منه: ليس في جنتي سوى الله، و كان الحسين بن منصور الحلاج يسجد تراب عتبة عليه السلام و يقول من غير شعور: أنا الحق، و بعد ما قتلوه و أحرقوا جسده و صار رمادا ألقوا رماده في دجلة فكانت حبا باب الدجلة متشكل بشكل: الله الله، و كانت دماؤه المتقاطره على وجه الأرض تنقش بنقش: أنا الحق

و ذلك لأنهم لما لم يسمعوا كلام مواليتهم المعصومين عليهم السّلام فى عدم إذاعه أسرارهم فأذاعوها من غير اختيار منهم فى الاذاعه ذاقوا ألم الحديد و نالوا بالشهاده و لا يعلم أسرار ولايتهم عليهم السّلام التى هى ولايه الله إلا الله سبحانه و الذين تنصّوا فمن جرى على لسانه اختيارا هذه كلمات الكفر فهو كافر بلا ريب، و أمّا هؤلاء فقد جرى على لسانهم من غير اختيار، و الدليل على عدم الاختيار انتقاش الدّم و الرّماد بنقش أنا الحقّ و الله الله و قد رأى بعضهم الحلاج فى المنام فسأل عنه كيف عومل معك؟ قال:

عاتبني رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قال لى: لم ثلمت ثلمه فى شريعتى؟ فقلت: جعلت فداك و إن ثلمت و لكن جعلت رأسى موضع الثلمه حتّى لا- يجترى على ذلك أحد من بعدى فعفا عني رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم انتهى كلامه.

أقول: و يتوجّه على المعتذرين لا سيّما على الثّانى منهما وجوه من الكلام و ضروب من الملام.

أمّا أوّلا فلائذ كون هذه الكلمات من كلمات الكفر كما اعترفا به أيضا ليس عليه غبار، و الاعتذار بأنّ صدورها من الرّجلين لم يكن بالاختيار باطل لمنع عدم الاختيار، و على تقدير تسليمه فأقول:

افّ و تفّ على مذهب و طريقه يكون أعلى مقام ترقّياتها و غايه غايات جذباتها و وجدها أن يخرج سالكها عن حدّ التميز و العقل و الشعور و الاختيار و يتكلّم بالهجر و الهذيان، أ بهذا أمرهم صاحب الشريعة؟ معاذ الله ثمّ معاذ الله من الضّلال و الخذلان و إغواء الشيطان.

ثمّ العجب كلّ العجب ممّا ذكره الثّانى فى تعليل عدم الاختيار من انتقاش الدّم و الرّماد، و قد ذكره غيره أيضا من أولياء هذا المقتول الملحد المرتدّ و أتباعه تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا و كيف يذهب و هم العاقل إلى صدق ذلك فضلا عن الاعتقاد به.

و الذى يدلّ على بطلانه ضروره و أنه افك محض أنّ ثانى سيدى شباب أهل الجنه و درّه صدف الطهاره و العصمه و سبط رسول الامه الموصوف و المخصوص بالكرامه

صاحب الولايه المطلقه سابق مضمار المعرفه و المحبه القائل فى مناجاته:

تركت الخلق طرّا فى هواكا و أيتمت العيال لكى أراكا

فلو قطعتنى فى الحبّ إربا لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

سلام الله عليه و على جدّه و أبيه و أمّه و أخيه و ذريّته و بنيه مع كونه مجاهدا فى دين الله مقتولا- فى سبيل الله و كون دمه الطاهر المطهر ثار الله و كون ثائره هو الله عزّ و جلّ، لم ير و لم يرو احد فى دمه الانتقاش، و لو جاز فى حقّ أحد ذلك لكان هو أحرى بذلك بمقتضى معرفته الكامله و محبّته التامه البالغه لا الدّم النجس للرجس السّاحر الكافر الملحد المشعبد حسبما تعرف كفره و الحاده و شعبده تفصيلا إنشاء الله.

و أمّا ثانيا فلائن ارتكاب التأويل فى كلمات هذه الكفره قد ورد فيه النهى الصريح من الأئمه عليهم السلام.

مثل ما رواه مولينا الأردبيلي فى كتاب حديقته الشيعه عن أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى قال: قال رجل للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: قد ظهر فى هذا الزّمان قوم يقال لهم الصّوفيه فما تقول فيهم؟ قال عليه السلام إنهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم و يحشر معهم و سيكون أقوام يدّعون حبنا و يميلون إليهم و يتشبهون بهم و يلقبون أنفسهم بلقبهم و يؤوّلون أقوالهم ألا- فمن مال إليهم فليس منا و إنا منهم براء، و من أنكرهم و ردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، هذا.

مضافا إلى أنّ فتح باب التأويل كما قيل أوّل مراتب الالحاد و بدء الضّلال عن السّداد، إذ بانفتاح تلك الأبواب و قبول الاحتمالات السخيفه فى التكلّم و الخطاب و مقام السّؤال و الجواب ينهدم أساس الدّين و يتلثم أحكام الشرع المبين و يبطل إقامه التعزيرات و الحدود على المستحقّين لها من أهل الفسق و الارتداد و الجحود كما يبطل تكفير المتشرّعين لسائر الكفّار إذا تكلموا بكلمات الكفر ثمّ اعتذروا بعدم الاختيار أو ادّعوا الخذف و الاضمار.

و ظاهر أنّ بناء علماء الاسلام بل ساير المليين على خلاف ذلك فى جميع الأعصار

فأنهم لا يقبلون تأويلا من غير دليل و بمجرد سماع كلمه الكفر يحكمون بالتكفير و التّضليل.

و قد ورد فى الحديث المعتبر المتين عن أولياء اليقين و الحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين إنّ لنا فى كلّ خلف عدولا ينفون عن الدّين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

فالى الله نشكو من فقد نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم و غيبه ولينا و كثره عدونا و شدّه الفتن بنا و تظاهر الزّمان علينا.

إذ بغيبه الامام عليه و على آبائه آلاف التّحيّه و السلام و الاكرام و بموت نوابه الكرام و نقصان خلفائه العظام من العلماء الأعيان و المشايخ و المجتهدين الأعلام فى الأصقاع و البلدان، ثلم ثلمه عظيمه فى الاسلام، و اشتدّت البليّه و عظمت الرّزّيّه و عاد الزمان زمان الجاهليّه فتفرّق أهلها أيادى سبا و أيدى سبا باتّباع الأهواء و اختلاف الاراء و اقتداء الاباء، فسلك كلّ منهم مسلكا و سبيلا، و اتّخذوا الشيطان لهم ملاكا و دليلا.

فتاه بعضهم فى باديه البايّه و ركب آخرون مركب المغيريه^(١) و الخطاييه، و مال ثالث إلى الحلاجيّه، و شرب راجع من قدح الشيخيه، و ارتوى خامس من كأس التّصلّف و الكشفيه، كلّ ذلك لقصورهم عن العروج إلى معارج العلم و اليقين، و فتورهم عن نهج مناهج المجتهدين، و جهلهم بقوانين الاجتهاد و التقليد فى الاصول و فروع الدّين.

و العجب من بعض رؤساء هذه الفرق حيث إنّّه على جهله و بلادته و عدم تميزه بين^(٢) الهزّ و البرّ، و تفرقه بين الشعير و البرّ، يؤلف كتابا و رسائل و يودع

ص: ٣٤١

١- (١) - المغيريه طائفه منسوبه إلى مغيره بن سعيد، خرج على أبى جعفر (عليه السلام) و قال: انه كان يكذب علينا، و كان يدعو الى محمد بن عبد الله بن الحسن (عليه السلام) و الخطاييه طائفه منسوبه الى الخطاب محمد بن وهب الاسدى، و كانوا يدينون بشهاده الزور على من خالفهم مجمع البحرين.

٢- (٢) - فلان لا يعرف هرا من بر ما يهره مما يبره، أو القط من الفار أو دعاء الغنم من سوقها أو العقوق من اللطف، أو الكراهيه من الاكرام، ق

فيها ما ألقاه الشيطان في روعه من الضلال، و أجراه على لسانه من مقالات الجهال و ترهات الأقوال التي تضحك من سخافتها التكلية، و تسقط الطير من السماء، ثم يذيعها على سخافتها بين أتباعه الجهلة العوام الذين هم كالأنعام، و ينشره بين الهمج الرعاع الذين يصغون إلى كل ناعق و يتبعون على كل حمار ناهق، فهم الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

و نسأل الله سبحانه من فضله الواسع و كرمه العميم السابغ بمقتضى ما جرت عادته عليه في البلاد و العباد عند غلبه الضلال و الفساد و إشراف آثار الشريعة من الاندراست، و قرب شمس العلوم الحق من الانطماس:

أن يرسل شهابا ثاقبا من كبراء المجتهدين و الفقهاء المجتدين على الضالين و المضللين من أولياء الشياطين الذين يكاد أن يهدم أساس الشريعة بكيفيات خيالهم و يسقط أعلام الشيعة بكشفيات مقالهم ليقذفهم من كل جانب دحورا حتى لا يدعوا ثبورا واحدا بل يدعون ثبورا كثيرا، و ليكون حاميا لبيضة الدين، ماحيا لآثار المفتريين ناشرا لنا موسى الهداية، كاسرا لنا قوس الغواية، متمما للقوانين العقلية متقنا للفنون النقلية مجددا لمآثر الشريعة المصطفوية، محددا لجهات الطريقه المرتضوية، فان فقيها واحدا كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم أشد على ابليس من ألف عابد إذ به ارغام(1) كل شيطان مارد، و ادغام كل ملحد معاند.

و أما ثالثا فلأن ما يستفاد من كلام ثاني المتعذرين من كون أبي يزيد و الحلاج من أولياء أهل العصمة عليهم السلام و حامل أسرارهم، فيه منع ظاهر.

أما أبو يزيد فإنه و ان اختلف في كونه من أهل زمن الصادق عليه السلام و في كونه سقاء في داره كما هو المشهور أو من أهل زمن الرضا أو الجواد عليهما السلام كما قاله بعضهم و اشتهر أنه شيعي المذهب، أما أنه من الكاملين من ولايه الأئمة عليهم السلام و من جملة حملة الأسرار فلا، إذ الكامل في مقام الولاية لا بد أن يكون في أقواله و أفعاله و حركاته

ص: ٣٤٢

و سكناته تابعا لمولاه.

و هذا الرجل و إن نقل منه ما يفيد متابعته لهم عليهم السلام و مواظبته على الوظائف الشرعيه.

مثل ما نقله أبو القاسم القشيري عنه أنه قال: لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر و النهي و حفظ الحدود و آداب الشريعة.

و قال القشيري أنه سئل بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ قال ببطن جايع أو بدن عارى.

قال: و قيل: لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن بمعنى حفظه من ظهر القلب.

قال: أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أنبأنا أبو نصر السراج قال: سمعت طيفور البسطامي يقول: سمعت المعروف بعمي البسطامي - بفتح العين المهملة و كسر الميم و تشديد الياء - يقول: سمعت أبي يقول قال أبو يزيد: قم نبا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية و كان رجلا مقصورا مشهورا بالزهد، فمضينا فلما خرج من بيته و دخل المسجد رمى ببزاقه تجاه قبله فانصرف أبو يزيد و لم يسلم عليه، و قال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه.

و بهذا الاسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنه الاكل و مؤنه النساء ثم قلت: كيف يجوز لى أن أسأل الله هذا و لم يسأله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم أسأله، ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنه النساء حتى لا ابالي استقبلني امرأه أو حايط.

و في تذكره الأولياء نقل أنه كان بين داره و بين المسجد أربعون قدما و لم ير منه أن يرمى ببزاقه إلى الأرض رعايه لحرمة المسجد، إلى غير ذلك مما رووه عنه من مواظبته بحدود الشريعة و آدابها.

لكنه كله ينافي ما قدّمنا نقله عنه من معراجيه و سائر صلاتفه، و من قوله:

ليس فى جَبَّتَى سوى اللّٰه، و قوله: سبحانى ما أعظم شأنى كما نقله غير واحد.

و ما نقله فى تذكره الأولياء من أنّه عزم الحجّ و سار منازل عديده ثمّ رجع ففيل له ما رأينا منك فسخ العزم فما بدا لك؟ قال: رأيت فى الطريق امرأه سلّت سيفها و قالت لى: ارجع و إلّا- ضربت عنقك تركت اللّٰه ببسطام و قصدت البيت الحرام؟ و فى التذكرة أيضا انه رأى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم ليله فى المنام فقال: يا رسول اللّٰه خدمت مأنه و ثلاثه عشر شيخا و ما وجدت ما طلبته من الكمال، فقال صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: اذهب إلى أهل بيتى و اخدمهم حتى تكمل، فاستيقظ من منامه و ذهب إلى المدينه فرأى الصادق عليه السّلام و هو ابن سبع سنين مع أطفال يتلاعبون و هو ينظر اليهم قال ابو يزيد:

فتردّدت بين السّلام عليه من حيث كونه ابن رسول اللّٰه و بين عدم السّلام من حيث كونه طفلا صغيرا ثمّ سلّمت عليه فردّ على السّلام ثمّ قال: يا أبا يزيد طب نفسا تعال نلعب معك، فقال: يا ابن رسول اللّٰه أىّ لعب نلعب؟ فقال: غب أنت فأنا أجذك ثمّ أغيب أنا فأنت تجدنى، فغاب أبو يزيد أوّلا فدار الامام عليه السّلام تمام وجه الأرض فلم يجده، ثمّ ذهب إلى السّماوات فطلبه فى السّماء الاولى و الثانيه و الثالثه فلم يجده فيها، و وجده فى السّماء الرابعه فى عين الشمس و أخذ بيده و جاء به إلى الأرض فقال له: ها أغيب الان فلتجدنى، فغاب عليه السّلام فطلبه أبو يزيد فلم يجده فى تمام الأرض ثمّ طلبه فى السّماوات السبع و لم يجده فيها، ثمّ رجع إلى الأرض و عجز عن طلبه، فقال: يا ابن رسول اللّٰه إنى عجزت عن وجدانك فأظهر لى نفسك بعميم كرمك، فخرج الصادق عليه السّلام من قلب أبى يزيد، فقال: أنا معك فاين تدور و كان هذا إشاره منه عليه السّلام و ارشادا له فهداه إلى ما طلب و فتح له بابا انغلق.

إلى غير ذلك مما نقلوه عنه من هذا النمط و الاسلوب المخالف للاصول الشرعيه و المنافى لطريقه صاحب الشريعه.

و لا يكاد ينقضى عجبى منه حيث إنه لاحظ رمى البزاق فى المسجد و فى طريق المسجد مع أنه إما مكروه أو مباح، و لم يلاحظ كلمه الكفر الجاريه على لسانه من قوله:

ليس فى جَبَّتَى سوى اللّٰه، و نحو ذلك، و ليت شعرى فى أىّ مقام و أىّ حديث رخص

صاحب الشريعة بالتفوه بهذه الهذيانا.

هذا كله بناء على التنزل و المماشاه و إلا فأقول: يكفى فى كفره و الحاده و كونه سنيا شهاده مثل مولينا المقدس الأردبيلي «قد» على ذلك.

قال فى حديقته الشيعه: إن هذه الطائيفه أى الصوفيه كانوا يؤدون فى المجالس بعض أسرارهم الكفرية بالرمزوا لشاره إلا أبا يزيد، فإنه يقول مكررا غير هائب و لا محتشم: ليس فى جبتى سوى الله و سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى، و رأيت الله فى المنام فى صورته شيخ هرم، و كان هو فى الاصول ظاهرا على التشبيه و الحلول و فى الفروع عاملا بمذهب مالک، و كان فى الباطن زنديقا ملحدا و كونه سقاء فى بيت الصادق عليه السلام من مفتریات العامه بل كان ذلك الشقى معاصرا للحسن العسكرى عليه السلام و خدم عدّه أيام للجعفر الكذاب، انتهى كلامه رفع مقامه.

و اما الحلاج فلا خفاء فى كفره و الحاده و بعده عن طريقه الموحدين و قربه من أهواء الملحدین، و يظهر ذلك بشرح حاله فأقول:

قال فى روضات الجنّات: إنّه كان جدّه مجوسيا كما فى الوفيات و يا ليتّه كان على دين جدّه، و أصله فارسيا بيضاويا لم يصل البياض إلى صفحه قلبه و خدّه و توجه فى حدائنه سنّه إلى ديار الأهواز فاشتغل بها على الشيخ أبى محمد سهل بن عبد الله التستري زمانا، ثم إلى العراق و هو ابن ثمانى عشره سنه و خالط بها الصوفيه و صحب الجنيد البغدادى و أبا الحسين الثورى و غيرهما.

ثم رجع إلى تستر و تأهل، فخرج منها بعد زمان فى جمع من خلطائه إلى بغداد، و منها إلى مكّه المشرفه ثم لما رجع منها إلى بغداد بقصد زياره الجنيد و دخل عليه سألّه عن مسأله فلم يجبه، و قال له: أنت مدّع فى سؤالك، فتكدر منه الحلاج و عاود إلى تستر و حصل له وقع عظيم فى هذه المره عند أهلها بحيث قد خاف على نفسه فاستتر عنهم نحوا من خمس سنين، و كان فى هذه المدّه يتردّد إلى بلاد خراسان و ما وراء النهر و سجستان و فارس، و يظهر لهم الدّعوه و يصنّف فيهم الكتب حسبما يريد، و كان يدعا عندهم بأبى عبد الله الزاهد.

ثمّ لَمَّا رجع في هذه الكَرْه إلى الأهواز نطقوا عنه بحلاج الأسرار لكثرة ما كان يخبر عن ضمائرهم إلى أن جعل له الحلاج لقباً على التدريج، فسافر منها إلى البصرة و منها إلى مكّة ثانياً وهكذا إلى تمام أربعة أسفار إليها بينهم سفر منه إلى طرف الهند و الصين و بلاد التّرك، و تشييع شديد من الشيخ أبي يعقوب النهر جوري عليه.

ثمّ رجع إلى بغداد و كان قد توفى الجنيد فتوطن هناك في هذه الكَرْه إلى أن تغيّر عليه وجوه الفقهاء و القضاء و آل أمره إلى ما آل إلى أن قال:

و العجب أن كلّ من كان له أدنى فائحه من نسيم الجنّة و رايحه من شميم الكتاب و السّينه لم يذكره إلّا لسوء الرّأى و فساد العقيدة و نهايه التّزوير و المهاره في فنون التّسخير و التقرير إماميا كان أو سنيّا و ظاهريا كان أم صوفيا و كأن ذلك لأنّه اختصّ بقبايح امور في هذه الشريعة لم يعهد مثلها لأحد من المتصوّف الاسلاميين.

منها أنّه أظهر الدّعاوى الشديده من عند نفسه و أيّه دعاو.

ففي بعض المواضع أنّه ادّعى الزّبويه و العياذ بالله العظيم مرارا كثيره، و في بعضها أنّه ادّعى قطبيّه الأرض و علوم الغيب و الاتحاد مع الله تعالى شأنه العزيز، و في بعضها أنّه لمّا ورد قم كان مدّعيا لرؤيه صاحب الزّمان و التّيابه عنه و البايه له، فلم يتهنأ له فيها العيش فخرج منها إلى مكّة المشرفه و هو يدّعي الامامه لنفسه و قطبيّه الأرض ثمّ لمّا دخل مكّة زاد في طنبور ملعنته نغمه إلى داعيه الزّبويه، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

و منها أنّه لم يمت إلّا- و قد ظهر منه خلافات و انكشف منه خرافات بحيث لم يبق لأحد من العقلاء شكّ في فساد عقيدته و بطلان طريقته.

و ذلك أنّ شيخنا الأقدم المفيد رضوان الله تعالى عليه قد عمل في الرّد على الحلاجيه كتابا، و فتح الصدوق ابن بابويه القمي في كتاب اعتقاداته الحقّه إلى كفر اولئك بابا، و رفع شيخنا الطوسي أيضا في كتاب الغيبه و الاقتصاد عن وجه هذا المرام حجابا و نقابا، حيث عدّه في الأخير من السحره الكافرين، و قال في الأول:

و منهم يعنى و من الكذابين الملعونين بلسان أهل البيت لأدعائهم الرّؤية و البابيه بعد الغيبه الكبرى و وفاه خاتمه السفراء و المقربين، هو الحسين بن منصور الحلاج.

أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبه الله بن محمّد الكاتب ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: لمّا أراد الله أن يكشف أمر الحلاج و يظهر فضيحه و يخزيه وقع له أنّ أبا سهل إسماعيل ابن عليّ النوبختي رضى الله عنه ممّن تجوز عليه مخرفته و تتمّ عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه و ظنّ أنّ أبا سهل كغيره من الضّعفاء في هذا الأمر بفرط جهله و قدر أن يستحبره إليه فيتمخرق و يتسوّف بانقياده على غيره فيتطيب له ما قصد إليه من الحيله و البهرجه على الضّعفه لقدر أبي سهل في أنفس الناس و محلّه من العلم و الأدب أيضا عندهم و يقول له في مراسلته إيّاه: إنّى و كيل صاحب الزّمان عليه السّلام و بهذا أوّلا كان يستجرّ ثمّ يعلو منه إلى غيره و قد أمرت بمراسلتك و إظهار ما تريده من التّصره لك لتقوى نفسك و لا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل رضى الله عنه يقول لك إنّى أسألك أمرا يخفّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل و البراهين و هو: إنّى رجل أحبّ الجوارى و أصبوا اليهنّ و لى منهنّ عدّه أتخطاهنّ و الشّيب يبعدنى منهنّ و أحتاج إلى أن أخضبه في كلّ جمعه و أتحمّل منه مشقّه شديده لأستر عنهنّ ذلك و إلّا انكشف أمرى عندهنّ فصار القرب بعدا و الوصال هجرا، و اريد أن تغينى عن الخضاب و تكفينى مؤنته و تجعل لحيتى سوداء فأننى طوع يديك و صائر إليك و داع إلى مذهبك مع مالى في ذلك من البصيره و لك من المعونه فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله و جوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته و جهل في الخروج إليه بمذهبه و أمسك عنه فلم يرد إليه جوابا و لم يرسل إليه رسولا.

و صيره أبو سهل رضى الله عنه احدوثة و ضحكه و تطرّء عند كل أحد

و شهر أمره عند الصّغير والكبير، و كان هذا الفعل سببا لكشف أمره و تنفير الجماعه عنه.

و أخبرني جماعه عن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه: أنّ الحلاج صار إلى قم و كاتب قرابه أبى الحسن يستدعيه و يستدعى أبا الحسن أيضا و يقول: أنا رسول الامام و وكيله.

قال: فلمّا وقعت المكاتبه فى يد أبى رضى الله عنه خرقها و قال لموصلها اليه:

ما أفرغك للجّهالات، فقال له الرجل و أظنّ أنّه قال أنّه ابن عمّته أو ابن عمّه:

فإنّ الرّجل قد استدعانا فلم خرق مكاتبته و ضحكوا منه و هزئوا به، ثمّ نهض الى دكانه و معه جماعه من أصحابه و غلمانهم.

قال: فلمّا دخل الى الدّار الّتى كان فيها و كأنّه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رآه جالسا فى الموضع فلم ينهض له و لم يعرفه أبى، فلمّا جلس و اخرج حسابه و دوائه كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضرا فسأله عنه فأخبره فسمعه الرّجل يسأل عنى فأقبل عليه و قال له: تسأل عنى و أنا حاضر، فقال له أبى: أكبرتك أيّها الرّجل و أعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتى و أنا اشاهدك تخرقها فقال له أبى: فأنت الرّجل اذا ثمّ قال: يا غلام برجله و بقفاه، فخرج من الدّار العدوّ لله و لرسوله، ثمّ قال له: أتدعى المعجزات عليك لعنه الله أو كما قال فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم، انتهى.

أقول: المراد بأبى الحسن هو على بن موسى والد الصدوق و إنّما كنّى به لمكان ابنه الأوسط الذى كان مشغلا بالعباده و الزّهد لا يختلط بالناس و لا فقه له بخلاف الأخوين الباقيين أبى جعفر محمّد و أبى عبد الله الحسين راوى هذا الحديث، فانهما كانا فقيهين ماهرين فى الحفظ يحفظان ما لا يحفظه غيرهما من أهل قم، لأنهما ولدا بدعاء الامام عليه السّلام على ما فى كتاب الغيبة للصدوقين القمى و الطوسى «فهما» و غيرهما بل هذا أمر مستفيض عند أهل قم.

و قال العلامة «قد» الحلى فى محكى كلامه من خلاصته: الحسين الحلاج ابن

المنصور ظهر ببغداد و كان أعجميًا و ادّعى أنّه الباب و ظفر به الوزير عليّ بن عيسى فضربه ألف عصا و فصل أعضائه و لم يتأوّه و كان كلّما قطع منه عضو قال:

و حرمة الودّ الذي لم يكن يطمع في إفساده الدهر

ما قدّ لي عضو و لا مفصل إلّا و فيه لكم ذكر

و قال في فوائد الخلاصه: إنّ من الكذّابين، و ذكر الشيخ له أقاصيص و مراده بالأقاصيص ما نقلناه آنفا.

و قال مولينا المقدّس الأردبيلي «قد» في كتابه حقيقه الشيعة: أما حسين بن منصور الحلاج فقد أفرط و جاوز الحدّ في الفضاحه و أظهر الكفر و الالحاد بلا- حجاب و خرج التّوقيع بلعنه و من جمله من أفتى بقتله و كتب خطه في وجوب قتله هو الحسين بن روح رضی الله عنه و كيل صاحب الزّمان عليه السلام.

و قال أبو ريحان البيروني السّيندي من أكابر المنجمين في تاريخه حين ذكر تاريخ المتنبّين و امهم المخدوعين عليهم لعنه ربّ العالمين: ثمّ ظهر رجل متصوّف من أهل فارس يعرف بالحسين بن منصور الحلاج، فدعى إلى المهديّ أوّلا و زعم أنّه يخرج من الطالقان الّذي بالدّيلم فاخذوا دخل مدينه السّلام، و حبس شهرا فاحتال حتّى تخلص من السّجن، و كان رجلا مشعبدا متصنعا مازجا نفسه بكلّ انسان على حسب اعتقاده و مذهبه، ثمّ ادّعى حلول روح القدس فيه و تسمّى بالاله، و صارت له رقاع إلى أصحابه معنونه بهذه الألفاظ.

من الهوهو الأزليّ الأوّل النّور السّاطع اللامع و الأصل الأصليّ و حجّه الحجج و ربّ الأرباب و منشئ السّحاب و مشكاه النّور و ربّ الطّور و المتصوّر في كلّ صوره إلى عبده فلان.

و كان أصحابه يفتتحون كتبهم إليه بسبحانك يا ذات الدّوات و منتهى غايه اللذات يا عظيم يا كبير أشهد أنّك الباري القديم المنير المتصوّر في كلّ زمان و أوان و في زماننا بصوره الحسين بن منصور عبيدك و مسكينك و فقيرك و المستجير بك و المنيب إليك و الزاجي رحمتك يا علّام الغيوب يقول كذا و كذا.

و صَنَّف كتاباً في دعواه مثل كتاب نور الأصل و كتاب جَمِّ الأكبر و كتاب جَمِّ الأصغر، فعثر عليه المقتدر بالله في سنة إحدى و ثلاثمائه للهجرة و ضربه ألف سوط و قطع يديه و رجله و ضرب عنقه، ثم زرقه بالنَّفْط حتَّى احترقت جثته و رمى برماده في دجله و لم يتكلَّم بحرف فيما فعل به و لم يقطب وجهه و لم يحرك شفته و بقيت بقيته من أتباعه منسوبون إليه يدعون إلى المهدي و أنه يخرج بالطالقان انتهى و قال الشيخ محمّد الشَّهير بحاجي مؤمن الخراساني: و المذبي اعتقد فيه يعني الحلاج الرَّد عليه و على أصحابه، لأنَّ كلَّ حقيقته رَدَّته الشريعة فهي مردوده كما حقَّقناه و قد رَدَّ عليه كبار المشايخ المتقدِّمين و المتأخِّرين كالجنيد، و الشيخ أبي جعفر محمّد ابن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ رئيس المحدثين المتألَّهين، و شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، و الشيخ الطبرسي، و الشيخ المفيد، و السيّد المرتضى علم الهدى، و الشيخ جمال الدِّين المطهر الحلّي، و السيّد ابن طاوس صاحب المقامات و الكرامات، و الشيخ أحمد بن فهد الحلّي المتألَّه شيخ المتأخِّرين رضى الله عنهم، و كلهم اتَّفَقوا على أنَّه من المذمومين و بعضهم على أنَّه خرج من النَّاحية توقيع بلعنه و أنت إذا تأمَّلت أدنى تأمَّل وجدت أكثر من ينتمي إلى الحلاج و يعتقد رأيه قائلين بالحلول و التَّجسيم و التَّشبيه و الزندقة و ترك الشرائع و الأحكام و الأمر و النَّهي، و يدَّعي الوصول إلى أعلى مرتبة العرفان و التَّوحيد و الإباحة و ينفي الحلال و الحرام كالفرقة المردفيه المشركة المجوسية، انتهى.

أقول: و يؤيِّد ما ذكره أخيراً من المتصوِّفة الحلاجية ما قاله الصِّدوق في اعتقاداته: علامه الحلاجية من الغلاة دعوى التَّجَلِّي بالعبادة مع تدنيهم بترك الصِّلاه و جميع الفرائض، و دعوى المعرفة بأسماء الله العظام، و دعوى انطباع الحق (1) لهم و أنَّ الولي إذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبياء عليهم السَّلام، و من علامتهم أيضاً دعوى علم الكيمياء و لا يعلمون منه إلا الدَّغل و التلفيق بالشَّبه و الرِّصاص على المسلمين، اللهم لا تجعلنا منهم و عنهم جميعاً. انتهى كلامه

ص: ٣٥٠

و فى كتاب روضات الجنّات من كتاب روض المناظر فى علم الأوائل و الأواخر تأليف الشّيخ محبّ الدّين الحنفى ألفه فى بيان سوانح كلّ سنه من لدن زمن أنبياء بنى إسرائيل إلى سنه ثلاث و ثمانمائه قال:

إنّ فى سنه تسع و ثلاثمائه قتل حسين بن منصور الحلاج كان يخرج فاكهه الشّتاء فى الصّيف و بالعكس و يمدّ يده فى الهواء و يعيدها و فيها دراهم و عليها مكتوب قل هو الله أحد، يستّيهها دراهم القدره و يخبر النّاس بما صنعوا فى بيوتهم و يتكلّم بما فى ضمائرهم، و فتن به خلق كثير و اختلفوا فيه اختلاف التّصارى بالمسيح، و كان يصوم الدّهر و يفطر على ماء و ثلاث عضاه من قرص.

قدم من خراسان إلى العراق و صار إلى مكّه و جاور بها سنه ثمّ عاد إلى بغداد فالتمس حامد الوزير من المقتدر أن يسلمه إليه، و جدّ الوزير فى قتله و استنطقه عدّه مجالس بحضره العلماء آخرها أنّه ظهر منه بخطه كتاب يتضمّن أنّ من لم يمكنه الحجّ إذا أفرد فى داره بيتا نظيفا و لم يدخله أحدا فطاف حوله أيام الحجّ و فعل ما يفعله الحاج ثمّ جمع ثلاثين يتيما و أطعمهم أجود الطعام فى ذلك البيت و كساهم و أعطى كلّ واحد منهم سبعة دراهم كان كمن حجّ.

فقال القاضى أبو عمرو الحجاج من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الاخلاص للحسن البصرى، فقال القاضى: كذبت يا حلال الدّم قد سمعناه بمكه و ليس فيه هذا، فطالبه الوزير بكتابه خطه أنّه حلال الدّم أياما ثمّ أجابه و كتب باباحه دمه و وافقه جماعه من العلماء، فقال الحلاج: ما يحلّ لكم دمي و دينى الاسلام و مذهبي السنه و لى فيها كتب موجوده عند الوراقين، فالله الله فى دمي و لم يزل يردّد هذا.

و عن تاريخ حبيب السير أنّه قال بعد ذكره لهذه الواقعة بالفارسيه إلى قوله و مذهبي السنه: و تفضيل الخلفاء و العشره المبشره، و لى فى السنه كتب موجوده يكون عند الوراقين، فالله الله فى دمي، و لم يزل يردّد هذا و هم يكتبون خطوطهم حتى استكملوا ما أرادوا، و نهضوا من المجلس.

فحمل الحلاج إلى السجن و كتب الوزير إلى المقتدر بالله الخليفة فهرست الوقائع، فصدر منه الجواب بعيد ساعه بأنّ قضاء البلد إذا كانوا قد أفتوا بقتل الرجل فليسلم إلى صاحب الشرطه و ليتقدم إليه يضربه ألف سوط فان هلك و إلا يضربه ألفا آخر و يضرب عنقه.

فسلّمه إلى الشرطى و أخبره بما رسم به المقتدر و قال: فان لم يتلف بالضرب فاقطع يده ثم رجلاه ثم نحر رقبته و تحرق جثته، و إن خدعك و قال أنا أجرى لك الفرات و دجله ذهبا و فضه فلا تقبل ذلك منه، و لا ترفع العقوبه عنه.

فتسلّمه الشرطى ليلا فأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنه تسع و ثلاثمأه فأخرجه الى باب الطاق و كان يتبختر فى قيوده و اجتمع عليه من العامه خلق كثير لا يحصون.

فضربه الجلاد ألف سوط فلم يتأوّه شيئا بل قال للشرطى لما استوفى ستّ مائه:

ادع بى إليك فانّ لك عندى نصيحه تعدل فتح قسطنطينيه الروم فقال له: قد قيل لى: إنك تقول هذا الكلام و أكثر منه و ليس الى رفع السياط عنك سبيل، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعه ثم جزّ رأسه و أحرق جثته بالنار، و لما صارت رمادا ألقاها فى دجله و نصب رأسه على الجسر و اتفق أن ارتفع ماء دجله فى تلك السنه فادّعى بعض أصحابه أن ذلك ببركه ما ألقى فيها من الرماد، و تواعدوا فى أنفسهم أيضا على السرّ أنه سيعود إليهم بعد أربعين يوما من ذلك التاريخ، و ادّعى بعضهم أنه لم يقتل و إنما ألقى شبهه على عدوّ له فقتل.

ثمّ إن فى تاريخ روض المناظر أنه قتل و حرق و نصب رأسه ببغداد قال: و قد ترجمه الدّهبي فى عدّه أماكن من كتبه و كذا الخطيب و غيره ترجمه قبيحه و أنّه كان ساحرا مشعبدا محلولا و الله أعلم، انتهى.

و فى وفيات الأعيان نقلا عن أبى بكر بن ثوابه القصرى انه قال: سمعت الحسين ابن منصور و هو على الخشبه يقول:

طلبت المستقرّ بكلّ أرض فلم أر لى بأرض مستقرّا

أطعت مطامعي فاستعبدتني و لو أننى قنعت لكنت حرًا

فقد علم بذلك كله أنّ الرّجل من أهل الغلوّ و الالحاد، و الحلول و الاتحاد فكيف يكون من أولياء أئمة الدّين سلام الله عليهم أجمعين، و لو كان من أهل الولاية لورد فيه منهم عليهم السّلام ما يدلّ على مدحه و فضله و علوّ شأنه، لا ما يدلّ على لعنه و طعنه قال فى روضات الجنّات: لو شئت زياده بصيره بأحوال و أباطيل الملاحده من هذه الطائفة فعليكم بمراجعته رساله الشيخ الحرّ العاملى الموضوعه للتشنيع عليهم و تحذير أهل الاسلام من اتباعهم، و بيان جمله من قبائح أفعالهم، فإنّها البالغه حدّ الكمال فى هذا الباب، و كذلك كتاب مولينا محمّد طاهر القمى المعاصر له المشنع على المولى محسن الفيض الكاشى صاحب الوافى فى ميله إلى هذه الطائفة، بل المكفّر إياه من هذه الجبهة، و رسالتى الشيخ علىّ بن الشيخ محمّد الشهيدى و المولى إسماعيل الخاجوى بالعربيه و الفارسيه، فى تخطئتهم و تنفير قلوب عوام الناس عنهم، و غير ذلك من تضاعيف مصنّفات الشيعة و أهل السنّه و الجماعة، فإنّهم فى الحقيقه مصداق قوله تعالى «مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا» و منكرون لأساس الشّريعه الغرّاء، أعاذنا الله و جميع المؤمنين و المؤمنات من متابعه أهوائهم و سلوك سبيلهم آمين ربّ العالمين.

المقام السادس – فى منشا الكرامات و خوارق

اشاره

العادات الصادره من هذه الطائفه

كالإخبار عن المغيبات و استجابة الدعوات و تأثير الأنفاس و طيّ الأرض و نحوها، ممّا رويت عنهم و نسبت اليهم فى كتبهم المدوّنه لهذا الغرض مثل كتاب تذكره الأولياء و غيره فأقول و بالله التّوفيق:

إنّ ظهور الكرامات من أولياء الله الجامعين بين مرتبتي العلم و العمل على اصطلاح المتشّرع و بين الشريعه و الطريقه و الحقيقه و المعرفه

ص: ٣٥٣

و بعبارة اخرى علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين و برد اليقين على اصطلاح المتصوّفه، غير قابل للانكار و ليس عليه غبار، لأنّ العبوديه جوهره كنهها الربوبيه.

و قد نقل من أصحاب النّبى و اتباع الأئمه عليهم السّلام الكاملين فى مقام المعرفه و الولايه، و من العلماء الرّاسخين و غيرهم من عباد الله الصالحين المتّقين المتصّفين بالصّيفات المتقدّمه فى الخطبه المأه و الثانيه و التسعين فى حديث همام و غيرها كرامات متجاوزة عن حدّ الاحصاء، و ظهورها منهم عنايه خاصّه من الله عزّ و جلّ بهم، و لطف مخصوص فى حقّهم إكراما لهم و إظهارا لشرفهم لديه و قربهم إليه.

و أمّا غير هؤلاء من أهل التّصنع و التّكلف و التّصوّف و التّصلف، فظهور بعض خوارق العاده منهم مستند إلى أحد امور:

منها الشعبده

و هى حركات سريعه تترتّب عليها أفعال عجيبه بحيث يخفى على الحسّ الفرق بين الشىء و شبهه لسرعه الانتقال منه إلى شبهه فيحكم الرأى له بخلاف الواقع.

فالمشعبد الحاذق يظهر عمل شىء يشغل أذهان الناظرين و يأخذ عيونهم إليه حتّى إذا اطمأنّ باستغراق نظرهم إليه عمل شيئا آخر بسرعه شديده، و بذلك يحصل عند الناظر أمر عجيب، و سببه الاشتغال بما أظهره أولا و السرعه المزبوره.

و هذا هو المراد بقولهم: إنّ المشعبد يأخذ بالعيون، لأنّه فى الحقيقه يأخذ بالعيون إلى غير الجبهه التى يحتال، و كلّما كان أخذه للعيون و جذبه للخواطر إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق فى عمله.

و لها أقسام اخر معروفه بين المشعبدين من الافرنج و غيرهم

و منها التنجيم

و هو الاستدلال بحركات النّجوم على بعض الحوادث الواقعه فقد أخبر آذر بطريق النجوم على إبراهيم.

قال الصادق عليه السّلام فى المروى عنه فى تفسير علىّ بن إبراهيم: إنّ آذر أبا إبراهيم كان منجّما لنمرود بن كنعان فقال له: إئنّى أرى فى حساب النّجوم أنّ هذا الزّمان يحدث رجلا فينسخ هذا الدين و يدعو الى دين آخر، فقال نمرود: فى أىّ

بلاد يكون؟ قال: فى هذه البلاد، الحديث.

و عن صاحب كتاب التّجمل أنّ آذر كان منجّما لنمرود فقال: له يوما:

رأيت فى النّجوم أمرا عجيّبا، قال: و ما هو؟ قال: رأيت مولودا يولد فى زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلّا قليلا حتّى يحمل به، قال: فتعجّب من ذلك ثمّ قال: هل حملت النّساء؟ قال: لا، فحجب الرّجال عن النّساء و لم يدع امرأه إلّا جعلها فى المدينة قال: فوقع آذر على أهله فحملت بآبراهيم فظنّ أنّه صاحبه فأرسل إلى قوايل ذلك الزّمان و كنّ أعلم الناس بالجنين فنظرن فالزم ما فى الرحم الظهر فقلن ما نرى فى بطنها شيئا، قال: و كان ممّا أوتى من العلم أنّ المولود سيحرق بالنّار و لم يؤت أنّ الله سينجيه منها.

و قد تضمّنت كتب التّواريخ و غيرها الأخبار بنبوّ موسى و رسالته من النّجوم، و كذا نبوّ نبيّنا صلّى الله عليه و آله و سلّم و ظهور العرب على الفرس كما لا يخفى على من لاحظها.

و الاخبار النّجومية للمنجمين من الوقائع المستقبلة فوق حدّ الاحصاء، و قد مرّ فى شرح الكلام الثامن و السّبعين مطالب نافعه فى هذا المقام.

و منها الكهانة

و هى عمل تقتضى طاعه بعض الجنّ.

قال العلامة «قد» فى محكى القواعد: الكاهن هو الذى له رائد من الجنّ يأتيه بالأخبار.

و عن النهايه الكهانه هى تعاطى الأخبار عن الكائنات فى مستقبل الزّمان، و قد كان فى العرب كهنة فمنهم من كان يزعم أنّ له تابعا من الجنّ يلقى إليه الأخبار، و منهم من كان يزعم أنّه يعرف الامور بمقدّمات أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله.

و منها السحر

قال فخر المحقّقين فى المحكى عن الايضاح: إنّ استحداث الحوادث و الخوارق، إما بمجرّد التأثيرات النفسانيه و هو السّحر، أو بالاستعانة بالفلكيات فقط و هو دعوه الكواكب، أو على تمزيج القوى السّماويه بالقوى

الأرضيّه و هو الطلسمات أو على سبيل الاستعانه بالأرواح السّاذجه و هو العزائم، و يدخل فيه التّيرنجات و الكلّ حرام فى شريعته سيد المرسلين.

و فى الجواهر أنّه عبارته عن ايجاد شىء تترتب عليه آثار غريبه و أحوال عجيبه بالنسبه إلى العاده بحيث تشبه الكرامات و توهم أنّها من المعجزات المثبتة للنبوات من غير استناد إلى الشّريعات بحروز أو دعوات أو نحوها من المأثورات.

و منها استخدام الجن و الشياطين

و عن المسالك دخوله فى الكهانه و فى الدّروس دخوله فى السّحر قال: يحرم الكهانه و السّحر بالكلام و الكتابه و الرقعه و الدّخنه بعقاقير الكواكب و تصفيه النفس و التصوير و العقد و النّفث و الأقسام و العزائم بما لا يفهم معناه و يضرّ بالغير فعليه.

و من السّحر الاستخدام للملائكه و الجنّ و الاستنزال للشياطين فى كشف الغايب و علاج المصاب.

و منه الاستحضار بتلبس الرّوح ببدن منفعل كالصّبي و المرأه و كشف الغائب على لسانه.

و منه التّيرنجات، و هى اظهار غرائب خواص الامتزازات و اسرار التّيرين و يلحق به الطلسمات و هى تمزيج القوى العاليه الفاعله بالقوى السافله المنفعله ليحدث عنها فعل الغرائب، فعمل هذا كلّ و التّكسب به حرام أمّا علمه ليترقى أو لثلا يعتريه فلا، و ربّما وجب على الكفايه لدفع المتنبى بالسّحر و يقتل مستحلّه، انتهى.

و عن الصادق عليه السّلام أنّه لما سأله الرّنديق عن السّحر ما أصله و كيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجايبه و ما يفعل؟ قال: إنّ السّحر على أقسام وجوه شتى، منها بمنزله الطبّ كما أنّ الأطباء وضعوا لكلّ داء دواء فكذلك علماء السّحر احتالوا لكلّ صحه آفه و لكّ عافيه سقما و كلّ معنى حيله و نوع منه آخر خطفه و سرعه و مخاريق و خفه و نوع منه ما يأخذ أولياء الشياطين منهم.

و ذكر بعضهم أنه على أقسام:

الاول سحر الكذابين

و هم قوم يعبدون الكواكب و يزعمون أنّها المدبّره لهذا العالم إلاّ أنهم فرق ثلاث:

الاولى

زعمت أنّ الأفلاك و الكواكب واجبه الوجود لذاتها، و هى المدبّره لهذا العالم و الخالق له.

والثانيه

أنّها مخلوقه إلاّ أنّها قديمه لقدم العلّه التّامه المؤثره فى وجودها فالساحر عند الفرقتين هو الذى يعرف قوى العاليه الفعاله بسايطها و مركباتها، و يعرف ما يليق بكلّ واحد من العوالم السفليه، و يعرف المعدّات ليعدّها، و يعرف العوائق لينحيها معرفه بحسب الطاقه البشريه، و بذلك يكون متمكنا من استجذاب ما يخرق العاده.

الفرقه الثالثه

أنّها حادثه مسبوقة بالعدم إلاّ أنّ خالقها خلقها عاقله مختاره، و فوّض تدبير العالم إليها و الساحر حينئذ من عرفته بالتقريب السابق

القسم الثانى سحر أصحاب الأوهام و النفوس القويّه

، و هو يكون بتجريد النفس عن الشواغل البدنيه و عن مخالطه الخلق و امورهم، و به يحصل تأثيرها فى جميع ما تريده من الأشياء، و توجد صورته فى ذهنها و يقتدر بذلك على الاتيان بما هو خارق للعاده، نعم النفوس فى ذلك مختلفه.

فمنها القويه المستعليه على البدن الشديده الانجذاب إلى عالم السماوات، بل كأنّها من الأرواح السّماويه، و هذه لا تحتاج التّأثير إلى هذا العالم إلى آله و أداه.

و منها ما لا يكون كذلك، فيحتاج إلى تصفيه و تجربه، و ربّما استعانت على ذلك بالرّقى المعلومه ألفاظها بل و غير المعلومه باعتبار حصول دهشه للنّفس و حيره، و ربّما حصل فى أثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات و إقبال على ذلك الفعل و جدّ عظيم، و يقوى التأثير النّفسانى و ربّما استعانت على ذلك أيضا بالدّخنه على الوجه الذى سمعته فى الرّقى.

الثالث الاستعانة بالأرواح الأرضية و هي الجنّ

، فإنّ اتّصال النفوس

ص: ٣٥٧

النَّاطِقَةُ بِهَا أَسْهَلُ مِنْ اتِّصَالِهَا بِالْأَرْوَاحِ السَّمَاوِيَّةِ، لَشَدَّةِ الْمِشَابَهَةِ وَ الْمَشَاكِلَةِ وَ إِنْ كَانَ التَّأْثِيرُ مَعَ الْإِتِّصَالِ بِتِلْكَ الْأَرْوَاحِ أَعْظَمَ بَلْ هُوَ كَالْقَطْرِه بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ، وَ قَدْ قَالُوا: إِنَّ الْإِتِّصَالَ بِهَا يَحْصُلُ بِأَعْمَالٍ سَهْلَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الرِّقَى وَ الدَّخْنِ وَ التَّجْرِيدِ، وَ هَذَا النَّوعُ هُوَ الْمُسَمَّى بِالْعِزَائِمِ وَ عَمَلِ تَسْخِيرِ الْجِنِّ، انْتَهَى.

أَقُولُ: وَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ فُرُوعَاتِ عِلْمِ السِّيمَا الَّذِي قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ: هُوَ عِلْمٌ بِأُمُورٍ يَتِمَكَّنُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ إِظْهَارِ مَا هُوَ مُخَالِفٌ لِلْعَادَةِ أَوْ مَنَعٍ مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِلْعَادَةِ، بَعْضُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالطَّلَسْمَاتِ، وَ بَعْضُهُ بِدَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ وَ تَسْخِيرِ السِّيَارَاتِ، وَ بَعْضُهُ بِتَسْخِيرِ الْوُحُوشِ وَ الطَّيُورِ، وَ بَعْضُهُ بِالتَّعْظِيمِ وَ التَّنْجِيمِ وَ اسْتِخْدَامِ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الشَّيَاطِينِ بِأَعْمَالٍ وَ شَرَائِطٍ مَقْرَّرَةٍ عِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ وَ هُوَ عِلْمٌ طَوِيلٌ عَرِيزٌ عَمِيقٌ وَ الْوَصُولُ إِلَيْهِ وَ الْقِيَامُ بِشَرَائِطِهِ فِي غَايَةِ الصَّعُوبَةِ وَ عَجَائِبِهِ لَا تَحْصَى.

فَقَدْ نَقَلَ عَنْ بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ سَبَبَ تَمَرُّدِ نَمْرُودِ اللَّعِينِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْحُكَمَاءَ قَدْ عَمَلُوا فِي مَقَرِّ سُلْطَنَتِهِ أَرْضَ بَابِلَ طَلَسْمَاتٍ سَتَّهَ تَحَارَفَ فِيهَا الْعُقُولُ:

أَوَّلُهَا بَطْنٌ مِنْ نَحَاسٍ إِذَا دَخَلَ فِي الْبَلَدِ سَارِقٌ أَوْ جَاسُوسٌ كَانَتْ هَذِهِ الْبَطْنَةُ تَصَوِّتُ بِأَعْلَى صَوْتٍ يَسْمَعُهُ كُلُّ مَنْ بِالْبَلَدِ، وَ يَعْرِفُونَ عِلْمَهُ تَصَوِّتُهُ فَيَطْلُبُونَ الدَّخَلَ وَ يَدْرِكُونَهُ.

الثَّانِي طَبْلٌ إِذَا ضَلَّلَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا يَجِيءُ إِلَى ذَلِكَ الطَّبْلِ وَ يَضْرِبُهُ بِعُودٍ فَيَخْرُجُ مِنْهُ صَوْتُ وَ يَعْرِفُهُ مَكَانَ الضَّالِّهِ.

الثَّالِثُ مَرَّاهُ كُلُّ مَنْ كَانَ أَهْلُ الْبَلَدِ لَهُ غَايِبٌ لَا يَعْرِفُ خَبْرَهُ وَ أَرَادَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ جَاءَ إِلَى هَذِهِ الْمَرَّاهِ فَيَنْظُرُ فِيهَا وَ يَشَاهِدُ فِيهَا الْغَايِبَ بِحَالَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا وَ الْعَمَلُ الَّذِي هُوَ مُشْتَغَلٌ بِهِ وَ بِالْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ.

الرَّابِعُ حَوْضٌ كَانَ نَمْرُودُ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَجْلِسُ يَوْمًا عِنْدَهُ لِلْعَيْشِ وَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ بِطَانَتُهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَ الْوُزَرَاءِ وَ الْأَشْرَافِ، وَ يَأْتِي كُلُّ مِنْهُمْ بِأَشْرَبِهِ مُخْتَلَفَةً وَ يَصُبُّونَهَا جَمِيعًا فِي الْحَوْضِ، فَإِذَا امْتَلَأَ أَمَرَ نَمْرُودُ سَقَايَتَهُ فَيَسْقُونَهُمْ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ كُلُّ

منهم ما جاء به من الشراب.

الخامس غدير ماء إذا ورد فيه المتخاصمان كان الماء يعلو المبطل منهما، فان أناب إلى الحقّ والأغرق.

السادس شجره في بابه يستظل بها تمام جيشه و جنوده.

و نقل عن أرسطاطاليس أنّه كان بين برهماطوس و بيداغوش منازعه في أرض بابل، قال بيداغوش: كيف تقاومني و مريخ و زحل عاجزان من مقاومتى؟ فلمّا سمعه برهماطوس دخن اترجه و استعان بروح المريخ و أحرق بيداغوش و استراح الناس من شرّه بدون حاجه إلى المحاربه.

و نقل عن أبى معشر البلخى أنّه قال: كان في بلاد الهند ملك عالم بأسرار النجوم و قد سخر المريخ فقصده ملك آخر للحرب فلم يهتم به، و كلّما قال له وزراؤه و أتباعه: قد وصل الخصم لم يلتفت إليهم حتّى إذا دنا من بلده و كان الملك مشغولا مع ندمائه في مجلس العيش فرجع إلى المريخ و استعان منه على دفع الخصم، فما مضت هنيهة إلّا و رأوا شيئا هابطا من السماء، فإذا هو مرآه من نحاس مثّلت الشّكل و معه رأس مذبوح، فلمّا رأوه هابوا منه و هربوا، فضحك الملك ثمّ أحضرهم و قال لهم: ابشروا هذا رأس من كان قاصدا لبلادكم، فقد دفعت شرّه بعلم كنتم تلوموننى في تحصيله و تنسبوننى إلى الحمق و السّفه و الجنون.

و في نفايس الفنون أنّ بهذا العلم يتمكّن من رؤيه الأشياء المتباعدة غايه البعد و لو بمقدار ألف فرسخ و يتمكّن من التّصرف فيها.

قال ثابت بن قرّه: كان من أهل هذا العلم من صنع كحلا إذا اكتحل به يرى الأشياء من الأماكن البعيده و كنت أنا و قسطاء بن لوقا أردنا امتحانه فجلسنا في بيت و كتبنا فيه خطّا بغايه الخفاء لا يكاد يقرأ، و كان ذلك الرّجل جالسا في بيت اخر فكان يقرأ كلّما نكتب حرفا حرفا، و لو رام غيره أن يقرأه لا يمكن له ذلك لخفائه، و سأله قسطاء من حال أخيه و كان غايبا منه فقال: أنّه مريض و قد

تولّد له ولد و طالعه الثّور بثلاث درجات فاستخبرنا منه و كان كما قال: الى غير هذه ممّا نقل من عجائب هذا العلم.

و هذه المنقولات و ان لم تكن محلّ اعتماد يصلح التّعويل عليها، و لكنّها مثل العجائب المنقوله من مشايخ المتصوفه لا تفاوت بينهما فى الصّحّه و البطلان و الرّد و القبول.

فقد علم بما ذكرنا أنّ ظهور بعض الامور الخارقه للعاده من أحد من هؤلاء الطّايفه أو من غيرهم لا يدلّ على كونه عارفا باللّه كاملا فى معرفه اللّه و من أهل الزّلفى و الكرامه لديه، لما عرفت من أنّ جلّ مدارك الخوارق و عمدته أسبابها امور غير شرعيّه.

فإنّ الشّعبدّه و السّحر و الكهانه و علم السّيميا و النّيرنجات كلّها محرّمه بالأدله الشرعيّه المحكمه، كما فصلها فقهاؤنا رضوان اللّه عليهم فى أبواب المكاسب من الفقه.

و أعظم أسباب ظهور الخوارق من هذه الطايفه من جانب وليّهم ابليس، فانهم لأخذهم فى الاصول و الفروع خلاف مسلك أهل الشّرع كان للشيطان بهم مزيد عنايه، و فى اعداد معدات ضلالهم و خذلانهم زياده اهتمام، فيوحى اليهم زخرف القول غرورا حسبما عرفت سابقا، و ينطق على لسانهم و يريهم العجائب و يتبهم بالغرائب ليطيب بذلك أنفسهم و ليقرّوا به عينا، و يفرحوا به ليشبّوهم على ما دانوا به من الدّين الفاسد، و لتصغى اليه أفئده الذين لا يؤمنون بالآخره و ليقترفوا ما هم مقترفون و لئن سلّمنا أنّ صدور العجائب و الغرائب منهم مستند الى اللّه سبحانه كاستجابه دعواتهم و تأثير أنفاسهم فهو أيضا لا يدلّ على القرب و الزّلفى مع زيغهم عن نهج الهدى و ضلالهم عن الحنيفيه البيضاء، لجواز كون ذلك من قبيل الاستدراج.

بيان ذلك أنهم لما تحملوا المشاق و ارتاضوا بالرياضات الشاقه نيلا إلى ما طلبوه من الارباب الدنيويه، فلا يبعد أن يؤتيهم اللّه ما طلبوه بمقتضى رحمته الرحمانيه فانه تعالى لا يضيع عمل عامل برا كان أو فاجرا كما ورد فى الأخبار، و قال فى كتابه

الكريم: من كان يريد حرث الدنيا نذ له في حرثه و ما له في الآخرة من خلاق و قال: «فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا».

و يقرب ما ذكرناه أنَّ الشيطان بعد ما عبد الله تعالى في السماوات ستة آلاف سنة، ثم صار رجيمًا بإبائه عن السجود لآدم أعطاه الله النظره جزاء لعمله، و سلطه على ابن آدم و أعطاه ساير ما سأل حسبما عرفته في شرح الخطبه الاولى.

و مثله أنَّ فرعون اللعين مع قوله: أنا ربكم الأعلى، أمهله الله أربعمائه عام لحسن خلقه و كونه سهل الحجاب، و استجاب دعاءه في إجراء النيل، فأنه لما غار النيل و أتاه أهل مملكته و سألوه إجراءه فخرج معهم إلى الصعيد و تنحى عنهم حيث لا يرونه و لا يسمعون كلامه، فألصق خده بالأرض و أشار بالسبابة و قال: اللهم إني خرجت اليك خروج العبد الدليل إلى سيده و إني أعلم أنك تعلم أنه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره، قال: فجرى النيل جرياً لم يجر مثله، فأتاهم و قال لهم: إني قد أجريت لكم النيل فخرّوا له سجداً، رواه في البحار من علل الشرائع و أوضح من ذلك كله أنَّ كفار الهند مع ما هم عليه من الكفر و الجحود ربما يخبرون بالمغيبات إذا تكلفوا بالمشاق و الرياضات.

قال السيد المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية: و ربما جرت على أيديهم الأفعال العجيبة و الامور الغريبة و ليس هذا إلا جزاء لأفعالهم و رياضاتهم التي زعموا أنها عباده، و قد شاهدت في اصفهان في عشر السبعين بعد الألف رجلاً من كفار الهند رافعا يديه إلى السماء و قد يبستا و صارت أظفاره كالمناجل فرأيت الكفار يعظمونه و يسجدون له فسألتهم عن أحواله فقالوا له سبع سنين على هذه الحالة و بقي له خمس سنين حتى يكون المجموع اثنا عشر سنة فاذا بلغ إلى هذا العدد و هو على هذا الحال صار شيخاً في العباده يخبر بالأخبار الغاييه و تنكشف له الامور، و رأيت انساناً جالساً إلى جانبه و الكفار تعظمه أيضاً فقل لي: إن هذا وقف

على رجليه اثني عشر سنه لم يجلس على الأرض إلى غير ذلك من الرياضات، انتهى فقد تحصل ممّا ذكرنا كلّهُ أنّ ظهور العجايب و الغرايب تاره يكون مستندا إلى أسباب صحيحه و اخرى إلى مقدّمات فاسده و أنّ المدار في الكرامات على صحّه الاعتقاد و مواظبه الرياضات الشرعيّه.

و على ذلك فاذا رأيت من أحد امورا خارقه للعادات أو إخبارا عن الغايبات أو استجابته للدّعوات، فلا تحكم بمجرد رؤيه ذلك على أنّه من أهل الزهد و الصلاح و الفوز و الفلاح و أنّ ذلك من فضل الله عليه، بل انظر إلى عقيدته و عمله.

فان كان موافقا للاصول الشرعيّه و القواعد لمذهب الحقّه الاماميّه، فاعلم أنّ ما ظهر منه كرامه و تفضّل من الله الكريم إليه و لطف ربّاني في حقّه و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

و ان لم يكن كذلك سواء كان كافرا أو مسلما سنيّا أو اماميّا آخذا في سلوك طريق العبوديّة غير ما قرّره صاحب الشّريعه، فليس ما يظهر منه بكرامه و إنّما هو وزر و وبال، معقّب لويل و نكال لاستناده إمّا إلى مقدّمات فاسده و أسباب محرّمه أو إلى إضلال شيطاني أو إلى استدراج رحمانى كما قال تعالى: «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ»

المقام السابع – فى مطاعن الصوفيه

إشاره

و ذكر ما ذكره أساطين علمائنا الأعلام و مشايخنا العظام قدّس الله ضرايحهم و طيّب الله أرماسهم، و ما صدر من غيرهم من علمائنا الأبرار و فقهاءنا الأخيار من الفرقه النّاجيه الاماميه رضوان الله عليهم، و من علماء العامّه العمياء أيضا من الطّعن و الازراء على هذه الطايفه و كشف سوءاتهم و فضايحهم بعنوانين مختلفه بعضها بعنوان العموم و بعضها بعنوان الاختصاص بطايفه خاصّه منهم، و بعضها على صوفيه زمانه، و بعضها على شخص معيّن منهم خذلهم الله جميعا، فأقول و بالله التوفيق:

منهم رئيس المحدثين و المتألّهين الشّيخ الصّدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن

الحسين بن بابويه القمي قدس الله روحه فقد قال في اعتقاداته حسبما نقلنا عنه في المقام الخامس:

علامه الحلاجيّه من الغلاه دعوى التجليّ بالعباده مع تدينهم بترك الصّلاه و جميع الفرائض، و دعوى المعرفه بأسماء الله العظام، و دعوى انطباع الحقّ لهم فإنّ الوليّ اذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبياء، و من علامتهم أيضا دعوى علم الكيميا و لا يعلمون إلا الدّغل و تلفيق الشّبه و الرّصاص على المسلمين اللهم لا تجعلنا منهم و عنهم جميعا.

و منهم الحبر المتبحر الفريد الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام رفع الله في عليّين له المقام.

فقد ألف في الرّد على الحلاجيّه كتابا مخصوصا كما ذكره النّجاشي و ساير علماء الرّجال في تضاعيف تعداد كتبه، و لم أظفر بعد على أصل نسخه الكتاب و نقلنا عنه في أوائل المقام الثّالث من شرح عقايد الصّدوق كلاما متضمّنا للطعن عليهم.

و منهم شيخ الطائفه الحقه و رئيس الفرقة المحقه الشيخ المطلق محمّد بن الحسن الطوسي قدس سرّه القدّوسى.

فقد نقلنا عنه من كتاب الغيبه له في المقام الخامس من الطّعن و الازراء على الحلاج ما عرفت.

و قال في ذلك الكتاب أيضا قال الصّفوانى: سمعت أبا علىّ بن همام يقول:

سمعت محمّد بن علىّ العزاقرى الشلمغانى يقول. إنّ الحقّ واحد و إنّما تختلف قمصه، فيوم يكون فى أبيض، و يوم يكون فى أحمر، و يوم يكون فى أزرق، قال ابن همام: فهذا أوّل ما انكرته من قوله لأنّه قول أصحاب الحلول.

أقول: و هذا مثل ما قاله بعض متأخري الصّوفيّه فى كتابه المسمّى بمنهاج الولاية: تفتّن للذّه أهل العشق الانسانى من رؤيه معشوقهم، فإنّ الله تجلّى فى صورهِ العاشق بالعاشقيّه، و فى صورهِ المعشوق بالمعشوقيّه بحيث يتصوّر العاشق معشوقه غيره تصوّرا صحيحا، لأنّهما غيران فى تعيّنهما و إن كان الحقّ المتجلّى

فيهما واحدا ليحصل الله الأتم الأكمل، يسمّى أهل المحبّه ذلك التجلّي الثنوي تجلّي المكر والخديعه، لأنّه يتجلّى لنفسه بنفسه في مظهرين بحث لا يعلمان اتّحاد المتجلّي و المتجلّي له.

عاشق خود كه بود معشوق خود بهر لذت در دو پيكر سرزند

انتهى و هذا كفر عظيم و الحاد قبيح لا يتصوّر فوقه كفر، لعن الله القائل به و المعتقد له ملاء السماوات و الأرضين و عدّبه عذابا اليما لا يعدّبه أحدا من العالمين.

و عن شرح كتاب التّوحيد للشيخ أبى منصور الماتريدى شيخ الطائفة الماتريديّة قال:

قال قوم من الصّوفية: إذا رأيت غلاما أمرد حسنا فأنه ربّك، و قال بعضهم:

و يسمّون بالحلوليّة إنّ الغلام الذى هو حسن الوجه قد حلّه بعض صفات الله تعالى فمن ثمّ ظهر فيه آثار القدره و يسمّونه شاهدا و يقولون: إنا نشاهد فيه بعض الصفات و يحبّونه و يعانقونه و يقبلونه و يقولون: إنّ محبتنا إياه لهذا المعنى، انتهى.

و فى وصف حالهم و الفرق بين الأمرد و الملتحى قال بعض الشعراء:

إذا ما التحى الانسان طار جماله فليحيته ريش يطير به الحسن

و منهم آيه الله فى العالمين جمال المله و الدّين العلامه الحلى أعلى الله مقامه فى محكى كلامه من رسالته التى سماها بالسعديه:

إنّ الله تعالى لا يحلّ فى غيره و لا يتّحد بغيره، هذا مذهب طوائف المسلمين إلّا ما نقل خواجه نصير المله و الحقّ و الدّين قدّس الله روحه عن الصوفيه أنهم يذهبون إلى أنّ الله يحلّ أبدان العارفين و يتّحد بهم، و هذا مذهب ردّى، لأنّ الضروره قاضيه بطلان الاتحاد، فانه لا يعقل صيروره شيئا واحدا بغير ممازجه و لا انفعال و لا زياده فى مقدار أو كمّ، و الحلول غير معقول فى حقّ واجب الوجود، فإنّ المجرّد لذاته لا يمكن أن يحلّ الماديات و لا غيرها، و لأنّ الحال مفتقر فى قيامه إلى المحلّ فكلّ مفتقر ممكن و واجب الوجود ليس بممكن فلا يكون حالا،

و إذا بطل هذا المذهب ثبت الأول.

و قال أيضا فى كتاب نهج الحق: إنّ الله لا يتّحد بغيره، و الضروره قاضيه ببطلان الاتحاد، فانه لا يعقل صيروره الشئين شيئا واحدا، و خالف فى ذلك جماعه من الصوفيه من الجمهور، فحكموا أنّ الله تعالى يتّحد بأبدان العارفين حتى تمادى بعضهم و قال: انه تعالى نفس الوجود، فكلّ موجود هو الله تعالى، و هذا عين الكفر و الالحاد، الحمد لله الذى فضلنا باتباع أهل البيت عليهم السلام دون أهل الأهواء الباطله.

ثمّ قال رضى الله عنه: و انه تعالى لا يحلّ فى غيره لأنه من المعلوم القطعى أنّ الحال مفتقر إلى المحلّ، و الضروره قاضيه بأنّ كلّ مفتقر إلى الغير ممكن، فلو كان الله تعالى حالا فى غيره لزم امكانه فلا يكون واجبا هذا خلف.

و خالفت الصوفيه من الجمهور فى ذلك، و جوزوا عليه الحلول فى أبدان العارفين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فانظر إلى هؤلاء المشايخ الذين يتبرّكون بمشاهدتهم كيف اعتقادهم فى ربّهم و تجويزهم عليه تاره الحلول و اخرى الاتحاد، و عبادتهم الرقص و التصفيق و الغناء، و قد عاب الله تعالى على أهل الجاهليه الكفار فى ذلك فقال عزّ من قائل: «و ما كان صلا-تُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا- مُكَاءً وَ تَضِيدِيَّةً» أى تغفيل أبلغ من تغفيل من يتبرّك بمن يتعبّد الله بما عاب به الكفار، فانها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

و منهم الشيخ السعيد و القطب المجيد الفقيه المتبحّر الاكمل المعروف بالشهيد الأوّل شمس المله و الدّين أبو عبد الله محمّد بن جمال الدّين المكى رفع الله درجته كما شرف خاتمته، فى الدّروس فى كتاب الوقف منه فى بيان مصارف الوقف:

و الصوفيه المشتغلون بالعباده و المعرضون عن الدّنيا و الأقرب اشتراط الفقر و العداله فيهم لتحقيق المعنى المقترضه للفضيله و أولى منه اشتراط أن لا- يخرجوا عن الشريعة المحقّقه، و فى اشتراط ترك الحرفه تردّد، و يحتمل استثناء التوريق و الخياطه و ما يمكن فعلها فى الرّباط، و لا يشترط سكنى الرّباط و لا لبس الخرقه من الشيخ و لا زى مخصوص، انتهى.

فإنَّ اشتراطه للعدالة و عدم الخروج من الشريعة المحقَّقه صريح في أنَّ الفاقد.

للوصفين ليس له من التَّصوف إلَّا الاسم و لا فضيله له أصلا.

و قد أفصح عن ذلك في أشعاره الرّاتقه الفاتقه المحكيه عنه في روضات الجنات بروايه السيّد محمّد العاملي رحمه الله عليه قال:

بالشوق و الدّوق نالوا عزّه الشرف لا بالدّلوف و لا بالعجب و الصّلف

و مذهب القوم أخلاق مطهّره بها تخلّقت الأجساد في التّطف

صبر و شكر و ايثار و مخلصه و أنفس تقطع الانفاس باللّهف

و الزّهد في كلّ فان لا بقاء له كما مضت سنّه الأخيار و السلف

قوم لتصفيه الأرواح قد عملوا و أسلموا عرض الأشباح للتلف

ما ضرّهم رثّ أطمار و لا خلق كالدرّ ما ضرّه مخلوق الصّدق

لا بالتخلّق بالمعروف تعرفهم و لا التكلّف في شيء من الكلف

يا شقوتاً قد تولّت امّه سلفت حتّى تخلّفت في خلف من الخلف

ينمّقون تراوير الغرور لنا بالزّور و البهت و البهتان و السرف

ليس التّصوف عكازاً و مسبحه كلّاً و لا الفقر رؤيا ذلك الشرف

و ان تروح و تغدو في مرفّعه و تحتها موبقات الكبر و السرف

و تظهر الزّهد في الدّنيا و أنت على عكوفها كعكوف الكلب في الجيف

الفقر سرّ و عنك النفس تحجبه فارفع حجابك تجلو ظلمه التّلف

و فارق الجنس و اقر النفس في نفس و غب عن الحسّ و اجلب دمه الأسف

و اتل المثاني و وخذ إن عزمت على ذكر الحبيب وصف ما شئت و اتّصف

و اخضع له و تذللّ إذ دعيت له و اعرف محلّك من إباك و اعترف

وقف على عرفات الذل منكسرا و حول كعبه عرفان الصفا فطف

و ادخل إلى خلوه الأفكار مبتكرا وعد إلى حانه الأذكار بالصحف

و إن سقاك مدير الزّاح من يده كأس التجلّي فخذ بالكأس و اغترف

و اشرب و اسق و لا تبخل على ظماء فان رجعت بلا رى فوا أسفى

ص: ٣٦٦

أقول ما ذكره «قد» فى مطلع القصيده و ذيلها هو الزهد الحقيقى و روح الفقر و حقيقه العرفان الذى حثّ عليه الرّسل و الأنبياء و ندب إليه الحجج و الأولياء، و لأجله انزال الصّحف و الكتب من السّماء فان كان تصوّف عبارته عن ذلك فنفسى للمتّصفين به الفداء و أجزل الله لهم الجزاء.

و إن كان عبارته عن التصنّع و التكلف و الرّياء و التّصلّف و التّطريب بالغزليات و الاشعار و التّرئم بمخترعات الأذكار بخفيّتها و جليّتها آناء الليل و أطراف النّهار، مثل التّهيّق و الشّهيّق للحمار فويل لمن حاله ذلك من النار، ثمّ ويل له من سخط القهّار.

ثمّ أقول: لله درّ الشهيد فأنّه مع كونه من العلماء الأعيان و الفقهاء الأركان انظر إلى غايه ارتفاعه فى مراتب الذّوق و العرفان، و أخذه لقصب السيّق فى مضمار القريض و البيان، و تدبّر فى لطايف نظمه من بديع الاسلوب و محاسن البلاغه و حسن الانسجام و الرّفقه و السّلاسه و النّظام، و لعمرى أنّه أرقّ و أروح من نسيم السّحر، و آخذ لقلوب العارفين من سحر السّاحر إذا سحر، و أحلى عند أهل الذّوق من الشّهد و الشكر.

و منهم الشيخ الامام و العلم العلام و قدوه علماء الاسلام الغائص فى بحار المعالى و المعانى المشتهر بالشّهادى الثانى زين الدّين ابن علىّ بن أحمد بن محمّد بن علىّ العاملى الشّامى أفاض الله على تربته سجال رحمته، و أسكنه فى بحبوحه جنّته قال فى محكى كلامه من شرح رسالته الّتى كتبها فى علم درايه الحديث عند ذكر أصناف الواصفين «الواضعين ظ» للأحاديث الكاذبه:

و أعظمهم ضررا من انتسب منهم إلى الزّهد و الصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنّه وضعه حسبه لله و تقرّبا اليه ليجذب بها قلوب النّاس إلى الله بالترهيب و التّغيب، فقبل النّاس موضوعاتهم ثقه منهم بهم، و ركونا اليهم لظاهر حالهم بالصّلاح و الزّهد، و يظهر لك ذلك من أحوال النّاس الّتى وضعها هؤلاء فى الوعظ

و الزَّهْد، و ضَمَّنوها أخبار عنهم و نسبوا اليهم أفعالا و أحوالا خارقه للعاده، و كرامات لم يَتَّفَق مثلها لاولى العزم من الرّسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعه و ان كانت كرامات الأولياء ممكنه فى نفسها - إلى آخر ما يأتى نقله فى شرح المختار الاتى إنشاء الله تعالى، و فى آخر كلامه حسبما يأتى تصريح بأن مراده بهذه الطائيفه هو الصوفيه.

و قال فى كتاب منيه المريد: عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: إذا مررتم فى رياض الجنّه فارتعوا، قالوا: يا رسول الله و ما رياض الجنّه؟ قال: حلق الذكر، (١) فإنّ لله سيّارات من الملائكه يطلبون حلق الذكر، فاذا أتوا عليهم حفّوا بهم.

قال بعض العلماء: حلق الذكر هى مجالس الحلال و الحرام كيف يشتري و يبيع و يصلّى و يصوم و ينكح و يطلق، انتهى.

فانه صريح فى الطعن على الصوفيه القائلين بأن المراد بحلق الذكر مجالس الذكر الجلىّ لهم.

و قد صرّح بذلك فى البحار حيث قال: حلق الذكر المجالس التى يذكر فيها الله على قانون الشرع و يذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السّلام و فضائلهم و مجالس الوعظ الذى يذكر فيها وعده و وعيده، لا المجالس المبتدعه المخترعه التى يعصى الله فيها، فانها مجالس الغفله لا حلق الذكر، انتهى.

و العجب من المتصوّفه الذهبيه يزعمون أنّ الشهيد «قد» منهم و يذكرون فى تأليفاتهم أنه من طبقاتهم قصدا بذلك رواج بدعاتهم و إن هذه النسبه إلّا اختلاق و افتراء، و أين الثرى من الثرياء، و أعيان العلماء من الجاهليه الجهلاء، و الظلام من الضياء، و أىّ نسبه بين الرّيد و السيل، و النهار و الليل، و السهل و السهيل.

و كيف يكون مثل الشهيد الذى عقت النساء أن يلدن مثل هذا الدّر اليتيم

ص: ٣٤٨

١- (١) - قوله: حلق الذكر و هو بكسر الحاء و فتح اللام جمع حلقه كقصعه و قصع و هو الجماعه من الناس يستديرون كحلقه الباب و غيره، هكذا فى النهايه، و قال الجوهرى: جمع الحلقه حلق بفتح الحاء، منه.

الفريد المتقلب فى فنون العلوم الدائر فى أدوار الفروع و الاصول، و السائر فى أطوار المعقول و المنقول، الصاعد مصاعد الدقائق، و العارج معارج الحقائق، الموزع أوقاته فى اصلاح أمر المعاش و المعاد، الموظف نهاره فى التصنيف و التأليف و التدريس و البحث و الاجتهاد، و ليله فى الاحتطاب لقوت عياله و الصيلاه و الدعاء و مناجاه رب العباد، من الصوفيه الذين لا يعرفون من الشريعه إلا الاسم، و من الطريقه إلا الرسم، و بين مذاق المجتهدين و الصوفيين بون بعيد بعد المشرقين.

فإن مدار الأولين فى مقام العلم على الاستدلال و الاجتهاد و الاستنباط، و الأخذ بظواهر المحكمات من الايات و الروايات، و فى مقام العمل على العبادات الموظفات و الأذكار المأثورات.

و مدار الآخرين فى مقام العلم على دعوى الكشف و الشهود و الأخذ بالمتشابهات فى ترويج بضاعتهم المزجاء، و فى مقام العمل على بدعات العادات و الرياضات، و مخترعات الأذكار و العبادات.

و بالجملة فالمدار على الحقيقه دون الاسم، و على المعنى دون اللفظ.

فمن كان سالكا مسالك الشريعه آخذاً بحدودها و قوانينها المتقنه فى الاصول و الفروع، مواظباً على الحلال و الحرام، و التكليف و الأحكام، فنعم الرجل هو.

و من كان بخلاف ذلك فبئس الرجل، فان كان المسمى بلفظ الصوفى و المراد به حيثما يطلق هو الأول فلا مشاحه فى التسميه، و إن أرادوا به الثانى فويل لمن حاله ذلك، ثم ويل له من وقوعه فى المهاوى و المهالك.

و منهم عمده العلماء المتقين، و نخبه الأتقياء المرتقين محمد تقى بن مقصود على المشتهر بالمجلسى الأول أفاض الله على روحه من شايب الرحمه، قال فى محكى كلامه من شرح الفقيه عند شرح ما رواه الصدوق عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم من قوله:

بادروا إلى رياض الجنه قالوا: يا رسول الله و ما رياض الجنه؟ قال: حلق الذكر:

قوله: حلق الذكر، أى المجامع التى يطلب فيها العلوم الدينيه، فإن الحلق التى وصلت إلينا من طرق الأصحاب إلى النبى و الأئمه صلوات الله عليهم هى

هذه أو مجامع الوعظ كما روى عنهم عليهم السّلام أنّهم كانوا يعظون.

و أما التي اشتهرت من الاجتماع للذكر الجلى فلم يصل علينا عنهم صلوات الله عليهم و هذه بطرق العامه أشبه، كما رواه الكليني في القوى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: من ذكر الله في السّر فقد ذكر الله كثيرا إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و لا يذكرونه في السّر، فقال عزّ و جلّ: «يُرَاوُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» إلى آخر ما أورده رضى الله عنه فيه من الأحاديث الدّالة على نفاقهم و فساد طريقتهم و مناقضتها لطريقه أصحاب الأئمة صلوات الله عليهم، و ا شوقاه إلى تلك الأشباح، سلام الله على تلك الأرواح، رحل اولئك السّاده، و بقى قرناء الوساده، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: و هذا الرّجل كان أفضل أهل عصره في فهم الحديث، و أحرسهم على إحيائه، و أعلمهم برجاله، و أعملهم بموجبه، و أعدلهم في الدّين، و أقواهم في النفس، و أجلّهم في القدر، و أزهدهم في الدّنيا، و أكملهم في التّقوى، و أوقفهم لدى الشّبهات، و أجهدهم في العبادات.

و قد كتب حاشيه نافعه على الفقيه و شرحا جامعا على الخطبه المأه و الثّانيه و التسعين المسوقه لوصف حال المتّقين، بل قيل: إنّهُ أوّل من نشر حديث الشيعة بعد انتهاء السّلطنه إلى سلاطين الصّفويّه.

و مع ذلك كلّه فالعجب أنّه اشتهر بين الصّوفيه نسبته إلى التّصوف، و ربّما ينسب إليه كتاب صغير مؤلّف على مذاق المتصوّفه، و هو بعيد منه غايه البعد، بل الظّاهر أنّه افتراء في حقّه.

و يشهد بذلك ما قاله ابنه المحدث العلامة المجلسي الثّاني قدّس الله رمسه في آخر رساله اعتقاداته ما صريح عبارته:

و ايّاك أن تظنّ بالوالد العلامة نور الله ضريحه أنّه كان من الصّوفيه و يعتقد مسالكهم و مذاهبهم، حاشاه عن ذلك، و كيف يكون كذلك؟ و هو كان آنس أهل زمانه بأخبار أهل البيت، و أعملهم و أعملهم بها، بل كان مالك الزّهد و الورع، و كان

فى بدو أمره يتسمّى باسم التصوّف ليرغب اليه هذه الطائفة و لا يستوحشوا منه فيردعهم عن تلك الاقاويل الفاسده و الأعمال المبتدعه، و قد هدى كثيرا منهم إلى الحقّ بهذه المجادله الحسنه، و لما رأى فى آخر عمره أنّ تلك المصلحه قد ضاعت و رفعت أعلام الضلال و الطغيان و غلبت أحزاب الشيطان و علم أنّهم أعداء الله صريحا تبرّء منهم، و كان يكفرهم فى عقايدهم الباطله، و أنا أعرف بطريقته و عندى خطوطه فى ذلك، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

و شهادته مثل العلامه المجلسى على براه ساحه رجل أجنبى من دنس نسبه رديه كافيه فى تركيته و طهارته، فكيف فى حقّ والده مع خبرويته بسرّه و علانيته، فإنّ الولد سرّ أبيه، و أهل البيت أدرى بما فيه.

و منهم غوّاص بحار أنوار الأخبار، ناشر ماثر الأطهار الأخيار، مروج مذهب الشيعة فى الأصقاع و الأقطار، محيى شريعته سيد المرسلين، راغم انوف المخالفين و المعتدين، دامغ صولات أضاليل المبطلين، و أباطيل المبدعين، سيما الصوفيه المبتدعين محمد باقر بن محمد تقى المتقدّم الذكر المشهور بالعلامه المجلسى أفاض الله على روحه نور القدوسى.

فأنّه قد بثّ فى تصانيه من مطاعن الصوفيّه ما هو فوق حدّ الاحصاء، متجاوز عن طور الاستقصاء و لا بأس بالاشارة إلى بعضها، فأقول:

منها ما ذكره فى رساله اعتقاداته تصريحاً و تلويحاً بل يفهم من ديباجتها أنّ أصل غرضه من وضع تلك الرّساله إبطال مذهب هذه الفئه الضالّه حيث قال بعد حمد الله و ثنائه و الصلاه عن رسول الله و آله:

أمّا بعد فيقول المفتاق إلى ربّه الغافر ابن محمد تقى محمد باقر اوتيا كتابهما يمينا و حوسبا حسابا يسيرا: إنّه قد سألتنى بعض من هداه الله إلى طلب مسالك الحقّ و الرّشاد، و أودع قلبه خوف المعاد أن ابين له ما هدانى الله اليه من طريق النّجاه فى هذا الزّمان الّذى اشتبه على النّاس الطرق، و أظلم عليهم المسالك، و استحوز الشّيطان على أوليائه فأوردتهم المهالك، فنصب الشّيطان و أحزابه من الجنّ و الانس

على طريق السيالكين فخورهم و مصائدهم يمينا و شمالا، و مشوا لهم على مثال الحق بدعه و ضلالا، فوجب على أن ايبن لهم مناهج الحق و النجاه بأعلام تيره و دلائل واضحه و إن كنت على وجل من فراعنه أهل البدع و طغاتهم.

فاعلموا يا اخواني أتى لا- الوكم نصحا و لا- أطوى عنكم كشحا فى بيان ما ظهر لى من الحق و ان ارغمت منه المراغم، و لا أخاف فى الله لومه لائىم.

و ساق الكلام فى فضل النبى و أهل بيته سلام الله عليه و عليهم و كونهم المقصودين من ايجاد عالم الوجود و المخصوصين بالشفاعه الكبرى و المقام المحمود و أنهم وسائط الفيوضات النازله و النعم الواصله من الله سبحانه إلى عباده فى هذه النشأه و النشأه الاخره، إلى أن ذكر وجوب متابعه النبى بنص قوله تعالى: «و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» فى اصول الدين و فروعه و امور المعاش و المعاد ثم ذكر أنه صلى الله عليه و آله و سلم أودع حكمه و معارفه و أحكامه و آثاره و ما نزل عليه من الايات القرآنيه و المعجزات الرّيبانيه فى أهل بيته، ثم إنهم تركوا بيننا أخبارهم فليس لنا فى هذا الزمان إلا التمسك بأخبارهم و التدبر فى آثارهم، فترك الناس فى زماننا آثار أهل بيت نبىهم و استبدوا بارائهم، فمنهم من سلك مسلك الحكماء الذين ضلوا و أضلوا و لم يقرؤوا نبى و لم يؤمنوا بكتاب، و اعتمدوا على عقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده فاتخذوهم أئمه و قاده، و معاذ الله أن يتكل الناس على عقولهم فى اصول العقائد فيتحيرون فى مراتع الحيوانات إلى أن قال:

و طائفه من أهل دهرنا اتخذوا البدع دينا يعبدون الله به و سموه بالتصوف فاتخذوا الرهبانيه عباده مع أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد نهى عنها و أمر بالترويج و معاشره الخلق و الحضور فى الجماعات و الاجتماع من المؤمنين فى مجالسهم و هدايه بعضهم بعضا و تعلم أحكامها و تعليمها، و عياده المرضى و تشييع الجنائز و زياره المؤمنين و السعى فى حوائجهم و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إقامة حدود الله و نشر

أحكامه، و الرهبانيه التى ابتدعوها تستلزم ترك جميع الفرائض و السنن ثم أنهم فى تلك الرهبانيه أحدثوا عبادات مخترعه.

فمنها الذكر الذى هو عمل خاص على هيئه خاصه لم يرد به نص و لا خبر و لم يوجد فى كتاب و لا أثر، و مثل بدعه محرّمه بلا شك و لا ريب قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كل بدعه ضلاله و كل ضلاله سبيلها إلى النار.

و منها الذكر الجلى الذى يتغنّون فيه بالاشعار و يشهقون شهيق الحمار، يعبدون الله تعالى بالمكاء و التصديه، و يزعمون أن ليس عباده إلا هذين الذكرين المبتدعين، و يتركون جميع السنن و النوافل و يقنعون من الصلاه الفريضة بنقره كنقره الغراب و لو لا خوف العلماء لكانوا يتركونها رأسا.

ثم إنهم أمه لا- يقنعون بالبدع، بل يحرفون اصول الدين و يقولون بوحده الوجود، و المعنى المشهور فى هذا المسموع من مشايخهم كفر بالله العظيم، و يقولون بالجبر و سقوط العبادات و غيرها من الاصول الفاسده السخيفه.

فاحذروا يا اخوانى و احفظوا ايمانكم و أديانكم من وساوس هؤلاء الشياطين و تسويلاتهم، و اياكم أن تنخدعوا عن أطوارهم المتصفه التى تعلقت بقلوب الجاهلين.

فها أنا ذا احزّر مجملا ما تبين لى من الأخبار المتواتره من اصول المذهب لثلا تضلّوا بخدعهم و غرورهم، و اتمّم حجّه ربكم عليكم و أوذى ما وصل إلى من مواليكم إليكم ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه، و أتلو عليكم ما أردت ايراده فى باين:

الباب الأول فيما يتعلّق باصول العقائد، و ساق الكلام فيه على اصول المتشرعه، و قال فى تضاعيفه و القول بحلوله تعالى فى غيره كما قال بعض الصوفيه و الغلاه أو اتّحاده مع غيره كما قاله بعض الصّوفيه كفر إلى أن قال:

الباب الثانى فيما يتعلّق بكيفيه العمل، قد علمت يا خليلى ما أثبتناه أولا من لزوم متابعه أهل بيت العصمه سلام الله عليهم فى أقوالهم و أفعالهم و التدبّر

فى أخبارهم و آثارهم.

فاعلم أنّ الخير كلّ الخير وجدنا فى أخبارهم إذ ما من حكمه من الحكم الإلهية إلا و هى فيها مصرحه مشروحه لمن أتاها بقلب سليم و عقل مستقيم، لم يعوج عقله بسلوك طريق الضلال، و لم يأنس فهمه بأطوار أهل الزبغ و الردى.

و طريق الوصول إلى النجاه و الفوز بالسعادات ظاهره بينه فيها لمن رفع غشاوه الهوى عن بصيرته، و توسل إلى ربّه فى تصحيح نيته، و قد قال الله تعالى:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» و محال أن يخلف الله وعده إذا أتى الله من الأبواب التى أمر الله أن يؤتى منها.

فالذى يجب أولاً للسالك إلى الله أن يصحح نيته، لأنّ مدار الأعمال فى قبولها و كمالها على مراتب النيات و لا يتأتى ذلك إلا بالتوسل التام بجنابه تعالى و الاستعاذه من شرّ الشياطين و غلبه الأهواء إلى أن قال: فاذا توسل السالك بجنابه تعالى و صحّ نيته بقدر الجهد فى بدو الأمر يطلب ما يعلم أنّ خير آخرته فيه و لا يبالى بأن يعدّه أهل الزمان و جهله الدوران حشويا أو قشرياً أو زاهدا خشكاً أو ينسبونه إلى الجهل.

و إذا كان بهذه المنزلة يظهر له الحقّ عياناً فينبغى أن يبتغى بعد ذلك معلماً مستأنساً بكلام أهل البيت و أخبارهم مصدّقه إليها لا من يؤوّل الأخبار بالاراء بل من صحّ عقايدته عن الأخبار و يشرع فى طلب العلم ابتغاء وجه الله و طلب مرضاته و يتدبر فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام و يكون مقصده التحصيل، فلا العمل ينفع بدون العلم كما ورد عن الصادق عليه السّلام أنّ العامل على غير بصيره كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعه السير إلاّ بعداً، و لا العلم ينفع بدون العمل كما روى من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.

ثمّ ساق الكلام فى المواظبه على العلم و العمل من الصلاه و الأدعيات المأثورات و المناجاه المعروفه بالانجيليه و دعاء كميل النخعى و غيرها و الصحيفه الكامله جلّها بل كلّها إلى أن قال:

ثمَّ إنّ أعظم سعادَات النفس الأخلاق الحسنه الزكيه من المصافاه و الجود و السخاوه و الاخلاص و المسكنه و غيرها من الأخلاق الحسنه التى استحسناها الشرع و العقل.

و أقوى مهلكات النفس الأخلاق الذميمة الرديه من البخل و الجبن و الكبر و العجب و الرياء و الغضب و الحقد و غيرها من الملكات الرديه التى استقبحها العقل و الشرع، فيجب على الانسان التخلّى عن الأخلاق السيئه و التحلّى بالأطوار المرضيه.

و زعمت الصّوفيّه أنّها يحصلان بترك المألوفات، و الاعتزال عن الخلق و ارتكاب المشاق، و ملازمه الجوع المنهمك و السّهر الدّائم و ساير ما هو طورهم و دأبهم.

و إنّى وجدت من يقاس تلك الشّدايد منهم تزيد أخلاقها الرديه و تقل أخلاقها الحسنه إذ يغلب عليه السّوداء فلا يمكن لأحد أن يتكلّم معهم بكلمه لسوء خلقهم و يقوى تكبرهم و عجبهم بحيث يظنّون أنّهم تجاوزوا عن درجه الأنبياء و يبغضون جميع الخلق و يستوحشون منهم و كذا ساير صفاتهم لكن لا يظهر ذلك للخلق لعدم معاشرتهم و معاملتهم معهم.

و منها ما قاله فى ديباجه مرآت العقول فى شرح أخبار آل الرّسول:

إنّى لمّا ألفيت أهل دهرنا على آراء مشتّتة و أهواء مختلفه قد طارت بهم الجهالات إلى أركانها، و قاصت بهم الفتن فى غمارها، و جذبتهم الدّواعى المتنوّعه إلى أقطارها و حيّرتهم الضّلاله فى فيافيها و قفارها.

فمنهم من سمّى جهاله أخذها من حثاله من أهل الكفر و الضّلاله لشرايع النّبوه و قواعد الرّسالة حكمه، و اتّخذ من سبقه فى تلك الحيره و العمى أئمه يوالى من والاهم، و يعادى من عاداهم، و يفدى بنفسه من اقتفى آثارهم، و يبذل نفسه فى إنكار من أنكر آراءهم و أفكارهم، و يسعى بكلّ جهد فى إخفاء أخبار الأئمه الهاديه صلوات الله عليهم و إطفاء أنوارهم، و يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره و لو

كره المشركون.

و منهم من يسلك مسلك أهل البدع و الأهواء المنتهمين إلى الفقر و الفناء فليس لهم في دنياهم و آخرتهم إلا الشقاء و العناء، فضحهم الله عند أهل الأرض كما خذلهم عند أهل السماء، فهم اتخذوا الطعن على أهل الشرائع و الأديان بضاعتهم و جعلوا تحريف العقائد الحق و صرف التواميس الشرعيه من سماتها بضم البدع إليها صناعتهم.

و منهم من تحير في جهالته يخطفهم شياطين الجن و الانس يمينا و شمالا، فهم في ريبهم يترددون عميانا و ضلالا فبصر الله نفسى بحمده تعالى هداها فألهمها فجورها و تقويها، فاخترت طريق الحق إلى آخر ما قال.

و منها ما ذكره في أواخر كتاب عين الحياه الذى ألفه بالفارسيه في شرح قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأبى ذر رضى الله عنه: يا با ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم و شتائهم يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم اولئك يلعنهم ملائكة السموات و الأرض، يا با ذر ألا اخبرك بأهل الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به (١) لو أقسم على الله لأبره قال (ره) ما ترجمته:

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما كان عالما بالوحى الالهى بجميع العلوم، و مطلعا بالامور الغيبية فمدح الفقر و التواضع لعلمه بأنه يأتي بعده قوم من أهل البدعه و الضلاله يلبسون هذا اللباس أى لباس الصوف مكررا و تدويرا ليخدعون الناس فذكر صلى الله عليه و آله و سلم علامتهم و أنهم ملعونون لثلاث يغتر الناس بهم، و هذه علامه مخصوصه بالفرقه الضاله المبتدعه الصوفيه.

و هذا الكلام من جمله معجزاته حيث أخبر بهم قبل وجودهم فلا ريب في حقيقه هذا الكلام المتضمن للاعجاز فمن أنكره فعليه لعنه الله تعالى و رسوله.

و ليس منشاء استحقاقهم للعن هو لبس الصوف بل لما كان يعلم صلى الله عليه و آله و سلم بالوحى

ص: ٣٧٦

الالهى أنّ هذه الفرقة يبطلون شرعه و يهدمون أساس دينه و يعتقدون فى العقائد بالكفر و الزندقة و يتركون فى مقام العمل الموظفين الشرعيه و يعملون البدعات و المخترعات و يصرفون الناس عن العبادات، لعنهم لذلك و وصفهم بعلامتهم ليعرفهم الناس و يحذروا منهم.

فاكشف أيها العزيز عصابه العصبية من عينك، و انظر بنظر الانصاف و الاعتبار إلى كلامه صلى الله عليه و آله و سلم فانه كاف فى ظهور بطلان مذهب هذه الطائفة فضلا عن الأحاديث الكثيرة الواردة تصريحاً و تلويحاً فى بطلان أطوارهم و أعمالهم، و ذمّ مشايخهم و أكابرهم.

و قد ذمهم أكثر علماء الشيعة من المتقدمين منهم و المتأخرين و صنف بعضهم كتاباً فى الردّ عليهم.

مثل عليّ بن بابويه «قد» الذى كان بينه و بين صاحب الأمر عليه السلام مكاتبات، و ولده الصّيدوق محمّد بن بابويه رئيس المحدثين الذى كانت ولادته ببركة دعاء صاحب الأمر عليه السلام و هذا الدعاء متضمّن لمدحه أيضاً.

و مثل شيخ المفيد عماد مذهب الشيعة الذى كان أكثر الفضلاء و المحدثين من تلامذته و خرج التّوقيع من صاحب الأمر صلوات الله عليه و هذا التّوقيع أيضاً متضمّن لمدحه.

و مثل الشيخ الطوسى «قد» الذى هو شيخ الطائفة المحقّقة و أكثر أحاديث الشيعة إليه منسوبة.

و مثل العلامة الحلى «قد» المشهور علماً و فضلاً فى الافاق.

و مثل الشيخ الشهيد، و الشيخ على فى كتاب مطاعن المجرميّه، و ابنه الشيخ حسن فى كتاب عمده المقام، و الشيخ العالى القدر جعفر بن محمّد الدوريسى فى كتاب الاعتقاد، و ابن حمزه فى كتب عديده، و السيّد مرتضى الرازى فى كتب متعدّده، و زبده العلماء و المتورّعين مولينا المقدّس أحمد الأردبيلى قدّس الله أرواحهم و شكر الله مساعيهم و غيرهم من علماء الشيعة رضوان الله عليهم

و نقل كلام هؤلاء الأفاضل والأعيان و ما أوردوه من الأخبار في ذلك الباب موجب لتطويل المقال، و أكتب إنشاء الله كتابا مستقلا في ذلك.

فان كنت معتقدا بيوم الدين فأعد حجّتك لعدك حتّى يكون لك جواب صحيح و عذر مقبول إذا احتجّ الله سبحانه و تعالى عليك.

و ما أدرى بعد ورود الأخبار الصحيحة الصّريحه من أهل بيت الرّسالة عليهم السّلام و شهادته هؤلاء الأعظم و الأجلّ من علماء الشيعة على بطلان طريقه هذه الطائفة بأيّ عذر تعتذر عند الله سبحانه في متابعتهم.

أفتقول: كنت تابعا للحسن البصرى الذى قد وردت أحاديث عديده في لعنه؟ أو تابعا لسفيان الثوري المعلن بعداوه الصادق عليه السّلام و المعارض له دائما؟ أو تابعا لأبى حامد الغزالي النّاصب يقينا الذى كان يقول في كتبه بالمعنى الذى كان علىّ إماما أنا أيضا إمام؟ و يقول: اللّاعن على يزيد لعنه الله مذب، و كتب كتبنا في اللّعن و الرّد على الشيعة مثل كتاب المنقذ من الضّلال و غيره.

أو تابعا لأخيه الملعون أحمد الغزالي الذى كان يقول: إنّ الشّيطان من أكابر أولياء الله؟ أو متشفعا بالملا الرّومى الذى يقول: إنّ أمير المؤمنين يشفع لابن ملجم المرادى عليه اللعنه و العذاب و يدخله الجنّه و كان عليه السّلام يقول له: لم يكن لك ذنب و إنّما كان المقدّر ذلك و كنت مجبورا في هذا العمل يعنى قتله عليه السّلام، و ليست صفحه من صفحات المثنوى إلّا مشعره بالجبر أو وحده الوجود أو سقوط العبادات أو غيرها من العقائد الفاسده، و كما هو المشهور بين أتباعه و تلقوه منه بالقبول: أنّ الدّف و الطنبور و المزمار من جمله العبادات.

أو كنت ملتجئا بمحيى الدّين الملعون الذى سمعت سابقا خرافاته و فضايحه و كان يقول: إنّ جماعه من أولياء الله يرون الرّفصه على صورته الخنزير، و يقول:

رأيت في المعراج درجه علىّ أسفل من درجه أبى بكر و عمر و عثمان، و رأيت أبا بكر في العرش، فلمّا رجعت قلت لعليّ كيف كنت تدعى في الدّنيا أنّك أفضل من

هؤلاء و قد رايت اَنَّك أسفل درجه منهم؟ و هذا الملعون و غيره كم لهم من هذه الكلمات الزيفه ذكرها موجب للاطئاب، فلو خدعت من دعاويهم العظيمه فلم لا تفكر في اَنَّ منشاتها لعلّه حبّ الدنيا الدّنيه.

و إن شئت اختبار من ادّعى اَنّه يعلم جميع الأسرار الغيبه بالكشف و اَنّه يعرج كلّ ليله عشر مرّات إلى العرش فاسأل عنه مسأله من شكوك الصلاه أو من المواريث أو حديثا مشكلا من الأحاديث فان كان صادقا فيما ادّعاه فيجيبك عن هذه المسائل أيضا.

و قد روى عن الصّيادق عليه السّلام بسند صحيح اَنّه قال: علامه الكذاب اَنّه يخبرك بأخبار السّماء و الأرض و المشرق و المغرب، و لئن سألته عن الحلال و الحرام لا يعلم.

و العجب اَنّ هذا الرّجل الّذى يدّعى اَنّه يعرف وحده الوجود على غموضها مع قصور عقول جميع الفضلاء الأذكياء من فهمها كيف لا يعرف معنى سهلا و لو لقن عليه خمسين مرّه، و كيف لا يفهم أولو الأفهام الثّاقبه ما ادّعى ذلك الرّجل فهمه.

و أيضا فإنّهم مع اعترافهم باجتماع الكشف مع الكفر كما في كفّار الهند فعلى فرض صحّه ما ادّعوه من الكشف و اَنّ له حقيقه فأى منقبه في هذا الكشف و أى دلالة فيه على فضل صاحبه و كماله.

و لئما كان مجال الكلام في هذا المرام واسعا اقتصرت في هذا المقام على ذلك و اوردت في أوّل الكتاب و في مواضع عديده منه ما فيه كفايه لطالب الهدايه.

ثمّ ختم المقام «قد» بذكر أحاديث متضمّنه للطعن و الازراء عليهم و سنشير إلى بعضها إنشاء الله في المقام الاتي فانتظر.

و ذكر قدّس الله روحه أيضا في هذا الكتاب في شرح قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا با ذر جعل الله جلّ ثناؤه قرّه عيني في الصلاه آه لمعات عشر متضمّنه للطعن و الملام على هذه الطائفه، و قال في اللّمعه العاشره المتضمّنه لبيان معنى الذكر بعد جملة من الكلام ما ترجمته:

و اعلم أنه قد شاع بين الصّوّفيّيه نوعان من الذّكر و كلاهما بدعه و هم يزعمون أنّهما من أفضل العبادات و يصرفون أوقاتهم فيهما و يضلّون النّاس بالمدامه عليهما الاول الذّكر الجلّيّ و هو مشتمل على امور.

الأوّل أنّ هذا النوع من العباده لم يتلقّ من الشّارع بل الأدلّه من الايات و الأخبار في كيفيّة الذّكر الجلّيّ قائمه على خلافه قال سبحانه: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » و قال: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » و نقل جملة من الأخبار ثمّ قال:

الثاني أنّهم يتغنّون فيه و يترنّمون في خلاله بالأشعار و الغزليّات العشقيّه بالنغمات الموسيقيّه و هو حرام باجماعنا فضلا عن أعمالهم الشّنيعه الّتي يظهرونها في أثناء الذّكر من التّصفيق و الرّقص و نحوهما، و قد ذمّ الله كفار المشركين على ذلك.

الثالث أنّهم يأتون بذلك في المساجد مع أنّ إنشاد الأشعار في المساجد مذموم شرعا و قد روى بسند معتبر عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، أنّه قال: من سمعتموه ينشد الشعر في المساجد فقولوا له فضّ الله فاك إنّما نصبت المساجد للقرآن و قد ورد التّهيّ أيضا من رفع الصّيّوت فيها و هم يعملون غالب تلك الأعمال في ليله الجمعة و يومها مع أنّ إنشاد الشّعر فيهما مكروهه.

و لو قيل لهم: إنّ هذه الأعمال تشريع و بدعه يقولون: يحصل لنا منها قرب معنوى و يسمّونه بالحال، و ساق الكلام فيه إلى أن قال:

و لا دليل أعظم و أحكم على كون ذلك كلّ بدعه أنّه لم ينقل أحد من الشيعي و السنّي و الصّوّفيّ و غير الصّوّفيّ أنّ رسول الله و الأئمّه عليهم السّلام أو أصحابهم أو روات أخبارهم و علماء ملّتهم كان لهم مطرب يطربهم و يترنّم لهم أو كان لهم حلق الذّكر عقدوها، أو أمروا أصحابهم بعقدوها، و لو كانت هذه عباده لها وقع فلم لم يأمرها أصحابهم بها.

نعم البدعات أحلى و ألدّ و العبادات ثقيله على النفس.

ألا- ترى أنّه لو قال لهم خمسون من العلماء العدول: إنّهُ قد تواتر عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: من صلّى ليله الجمعة صلاه جعفر غفر الله له ذنوبه مضافا إلى ما فيها من الفضائل الغير المتناهيه لم يرغب إليها واحد من عشره آلاف من النّاس؟ و أمّا إذا مرّوا ببقعه اجتمع فيها جماعه من الأجلاف و يصيحون يا ربّي يا ربّي، فيدخلون في حلقتهم بتمام الميل و الرّغبه و يشبون و ثوبهم من أوّل الليل إلى الصّباح.

فهلا تفكّر في أنّه أيّ يوم كانت لك هذه الرّغبه و الاقبال على الخيرات؟ و لم لا تهتمّ بساير الخيرات مثل اهتمامك بها؟ فعليك بالانصاف إذا كان قد ورد من أهل بيت النّبوه عليهم السّلام زهاء ألف حديث في أعمال ليله الجمعة و يومها و علّموك فيها الوفا من طرق العبوديّة و القربى فلا- تعباً بشيء منها أصلا بل تصرّف تمام تلك الليله و اليوم في عمل يحكمون جميع علماء زمانك بحرمته مضافا إلى اعترافك بأنّه لم يرد به نصّ.

فأيّ عذر لك في ذلك عند الله تعالى؟ و بأيّ وجهه ترجو الثواب من الله؟ و أنت إذا أردت تعقيب صلاه مندوب شرعا تضمّ إليه بدعات عديده أ بهذا تستحقّ الثواب أم بتركك الأوراد و الأذكار و الأدعيات و المناجاه المأثوره من أهل بيت الرّساله سلام الله عليهم البالغه إلى مائه ألف بيت؟ و باقبالك على قراءه الأوراد الفتحية التي جمعها جماعه من أهل السنه على معان غير مرتّبه و ألفاظ مغلوطة خاليه من قواعد الأدبيّه.

أفهلولاء الجهّال من العامّة العمياء كانوا أعرف بمناجاه الرّب المتعال و ذكره من قاده الدّين و أصفياء ربّ العالمين و أفصح فصحاء أهل الأرضين؟ و قد كان الأنبياء و الرّسل يتمنّون متابعتهم و الدّخول في زمرة شيعتهم و أنت تستكف عن اتباعهم و تقبل على تلك الأذكار المخترعه و تترنّم بقراءتها، و تضيف معصيه الغناء إلى معصيه البدعه.

و قد روى أنّه جاء رجل إلى الصادق عليه السّلام فقال له: اخترعت دعاء، فقال عليه السّلام

دع ما اخترعت و اقرء ما نقول.

الثانى الذّكر الخفى، و هو بالمعنى الذى قدّمناه سابقا من أفضل العبادات، و هو أن يكون متذكر الله سبحانه دائما فى مقام المصيبه فيصبر عنها، و فى مقام الطاعه فيقوى على مشاقها، و فى مقام المعصيه فيكف نفسه عنها.

و أمّا بالوجه الذى اخترعه هذه الطائفه على هيئه مخصوصه فمما لم يثبت له سند صحيح من الشّارع، فالتيان بهذه الهيئه بقصد العباده بدعه محرّمه كما علمت فى تعريف البدعه، و لم يرد تلك الهيئه فى حديث من أحاديث الشيعة بل لم أجده فى كتب أخبار العامّه أيضا.

و هؤلاء يقولون: رواه المعروف الكرخى عن الرضا عليه السلام، و هو باطل من وجوه:

الأول أنّه لم يثبت وصول المعروف الكرخى إلى خدمه الرضا عليه السّلام و ما يقولون من أنّه كان بوابا له عليه السّلام غلط البتّه لضبط أصحابنا علماء الرّجال فى كتبهم جميع خدامه عليه السّلام و ملازمى حضرته شيعيا كان أم سنيا حتّى ذكروا فى تلك الكتب المتردّدين إلى حضرته من متعصبى العامّه الذين رَووا عنه الحديث، فلو كان هذا الرّجل بوابا له لنقلوه البتّه.

الثانى أنّ داود الطائى قد ذكر فى تذكّراته مشايخ طريقته، و المعلوم من أحواله أنّه كان من متعصبه العامه و لم يكن له أصلا توسل بالأئمه عليهم السّلام.

الثالث أنّ السيّد الذى يسندون باعتقادهم إليه فيه جماعه لا يعجبني ذكر قبايح اعتقاداتهم و أعمالهم، مثل السيّد محمّد نور بخش و هو كما فى الكتب الصوفيّه قال:

إنّى المهدىّ صاحب الزّمان، و قال: اتّفق اولو الألباب على ذلك، و كغيره ممّن هو معروف بالعصبيّه و البدعه.

الرّابع أنا قد سمعنا من مشايخهم أنّ الذّكر الخفى أنواع مختلفه أخذه أهل كلّ طريقه بنحو مخصوص من مشايخهم يغيّر ما أخذه أهل الطريقه الاخرى من شيخهم، فلو كانت صحيحه النّقل عن الأئمه عليهم السّلام لكان المنقول واحدا لا متعدّدا.

الخامس أنّه إذا كان هذه الاذكار من أفضل العبادات على ما يزعمون و يقولون إنّهُ يحصل بها مزيد قرب ليس فى الصلاه فكيف يمكن أن يضمن بها الأئمه عليهم السلام و يخصّون المعروف الكرخى فقط بها و لا يعلمونها لغيره؟ فان قلت: غيره لم يكن قابلا بذلك و إنّما كان المعروف بين جميع أصحاب الرضا عليه السلام قابلا لذلك المقام لعلوّ درجته.

قلت: إذا كان كذلك فلم تعلمونها أنتم كلّ بليد أحمق؟ السادس لو كان معروف قابلا لهذا السرّ و لم يكن سلمان و لا أبو ذر رضى الله عنهما قابلين له، لزم أن يردّ من الأحاديث الكثيره البالغه إلى خمسمائه بل إلى ألف حديث وارد فى شأن سلمان و أبى ذرّ حديث أو حديثان فى شأن ذلك الرّجل، و لزم أن يعده واحد من العلماء من خواصّ أصحاب الرضا عليه السّلام و ليس فليس.

السابع أنّه على فرض تسليم ورودهُ فهو حديث مجهول، و ليس وظيفه الحزم و الاحتياط فى الدّين أن يرفع اليد من الأعمال المتواتره الثبوت من الأئمه عليهم السلام و يواظب على عمل رواه رجال مجهوله الحال فنقتصر فى المقام على ذلك لأنّ التّطويل موجب للملال. انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه زاد الله فى إكرامه و قد ذكر فى أوائل الكتاب المذكور أيضا فصلا وافيا فى هذا الباب طويلا عن نقله حذرا من الاطناب، و فيما نقلناه كفايه لمن اهتدى و ابتغى الرّشد و الصواب، ثبتنا الله و إيّاكم على الصّلاح و السداد، فى القول و الاعتقاد بمحمد و آله الأمجاد.

و منهم وحيد العصر فى الزّهد و الورع و الأمانه، و فريد الدّهر فى الفضل و التقدّس و الدّيانه، صاحب الملكات القدسيّه و الصّيفات الملكيه، و مظهر المقامات الزّاهره و الكرامات الباهره، الواصل إلى حضره ولىّ الرّحمن سيّد الانس و الجان إمام العصر و الزّمان سلام الله عليه و على آبائه، العالم العلم الفقيه المتكلّم الأوحد مولينا أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلي أفاض الله على تربته أنوار رحمته فقد ذكر فصلا مفصّلا فى المجلّد الثّانى من كتاب حقيقه الشيعه عند ذكر أحوال

الصادق عليه السّلام فى مطاعن الصوفيّته و شرح أحوالهم و تفصيل فرقهم المختلفه من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه، و لا بأس بالاشاره إلى بعض ما أورده «قد» هناك بغايه تلخيص و اختصار منّا فأقول:

إنّه ذكر أنّ أصل مذهب الصوفيّته من مخترعات العامّه و إنّ أوّل من تسمّى بهذا الاسم أى بالصوفى هو أبو هاشم الكوفى، من أجل لبسه بالصوف و كان قائلاً- بالحلول و الاتحاد مثل النصارى لكن النصارى قالوا بالحلول فى عيسى عليه السّلام و هذا الملعون ادّعى الحلول فى حقّ نفسه، و كان فى الظاهر امويّاً جبريّاً و فى الباطن ملحدًا دهريّاً و كان غرضه من وضع هذا المذهب هدم مذهب الاسلام و قد ورد من الأئمه عليهم السّلام أحاديث عديده فى الطعن عليه فنسب إليه التّابعون له و قيل لهم صوفيه ثمّ ساق الكلام فى سائر اسمائهم حسبما حكينا عنه «ره» فى المقام الثانى إلى أن قال:

و أكثر هذه الطائيفه فى الظاهر على مذهب أحمد بن حنبل و مالك يعملون فى الفروع بعملهم، و كان الشبلى مالكيًا و ذو النون تلميذاً لمالك و كثير منهم فى الباطن كافر ملحد إلى أن قال:

و قد ورد من الأئمه عليهم السّلام أحاديث كثيره فى الردّ على هذه الطائفه المبتدعه.

و أكثرها من الصادق عليه السّلام، و قد ورد اللّعن عليهم فى أخبار كثيره مرويه عن الأئمه عليهم السّلام بل عن الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضاً، و قد أخبروا بأنّ الله سبحانه يلعنهم و الملائكه أيضا يلعنون ثمّ نقل بعض الأخبار ثمّ عقد باباً فى بيان مذاهبهم و قال فيه:

اعلم أنّ مذاهب الصوفيّته كثيره فقليل: إنّ أصل تلك المذاهب أربعة و الباقيه متفرّعه عليها اول تلك الأربعه مذهب الحلوليه و الثانى مذهب الاتّحاديّه و الثالث مذهب الواصلية و الرابع مذهب العشاقية.

وقيل: إنّ أصول مذهبهم ستّة و أضافوا إلى الأربعة التلقيه و الزراقية و قيل: سبعة و أضافوا إليها الوحديثه المأخوذه من القول بوحده الوجود ثم قال:

و الحقّ أنّ أصل مذهبهم اثنان: القول بالحلول، و القول بالاتّحاد، و البواقي متفرّعه عليهما فالكلام فى فصلين الفصل الأوّل فى بيان المذهبيين.

الأوّل فى مذهب الحلويّه، فإنّهم يقولون: إنّ الله سبحانه قد حلّ فىنا و حلّ أيضا فى أبدان جميع العارفين، و بطلان مذهبهم ظاهر لأنّ كلّ عاقل يعلم علما قطعيا بأنّ الحالّ محتاج إلى المحلّ، و الضّروره قاضيه بأنّ كلّ محتاج ممكن فلو كان سبحانه حالا فى غيره لزم أن يكون ممكنا لا واجبا نعوذ بالله من هذا الاعتقاد.

الثانى مذهب الاتّحاديّه، و هم يقولون: إنّنا قد اتّحدنا مع الله سبحانه و كذا اتّحد الله تعالى بنا، و العقل أيضا قاض ببطلان هذا المذهب، و هم يشبهون الله سبحانه بالنّار و أنفسهم بالحديد المصهور بملاقاه النّار.

و هذا محض الكفر و الزّندقه إذ من له أدنى مسكه من العقل يعلم قطعاً أنّ تبدّل طبيعه ممكن بممكن آخر أو صورته بصورته لا يستلزم تبدّل الوجوب بالامكان و الامكان بالوجوب و كون الواجب ممكنا و الممكن واجبا، و كيف يقاس الواجب بالممكن و الممكن بالواجب؟ و صاحب هذا الاعتقاد كالمعتقد بالحلول كافر خارج من الدّين، ملحد زنديق لعين، و على اعتقاد كلتا الطائفتين يلزم تعدّد الاله و تكثّره، لجواز أن يكون فى كلّ عصر ألف عارف و زياده.

و قال صاحب كتاب بيان الأديان: إنّ القول بالحلول و الاتّحاد بعد الجرماثيه من الصائبه قد نشأ من النصارى فأخذه منهم غلاه الشيعه يعنى الذين يقولون فى الأئمه الاثنى عشر بالالوهيه، و غلاه أهل السنه يعنى الصوفيه الذين يقولون فى مشايخهم بالالوهيه، و ليس مذهب من المذاهب أقرب إلى مذهب النصارى من هذين المذهبين، انتهى كلام صاحب بيان الأديان.

و اعلم أنّ متقدّمى الصوفيّه كأبى يزيد البسطامى و حسين بن منصور الحلاج كانوا على أحد هذين المذهبين، و لاعتقادهم هذا الاعتقاد الفاسد يعنى الغلوّ عدّهم أكثر علماء الشيعة كالمفيد و ابن قولويه و ابن بابويه قدّس سرّهم من الغلاة، سواء قالوا بالحلول أو بالاتّحاد، و هم غلاة النّواصب و أكثر طوائف الغلاة.

و تجاوز بعض متأخري الاتّحاديّه كمحيى الدّين الأعرابى و الشيخ عزيز النسفى و عبد الرّزاق الكاشى عن الحدّ فى الكفر و الالحاد، و قالوا بوحده الوجود و أنّ كلّ موجود هو الله، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّا كبيرا.

و عله تمادى هذه الطائيفه فى الكفر و الطغيان أنّهم لمّا طالعوا كتب الفلاسفه و اطلعوا على قول أفلاطن القبطى و أتباعه فاختاروا بغايه الضّلال مقالهم، و كيلا يتفطن أحد بأنّهم لصوص مقالات الفلاسفه و اعتقاداتهم الفاضحه الفاسده غيّرُوا لباس ما قالوا، و لبسوه بلباس آخر و سمّوه بوحده الوجود، و لمّا سئلوا عن معنى هذه الكلمه قالوا تلييسا و خديعه إنّ هذا المعنى لا- يمكن الافصاح عنه بالبيان، و لا يحوم حوم تقريره اللّسان، و إنّما يدرك بالرياضات و المجاهدات الكامله و خدمه الكملين من مشايخ الطريقه، فحيروا بذلك الحمقاء من النّاس، و ضيّع السفهاء منهم أوقاتهم فى فهمه و تأويله و أوّلوا هذا الكفر العظيم بتأويلات مختلفه.

ثمّ أشار إلى سائر سرقات الصّوفيّه من مزخرفات الفلاسفه إلى أن قال:

و أمّا ما قاله افلاطن القبطى و متابعوه و تصرّف فيه هذه الطّائيفه و سمّوه بوحده الوجود، فهو أنّهم قالوا إنّ العله الأوّل خلق الخلق من نفسه فكلّ موجود خالق و مخلوق خذلهم الله تعالى.

الفصل الثّانى فى ذكر بعض فروع مذهبي الصّوفيّه يعنى مذهب الحلول و مذهب الاتّحاد و بيان قليل من عقايدهم.

فاعلم أنّ فروع المذهبين كثيره فلنقتصر بذكر قليل من عقايد فرقهم البالغه إلى إحدى و عشرين، ثمّ ساق الكلام فيها.

أقول: و لا حاجه بنا إلى نقل تمام ما قاله فيها و إنّما ينبغى نقل ما ذكره «قد» فى

الفرقة الاولى الوحدية

و هم قالوا بوحده الوجود و اعتقادهم أنّ كلّ إنسان بل كلّ شيء هو الله تعالى شأنه كما اشير اليه، و هم أشدّ كفرا و أعظم خزيا من نمرود و شدّاد و فرعون لاعتقادهم بالهيه جميع الأشياء الغير الطاهره فضلا عن غيرها، فلو سمّيت تلك الفرقة بالكثرتيه كان أبلغ لمبالغتهم في كثرة الطاهره فضلا عن غيرها، فلو سمّيت تلك الفرقة بالكثرتيه كان أبلغ لمبالغتهم في كثرة الاله بحيث لا يبقى شيء مما سوى الله تعالى إلّا و يقولون إنه الله و ان زعموا أنّ الجميع واحد.

و قد ذكر محيي الدّين في كتبه من ذلك كثيرا لا سيما في الفصوص فقال في الفصّ اللقمانى منه: إنّ الاختلاف بيننا و بين الأشاعره في العبارة، و قال في الفصوص:

إنّ الله لطيف فمن لطافته و لطفه أنه في الشيء المسمّى بكذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء حتى لا يقال فيه إلّا ما يدلّ عليه اسمه بالتواطوء و الاصطلاح فيقال هذا سماء و هذا أرض و صخره و شجره و حيوان و ملك و رزق و طعام و الحال أنّ العين واحده من كلّ شيء كما تقول الأشاعره إنّ العالم كلّه متماثل بالجواهر فهو جوهر واحد فهو عين قولنا العين واحده، ثمّ قالت أى الاشاعره و يختلف بالأعراض و هو قولنا و يختلف و يكثر بالصور و النسب، انتهى.

و قال في الفصّ الموسوى: إنّ فرعون عين الحق قد ظهر بهذه الصورة و صريح عبارته هكذا: فصّح قوله أنا ربّكم الأعلى و إن كان عين الحقّ فالصّوره لفرعون، و قد عرف العطار في كتاب الجوهر الدّات و قال أنت أيضا قل مثل أنا الحقّ و ادعى صريحا الالهيه في الكتاب المذكور.

و قال محيي الدّين في أوّل الفتوحات: سبحانه من أظهر الأشياء و هو عينها، و طعن عليه علاء الدّوله السيّماني و هو من مشايخ هذه الطائفة بهذا القول.

أقول: أراد «قد» به ما كتبه علاء الدّوله في حاشيه الفتوحات في قوله سبحانه من أظهرها ما لفظه: إنّ الله لا يستحي من الحقّ أيّها الشيخ لو سمعت من أحد أنّه يقول:

فضله الشيخ هو عين وجود الشيخ لا تسامحه البتّه بل تغضب عليه فكيف يسوغ لك أن تنسب هذا الهذيان إلى الملك الدّيان؟ تب إلى الله توبه نصوحا لتنجو من هذه

الورطه الوعره التى يستنكف منها الدهريون و الطبيعون و اليونانيون، و السلام على من اتبع الهدى، انتهى.

قال ره: و استحسّن محيى الدين و الشيخ عزيز النسفى و عبد الرزاق الكاشى و العطار و ملا الرومى و جمع كثير من متأخرى الصوفيه و صرّحوا به فى كلامهم نظما و نثرا، و قد شبه هؤلاء الحقّ سبحانه و تعالى بالبحر و الخلق بأواجه و يقولون: إنّ موج البحر عين البحر، و هم يحبون كلّ من ادّعى الالهيه كنايه كالقائلين بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود، أو صراحتا كفرعون و شدّاد و نمرود، و ما أدرى من الذى اشتبه من متأخرى الشيعة فى حقّ هؤلاء حتى اعتقد فيهم الخير و الصلاح فقلده غيره من متصوّفى الشيعة؟ نعم اعلم أنّ متقدّمى علماء الاماميه قد ذمّوهم كثيرا و ألفوا كتباً فى مطاعنهم و رووا أحاديث كثيرة من الأئمه عليهم السلام فى كفرهم و الحادهم و بطلان مذهبهم و الرّد عليهم مع أنه لم يكن فى زمانهم قائل بوحده الوجود أصلا.

و العاقل المنصف إن راجع الكافى و لاحظ فيه باب دخول الصوفيه على أبى عبد الله عليه السّلام و احتجاجهم عليه يعرف البتّه أنّ هذه الطائيفه من المخالفين.

و إن لاحظ كتاب الاعتقادات للّصّيدوق و قوله: إنّ تدوينهم بترك الصلاه و جميع الفرائض، و لاحظ قول المفيد دينهم ترك الفرائض و المستحبات و ارتكاب المناهى و المحرّمات، يعلم أنّهم من الرّنادقه و الملحدين.

و الدليل على أنّهم من المخالفين وجوه كثيره.

الأوّل أنّ علماء الشيعة الذين صنّفوا الكتب فى بيان الفرق الاسلاميه عدّوهم من المخالفين.

و الثانى أنّ قدماء علماء الشيعة لم يوجد من أحدهم تصنيف فى التّصوف، بخلاف قدماء علماء العامّه فإنّ لهم فيه تصانيف كثيره إلى غير ذلك من الوجوه.

و مع الغضّ عنها نقول: إنّ المعصومين عليهم السّلام لمّا حكموا ببطلان مذهبهم كما يعلم ذلك بالرجوع إلى رواياتهم المرويّه فى كتب الثّقات، لزم أن يتبرّى

الشيعة من هذا القوم الزائعين عن الحق و يتجنب من عقايدهم.

فان قال قائل: إني ما عثرت بعد على تلك الكتب و تلك الأخبار.

فالجواب إن شرط الاحتياط في الدين و وظيفه العبودية و التقوى هو التوقف في محبة تلك الطائفة و التسميه باسمهم و الامساك عن تأويل كلماتهم الكفرية حتى يظهر له الأمر الواضح.

و الظاهر أن جمعا من غفلة الشيعة لما رأوا مدح أمير المؤمنين عليه السلام في كلامهم انخدعوا من أجل ذلك و لم يعلموا أن مذهبهم لو لم يكن اللاحاد هو الجبر.

و لازم القول به استحسان كلشيء و إظهارهم لمحبة عليه السلام و مدحهم له من جهة أنه لما قال: من عرف نفسه فقد عرف ربه، و أدله هؤلاء الملاحدة على وفق مدعاهم كما قال محيي الدين في الفص الشيعي: من عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه فإنه على صورته خلقه بل هو عين هويته و حقيقته فأحبوه عليه السلام لذلك و أكثروا من مدحه و ربما يكون مدحهم من أجل تفتين الشيعة و قد ورد في الحديث أن لا تفتروا «لا تغتروا ظ» بمدحهم كما هو ظاهر لمن تتبع الأخبار، و لم يعلم الغافلون المفترون «المغترون ظ» أن شرائط محبة عليه السلام كثيرة و ليس طائفة من النصاري و اليهود و ساير أهل الملل الباطلة إلا و لهم مع فساد مذهبهم كلمات حسنة، و لم يفهموا أن هذه الطائفة الضالة لهم مع الطائفة المحقة مخالفه كثيره في الاصول الخمسة كما هو غير خفي على المنصف البعيد عن الهوى و العصبية.

و لو فرضنا اعتقادهم بأن أمير المؤمنين عليه السلام خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بلا فصل و أنه امام مفترض الطاعة، و لكن قولهم بالهية الحسين بن منصور الحلاج السائح الكافر، بل الهية جميع الموجودات له كمال المنافاه و المباينه بالايمان و الاسلام.

و أيضا فإنهم لما كانوا أهل مكر و خديعه يخدعون الناس عن أديانهم و تقرب جمع منهم إلى كل طائفة باظهار ما هوى تلك الطائفة فيه، كما أن الحلاج قبل الافتضاح كان يتقرب إلى أهل السنة باظهار السنية، و إلى الشيعة باظهار النيايه من

صاحب الزمان عليه صلوات الله الملك المنان، و إلى السفهاء من الناس بادعاء الألوهية، و سمي بعض المفتونين به بأسماء الأنبياء و فرقهم في البلدان يدعون الناس إلى عبوديته إلى أن قال:

و من جملة مطاعنهم تأويلهم للأخبار و الايات مثل الملاحده على مذاهبهم الباطله و قولهم بالجبر و التشبيه و التجسيم و الرؤيه و الصوره.

و من جملة مطاعنهم دعويهم علم الغيب و تسميتهم له بالكشف، و تمادى بعضهم و نسب العلم به إلى براهمه الهند أيضا إلى أن قال:

و ينبغي أن يعلم أن هذه الملاحده و المعتقدين بهم كما ورد في الحديث ثلاث طوائف: الضالون، و الخادعون، و الغافلون، و في روايه بدل الغافلون: الأحمقون، و في روايه اخرى بدله: الجاهلون.

و ذلك لأن من كان عارفا بعقائدهم الباطله و كان مع ذلك معتقدا أيضا بعقيدتهم فهو ضال كافر بالأدله العقلية و النقلية، و من كان عارفا ببطلان عقائدهم غير معتقد به باطنا إلا أنه يتجاهل ظاهرا و يتسمى بسمتهم صوره و يسلك مسلكهم تزويرا فهو الخادع المحتال، و غرضه أن يخدع السفهاء و الجهال فيخدعوا به و يكونوا مریدا لهم، و من سلك مسلكهم و أخذ بطريقتهم و مال اليهم سفها و حمقا و غفله و جهاله فهو الجاهل الأحمق الغافل فغير العارف ببطلان عقائدهم و المعترف بحقيقته مذهبهم وقع بسبب جهالته في الضلاله، فلو ادعى مع وجود هذا الجهل للعلم كان جاهلا مركبا تاه في متاه الضلال، و ربما يغتر به العوام و يزيع عن طريق الحق و يتيه في وادي الخذلان.

و العارف بسوء اعتقادهم، و المعتقد على بطلان مذهبهم، و المطلع على سوء سريرتهم، و المذعن بفساده باطنا إن مدح مشايخهم ظاهرا لخداع الخلق و باطنا و وصفهم بالزهد و الصلاح و المعرفه و الكمال توسلا بذلك إلى ملاذ الدنيا، فقد باع دينه بدنياه، و باء بسخط من الله حيث أضل الخلق بالدنيا الدنیه و فوت على نفسه السعادات الأبدية.

و ان كان العارف بسوء اعتقاداتهم مظهرًا لحقيقته مذهبهم وطريقته فقد زاغ عن طريق الحق و أعرض عن دين الاماميه و هو أسوء حالا من السابقين.

فلو ادعى الصوفى التشيع مع التصوف لا بد أن لا تقبله الشيعة منه و أن لا يعدّوه منهم، لأنّه مضطرّ بسبب القول بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود من القول بالجبر و الحبّ لليهود و النصارى و المجوس و التولى لأبى بكر و عمر و عثمان و ليزيد و معاويه و أبى سفيان لعنهم الله جميعا، بل حبّ جميع الفساق و الفجار و المشركين و الكفار لأنهم جميعا مجالى الحقّ، بل إن أعلن بعداوه هؤلاء فلا بدّ أن لا يغترّ به الشيعة، بل إن لعنهم أيضا، لأنّ اللعنه عندهم عين الرّحمه، فلعنه الله عليهم و على مشايخهم الزّنديقين.

الفرقه الثانيه الواصليه

و هم يقولون: إنا وصلنا إلى الله تعالى و اتّصلنا به، قيل إنّ هذا المذهب أيضا من اصول مذاهب الصوفيه كما تقدّمت إليه الاشاره، و الحقّ أنه من فروع مذهب الاتحاديه لكنهم اختصّوا بأقوال شنيعه و أفعال قبيحه امتازوا بها عن ساير الاتحاديه.

فمن جملتها أنهم يقولون: إنّ الصوم و الصلاه و الحجّ و ساير التكاليف إنما وضعها الشارع لتهديب الأخلاق و تكميل النفوس، و الوصول إلى الحقّ، و نحن قد هدّبنا الأخلاق و حصل لنا العلم بالأشياء و المعرفة بالحقّ و الوصول اليه فسقط عنا التكاليف الشرعيه، فليس شىء بواجب علينا، و جميع المحرّمات حلال فى حقنا.

و منها قولهم: بأنّ من وصل إلى هذا المقام العالى فكلّ ما يصدر منه من شرب الخمر و الزّنا و اللواط و السرقة و غيرها فليس لأحد الاعتراض عليه، و لا يجوز ردعه عن شىء من ذلك، لأنّه مستحسن منه، و لو أراد الزّنا بامه و اخته و بنته و اللواط بابنه كان حلالا له، و لو وطى بنات غيره و أبنائهم و أزواجهم وصل منه الفيض إليهم، و لو كان ملوطا لغيره كان جائزا.

نعم إذا كان المفتى لهم ملا ميرزا جان الشيرازى القائل بأنّ ذلك لا يضّرّ

بالنفس الناطقه يصدر عنهم هذه الأقوال و الأفعال الشنيعه.

قال ملا الرّومى فى خطبه من خطب المثنوى: إذا حصلت الحقيقه بطلت الشريعه، و قصه ملاقاته للشمس التبريزى و عرضه لابنه و بنته عليه و شرائه للشراب له و حمله الشراب على عاتقه كما ذكره الجامى فى كتاب نفحات الانس من القصص المشهوره.

و أورد الخواجه نصير الدّين عبد الله بن حمزه الطوسى ره فى كتاب نهج الحق ما رآه بعينه و سمعه باذنه فى باب تركهم للصلاه و اعتذارهم منه من أراد الاطلاع فليراجع اليه و ينبغى أن يعلم أنّ ترك الصلاه و ساير الفرائض و استحلال جميع المعاصى مذهب جميع فرق الصوفيه كما صرّح به المفيد و غيره من علماء الشيعه و ورد به النصّ أيضا إلا أنّ بعض الفرق يظهرون ذلك و بعضها يخفونه و أكثرهم يخدعون السفهاء و الجهال باقامه الصلاه و مواظبه الفرائض و السنن و اظهار العباده و الزّهاده، و بعضهم يستحسنون التظاهر بالمحرّمات و بعضهم يستقبحونه.

و منها قولهم: بانه إذا غلب الشهوه على واحد منا و أراد المجامعه بالغير فامتنع هو منه فلم يبلغ الممتنع بعد إلى مقام الوصول بل هو كافر، و من مكّن المجامع له من نفسه و أجابه إلى ما يريد سواء كان ذكرا أو انثى فاز بدرجه الولايه و صار من الأولياء الكملين.

قالوا: إنّ رابعه و جمع من النسوه وصلن إلى مرتبه الولايه لقضاء أوطار النّاس، و مزخرفات هذه الفرقة كثيره و دلائل كفرهم و الحادهم خارجه عن حدّ الاحصاء، و ذكرها موجب للملال و تطويل المقال.

الفرقه الثالثه العشاقيه

و هم جماعه يسمّون أنفسهم بالعشاق و محبّه الله سبحانه عشقا و فى هذا المعنى قال بعضهم:

العشق نور الذى بالفقر يفتخر و كلّ نور بتلك الشمس ينسفر

العشق شدّه حبّ الله ليس سوى معناه مقصدنا و القصد معتبر

و شدّه الحبّ فى القرآن وارده و فى الحديث بلفظ العشق تذكّر

طاعات أعداء أهل العشق احتببت و لو بزمزم بل بالكوثر أطهروا

لأنها من لباب الحبّ خاويه و هى القشور له و اللب يدّخروا

طوبى لقوم علت فى الكون همّتهم فأولجوا فى طريق العشق و ابتكروا

أما تغّير حالات يهيجهم عند السماع فلسنا عنه نعتذر

لأنّ احوال أهل العشق عارضه بلا اختياراتهم و العشق يعتذر

و هم غافلون من أنّ العشق اسم مرض من الامراض الدماغيه، و يقولون:

إنّ الاشتغال بغير الحقّ قصور فى معرفته تعالى و مع هذا الحال و تلك الدّعوى يتعشقون أبناء الناس و بناتهم و يقولون: إنّ المجاز قنطره الحقيقه، و أكثرهم من غايه عدم المبالاة فى الدّين و الخوف من ربّ العالمين يتعمّدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و يأفكون و يقولون: إنّ ذلك حديث مأثور عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم نعوذ بالله من ذلك.

و لأكثرهم مبالغه عظيمه فى تكلف العشق بالمرء الحسان و ذوات الحسن من النّسوان زعما منهم أنّ ذلك عشق مجازىّ و العشق المجازى موصول إلى الحقيقه الّتى هو حبّ الله تعالى.

و هذه الفرقة لهم عداوه عظيمه مع الأنبياء يقولون: إنّ الأنبياء قد قيّدونا بقيد التكاليف الشرعيّه فحجبونا من الوصول إلى الحقّ فلا- ينبغى للمرء أن يعبأ بقولهم عليهم السّلام، و مع هذا الحال يظهرون المحبّه لأبى بكر و عمر و عثمان، و يمدحونهم تطيبا لنفوس أهل السنه و ترضيه لخواطريهم، و إذا لقوا الشيعة يظهرون ولايه الأئمه و محبتهم و لا يبرزون عداوه الأنبياء و الأوصياء عند العموم ملاحظه للتقيّه، و مزخرفاتهم كثيره و نقلها موجب للاطّناّب.

الفرقة الرّابعة التلقية

و يقال لهم النظريّه أيضا، و مذهبهم أنّ النظر فى الكتب العلميه حرام إلّا- الكتب المدوّنه فى علم التّصوف بشرط قراءتها عند الشيخ الكامل، و زعموا أنّ المعرفة لا تحصل إلّا بتلقين الشيخ و أنّ قراءه العلوم الشرعيّه مطلقا حرام

و أنّ ما يحصل للعلماء بالتعلم و التحصيل و المطالعه و التدريس فى مدّه سبعين سنه و أزيد يحصل بارشاد المرشد و تلقينه فى ساعه واحده، و أنّ ما وجدّه السالكون للطريقه الكاملون فى المعرفه فأنّما وجدوه بارشاد الشيخ الكامل الذى هو من علماء الباطن لا بالتعلّم من العلماء الظاهريه.

و زعموا أيضا أنّ ما اشتغل به علماء الشريعه علم رسمى ظاهرى و ليس لهم حظّ من علم الباطن، و إنّما العلم فى الحقيقه هو علم الباطن و أمّا علم الظاهر فلا خير فيه و لا منفعه و العارف الكامل المحقّق من علم علم الباطن.

ثمّ أنّهم يزعمون أنّ الايمان ليس بمخلوق و أنّ الولاىيه أمر كسبى يحصل بالرياضه و أكثرهم يزعمون أنّ النبوه أيضا كسبيّه، و عاده هذا الفرقه كأكثر فرقهم على إعطاء الشيخ الخرقه و البرنس للمريد و أمره له بالجلوس فى الخلوه أربعين يوما و بترك أكل الحيوانى و يسمّونه بالچله، و هؤلاء أعداء الدّين قد وضعوا ذلك فى قبال الاعتكاف خرّب الله بنيانهم و دفع شرّهم و طغيانهم.

الفرقه الخامسه الزّراقيه

و هم طايفه متّصفه بالخسه و الدّناءه يعاشرون النّاس بالمكر و الحيله، و يأتونهم من باب الخديعه لتحصيل الدّنيا و امتلاء البطون من الغذاء، و يميلون إلى السّماع و الرّقص، و أكثرهم يخلطون مذاهب أكثر فرق الصوفيّه و يجعلونه مذهبا واحدا و يدينون به.

و من عاداتهم ترويج مشايخهم و تشهيرهم بين الناس تحبيبا للجهال إليهم و انكار العلماء و السادات و معاداتهم لا سيما من كان منهم غير مداهن للصوفيّه.

نعم من كان له حظّ من العلم و داهنهم و مدح مشايخهم إمّا حبّا للدّنيا أو غفله و جهلا عن إلحادهم و انحرافهم عن نهج الهدى فهم يهدون اليه و يحبونه و يبالغون فى تعظيمه و يسطرون مدحه و كما أنه يثنى عليهم و يروج مذهبهم الفاسد فهم أيضا يثنون عليه و يروجون متاعه الكاسد.

و قد شاهدت مرارا جلاليس له نصيب من العلوم الشرعيه بل من مطلق العلم

إلا أنه يترجم معانى أشعار كتاب گلشن راز لشيخهم الشبستري و هم يقولون: إنه أعلم العلماء و أفضلهم إلى أن قال:

فاللزام على من تابع النبى صلى الله عليه و آله و سلم و آله عليهم السّلام أنه إذا رأى أحدا يدعى التّصوّف سواء كان عالما أو جاهلا أن يعرض عنه و لا يعتقد عليه، و إذا رأى من سلك مسلك الزّراقية فيجب عليه انكاره، و إن ظهر منه القول بالحلول أو الاتحاد أو وحده الوجود فهو خارج من دائره الاسلام و الحال أنه لا يخلو أحد من الصوفيه من القول بأحدها و من القول بالجبر إلا أن يتحلّ التّصوّف و يسمّى نفسه بهذا الاسم من أجل الحمق و الجهالة أو من باب المكر و الخديعه انتهى ما أهمنا نقله من كلامه زاد الله فى اكرامه بغايه تلخيص منا.

و طوينا عن نقل باقى ما أورده فى هذا الباب حذرا من الاطئاب، و ربّما كان ما طوينا عنه يزيد على ما حكيناه أضعافا مضاعفه كما يظهر على من راجع إليه، و مع ذلك فما اقتصرنا بنقله أيضا غير خال من الاطئاب.

كما أنّ ما نقلنا قبله من كلام المحدث العلامة المجلسى روح الله روحه أيضا كذلك، و إنّما أطبّت بنقل كلاميهما تنبيها لسفهاء الشّيعه من نومه الغفله و الجهالة و انفاذا لهم من ورطه الضلاله.

فإنّ شهاده مثل هذين الوحيدين الفريدين العادلين الأعدلين العالمين العلمين الخيرين بالأخبار و آثار الأئمه الأطهار مع كونهما من أساطين الشيعه و أركان الشّريعه على فساد هذه الطريقه طريقه الصّوفيّه و كشفهما عن سوآتها و فضايحها و قبايحها و شناعيها كافيه فى ردائها و شناعيتها، و كفى بهما شهيدا فضلا عن غيرهما ممّن تقدّم حكايه كلامه و نذكره بعد ذلك إنشاء الله.

فهلكا لمن دان بمذهب و سلك مسلكا يكون مروجّه ماحى الدّين الاندلسى و مزيفه العلامة المجلسى، و مادحه الرّجس الغزالى و قادحه المقدّس الأردبيلى، و مزكّيه أبو يزيد و جارحه الشيخ المفيد، و المتدّينون به الملاحده اللّثام و أتباعهم من سفهاء الأحلام، و الطاعنون عليه أئمه الأنام و حجج الملك العالم.

و بعد ذلك فلا- يجوز للعاقل أن يشتبه و يغترّ بما يذكرونه في مطاوى مقالاتهم من الكلمات المزخرفه و الأقوال المستطرفه و المواعظ الحسنه و النصائح المستحسنه و الكمالات المرغوبه الغير المخالفه للاصول الشرعيّه بل الموافقه لموظّفات الشريعة.

لأنّ هذه كلّها من حبائلهم و حيلهم و فخوخهم و مصائدهم إنّما نصبوها لتصيد العوام و صيد الجهله كالأنعام و أكثر كلامهم المذى من هذا النمط فأنّما هو مقتبس من كلام الأنبياء و الحجج عليهم السّلام انتحلوه و نسبوه إلى أنفسهم و على فرض كونه منهم أيضا فلا- يجوز الا-غترار و الافتتان به، لأنّ جميع الفرق من الكفار و المشركين الملاحده و المعاندين مع ما هم عليه من الكفر و الالحاد و الزّيف عن نهج الرّشاد ترى في ضمن كلماتهم الكفريّه كلمات مقبوله عند ذوى العقول من مدح العدل و الاحسان و الصدق و الامانه و قلّه الأكل و قلّه التّوم و ذمّ الحرص و الحسد و البخل و الخيانه إلى غير ذلك.

و الحاصل أنّهم قد خلطوا الجيد بالرّدى و الطيب بالخبيث و مزجوا الحقّ بالباطل لاصطياد العوام.

و الى ذلك ينظر كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و هو الخمسون من المختار في باب الخطب: إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله و يتولى عليها رجال رجالا على غير دين، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضعف و من هذا ضعف فيمزجان فهناك يستولى الشيطان على أوليائه و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنی.

و منهم السّيد السند و المتبحر المعتمد السّيد نعمه الله المحدث الجزائري قدّس سرّه، فقد أورد في الأنوار النعمانيّه فصلا مبسوطا في ذكر عقايدهم الفاسده و أعمالهم الباطله و قال في جملة كلامه هنا ما نقلناه سابقا في المقام الثانی و هو قوله:

و أما الدّواعى لهم على اختراع هذا المذهب و شهرته فامور:

الأوّل أنّ خلفاء بنى اميه و بنى العباس لعنهم الله كانوا يحبّون أن يحصّيلوا رجالا- من أهل العباده و الزّهاده و التّكلم ببعض المغيبات و ان لم يقع لأجل معارضات الأئمه الطاهرين عليهم السّلام و علمهم و زهدهم و كمالاتهم حتّى يصغر فى أعين الناس أهل البيت و أطوارهم، فلم يجدوا أحدا يقدم على هذا سوى هذه الفرقة الضّالة، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور لعنهم الله و بنوا لهم البقاع و حملوا إليهم الأموال و طلبوا منهم الدّعاء فى مطالب دنياهم و قاسوهم بأهل البيت عليهم صلوات الله الملك الحيّ المتعال و أين الثّريا من يد المتناول.

الثانى سهوله هذا المسلك و صعوبه طريقه العلم، فإنّ العامى منهم قد يجلس فى بيت ضيق مظلم أربعين يوما و ربّما ترائى له إخوانه من الجنّ و الشياطين، فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصّل درجه العالم الذى يحصّيلها فى خمسين سنه و أكثر، بل ربّما كان اعتبار هذا بين رعاى الناس أزيد من اعتبار ذلك العالم الثالث أنّ هذا المذهب شرك لصيد الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلك.

و قال أيضا: و العجب من بعض الشيعة كيف مال إلى هذه الطريقه مع اطلاعه على أنّها مخالفه لطريقه أهل البيت عليهم السّلام اعتقادا و عملا.

أمّا الاعتقاد فقد قالوا بالحلول و هو أنّ الله سبحانه قد حلّ بكلّ مخلوقاته حتّى بالقاذورات، تعالى الله عمّا يقول الكافرون علّوا كبيرا، و قد متّلوا حلول الله بهذه المخلوقات بالبحر وقت اضطراب أمواجه، فإنّ الأمواج و إن كان متعدّدا إلّا أنّ كلّ ماء واحد فى بحر واحد قد كثره التّموج، فهى واحده بالحقيقه متعدّده بالاعتبار، و المخلوقات كلّها عين الله سبحانه و هو عينها و التعدّد إنّما جاء من هذه العوارض الخارجيه و التشخصات العارضه للمادّه.

و كان من أعظم مشايخهم عندهم الشيخ العطار، لما سمع سلطان ذلك الزّمان بكفره و إغوائه المسلمين أرسل إليه جلادا يأخذ رأسه، فلمّا أتى إليه

الجلاد و أخبره بما أتى به فقال له الشيخ العطار: أنت ربّي بأى صوره شئت فتصوّر فان أردت قتلى فأنا هذا ثم قتله.

و قال: و من اعتقاداتهم الباطله و أعمالهم الفاسده أنّهم تركوا العبادات المأثوره عن أهل البيت عليهم السّلام و دَوّنها الشيعة فى كتبهم، و أقبلوا على اختراع عبادات و أذكار لم تذكر فى الشريعة، و ليس هذا إلّا لقصد الخلاف على علماء أهل البيت حتّى يكونوا فى طرف النقيض فلا يقال لهم إنّهم مقلّدو العلماء فيزدا دون بذلك اعتبارا من عوام النّاس و غنائهم.

و ما علموا أنّ الله سبحانه لا يقبل من العبادات إلّا ما أرسل حججه و قاله على ألسنتهم، و إلّا فقد مرّ سابقا أنّ الشيطان لم يتكبر على السيّجود لله تعالى لكّنه قال: أنا أسجد لك يا ربّ و لا أسجد لادم و ذلك أنّ الله سبحانه يجب أن يطاع من حيث أمر كما قال: و أتوا البيوت من أبوابها و قد كان فى زماننا رجل من الصّوفيه و يزعم أنّه من علماء الشيعة و كان يخطب أصحابه يوما فقال و هو على المنبر: إنى كتبت الاصول الأربعه يعنى الكافى و التهذيب و الاستبصار و الفقيه و قرأتها و صحّحتها، و لَمّا رأيتها عديم الفايده بعثتها بدرهم واحد و رميت ذلك الدرهم بالماء.

فانظر إلى إيمان ذلك الرّجل عليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين، و قد كان مع أصحابه فى حضره مولينا الرّضا عليه السّلام مشغولين بذكرهم الجلى و هو ما اشتمل على الغناء و الرّقص و الترنّم و الوجد، فهوى بعضهم على محجر القبر الشريف فشجّ رأسه و سال دمه و بلغ إلى المحجر، فاحتال الخدمه إلى إزاله تلك الدّم فقال شيخ الصوفيه: لا تحتالوا بهذه الحيل لازاله هذا الدّم لأنّ هذا من دم العشاق و دم العشاق طاهر.

ثمّ لمّا لم يسمع الناس هذا منه مؤه على الناس كلاما آخر و قال: إنّ الشمس ذكروا أنّها من المطهرات فكيف لا يكون شمس الرّضا مطهره لهذا الدّم، فقبل منه هذا الكلام بعض البهايم من أتباعه ثمّ بعد زمان قليل خذله الله سبحانه

و سقط عن درجه و اعتبار و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

و رأيت في شيراز رجلا- صوفيا عليه لعنه الله، و كان صاحب ذكر و حلقه و أتباع، و كان كل ليله جمعه يأتي إلى قبه السيد الأجل السيد أحمد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام فيصنع الذكر المعهود و قد كان عزبا لم يتزوج نعم كان عنده ولد مقبول من أولاد شيراز و كان ذلك الرجل صاحب تحصيل لحطام الدنيا، و كلما يحصل في نهاره يعطيه لذلك الولد و يبقى لنفسه شيئا يسع قوت الشعير، و كان إذا خرج من البلاد ثم دخل إليها يسأله بعض خواصه أين كنت؟ فيقول: كنت أذرع الادميين.

و قد استمر على هذا الحال برهه من الزمان فظهر عليه و على أصحابه أنهم أرادوا الخروج و ادعى واحد منهم أنه الرب، و آخر أنه النبي، و ثالث أنه الامام إلى غير ذلك، فأخذهم حاكم تلك البلاد و أمر بقتلهم و كنت مع الحاضرين في ذلك الوقت.

فلما أتوا لشيخهم إلى الميدان ليقتلوه كانت اخته فوق سطح جدار تنتظر إلى ما يصنع بأخيها و تضحك، فقيل لها: لم تضحكين؟ فقالت: إن أخي هذا رجل شائب فاذا قتلوه يجيء بعد أربعين يوما بصورة شاب حسن الوجه قوى البدن، فظهر أنهم كانوا قائلين بالتناسخ أيضا، و قد رأينا منهم في شيراز وقائع غريبه و أطوار عجيبه لا توافق إلا مذهب الملاحده و الزنادقه.

و منهم المحدث الفاضل ملا- محسن الفيض القاساني في محكي كلامه من المجلد الخامس من الوافي في صدر أبواب صفه الصلاه و أذكارها و تعقيبها و آدابها و عللها بعد ذكر الايات الواردة فيها من قوله تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ» الايه، و قوله: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» إلى آخره، و قوله: «وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ» الايه قال:

المساجد فسرت تاره بالأعضاء السبعه، و أخرى بالمساجد المعروفه، و أخرى ببقاع الأرض كلها، و على التقديرات أنها خلقت لأن يعبد الله بها أو فيها، فلا تشركوا معه غيره في سجودكم و عبادتكم، و الأمر بالدعاء و الذكر

تضرّعا وخفيه وخيفه يشمل ساير أذكار الصّلاه وغير الصلاه، ودون الجهر من القول يدلّ على لزوم الاقتصاد فيها جميعا و كراهه الاعتداء، فما يفعله المتصوّفه فى حلقهم من الجهر بالذكر والاعتداء بالنداء ممنوع منه بمقتضى هذه الايات، و يأتى تمام الكلام فيه فى صدر أبواب الذكر إنشاء الله تعالى.

وقال فى أبواب الذكر والدعاء وفضايلهما من المجلد المذكور بعد ذكر الايات التى وردت فيها كقوله تعالى: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ».

فى هذه الايه دلالة على كراهه ما يفعله المتصوّفه من رفعهم الأصوات بكلمه التوحيد و إظهارهم المواجهه، فأنه اعتداء و مجاوزه عن حدّ ما و سمه الشرع فى الذكر والعباده، هذا إن اقتصروا على الاجهار بالذكر، و أمّا ساير ما يفعلونه من التّغنى بالأشعار فى أثناء الأذكار و التواجد بالسماع و استماله الأبصار و الأسماع بالشهيق و النهيق و الرقص و التصفيق و الهبوط و السقوط فلا شكّ أنّه بدع فى الدّين، بل كاد يكون استهزاء بالشرع المبين، أعاذنا الله من شرّ الشياطين.

وقال فى كتابه المسمّى بمنهاج النّجاه: لا تحضر فى الجامع الحلق و لا مجالس القصّاص، بل مجلس العلم النافع، و هو الذى يزيد فى خوفك من الله و ينقص من رغبتك فى الدّنيا.

وقال فى مقاله الرابعه و السّتين من الكلمات الطريفه:

«داهيه» و من الناس من يدعى علم المعرفه و مشاهده المعبود، و مجاوزه المقام المحمود، و الملازمه فى عين الشهود، و لا يعرف من هذه الامور إلّا- الأسماء و لكنّه تلقّف من المطامات كلّما يردّها لدى الأغنياء كأنّه يتكلّم عن الوحى و يخبر عن السّماء، ينظر إلى أصناف العباد و العلماء بعين الازدراء يقول فى العباد:

إنّهم اجراء متعبون، و فى العلماء: إنّهم بالحديث عن الله محجوبون، و يدعى

لنفسه من الكرامات ما لا- يدّعيه نبى مقرب، ولا- علما أحكم ولا عملا هذب، يأتى إليه الرّاع الهمج من كل فجّ أكثر من إتيانهم مكّه للحجّ، يزدهم عليه الجمع و يلقون إليه السّمع و ربّما يخزون له سجدا كأنّهم اتّخذوه معبودا، يقبلون يديه و يتهافون على قدميه، يأذن لهم فى الشهوات، و يرخص لهم فى الشبهات، يأكل و يأكلون كما تأكل الأنعام، و لا يبالون أمن حلال أصابوا أم حرام، و هو لحلوّائهم هاضم و لدينه و أديانهم حاطم «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ». «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ». «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَغْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ».

و قال فى مقاله الخامسة و السّتين منها:

و من هؤلاء من طوى بساط الأحكام، و رفض الفضل بين الحلال و الحرام، و حلّ قيود الشرع من عنقه و أطلق، لا يحزّمون ما حرّم الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلّم ولا- يدينون دين الحقّ، متعلّلين تاره بأنّ الله غنى عن الأعمال، و اخرى بأنّ التكليف إنّما هو لتطهير القلب من الشهوات و هو أمر محال، و اخرى بأنّ أعمال الجوارح لا وزن لها عند الله و إنّما النظر إلى القلوب و قلوبنا والهه إلى حبّ الله، واصله إلى معرفه الله، و إنّما نخوض فى الدنيا بأبداننا، فلا يصدّنا عن سبيل الله عصياننا، كلّا سيعلمون ثمّ كلّا سيعلمون، إنّ أعمالك لنفسك احتسبت، لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت، و ليس التكليف بقلع الشهوات، بل بانقيادها لحكم العقل و الشرع بالرياضات، و الأبدان تابعه للقلوب، و الشهادات شايعه للغيوب، أيّها المغرور.

ف «إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَ اسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتِطَعَتْ مِنْهُمْ بِصُورَتِكَ وَ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَ رَجَلَكَ وَ شَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عَدَّهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا».

و قال فى مقاله الثانيه و السّتين:

و من الناس من يزعم أنه بلغ في التصوّف و التأله حدًا يقدر معه أن يفعل ما يريد بالتوجّه، و أنّه يسمع دعاؤه في الملكوت، و يستجاب نداؤه في الجبروت تسمّى بالشيخ و الدرويش، و أوقع الناس بذلك في التشویش، فيفرطون فيه أو يفرطون فمنهم من يتجاوز به حدّ البشر، و آخر يقع فيه بالسوء و الشرّ، يحكى من وقايعه و مناماته ما يوقع الناس في الرّيب، و يأتي في اخباره بما ينزل منزله الغيب، و ربّما تسمعه يقول: قتلت البارحة ملك الروم، و نصرت فئه العراق، و هزمت سلطان الهند، و قلبت عسكر التّفاق، أو صرعت فلانا يعنى به شيخا آخر نظيره، أو أفنيت بهمانا يريد به من لا يعتقد فيه إنّهُ لكبيره، و ربّما تراه يقعد في بيت مظلم يسرج فيه أربعين يوما، يزعم أنّه يصوم صوما، و لا يأكل فيه حيوانا و لا ينام نوما، و قد يلزم مقاما، يرّدّد فيه تلاوه سوره أيّاما، يحسب أنّه يؤدّي بذلك دين أحد من معتقديه، أو يقضى حاجه من حوائج أخيه، و ربّما يدّعى أنّه سخر طائفه من الجنّه، و وقى نفسه أو غيره بهذه الجنّه «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» انتهى كلامه.

أقول: هذه الكلمات كما ترى تنادى بأعلا صوتها على طهاره ذيل هذا الفاضل البارع من دنس التصنّع و التصوّف، و براءه ساحته من الانحراف و التصلّف، و مثلها كلمات له اخرى تركنا حكايتها حذرا من الاطناب.

إلاّ أنّه في أكثر كتبه سلك مسلك الصوفيه و جرى على قواعدهم لا سيّما في كتابه المسمّى باللئالى، و ذكر فيه تفصيل الحضرات الخمسه الّتي هي من مصطلحات الصوفيه و مخترعاتهم، و أوّل بعض الأخبار و الأدّعيه إلى ما أوردها هناك، و لا حاجه بنا إلى ايرادها.

و من أجل كون كلامه و حديثه ذا فنون و شجون اختلف العلماء المعاصرون له و المتأخرون عنه في مدحه و قدحه و تعديله و جرحه، حتّى أفرط بعضهم فنسبه إلى الكفر أو ما يشارف الكفر.

منهم الشيخ على المعاصر له سبط الشهيد الثانى «قد» فقد نسب إليه في ذيل

رسالته فى تحريم الغناء كثيرا من الأقاويل الفاسده و الاراء الباطله التى تفوح منها رائحه الكفر المضاده بضروريات الدين.

قال فى روضات الجنات: و لو أردنا تأويل جملة منها بمحامل وجهه صحيحه لما أمكننا ذلك بالنسبه إلى ما يدل عليه ألفاظه الظاهره بل الصريحه من منافيات اصول هذه الشريعه و فروع مذهب الشيعة، مثل قوله بوحده الوجود، و بعدم خلود الكفار فى عذاب النار، و عدم نجاه أهل الاجتهاد من النار و إن كانوا من أجلائنا الكبار، و قوله بعدم منجسيه المتنجس لغيره مثل الجنس، و بعدم انفعال الماء القليل بمحض ملاقاته للنجس، و ان وافقه فى هذه المسأله العمانى.

و منهم صاحب لؤلؤه البحرين الشيخ يوسف البحرانى قال فى ترجمته:

و هذا الشيخ كان فاضلا محدثا أخباريا صلبا كثير الطعن على المجتهدين و لا سيما فى رسالته سفينه النجاه حتى أنه يفهم منه نسبه جملة من العلماء إلى الكفر فضلا عن الفسق، مثل ايراده الايه: «يا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا»، أى و لا تكن مع الكافرين و هو تفريط و غلوٌ بحث، مع أنّ له من المقالات التى جرى فيها على مذهب الصوفيه و الفلاسفه ما يكاد يوجب الكفر و العياذ بالله، مثل ما يدلّ فى كلامه على القول بوحده الوجود.

و قد وقفت له على رساله قبيحه صريحه فى القول بذلك، و قد جرى فيها على عقايد ابن عربى الزنديق و أكثر فيها من النقل عنه و إن عبّر عنه ببعض العارفين و قد نقلنا جملة من كلامه فى تلك الرّسالة و غيرها فى رسالتنا التى فى الرّد على الصوفيه المسّماه بالنفحات الملكوتيه، نعوذ بالله من طغيان الأفهام و زلل الأقدام.

و قد تلمذ فى الحديث على السيّد ماجد البحرانى فى بلاد شيراز، و فى الحكمه و الاصول على صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازى الشهير بصدر، و كان صهره على ابنته و لذا ترى أنّ كتبه فى الاصول كلّها على قواعد الصوفيه و الفلاسفه، و لاشتهار مذهب التصوّف فى ديار العجم و ميلهم إليه بل غلوهم فيه صارت له المرتبه العليا فى

زمانه، و الغايه القصوى فى أوانه، وفاق عند الناس جملة أقرانه، حتى جاء على أثره شيخنا المجلسى «قد» فسعى غايه السعى فى سدّ تلك الشقاشق الفاغره، و إطفاء نائره تلك البدع البائره انتهى.

و العجب من صاحب روضات الجنات حيث أراد تزكيه الرّجل فجرحه، و تطهيره فدّنسه، و تبرئته فلوّثه، قال بعد تفصيل كلام له فيه:

ثمّ ليعلم أنّ ظنّى فى نسبه تصوّف الباطل إليه أنّها فريه بلا- مريه، و الباعث عليه اقتداؤه بهذه الطريقه فى الموالاه مع الغلاه و الملحدين، و إظهار البراءه من أجلائنا المجتهدين، و عدم اعتناؤه بالمخالفه لاجماع المسلمين، و الانكار لبعض ضروريات هذا الدين المبين، و إلّا فبين ما يقوله و يقولونه مع قطع النظر عن هذا القدر المشترك بون بعيد، و إنكاره على أطوار هذه الطائيفه فى حدود ذواتها انكار بليغ شديد، ثمّ نقل عنه ما قدّمنا نقله من المقالات.

و أنت خبير بأنّه إذا كان موافقا للصوفيه فى أصل مذهبهم الفاسد و هو القول بوحده الوجود على ما عزّاه إليه غير واحد من العلماء، فكلّ الصّيد فى جوف الفراء، فضلا عما نسب إليه من انكاره لبعض ضروريات الدين و خلافاته لاجماع المسلمين، و احتذائه حذو الغلاه و الملحدين، و هذا مقام ما قيل و يقال:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه و كلّ قرين بالمقارن يقتدى

و الله العالم بالسرائر و الخبير بالضّماير من كلّ برّ و فاجر.

و منهم محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الزّمخشري المعروف بجار الله المجاور فى حرم الله، قال فى الكشف فى تفسير قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي» ما لفظه:

و عن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّهم يحبّون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فمن ادّعى محبّته و خالف سنّه رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم فهو كذاب، و كتاب الله يكذّبه، و إذا رأيت من يذكر محبّه الله و يصفق بيديه مع ذكرها و يطرب و ينعر و يصعق فلا شكّ فى أنّه لا يعرف الله و لا يدرى ما محبّه الله

و ما تصفيقه و نعرته و صعقته إلاّ- أنّه تصوّر في نفسه الخبيثه صورته مستملحه معشقه، فسَمّياها الله بجهله و ذعارته ثمّ صفق و طرب و نعر و صعق على تصوّرها و ربّما رأيت المنى قد ملاء إزار ذلك المحبّ عند صعقته، و حمقى العامّه حواليه قد ملاؤا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله.

و قال في كتابه المسمّى بأطواق الذهب:

يا رافع اليد بالدّعاء، و يا داعي الحقّ بالنّداء، إنّّه لا يسمع بالصّيماخ فاقصر من الصراخ، أتنادى باعدا، أم توقظ راقدا تعالى الله الملك لا- تأخذه السّينه و لا- تغلّطه الألسنه، يعلم رموز البكم و الخرس، كما يعرف لغه التّرك و الفرس، يسمع ديبب النمله الخرساء على الصّخره الملساء، كما يسمع بغام الظليه(١) الجيداء على صحن البيداء، ألا إنّ رفع اليد بالدّعاء سمعه، و رفع الصّوت بالشكاية شنعه، ما هذه الشّهقه و النّداء، و ما هذه الصّيححه الشنعاء، أمن الضرب تتألّم؟ أم مع أكفائك تتكلّم؟ أ تحسبه قسّاما نسي قسمك؟ أم رزاقا جهل اسمك؟ أنام من خلق الأنام؟ أرقد من أنشأ الذئب و النّقد(٢) معاشر الضعفه أنظّنون أن لا- تأكلوا أقواتكم دون أن ترفعوا أصواتكم لا تدعوا اليوم ثبورا لقد ظننتم بالله ظنّ السوء و كنتم قوما بورا.

و منهم الفاضل البارع المحقّق السيد عليّ بن محمّد الحسيني الجرجانيّ المشتهر بالسيد الشريف شارح المواقف، قال في حاشيته على شرح التجريد للاصفهانيّ في المسأله الثالثه في أنّ الوجود زايد على المهيّه و ليس نفسها عند ما يعنون قول الشّارح: فيلزم أن يكون المهيّات متّحده و ليس كذلك قيل عليه ذهب جماعه من الصوفيّه إلى أن ليس في الواقع إلاّ ذات واحده لا تركيب فيها أصلا بل لها صفات هي عينها و حقيقه الوجود المنتزعه في حدّ ذاتها عن شوائب العدم و سمات نقصان الامكان، و لها تقيّدات بقيود اعتباريّه بحسب ذلك يترأى موجودات متمايظه فيتوهّم من ذلك تعدّد حقيقيّ، فما لم يقم برهان على بطلان ذلك لم

ص: ٤٠٥

١- (١) - اى صوتها، م.

٢- (٢) - النّقد من الغنم قصار الأرجل، كذا في الصحاح.

يتمّ ما ذكره من عدم اتّحاد المهيّات، ولا يتمّ أيضا اشتراك الوجود بل لا يثبت وجود ممكن أصلا:

أقول: هذا خروج عن طور العقل، فإنّ بدايته شاهده بتعدّد الموجودات تعدّدا حقيقيا و أنّها ذوات و حقايق مختلفه بالحقيقه دون الاعتبار فقط و الذاهبون إلى تلك المقاله يدّعون استنادها إلى مكاشفاتهم و مشاهداتهم و أنّه لا يمكن الوصول إليها بمباحث العقل و دلّالته، بل هو معزول هناك كالحسّ في إدراك المعقولات.

و أمّا المتقيدون بدرجات العقل و القائلون بأنّ ما يشهد به العقل فمقبول و ما شهد عليه فمردود و أنّه لا طور وراءه، فيزعمون أنّ تلك المكاشفات و المشاهدات على تقدير صحتها مؤوّل بما يوافق العقل، فهم بشهاده بديته عندهم مستغنون من إقامه برهان على إبطال أمثال ذلك، و يعدّون تجويزها مكابره لا يلتفت إليها.

و قال في شرح المواقف في المقصد الخامس من المرصد الثاني من الموقف الخامس منه:

اعلم أنّ المخالف في هذين الأصلين يعنى عدم الاتّحاد و عدم الحلول طوائف ثلاثه: الاولى النصارى، الطائفة الثانيه النصيريّه و الاسحاقيه من غلامه الشيعه الطائفة الثالثه بعض المتصوّفه، و كلامهم مخبط بين الحلول و الاتّحاد و الضبط ما ذكرناه في قول النصارى، و الكلّ باطل سوى أنّه تعالى خصّ أولياءه بخوارق عادات كرامه لهم.

و رأيت من الصوفيّه الوجوديّة من ينكره و يقول لا- حلول و لا- اتّحاد إذ كلّ ذلك يشعر بالغيريّة و نحن لا نقول بها بل نقول: ليس في الدّار الوجود غيره ديار، و هذا العذر أشدّ قبحا و بطلانا من ذلك الجرم. إذ يلزم تلك المخالطه التي لا يجترى على القول بها عاقل و لا مميّز أدنى تمييز و قال في المقصد الثالث من المرصد الأوّل من الموقف السادس:

لبعض الصوفيه من أهل الاباحه أنّ التّكليف بالأفعال الشّاقّه البدنيّه يشغل الباطن عن التفكير في معرفه الله و ما يجب له من الصفات و يجوز و يمتنع عليه من الأفعال، و لا شكّ أنّ المصلحه المتوّقع من هذا الغايب و هو النظر فيما ذكر تربي أى تزيد و تفضل على ما يتوّقع ممّا كلّف به فكان ممتنعا عقلا.

و الجواب أنّ ذلك أى التفكير في معرفه الله و صفاته و أفعاله أحد أغراض التّكليف بل هو العمده الكبرى منها و سائر التّكاليف معينه عليه داعيه إليه و وسيله إلى اصلاح المعاش المعين على صفاء الأوقات عن المشوّشات الّتي تربي شغلها عن شغل التّكاليف و قال في المقصد السادس من المرصد الخامس من الموقف الأول منه:

ان قلت: لا نسلم أنّ المعرفه لا تتمّ إلّا بالنظر كما ادّعيتم بل قد تحصل بالتّصفيه فإنّ رياضه النفس بالمجاهدات و تجريدها عن الكدورات البشريّه و العوائق الجسديه و التوجّه إلى الحضرة الصّمديه و التزام الخلوه و المواظبه على الذّكر و الطاعه تفيد العقائد الحقّه الّتي لا- يحوم حولها شائبه رائبه، و أما أصحاب النظر فيعرض لهم في عقايدهم الشّكوك و الشّبهات النّاشئه من أدله الخصم.

قلنا: هي يحتاج إلى معونه النظر ألا ترى أنّ رياضه المبطلين من اليهود و النصارى يؤدّيههم إلى عقايد باطله، فلا بدّ من الاستعانه بالنظر أو قلنا المراد أنّه لا مقدور لنا من طرق المعرفه إلّا بالنظر فإنّ التّصفيه كما هو حقّها تحتاج إلى مجاهدات شاقّه و مخاطرات كثيره قلما يفي من المزاج فهى فى حكم ما لا يكون مقدورا.

و منهم الفخر الرازى فى المسأله الحاديه و الثلاثين فى النّبوه من كتابه المسمّى بالأربعين قال:

اعلم أنّ الذين ينكرون نبوه محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم طوايف، ثمّ تعرّض لذكرها إلى أن قال: الطايفه السادسه جمع من الصوفيه يقولون: الاشتغال بغير الله حجاب عن

معرفة الله تعالى، و الأنبياء يدعون الخلق إلى الطاعات و التكاليف، فهم يشتغلون الخلق بغير الله و يمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب أن لا يكون حقا و صدقا.

و منهم الدّميرى فى كتاب حياه الحيوان فى باب العين المهمله عند ذكر العجل قال:

«فايده» نقل القرطبى عن أبى بكر الطرطوشى أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون و يطربون و يضربون بالدّف و الشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فقال: مذهب الصوفيه بطلاله و جهاله و ضلاله، و ما الاسلام إلا كتاب الله و سنّه رسول الله، و أما الرقص و التواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا- جسدا له خوار، قاموا يرقصون حوله و يتواجدون، فهو دين الكفار و عبّاد العجل، و إنما كان مجلس النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان و نوابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد و غيرها و لا- يحلّ لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يحضر معهم و لا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالک و الشافعى و أبى حنيفه و أحمد و غيرهم من أئمة المسلمين.

و منهم محمّد بن محمّد بن محمّد المحدث البخارى المعروف فى كتابه الذى سماه فاضحه الملحدين و ناصحه الموحدين، قال:

ثم إن أولئك الملحدين الذين هم إخوان الشياطين يخدعون الجاهلين بتمسيّتهم فى ذلك الضلال المبين بقوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»، و بقوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ».

و يلحدون فى الايه الأولى بتفسيرهم وجه الله ههنا بذات الله موافقا لرأيهم لا بالجهة التى امر بها و رضىها على ما هو الحق المبين و المطابق لقواعد الدين و لاجماع علماء الاسلام و المسلمين، و لما يدلّ صدر هذه الايه أيضا و هو قوله تعالى:

«وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» فانه يدلّ على أنّ جهات المشرق و المغرب لله تعالى، لا أنّها هو الله تعالى و إلا يوجب أن يكون النظم و الله المشرق و المغرب لا و لله المشرق و المغرب

و أنت خير بأنّ ثمة للمكان و أنّ الله تعالى منزّه عن الجبهه و المكان و أنّ كون الشئ الواحد فى آن واحد فى أمكنه مختلفه بديهيّ البطلان. و أنّ تفسير هذه الايه بما فسّره الملاحده مستلزم لكون الله تعالى فى مكان و جبهه بل كونه فى آن واحد فى أمكنه الجهات المختلفه عند اختلاف أماكن المتوجهين و ذلك محال على محال و مع ذلك كفر صريح و ضلال.

و يلحدون فى الايه الثانيه حيث يفسّرون قضى بحكم و قدّر مخالفا لقواعد الدّين و لاجماع المفسّرين لا بأوجب و أمر على ما هو مطابق لقواعد الاسلام و لاجماع الرّسل و الأنبياء عليهم السّلام و منهم الشيخ المتبحرّ البصير و المتتبع الخير الشيخ علىّ ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدّين الشهيد الثانى «قد»، فقد ألّف رساله مستقلّه فى الرّد على الصّوفيّه و سمّاها: السّيهام المارقه من أغراض الرّنادقه، و قد حكينا عنه فى المقام الثالث من كتابه المسمّى بالدّر المثور من المأثور و غير المأثور كلاما مبسوطا متضمّنا لمطاعنهم فليراجع هناك.

و منهم الشيخ المحدّث محمّد بن الحسن بن علىّ بن محمّد الحرّ العاملى صاحب كتاب وسایل الشّيعه، فقد ألّف فى الرّد عليهم رساله كما صرّح به فى خاتمه الكتاب المذكور عند تعداد كتبه.

و منهم السّيد الأعظم قدوه اولى الألباب أبو تراب مرتضى ابن الدّاعى الحسن الرّازى «قد» فقد جمع فى بيان مذاهب الصّوفيّه و ما يتضمّن من مطاعنهم كتابا بالعجميّه و سمّاها: تبصره العوام، و آخر بالعربيّه و سمّاها: الفصول الثّامه فى هدايه العامّه.

و منهم الشّيخ نصير الدّين علىّ بن حمزه بن الحسن الطوسى، فقد ألّف كتاب ايجاز المطالب فى ابراز المذاهب و ضمّنه جملة من مطاعن الصّوفيّه حسبما نقل عنه مولينا المقدّس الأردبيلي «قد» فى كتاب حديقته الشّيعه.

إلى غير ذلك ممّا صدر من علماء الاسلام من الخاصّه و العامّه من مطاعن

هذه الطائفة تصرّحاً و تعريضاً إجمالاً و تفصيلاً، و لنقتصر في المقام بذلك و لنعقبه بما يجب التّنبيه عليه دفعا لبعض تليسات هؤلاء، و ابطالا لتمويهاتهم، فأقول مستعينا بالله و متوكلا عليه:

تنبيه و هدايه

قد رأيت في بعض كتب المتصوّفه مَن يدعى التشييع نسبة التصوف إلى جماعه من علماء الاماميّه مثل السيّد عليّ بن طاوس، و ابن فهد الحلّي، و الشهيد الثاني، و المجلسيّ الأوّل بل الثاني أيضا، و شيخنا البهائي و نظرائهم، و هي فريه بينه و بهتان عظيم، و غرضهم من هذا الاختلاق تكثير السواد و اصلاح ما ذهبوا اليه من مذهب الفساد، و لعا بترويج متاعهم الكاسد، و شعفا بتلفيق سلعتهم الفاسد، فإنّ العاده جاريه و الطبيعه مايله إلى أنّ كلّ من عمل عملا حقّا أو باطلا يطلب له فيه مشاركا، و كلّ من سلك سييلا بزا أو فاجرا يشعّف بمن كان معه فيه سالكا، لا سيّما إذا كان من أهل البدعه و الضلاله يكون سعيه في تحصيل الموافق له أشدّ و أكّد، و فرحه و انبساطه اليها بوجدانه أعظم و أكثر.

و هؤلاء لزيغهم عن قصد السبيل، و شعفهم بكلام بدعه و دعاء ضلاله، و كونهم فتنه لمن افتتن بهم، ضالّين عن هدى من كان قبلهم، مضلّين لمن اقتدى بهم في حياتهم و بعد وفاتهم، نسبوا تلك الطريقه الفاسده إلى أساطين العلماء تفتينا للهمج الرّعاع، و خداعا للجاهليّته الجهلاء، و العوام الذين هم كالأنعام.

و قد علمت تفصيلا عند نقل كلام الشهيدين و المجلسيين طهاره لوح خواطرهم من هذا الدّنس و الزّين، و ظهر لك هناك أنّ تلك النسبه اليهم افك فاحش و بين.

و منه يعلم أيضا نزاهه ساحه ابني فهد و طاوس من ذلك الرّجس و قد أشار إليه المحدث العلامة المجلسي «قد» أيضا في كتاب عين الحياه حيث قال ما ترجمته:

قد كان بين أهل الحقّ دائما عبّاد و زهّاد ثابتة على الصّراط المستقيم، مواظبه على سلوك طريق القرب و الزّلفى و المباحات و العباده و العبوديه خارجه،

من سلسله الصوفيّه لم يعدهم أحد منهم مثل سلطان العلماء و المحقّقين الشيخ صفى الدّين، و سيّد الافاضل ابن طاوس، و زبده المتعبدين ابن فهد الحلّى، و الشهيد السعيد الشيخ زين الدّين رضوان الله عليهم أجمعين و غيرهم من الزّهاد الذين أخذوا طريقه الرّياضه و العباده و العبوديه بقانون الشريعه المقدّسه.

و بعد فراغهم من العلوم الشرعيه توجّهوا إلى العباده و الرّياضه، و هدايه الخلق و تدريس العلوم الحقّه، و لم يؤثّر عن أحد منهم بدعه و ضلاله.

و لأجل ذلك لم يعدّ المتصوّف الجامى فى التّفحات أحدا منهم من الصّوفيه، و لم يدخلهم فى زمريهم مع غايه اشتهاهم و صيتهم شهره الشمس فى رابعه النهار.

و قد أشرق وجه الأرض بأنوارهم و تصانيفهم و آثارهم، و صارت الدّنيا معموره بميامن بركاتهم، و راج دين الاماميّه و الشيعه الاثنى عشرية بمساعيهم الجميله حتى بذلوا فى طريق الشريعه مهجهم الزّكيه و أنفسهم القدسيه.

بخلاف أهل الباطل من الصوفيه، فقد بالغوا فى تخريب الدّين و هدم أساس الشّرع المبين، و قد سمعت معارضات السفیان الثورى و عباد البصرى و أضرابهما من الصوفيه مع أئمه اليقين و تعارضهم دائما مع علماء الشيعه بعد زمن الأئمه عليهم السّلام، هداانا الله و اياكم إلى الحقّ المبين بمحمد و آله الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد ظهر منه و مما قدّمنا نقله عنه من اعتقاداته أنّ نسبه تلك الطريقه الباطله إلى هؤلاء العلماء العظام و الأساطين الأعيان بينه الفساد و البطلان.

و أما الشيخ البهائى فربما عزى إليه القول بالتصوّف و طعن عليه بذلك لما يترأى من بعض كلماته و أشعاره، إلّا أنّ الظاهر أنّ صدور تلك الكلمات منه مداراه للخلق، و منازلته إلى أدواقهم، و معاشره معهم.

كما أفاده السيّد المحدث نعمه الله الجزائرى حيث قال فى ما حكى عنه فى لؤلؤه البحرين: إنّ الشّيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقه و ملّه بمقتضى طريقته و دينهم و ملتهم و ما هم عليه، حتّى أنّ بعض علماء العامّه ادّعى أنّه منهم،

قال السيّد: فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح و كان معي فتعجّب من ذلك و ذكر جملة من المؤيّدات لما ذكره، ثمّ استدلّ بقوله قدّس سرّه في قصيدته الّتي في مدح القائم عليه السّلام:

و إنّى امرء لا يدرك الدهر غايته و لا تصل الأيدي إلى سير أغوارى

اخاط أبناء الزّمان بمقتضى عقولهم كيلا تفوهوا بانكارى

و اظهر أنّى مثلهم يستفزّنى صروف الليالى باختلاء و امرار

. انتهى و قال السيّد أيضا في محكى كلامه فى روضات الجنّات: كانت كلّ طائفة من طوائف المسلمين ينسبه إليها، و سمعت الشّيخ الفاضل الشّيخ عمر من علماء البصرة يقول: إنّ بهاء الدّين محمّدا من أهل السّنة و الجماعة إلّا أنّه كان يتّقى من سلطان الرّافضة، و كذلك الملاحدة و الصّوفية و العشّاق سمعت كلّ هؤلاء يقولون:

إنّه من أهل نحلّتنا، و من هذا كان شيخنا المعاصر يعنى به العلامة المجلسى يزدرى عليه بهذا و أمثاله، و فيض الله التّفريشى لم يوثقه فى كتاب الرّجال و إنّ أثنى عليه فى العلم و الحفظ و غير ذلك، و الحقّ أنّه ثقة معتمد عليه فى النقل و الفتوى انتهى.

فقد ظهر بذلك عدم ثبوت تصوّف هذا العالم البارع النّحرير، كثبوت عدم تصوّف من تقدّم ذكره من العلماء.

و بعد الغضّ عن ذلك و تسليم اتّصافهم به و قبول أنّهم من الصّوفية فأقول:

إنّ تصوّف الذى لهم ليس على حذو ما عليه ساير الصّوفية على ما توهمه هؤلاء الجهلة الذين نسبوه اليهم ابتهاجا بمشاركتهم معهم فى المذاق و موافقتهم لهم فى المذهب.

و ذلك لأنّ تصوّف هؤلاء الأجلّة عبارته عن العمل بالأوامر و النّواهى الشرعيّة، و ترك الشبهات و الزهد و الكشف و الرّياضة، و التخلّى بالفضائل و التخلّى عن الرذائل و ملازمه المروّة و التقوى، و الاعراض عن ملاذ الدّنيا و اخلاص العبادات و مواظبه التضرّع و الابتهاال و المناجاة و إقامة الصلوات المكتوبات و التعقيبات المأثورات و الاذكار و الأدعيات الموظّفات فى الأوقات المرسومات، و الاشتغال بالتعليم

والتدريس و تأليف كتب الفقه و الأخبار و الروايات و سائر العلوم الشرعيه.

و تصوّف تلك الجهله عباره عن المداومه على العبادات المبتدعه و الأذكار المخترعه، و دعوى الكرامات الكاذبه و الصّلائف الباطله، و ترك أحكام الشريعة و أخذ مراسم الطريقه على زعمهم، و الوصول إلى معارج الحقيقه على حسابانهم و إن لم يقع، و ادّعاء الكشف و الشهود و القول بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود إلى غير هذه من أطوار الفريقين الّتي بينهما بعد المشرقين.

نعم قد وجدت من علماء الشيعة رجلا واحدا لا ريب في تصوّفه و موافقته للصّوفيه في أكثر أقوالهم الفاسده، و لذلك اهبط قدره عن درجه الاعتبار، و اسقط قوله عن نظر علمائنا الأبرار، و هذا الرّجل هو محمّد بن الحسن بن عليّ بن أبي جمهور الاحسائي صاحب كتاب غوالي اللّثالي.

قال الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤه البحرين: و الشيخ محمّد بن أبي جمهور كان فاضلا مجتهدا متكلّما له كتاب غوالي اللّثالي جمع فيه جملة من الأحاديث إلّا أنّه خلط الغثّ فيه بالسّمين و أكثر فيه من أحاديث العامه، و لهذا أنّ بعض مشايخنا لم يعتمد عليه، و له كتاب شرح زاد المسافرين و كتاب المجلى على مذاق الصّوفيه.

و قال المحدث النّيسابوري في ترجمته: متكلّم فقيه صوفيّ له كتب: منها كتاب المجلى جمع فيه بين الكلام و تصوّف، و نقل في روضات الجنات من أواخر كتاب وسائل الشيعة كون كتابي حديثه و هو كتاب غوالي اللّثالي و نثر اللّثالي خارجين عن درجه الاعتماد و الاعتبار، مع أنّ صاحب الوسائل من جملة مشاهير الأخباريه و الأخباريه لا يعتنون بشيء من التصحيحات الاجتهاديه و التنويغات الاصطلاحيه.

و قال المحدث العلامة المجلسيّ في مقدّمات البحار: كتاب غوالي اللّثالي و ان كان مشهورا و مؤلفه في الفضل معروفا لكنه لم يميّز القشر من اللباب و أدخل أخبار متعصّبي المخالفين في روايات الأصحاب، فلذا اقتصرنا على نقل بعضها، و مثله كتاب نثر اللّثالي، انتهى.

أقول: و من جمله الأخبار العامية التي رواها في الغوالي ما رواه عن النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم أنه قال: صلّوا خلف كلّ برّ و فاجر، و من جمله أحاديث الصوفية التي نقلها فيه ما رواه فيه عن النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم قيل له: يا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان في عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء.

و هذا الحديث من موضوعات الصوفية حسبما أشرنا اليه فيما تقدّم، و قد رواه أكثر الصوفية في كتبهم حتى محيي الدّين في الفصوص و أكثر شراح الفصوص أيضا.

و من جمله ما رواه أيضا فيه ما نقله عن عليّ عليه السّلام قال: و روى عنه و قد سئل عن معنى التّصوّف و التّصوّف مشتقّ من الصّوف و هو ثلاثة أحرف: ص، و، ف. فالصاد صبر و صدق و صفاء، و الواو ودّ و ردّو و وفاء، و الفاء فقر و فرد و فناء.

و آثار الوضع على هذا الحديث غير خفيه كما يعرف ذلك مما ذكرناه في المقام الثّاني، فإنّ بدو ظهور الصوفية و استعمال هذا الاسم فيهم و تسميتهم بها كان في زمان أبي هاشم الكوفي في عصر الصادق عليه السّلام و لم يكن في عصر أمير المؤمنين عليه السّلام أحد يسمّى بهذا الاسم.

و كم له في كتبه من أخبار الصوفية و أحاديثهم الموضوعه و أقوالهم الرديّه حسبما نقلها عنه أصحابنا في كتبهم إزاء عليه بذلك.

قال بعض تلامذه العلامة المجلسي في كتابه الذي ألفه في الرّد على الصوفية في تفصيل خرقة هذه الطائفة ما هذه عبارته:

فمرّه قال شيخ شيوخ الصوفي اعني ابن أبي جمهور الاحسائي في كتاب مجلى مرآت المنجى أنّ شيخ طائفتهم الشيخ الجنيد لبس الخرقة من يد خاله الشيخ السري السقطي، و السري لبسها من معروف الكرخي، و المعروف الكرخي لبسها من الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام.

و مرّه قال: إنّ معروف لبس من داود الطائي و أخذ هذه الطريقه منه، و هو من حبيب الأعجمي، و هو من الحسن البصري، و هو من أمير المؤمنين عليه السّلام.

و تاره اخرى ذكر أنّ الامام أبا عليّ شقيق البلخي أخذها عن الامام أبي عمرو

موسى بن زهد الفراءى عن اويس القرنى ره عن أمير المؤمنين على عليه السلام.

و كتب فى الحاشيه أنّ سلسلتهم تنتهى إلى ذى النون المصرى، و شيخ ذو النون كان من تلامذه مولينا و سيدنا الحسن الأخير العسكرى عليه و على ابنه الحجّه و آبائه السلام، انتهى.

أقول: فانظروا إلى هذا الاحسائى الشيعى باعتقاده كيف هبت به ريح الهوى إلى قبه هذه الفئه، فضلّ و جار عن قصد السبيل، و قال غير الجميل، و سار بغير دليل، و تاه متاه بنى اسرائيل، و لم يفهم مضادّه الحسن البصرى السامرى مع أئمتنا لا سيّما مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام، و لم يعلم أنّ هذه الاختلافات فى الروايات العاميه الملاحده من أعظم القوادح فيها كيف و لم يذكر ما دونه هذا الرّجل فى كتابه شيخ الطايفه المحقّه فمن دونه، و لو كان له أصل لذكروه و ليس فليس إلى أن قال:

نعم ذكر الجامى فى ترجمه الشيخ محيى الدين المغربى من كتاب النفحات أنّ نسبه خرقة فى التصوّف تصل إلى الشيخ محيى الدّين عبد القادر الجيلانى بواسطه واحده.

و بالجملة للجامى فى الكتاب المذكور، و السهروردى فى كتاب العوارف، و هبه الله الاصفهانى فى كتاب الخمسين، و شمس الدين محمّد بن محمّد ابن الجزرى الشافعى فى خاتمه عواليه، و غيرهم من علماء العامّه المتصوّفه هذيان طويل فى أمر الخرقة و أحكامها.

و الفاضل الاحسائى سرقة منها و أسرف فى تزينه و تشهيره و لا جناح عليهم فى هذا الاجماع منهم، فإنّ من الأمثال المشتهره: عند الخنازير تنفق العذره.

قال ذكر السيّد نظام أحمد فى خاتمه أربعينه عند ذكره الأسانيد التى كانت له فى المصافحه و المصاحبه و لبس الخرقة ما هذه عبارته:

لبس الشيخ حاتم الأصم من الشيخ شقيق البلخى، و هو من الشيخ ابراهيم بن أدهم، و هو من موسى بن يزيد الرّاعى، و هو من مقدم التابعين اويس القرنى، و هو

من أمير المؤمنين أبي حفص عمرو أبي الحسن رضى الله عنهما، و هما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و قال فى موضع آخر منه: قال الشيخ العارف الربانى أبو بكر الهوارى: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام و طلبت لبس الخرقة منه، فأشار صلوات الله و سلامه عليه إلى أبى بكر الصديق، فألبسنيها.

و فى موضع آخر منه قال شيخ الاسلام أبو البيان الدمشقى القرشى الشافعى لبستها من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و من الخضر المعمر عليه السلام و ذلك فى اليقظه التى لا شك فيها و لا ريب عند أهل الايمان بالغيب.

قال: أقول: و لكن ليس هذا بأعجب من ساير ما يقوله فى ذلك الكتاب بلا شك و لا ارتياب مثل أنه كتب فى مبحث السلوك منه أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام إن لله تعالى شرابا إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا وصلوا، و إذا وصلوا اتصلوا، و إذا اتصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم انتهى.

قال: أقول: جاء هذا الخبر من طريقنا معاشر الشيعة الامامية الموحده هكذا و فى شرح مختصر العضى للحاجبى قال على عليه السلام: إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، و إذا هذى افترى، فارى عليه حد المفترى، انتهى.

و مما يضحك منه العبوس القمطير أن الطيب الجيلانى المدعوّ بالمؤمن ذكر فى رساله الملعونه أن هذا الحديث مذكور فى كتاب صحيفه الرضا عليه السلام و كتب فى مبحث الكشف منه أنه نقل أنه عليه السلام قال: رأيت ربى ليله المعراج فى أحسن صوره فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثدى فعلمت علوم الأولين و الاخرين (١) انتهى كلامه رفع مقامه.

ص: ٤١٦

١- (١) هذا الحديث من مجعولات العامه كما يشعر به ما نقله القيصرى فى الفصل السابع من ديباجه شرح الفصوص هكذا، عبد الرحمن بن عوف عن عايشه قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رأيت ربى تبارك و تعالى فى أحسن صورته، فقال: فيما يختصم الملاء الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أى ربى مرتين قال: فوضع الله كفّه بين كتفى فوجدت بردها بين ثدى فعلمت ما فى السماوات و ما فى الأرض، ثم تلى هذه الايه: «وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»، انتهى، منه.

و قد أطنبت بنقله تنبيهها لك على اعتماد الاحسائي على أحاديث المخالفين و ركونه إلى أخبار الناصبين، و ليته قنع بذلك و لم يسع في تخريب قواعد الدّين حيث انحرف عن مناهج المتشرّعين، و ولع بترويج طريقه المتصوّفين، و تشهير مزخرفات المبتدعين جزاه الله ما يستحقّه يوم حشر الأولين و الآخرين.

هنا آخر المجلد الثالث عشر من هذه الطبعه النفيسه و تمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجي - عفى عنه و عن والديه في - ٢٢ - من شهر محرم الحرام - ١٣٨٣ - و يليه انشاء الله المجلد الرابع عشر و أوله: «المقام الثامن في الاخبار الوارده في ذمّ الصوفيه» و الحمد لله رب العالمين.

استدراك تقدم حديث شريف في ص ٣٢ نقلا عن عقاب الأعمال مضطرب الألفاظ غير مستقيم المعنى و لم يحضرني العقاب عند الطبع حتى اراجعته فأثبتناه بعينه على ما في الطبعه الاولى حفظا للأمانه في النقل، و بعد الطبع راجعنا العقاب فوجدنا الحديث فيه ص ٢٠٧ هكذا: محوت المحكم من كتاب الله. و فيه: محيط لو طلع منه. و فيه: أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الوادي و تنته و قدره و ما أعدّ الله فيه لأهله، و أنّ في ذلك الوادي لجبلا يتعوّذون أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل.

و فيه: لقلبيا يتعوّذ أهل ذلك الشعب. و فيه: بولس.

أيضا ص ٢٩١ س ٩ و من مواظ عيسى عليه السّلام «إلخ» هذا الحديث مذكور في تحف العقول إلّا أنّه زاد فيه بعد قوله: في حيره كلمه: لفعل. و ذكر بدل قوله:

تنفع و لا يؤكل: ينفع و يؤكل.

أيضا ص ٣٠٦ س ٤ قول المصنف: و أمّا الأخبار فمنها «إلخ» هذا الحديث مذكور في الكافي إلّا أنّ فيه: وليّ الضلاله، بدل اولي الضلاله و سأل، بدل سئل.

فليكن على ذكر منك المصحح.

ص: ٤١٧

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفاً ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

